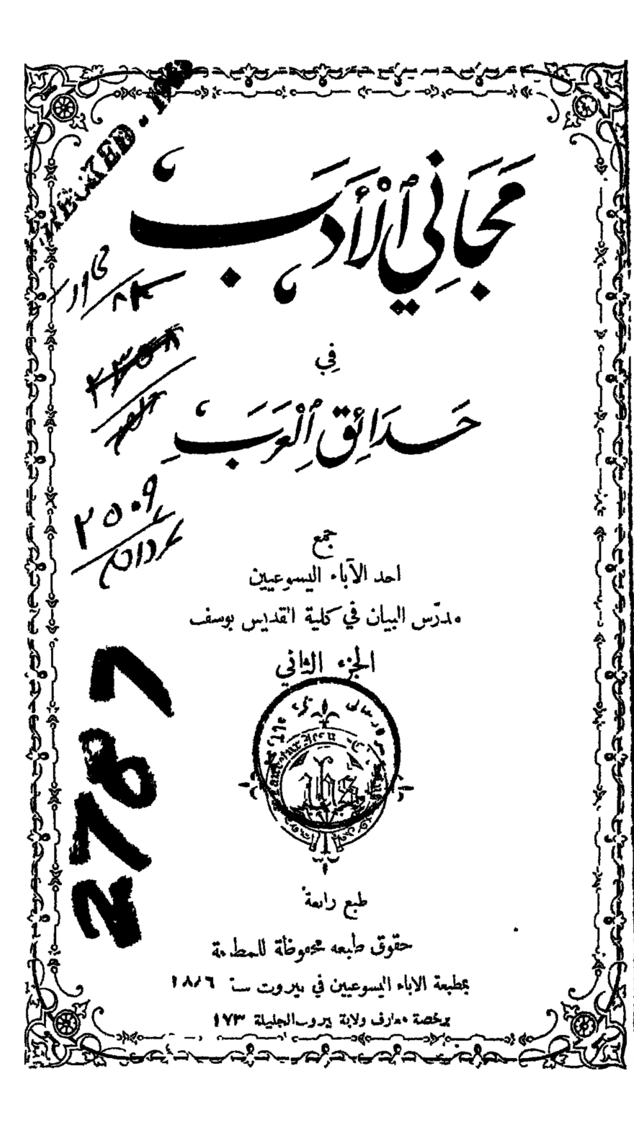




مجاني الأدب

في

حدائق العرب

جمع

احد الآباء اليسوعيين

مدرس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الثاني

طبع رابعة

بمطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٦

برخصة معارف ولاية بيروت الجليلة ١٧٣



ألبَابُ ٱلأَو...

فِي ٱلتَّد...

في الاخلاص لله تعالى والت... عليه

١ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ وَلَا آخِرَ لِأَبَدِيَّتِهِ . قَيُّومٌ لَا يُفْنِيهِ ٱلْأَبَدُ . وَلَا يُغَيِّرُهُ ٱلْأَمَدُ . بَلْ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ . مُنَزَّهٌ عَنِ ٱلْجِسْمِيَّةِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . فَوْقِيَّتُهُ لَا تَزِيدُهُ بُعْدًا عَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْعَبِيدِ . مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ . لَا يُشَابِهُ قُرْبُهُ قُرْبَ ٱلْأَجْسَامِ . كَمَا لَا يُشَابِهُ ذَاتَهُ ذَوَاتُ ٱلْأَجْرَامِ . مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَحُدَّهُ زَمَانٌ . مُقَدَّسٌ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ مَكَانٌ . تَرَاهُ أَبْصَارُ ٱلْأَبْرَارِ . فِي دَارِ ٱلْقَرَارِ . عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْآيَاتُ وَٱلْأَخْبَارُ . حَيٌّ قَادِرٌ . جَبَّارٌ قَاهِرٌ . لَا يَعْتَرِيهِ عَجْزٌ وَلَا قُصُورٌ . وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلْمَلَكُوتُ . وَٱلْعِزَّةُ وَٱلْجَبَرُوتُ . خَلَقَ ٱلْخَلْقَ وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ . لَا تُحْصَى قُدُورَاتُهُ . وَلَا تَتَنَاهَى مَعْلُومَاتُهُ . عَالِمٌ بِجَمِيعِ ٱلْمَعْلُومَاتِ . لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ . يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَٱلْخَفِيَّ وَيَطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ ٱلضَّمَائِرِ . وَخَفِيَّاتِ ٱلسَّرَائِرِ . مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ . مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ . لَا يَجْرِي فِي مُلْكِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . جَلِيلٌ وَلَا حَقِيرٌ . نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ . فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ

يَشَأْ لَمْ يَكُنْ . فَهُوَ ٱلْمُبْدِئُ ٱلْمُعِيدُ . ٱلْفَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ . لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ . وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ . وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ . وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ . إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ . سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ خَلْقِهِ . وَكُلُّ مَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ حَادِثٌ أَوْجَدَهُ بِقُدْرَتِهِ . وَمَا مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ إِلَّا وَلَهُ فِي ذٰلِكَ حِكْمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ . قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى ٱلْإِلٰـهُ   أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ ٱلْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَـةٌ   تَدُلُّ عَلَى أَنَّـهُ ٱلْوَاحِدُ
وَلِلّٰهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ   وَتَسْكِينَةٍ فِي ٱلْوَرَى شَاهِدُ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ مَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ بِوَهْمٍ   مِنْ جَلَالٍ وَقُدْرَةٍ وَسَنَاءِ
فَٱلَّذِي أَبْدَعَ ٱلْبَرِيَّةَ أَعْلَى   مِنْهُ سُبْحَانَ مُبْدِعِ ٱلْأَشْيَاءِ

(مستطرف الابشيهي)

تنزيه الخالق تعالى

٢ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَارِئَ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَلَا قَالَبٌ . وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْزِلُ وَلَا يَحُلُّ فِي قَالَبٍ . وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ ٱلْكَيْفِ وَٱلْكَمِّ . وَعَنْ لِمَاذَا وَلِمْ . وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ . وَكُلَّمَا يَخْطُرُ فِي ٱلْوَهْمِ وَٱلْخَيَالِ وَٱلْفِكْرِ مِنَ ٱلتَّكْيِيفِ وَٱلتَّمْثِيلِ . فَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذٰلِكَ . لِأَنَّ تِلْكَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ وَهُوَ خَالِقُهَا فَلَا يُوصَفُ بِهَا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ لَيْسَ

فِي مَكَانٍ وَلَا عَلَى مَكَانٍ • فَإِنَّ ٱلْمَكَانَ لَا يَحْصُرُهُ وَكُلُّ مَا فِي ٱلْعَالَمِ فَإِنَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَتَسْخِيرِهِ فَإِنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ ٱلْعَالَمِ كَانَ مُنَزَّهًا عَنِ ٱلْمَكَانِ • وَلَيْسَ ٱلْعَرْشُ بِحَامِلٍ لَهُ بَلِ ٱلْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ يَحْمِلُهُمْ لُطْفُهُ وَقُدْرَتُهُ • وَأَنَّهُ تَقَدَّسَ عَنِ ٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلْمَكَانِ قَبْلَ خَلْقِهِ ٱلْعَالَمَ وَبَعْدَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِٱلصِّفَةِ ٱلَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي ٱلْأَزَلِ • وَلَا سَبِيلَ لِلتَّغَيُّرِ وَٱلِٱنْقِلَابِ إِلَى صِفَاتِهِ • وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُتَقَدِّسٌ عَنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ مُنَزَّهٌ • وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مَرْئِيٌّ كَمَا نَعْلَمُهُ فِي ٱلدُّنْيَا بِلَا مِثْلٍ وَلَا شِبْهٍ • كَذٰلِكَ نَرَاهُ فِي ٱلْآخِرَةِ بِلَا مِثْلٍ وَلَا شِبْهٍ • لِأَنَّ تِلْكَ ٱلرُّؤْيَةَ لَا تُشَابِهُ رُؤْيَةَ ٱلدُّنْيَا • لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(التبر المسبوك للغزالي)

عظمة الخالق

٣ قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

كَيْفِيَّةُ ٱلْمَرْءِ لَيْسَ ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهَا ... فَكَيْفَ كَيْفِيَّةَ ٱلْجَبَّارِ بِٱلْقِدَمِ
هُوَ ٱلَّذِي أَنْشَأَ ٱلْأَشْيَاءَ مُبْتَدِعًا ... فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ ٱلنَّسَمِ

قَالَ آخَرُ :

تَبَارَكَ ٱللهُ فِي عَلْيَاءِ عِزَّتِهِ ... فَكَلَّ كُلُّ لِسَانٍ عَنْ تَعَالِيهِ
لَا كَوْنَ يَحْصُرُهُ لَا عَيْنَ تَنْظُرُهُ ... لَا كَشْفَ يُظْهِرُهُ لَا جَهْرَ يُبْدِيهِ
حَارَتْ جَمِيعُ ٱلْوَرَى فِي كُنْهِ قُدْرَتِهِ ... فَلَيْسَ يُدْرِكُ مَعْنًى مِنْ مَعَانِيهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَلَالَتِهِ ... وَجَلَّ عِزًّا وَلُطْفًا فِي تَسَامِيهِ

٤ قَالَ حكيمٌ: أَشهدُ أَنَّ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضَ آيَاتٌ دَالَّاتٌ. وَشَوَاهِدُ قَائِمَاتٌ. كُلٌّ يُؤَدِّي عَنْهُ ٱلْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَهُ بِٱلرُّبُوبِيَّةِ. وَقَالَ آخَرُ: سَلِ ٱلأَرْضَ مَنْ غَرَسَ أَشجَارَكِ. وَشَقَّ أَنْهَارَكِ. وَجَنَى ثِمَارَكِ. فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ إِخبَارًا. أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا. وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

لَقَدْ جِئْتُ أَبْغِي لِنَفْسِي مُجِيرًا　　فَجِئْتُ ٱلْجِبَالَ وَجِئْتُ ٱلبُحُورَا
فَقَالَ لِيَ ٱلْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ　　فَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيرٌ ضَرِيرَا

رحمة الله

٥ سَمِعَ ٱلْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَجُلًا يَشْكُو بَلَاءً نَزَلَ بِهِ فَقَالَ: يَاهٰذَا أَتَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ (العقد الفريد لابن عبد ربّه)

أَبْيَاتٌ عَنْ فَمِ ٱلرَّحْمَانِ:

فَكَمْ لَبَّيْتُ عَبْدِي إِذْ دَعَانِي　　وَرَاعَيْتُ ٱلْوِدَادَ وَمَا رَعَانِي
أَنَا ٱلْمُرْخِي ٱلسُّتُورِ عَلَى ٱلْمَعَاصِي　　عَلَى ٱلْعَبْدِ ٱلْجَسُورِ إِذَا عَصَانِي
وَأَصْفَحُ لِلأَثِيمِ إِذَا أَتَانِي　　وَعَاتَبَ نَفْسَهُ عَمَّا جَفَانِي
وَإِنْ نَادَانِيَ ٱلْخَاطِي بِصِدْقٍ　　وَإِخلَاصٍ حَوَى كُلَّ ٱلْمَعَانِي
فَمَنْ يَأْتِي إِلَيَّ يَنَالُ عِزًّا　　وَيَحْظَى بِٱلْمَسَرَّةِ وَٱلأَمَانِي

(فِي ٱلْخَبَرِ) إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَلَقَ جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوْطًا يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ. (وَفِي ٱلْخَبَرِ أَيْضًا) إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّمَا خَلَقْتُ ٱلْخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لِأَرْبَحَ عَلَيْهِمْ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

محبة الخالق

• كُلُّ فِعلٍ يُقَرِّبُ صَاحِبَهُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى فَهُوَ بِرٌّ . وَلَا يَحْصُلُ ٱلتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ إِلَّا بِٱلتَّبَرِّي عَمَّنْ سِوَاهُ . فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ حُجِبَ عَنِ ٱللهِ تَعَالَى وَأَشْرَكَ شِرْكًا خَفِيًّا لِتَعَلُّقِ مَحَبَّتِهِ بِغَيْرِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ (للقاشاني)

دَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ ٱلنُّسَّاكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ ٱلسَّلَامُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَتُحِبُّ ٱللهَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَذَبتَ وَٱللهِ فِي حُبِّكَ إِيَّاهُ إِنَّكَ لَوْ أَحْبَبْتَهُ لَمَا عَصَيْتَهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

تَعْصِي ٱلْإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هٰذَا لَعَمْرِي فِي ٱلْفَعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ ... مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ

(سراج الملوك للطرطوشي)

قَالَ عِزُّ ٱلدِّينِ ٱلْمَقْدِسِيُّ :

قَبِيحٌ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً
وَتَنْظُرُ عَيْنَاهُ لِحُسْنٍ سِوَاهُ
أَيَجْمُلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدَّعِي
سِوَاهُ وَمَا فِي ٱلْكَوْنِ يُعْشَقُ إِلَّا هُوْ
فَإِنْ كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ فِي ٱلْحُسْنِ وَاحِدًا
فَكُنْ وَاحِدًا فِي ٱلْحُبِّ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

٧ مِنْ كَلَامِ ٱبْنِ زُهْرَةَ ٱلْأَنْدَلُسِيِّ : لَا يَكُونُ ٱلْعَبْدُ مُحِبًّا لِخَالِقِهِ حَتَّى يَبْذُلَ نَفْسَهُ فِي مَرْضَاتِهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً . فَيَعْلَمُ ٱللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّاهُ . وَسُئِلَ مَا عَلَامَةُ ٱلْعَارِفِ فَقَالَ : عَدَمُ ٱلْفُتُورِ عَنْ ذِكْرِهِ وَعَدَمُ ٱلْمَلَالِ مِنْ حَقِّهِ وَعَدَمُ ٱلْأُنْسِ بِغَيْرِهِ . وَقَالَ : لَيْسَ ٱلْعَجَبُ مِنْ حُبِّي لَكَ وَأَنَا عَبْدٌ فَقِيرٌ . وَلَكِنِ ٱلْعَجَبُ مِنْ حُبِّكَ لِي وَأَنْتَ مَلِكٌ قَدِيرٌ (لبهاء الدين العاملي)

حمد الله

٨ قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بِقَدْرِ ٱللَّهِ ... لَا قَدْرِ وُسْعِ ٱلْعَبْدِ ذِي ٱلتَّنَاهِي

قَالَ مَحْمُودٌ ٱلْوَرَّاقُ :

إِلٰهِي لَكَ ٱلْحَمْدُ ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... عَلَى نِعَمٍ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلَا
أَزِيدُكَ تَقْصِيرًا تَزِدْنِي تَفَضُّلَا ... كَأَنِّيَ بِٱلتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ ٱلْفَضْلَا

وَلَهُ أَيْضًا :

أَيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدْأَةً ... إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ ٱلشُّكْرُ
فَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرٍ إِلَيْكَ وَحُجَّةٍ ... فَعُذْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرُ

قَالَ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ عَنِ ٱلْحَوَائِجِ حَاجَةً ... فَٱدْعُ ٱلْإِلٰهَ وَأَحْسِنِ ٱلْأَعْمَالَا
إِنَّ ٱلْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ ... بِيَدِ ٱلْإِلٰهِ يُقَلِّبُ ٱلْأَحْوَالَا
فَدَعِ ٱلْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ ... لَهِجًا تُضَعْضِعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَا

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلتَّيْمِيِّ قَوْلُهُ :

لَا تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ ... فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِٱلدِّينِ
وَٱرْغَبْ إِلَى ٱللهِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ ... فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ ٱلْكَافِ وَٱلنُّونِ
أَمَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرْجُو وَتَأْمُلُهُ ... مِنَ ٱلْخَلَائِقِ مِسْكِينَ ٱبْنَ مِسْكِينِ

(الاغاني)

الرجاء بالله والتوكل عليه

٩ لَمَّا حَضَرَ بِشْرَ بْنَ ٱلْمَنْصُورِ ٱلْمَوْتُ فَرِحَ فَقِيلَ لَهُ : أَتَفْرَحُ بِٱلْمَوْتِ فَقَالَ : أَتَجْعَلُونَ قُدُومِي عَلَى خَالِقٍ أَرْجُوهُ كَمُقَامِي مَعَ مَخْلُوقٍ أَخَافُهُ

قَالَ ٱلشَّيْخُ شِهَابٌ :

تَوَكَّلْ عَلَى ٱلرَّحْمَانِ فِي ٱلْأَمْرِ كُلِّهِ ... فَمَا خَابَ حَقًّا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكَّلَا
وَكُنْ وَاثِقًا بِٱللهِ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِهِ ... تَفُزْ بِٱلَّذِي تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلَا

وَلِلهِ ٱلشَّافِعِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ وَقَدْ مَرِضَ : إِنَّكَ تَمُوتُ . قَالَ : وَإِذَا مُتُّ فَإِلَى أَيْنَ يُذْهَبُ بِي . قَالُوا : إِلَى ٱللهِ . قَالَ : فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ يُذْهَبَ بِي إِلَى مَنْ لَمْ أَرَ ٱلْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ

الدعاء الى الله

١٠ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : ٱللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ عَمَلَ الْخَائِفِينَ وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرْكِ النَّعِيمِ. طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ. اللَّهُمَّ أَعِذْنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ وَأَجِرْنِي مِنْ نَقِمَاتِكَ. سَبَقَتْ لِي ذُنُوبٌ وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَتُوبُ إِلَيْكَ بَلْ أَتَوَسَّلُ وَأَفِرُّ مِنْكَ إِلَيْكَ

العفو من الله

١١ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ:

إِلٰهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
فَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي بِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ الْخَلْقِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

(دُعَاءٌ) اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجَى مِنْ عَمَلِي وَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبِي. اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ فَرَحْمَتُكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي لِأَنَّهَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

١٢ (دُعَاءٌ آخَرُ). اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ. وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَضَايِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ انْفَرَجَتْ. وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ. وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ. وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى كَشْفِ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ. وَبِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ.

وَأَعَزَّ ٱلْوُجُوهِ . ٱلَّذِي عَنَتْ لَهُ ٱلْوُجُوهُ . وَخَضَعَتْ لَهُ ٱلرِّقَابُ . وَخَشَعَتْ لَهُ ٱلْأَصْوَاتُ . وَوَجِلَتْ لَهُ ٱلْقُلُوبُ . مِنْ مَخَافَتِكَ . وَبِقُوَّتِكَ ٱلَّتِي تُمْسِكُ ٱلسَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِكَ . وَتُمْسِكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . وَبِمَشِيئَتِكَ ٱلَّتِي دَانَ لَهَا ٱلْعَالَمُونَ . وَبِكَلِمَتِكَ ٱلَّتِي خُلِقَتْ بِهَا ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ . وَبِحِكْمَتِكَ ٱلَّتِي صَنَعْتَ بِهَا ٱلْعَجَائِبَ وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَهَا لَيْلًا . وَجَعَلْتَ ٱللَّيْلَ سَكَنًا . وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلنُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهَارًا . وَجَعَلْتَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا مُبْصِرًا . وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلشَّمْسَ وَجَعَلْتَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً . وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلْقَمَرَ وَجَعَلْتَ ٱلْقَمَرَ نُورًا . وَخَلَقْتَ بِهَا ٱلْكَوَاكِبَ وَجَعَلْتَهَا نُجُومًا وَبُرُوجًا وَمَصَابِيحَ وَزِينَةً وَرُجُومًا . وَجَعَلْتَ لَهَا مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ . وَجَعَلْتَ لَهَا مَطَالِعَ وَمَجَارِيَ . وَجَعَلْتَ لَهَا فَلَكًا وَمَسَابِحَ وَقَدَّرْتَهَا فِي ٱلسَّمَاءِ مَنَازِلَ . فَأَحْسَنْتَ تَقْدِيرَهَا . وَصَوَّرْتَهَا فَأَحْسَنْتَ تَصْوِيرَهَا . وَأَحْصَيْتَهَا بِأَسْمَائِكَ إِحْصَاءً . وَدَبَّرْتَهَا بِحِكْمَتِكَ تَدْبِيرًا . فَأَحْسَنْتَ تَدْبِيرَهَا . وَسَخَّرْتَهَا بِسُلْطَانِ ٱللَّيْلِ وَسُلْطَانِ ٱلنَّهَارِ وَٱلسَّاعَاتِ وَعَدَدِ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابِ . وَجَعَلْتَ رُؤْيَتَهَا لِجَمِيعِ ٱلنَّاسِ مَرْأًى وَاحِدًا (لبهاء الدين)

اغراء بايثار الدين

١٣ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : إِنَّ ٱلدُّنْيَا بَحْرٌ عَرِيضٌ قَدْ هَلَكَ فِيهِ ٱلْأَوَّلُونَ وَٱلْآخِرُونَ . فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ سَفِينَتَكَ تَقْوَى ٱللهِ وَعُدَّتَكَ

ٱلتَّوَكُّل عَلَى ٱللهِ وَزَادكَ ٱلعَمَلَ ٱلصَّالِحَ فَإِنْ نَجَوْتَ فَبِرَحْمَةِ ٱللهِ وَإِنْ هَلَكْتَ فَبِذُنُوبِكَ (لابن عبد ربّه)

أَرَى رِجَالًا بِأَدْنَى ٱلدِّينِ قَدْ قَنِعُوا
وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي ٱلعَيْشِ بِٱلدُّونِ
فَٱسْتَغْنِ بِٱلدِّينِ عَنْ دُنْيَا ٱلْمُلُوكِ كَمَا
ٱسْتَغْنَى ٱلْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ ٱلدِّينِ

مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ:

أَبُنَيَّ إِنَّ مِنَ ٱلرِّجَالِ بَهِيمَةً فِي صُورَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلسَّمِيعِ ٱلْمُبْصِرِ
فَطِنٌ لِكُلِّ رَزِيَّةٍ فِي مَالِهِ فَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ

قَالَ ٱلرَّافِعِيُّ:

أَقِيمَا عَلَى بَابِ ٱلرَّحِيمِ أَقِيمَا
وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِهِ فَتَهِيمَا
هُوَ ٱلْبَابُ مَنْ يَقْرَعْ عَلَى ٱلصِّدْقِ بَابَهُ
يَجِدْهُ رَؤُوفًا بِٱلعِبَادِ رَحِيمَا
(ابهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

حَتَّى مَتَى ذُو ٱلتِّيهِ فِي تِيهِهِ أَصْلَحَهُ ٱللهُ وَعَافَاهُ
يَتِيهُ أَهْلُ ٱلتِّيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَاهُوا
مَنْ طَلَبَ ٱلْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنَّ عِزَّ ٱلْمَرْءِ تَقْوَاهُ

ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال

١٤ اَلْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ فُرُوعُ الْإِيمَانِ هِيَ تَجَنُّبُ الْمَحَارِمِ وَأَدَاءُ الْفَرَائِضِ . وَهِيَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى مِثْلُ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْعِفَّةِ عَنِ الْحَرَامِ . وَالْأُخْرَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ وَهِيَ الْعَدْلُ فِي الرَّعِيَّةِ وَالْكَفُّ عَنِ الظُّلْمِ . وَالْأَصْلُ فِي ذٰلِكَ أَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَالِقِ تَعَالَى مِنْ طَاعَةِ أَمْرِهِ وَالْاِزْدِجَارِ بِزَجْرِهِ مَا يَخْتَارُ أَنْ يَعْتَمِدَهُ عَبْدُكَ فِي حَقِّكَ . وَأَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ مَا تُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ مَعَكَ مَنْ سِوَاكَ إِذَا كَانَ غَيْرُكَ السُّلْطَانَ وَكُنْتَ مِنْ رَعِيَّتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَالِقِ تَعَالَى فَإِنَّ عَفْوَهُ قَرِيبٌ وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَظَالِمِ الْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ بِهِ عَنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَطَرُهُ عَظِيمٌ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هٰذَا الْخَطَرِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا مَلِكٌ عَمِلَ بِالْعَدْلِ فِي رَعِيَّتِهِ (للغزالي)

قَالَ الْمَعَرِّيُّ :

لَوْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرِ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدِهِ

١٥ كَانَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ يَقُولُ : يَا يَزِيدُ مَنْ يَقُومُ عَنْكَ أَوْ يُصَلِّي لَكَ أَوْ يَتَرَضَّى لَكَ رَبَّكَ إِذَا مُتَّ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ يَقُولُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا
نَدِمْتَ عَلَى ٱلتَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ ٱلْبَذْرِ

مِمَّا يُنْسَبُ لِحَضْرَةِ ٱلْإِمَامِ ٱلشَّافِعِيِّ :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطَنَا طَلَّقُوا ٱلدُّنْيَا وَخَافُوا ٱلْفِتَنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَٱتَّخَذُوا صَالِحَ ٱلْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

مِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْأَكَابِرِ: لَيْسَ ٱلْعِيدُ لِمَنْ لَبِسَ ٱلْجَدِيدَ . إِنَّمَا ٱلْعِيدُ لِمَنْ أَمِنَ ٱلْوَعِيدَ . سُئِلَ بَعْضُ ٱلرُّهْبَانِ مَتَى عِيدُكُمْ . فَقَالَ : يَوْمَ لَا نَعْصِي ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَذَلِكَ عِيدُنَا . لَيْسَ ٱلْعِيدُ لِمَنْ لَبِسَ ٱلْمَلَابِسَ ٱلْفَاخِرَةَ . إِنَّمَا ٱلْعِيدُ لِمَنْ أَمِنَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ . لَيْسَ ٱلْعِيدُ لِمَنْ لَبِسَ ٱلرَّقِيقَ . إِنَّمَا ٱلْعِيدُ لِمَنْ عَرَفَ ٱلطَّرِيقَ (لبهاء الدين)

١٦ قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

تَرْجُو ٱلنَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ ٱلسَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى ٱلْيَبَسِ

وَقَالَ ٱلْآخَرُ :

إِعْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ ٱلدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مَبْعُوثُ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ يُحْصَى عَلَيْكَ وَمَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثُ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

إِحْزَنْ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْزَنُ وَلَا تُسِئْ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ
وَٱضْعُفْ عَنِ ٱلشَّرِّ كَمَا تَدَّعِي ضَعْفًا عَنِ ٱلْخَيْرِ وَقَدْ يُمْكِنُ

ٱلطَّـالِبِ ٱلْجَاهِ وَٱلْمَالِ . وَٱنْتَهَى بِوُصُولِهِ إِلَى ذٰلِكَ

لذّات الجنة

٢٠ جَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ إِنَّ فِي ٱلْجَنَّـةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (لبهاء الدين)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَادِي ٱلْحِمَى هَنِيئًا لَكُمْ فِي ٱلْجِنَانِ ٱلْخُلُودْ
أَفِيضُوا عَلَيْنَـا مِنَ ٱلْمَاءِ فَيْضًا فَنَحْنُ عِطَـاشٌ وَأَنْتُمْ وُرُودْ

أَلْبَابُ ٱلثَّانِي
فِي ٱلزُّهْدِ

حدّ الزهد

٢١ قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ مَا ٱلزُّهْدُ . قَالَ : أَمَا أَنَّهُ لَيْسَ تَشْعِيثَ ٱللِّمَّةِ وَلَا قَشَفَ ٱلْهَيْئَةِ . وَلٰكِنَّهُ صَرْفُ ٱلنَّفْسِ عَنِ ٱلشَّهْوَةِ . وَقِيـلَ لِآخَرَ : مَا ٱلزُّهْدُ فِي ٱلدُّنْيَا قَالَ : أَنْ لَا يَغْلِبَ ٱلْحَرَامُ صَبْرَكَ . وَلَا ٱلْحَلَالُ شُكْرَكَ . وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ : مَنْ أَزْهَدُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَا يُبَالِي بِيَـدِ مَنْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَنْ أَزْهَدُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَمْ يَطْلُبِ ٱلْمَفْقُودَ حَتَّى يَفْقِدَ ٱلْمَوْجُودَ

(لابن عبد ربّهِ)

ذلة الدنيا

٢٢ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلدُّنْيَا كَٱلْمَاءِ ٱلْمَالِحِ كُلَّمَا ٱزْدَادَ صَاحِبُهُ شُرْبًا ٱزْدَادَ عَطَشًا . وَكَٱلْكَأْسِ مِنَ ٱلْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ ٱلسُّمُّ فَلِلذَّائِقِ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ ٱلْمَوْتُ ٱلذُّعَافُ . وَكَأَحْلَامِ ٱلنَّائِمِ ٱلَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ ٱنْقَطَعَ ٱلْفَرَحُ . وَكَٱلْبَرْقِ ٱلَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا وَيَبْقَى رَاجِيهِ فِي ٱلظَّلَامِ مُقِيمًا . وَكَدُودَةِ ٱلْإِبْرِيسَمِ ٱلَّتِي لَا تَزْدَادُ ٱلْإِبْرِيسَمَ عَلَى نَفْسِهَا لَفًّا إِلَّا ٱزْدَادَتْ مِنَ ٱلْخُرُوجِ بُعْدًا وَفِيهِ قِيلَ :

كَدُودٍ كَدُودِ ٱلْقَزِّ يَنْسِجُ دَائِمًا ... وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسْطَ مَا هُوَ نَاسِجُهْ

الراهب والمسافر

٢٣ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ ٱلرُّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا عَنْهُ بِذِكْرِ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَٱلْفِكْرُ لَا يَفْتُرُ . فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ فَقَالَ : يَا هٰذَا قَدْ عَلِمْتُ مَا تُرِيدُ . حُبُّ ٱلدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَٱلزُّهْدُ فِي ٱلدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ . فَٱحْذَرْ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَٱرْغَبْ فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ . وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذٰلِكَ . قَالَ : كَانَ جَدِّي رَجُلًا مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ قَدْ شَبَّهَ ٱلدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ فَشَبَّهَهَا بِٱلْمَاءِ ٱلْمِلْحِ يَغُرُّ وَلَا يُرْوِي . وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِٱلْبَرْقِ ٱلْخُلَّبِ يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِسَحَابِ ٱلصَّيْفِ يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِظِلِّ ٱلْغَمَامِ يَغُرُّ وَيَخْذُلُ .

وَبِزَهْرِ ٱلرَّبِيعِ يَنْضُرُ . ثُمَّ يَصْفَرُّ فَتَرَاهُ هَشِيمًا . وَبِأَحْلَامِ ٱلنَّائِمِ يَرَى ٱلسُّرُورَ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا ٱلْحَسْرَةُ . وَبِٱلْعَسَلِ ٱلْمَشُوبِ بِٱلسُّمِّ ٱلزُّعَافِ يَغُرُّ وَيَقْتُلُ

٢٤ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سَلْمَانَ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ ٱلْحَيَّةِ لَيِّنٌ لَمْسُهَا وَيَقْتُلُ سُمُّهَا . فَأَعْرِضْ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا . وَدَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا . وَكُنْ أَسَرَّ مَا تَكُونُ فِيهَا أَحْذَرَ مَا تَكْرَهُ مِنْهَا . فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا ٱطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَ مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ . وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

هِيَ ٱلدَّارُ دَارُ ٱلْأَذَى وَٱلْقَذَى ... وَدَارُ ٱلْغُرُورِ وَدَارُ ٱلْغِيَرْ
فَلَوْ نِلْتَهَا بِحَذَافِيرِهَا ... لَمُتَّ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا ٱلْوَطَرْ
أَيَا مَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ ٱلْحَيَاةِ ... وَطُولُ ٱلْحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرْ
إِذَا مَا كَبِرْتَ وَبَانَ ٱلشَّبَابُ ... فَلَا خَيْرَ فِي ٱلْعَيْشِ بَعْدَ ٱلْكِبَرْ

مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ :

حَلَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ ... فَمَا تَأْكُلُ ٱلشَّهْدَ إِلَّا بِسَمْ
فَكُنْ مُوسِرًا شِئْتَ أَوْ مُعْسِرًا ... فَمَا تَقْطَعُ ٱلدَّهْرَ إِلَّا بِهَمْ
إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ ... تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمْ

٢٥ قَالَ حَكِيمٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : تُرِيدُ أَنْ أُرِيَكَ ٱلدُّنْيَا . فَقَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَٱنْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى مَزْبَلَةٍ فِيهَا رُؤُوسُ ٱلْآدَمِيِّينَ مُلْقَاةٌ . وَبَقَايَا عِظَامٍ نَخِرَةٍ وَخِرَقٍ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَتَلَوَّثَتْ بِنَجَاسَاتٍ . فَقَالَ :

هٰذِهِ رُؤُوسُ ٱلنَّاسِ ٱلَّتِي تَرَاهَا كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُمْ كَانَتْ مَمْلُوَّةً مِنَ ٱلْحِرْصِ وَٱلِاجْتِهَادِ عَلَى جَمْعِ ٱلدُّنْيَا. وَكَانُوا يَرْجُونَ مِنْ طُولِ ٱلْأَعْمَارِ مَا تَرْجُونَ. وَكَانُوا يَجِدُّونَ فِي جَمْعِ ٱلْمَالِ وَعِمَارَةِ ٱلدُّنْيَا كَمَا تَجِدُّونَ. فَٱلْيَوْمَ تَوَتْ عِظَامُهُمْ وَتَلَاشَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى. وَهٰذِهِ ٱلْخِرَقُ كَانَتْ أَثْوَابَهُمْ ٱلَّتِي كَانُوا يَتَزَيَّنُونَ بِهَا عِنْدَ ٱلتَّجَمُّلِ وَقْتَ ٱلرُّعُونَةِ وَٱلتَّجَمُّلِ وَٱلتَّزَيُّنِ. فَٱلْيَوْمَ قَدْ أَلْقَتْهَا ٱلرِّيحُ فِي ٱلنَّجَاسَاتِ. وَهٰذِهِ عِظَامُ دَوَابِّهِمْ ٱلَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ ٱلْأَرْضِ عَلَى ظُهُورِهَا. وَهٰذِهِ ٱلنَّجَاسَاتُ كَانَتْ أَطْعِمَتَهُمْ ٱللَّذِيذَةَ ٱلَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لَا يَقْرَبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهَا. فَهٰذِهِ جُمْلَةُ أَحْوَالِ ٱلدُّنْيَا كَمَا تُشَاهِدُ وَتَرَى. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى ٱلدُّنْيَا فَلْيَبْكِ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ ٱلْبُكَاءِ. قَالَ: فَبَكَى جَمَاعَةُ ٱلْحَاضِرِينَ

وَلِلّٰهِ ٱلْحَرِيرِيُّ حَيْثُ قَالَ:

يَا طَالِبَ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ ٱلرَّدَى وَقَرَارَةُ ٱلْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَدًا تَبًّا لَهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتُهَا لَا تَنْقَضِي وَأَسِيرُهَا ... لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ ٱلْأَخْطَارِ
فَٱقْطَعْ عَلَائِقَ حُبِّهَا وَطِلَابِهَا ... تَلْقَ ٱلْهُدَى وَرَفَاهَةَ ٱلْأَسْرَارِ

٢٦ مَثَلُ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا وَٱشْتِغَالِهِمْ وَٱهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِهَا وَنِسْيَانِ ٱلْآخِرَةِ وَإِهْمَالِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا مَرْكَبًا فِي ٱلْبَحْرِ فَعَدَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ لِأَجْلِ قَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ. فَنَزَلُوا إِلَى ٱلْجَزِيرَةِ وَٱلْمَلَّاحُ يُنَادِيهِمْ لَا تُطِيلُوا ٱلْمُكْثَ

لِئَلَّا يَفُوتَ ٱلْوَقْتُ وَلَا تَشْتَغِلُوا بِغَيْرِ ٱلصَّلَاةِ فَإِنَّ ٱلْمَرْكَبَ سَائِرٌ . فَمَضَوْا وَتَفَرَّقُوا فِي ٱلْجَزِيرَةِ وَٱنْتَشَرُوا فِي نَوَاحِيهَا فَٱلْعُقَلَاءُ مِنْهُمْ لَمْ يَمْكُثُوا وَعَادُوا إِلَى ٱلْمَرْكَبِ . فَوَجَدُوا ٱلْأَمَاكِنَ خَالِيَةً فَجَلَسُوا فِي أَطْهَرِ أَمَاكِنِهِ وَأَوْفَقِهَا . وَأَطْيَبِ مَوَاضِعِهِ وَأَرْفَقِهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَى عَجَائِبِ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ . وَوَقَفُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي زَهْرِهَا وَأَثْمَارِهَا . وَرَوْضِهَا وَأَشْجَارِهَا . وَيَسْمَعُونَ تَرَنُّمَ أَطْيَارِهَا . وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ حَصْبَائِهَا ٱلْمُلَوَّنَةِ وَأَحْجَارِهَا . فَلَمَّا عَادُوا إِلَى ٱلْمَرْكَبِ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَوْضِعًا وَلَا رَأَوْا مُتَّسَعًا . فَقَعَدُوا فِي أَضْيَقِ مَوَاضِعِهِ وَأَظْلَمِهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَفُوا مَعَ عَجَائِبِ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ . تَنَزَّهُوا وَفِي ٱلرُّجُوعِ لَمْ يَتَفَكَّرُوا . حَتَّى سَارَ ٱلْمَرْكَبُ فَبَعُدُوا عَنْهُ وَٱنْقَطَعُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ وَتَخَلَّفُوا . إِذْ لَمْ يُصْغُوا إِلَى ٱلْمُنَادِي وَلَمْ يَسْمَعُوا . فَمِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ مِنَ ٱلْجُوعِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ ٱلسِّبَاعُ . وَنَهَشَتْهُ ٱلضِّبَاعُ . فَٱلْقَوْمُ ٱلْمُتَقَدِّمُونَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْمُتَّقُونَ . وَٱلْقَوْمُ ٱلْمُتَخَلِّفُونَ ٱلْهَالِكُونَ . هُمُ ٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللهَ وَنَسُوا ٱلْآخِرَةَ وَسَلَّمُوا كُلِّيَّتَهُمْ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَرَكَنُوا إِلَيْهَا وَٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ . وَأَمَّا ٱلْجَمَاعَةُ ٱلْمُتَوَسِّطُونَ فَهُمُ ٱلْعُصَاةُ ٱلَّذِينَ حَفِظُوا أَصْلَ ٱلْإِيمَانِ وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَكُفُّوا يَدَهُمْ عَنِ ٱلدُّنْيَا . فَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ بِغِنَاهُ وَنِعْمَتِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ مَعَ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ . إِلَى أَنْ ثَقُلَتْ أَوْزَارُهُمْ . وَكَثُرَتْ أَوْسَاخُهُمْ وَآصَارُهُمْ

(للغزالي)

٢٧ لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ

حَوْلَهُ فَقَالَ : جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجُدتُّمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ ٱللهُ لَهُ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

أَيَا مَنْ عَاشَ فِي ٱلدُّنْيَا طَوِيلًا ... وَأَفْنَى ٱلْعُمْرَ فِي قِيلٍ وَقَالِ
وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ فِيمَا سَيَفْنَى ... وَجَمَّعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالِ
هَبِ ٱلدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْوًا ... أَلَيْسَ مَصِيرُ ذٰلِكَ لِلزَّوَالِ

(للطرطوشي)

زوال الدنيا

٢٨ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا مَنْزِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ وَٱلْإِنْسَانَ فِيهَا عَلَى صُورَةِ مُسَافِرٍ . فَأَوَّلُ مَنَازِلِهِ بَطْنُ أُمِّهِ وَآخِرُ مَنَازِلِهِ لَحْدُ قَبْرِهِ . وَإِنَّمَا وَطَنُهُ وَقَرَارُهُ وَمُكْثُهُ وَٱسْتِقْرَارُهُ بَعْدَهَا . فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقَضِي مِنْ عُمْرِ ٱلْإِنْسَانِ كَالْمَرْحَلَةِ . وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقَضِي مِنْهُ كَٱسْتِرَاحَةِ ٱلْمُسَافِرِ فِي سَفَرِهِ . وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكَقَرْيَةٍ تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ . وَكُلُّ يَوْمٍ فَكَفَرْسَخٍ يَقْطَعُهُ . وَكُلُّ نَفَسٍ فَكَخُطْوَةٍ يَخْطُوهَا . وَبِقَدْرِ كُلِّ نَفَسٍ يَتَنَفَّسُهُ يَقْرُبُ مِنَ ٱلْآخِرَةِ . وَهٰذِهِ ٱلدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَبَرَ ٱلْقَنْطَرَةَ وَٱشْتَغَلَ بِعِمَارَتِهَا فَنِيَ فِيهَا زَمَانُهُ . وَنَسِيَ ٱلْمَنْزِلَةَ ٱلَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرُهُ وَهِيَ مَكَانُهُ . وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ . وَإِنَّمَا ٱلْعَاقِلُ ٱلَّذِي لَا يَشْتَغِلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا بِإِعْدَادِ زَادِهِ لِمَعَادِهِ . وَيَكْتَفِي مِنْهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . وَمَهْمَا جَمَعَهُ مِنْهَا فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُمًّا قَاتِلًا . وَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ خَزَائِنِهِ وَسَائِرُ

ذَخَائِرِهِ فَانِيَةً رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةً وَذَهَبًا . وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ فَإِنَّمَا يُصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَاهُ . وَجَمِيعُ مَا يُخَلِّفُهُ يَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَحَلَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عَذَابٌ . إِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طُلِبَ مِنْهُ الْحِسَابُ . وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَهُ مِنْ حَرَامٍ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْعِقَابَ . وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَسْرَةِ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِ فِي حُفْرَتِهِ وَآخِرَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَأَكْثَرُهَا مُنَغَّصٌ بِالتَّعَبِ . وَمَشُوبٌ بِالنَّصَبِ . وَبِسَبَبِهَا تَفُوتُ رَاحَةُ الدُّنْيَا الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ وَالْمُلْكُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا نِهَايَةَ لَهُ . فَسَهْلٌ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلَائِلِ لِيَنَالَ رَاحَةً دَائِمَةً بِلَا انْقِضَاءٍ . الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا يُدْرِكُ الْوَهْمُ طُولَهَا (للغزالي)

٢٩ لَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بْنُ ذِي النُّونِ وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ قَصْرَهُ وَأَنْفَقَ فِي بِنَائِهِ بُيُوتَ أَمْوَالِهِ فَجَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بُنْيَانٍ فِي الْأَرْضِ . وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ صَنَعَ فِيهِ بِرْكَةَ مَاءٍ كَأَنَّهَا بُحَيْرَةٌ . وَبَنَى فِي وَسَطِهَا قُبَّةً وَسِيقَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا إِلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ عَلَى تَدْبِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ . وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوَالَيْهَا مُحِيطًا بِهَا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . فَكَانَتِ الْقُبَّةُ فِي غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكْبًا لَا يَفْتُرُ وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا . فَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَتَبْنِي بِنَاءَ ٱلْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مُقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ ٱلْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ
فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ (للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُ ٱلْأَكَابِرِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ:

نَمْضِي كَمَا مَضَتِ ٱلْقَبَائِلُ قَبْلَنَا لَسْنَا بِأَوَّلِ مَنْ دَعَاهُ ٱلدَّاعِي
تَبْقَى ٱلنُّجُومُ دَوَائِرٌ أَفْلَاكُهَا وَٱلْأَرْضُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ نَاعِ
وَزَخَارِفُ ٱلدُّنْيَا تَجُوزُ خِدَاعُهَا أَبَدًا عَلَى ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَسْمَاعِ

خطبة ابي الدرداء في اهل الشام

٣٠ لَمَّا دَخَلَ أَبُو ٱلدَّرْدَاءِ ٱلشَّامَ قَالَ: يَا أَهْلَ ٱلشَّامِ ٱسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ لَكُمْ نَاصِحٍ. فَٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ. وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ. وَتَقُولُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ. إِنَّ ٱلَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا. وَأَمَّلُوا بَعِيدًا. وَجَمَعُوا كَثِيرًا. فَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُورًا. وَجَمْعُهُمْ بُورًا. وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا

وَرَوَى ٱلْجَاحِظُ قَالَ: وُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ: إِبْنَ آدَمَ. لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ. لَزَهِدتَّ فِي طُولِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ. وَلَرَغِبْتَ فِي ٱلزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ. وَلَقَصَّرْتَ عَنْ حِرْصِكَ وَمَيْلِكَ. وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدَمُكَ. وَقَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ. وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ. وَتَبَرَّأَ مِنْكَ ٱلْقَرِيبُ. وَٱنْصَرَفَ عَنْكَ ٱلْحَبِيبُ. فَلَا أَنْتَ فِي عَمَلِكَ زَائِدٌ. وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ (للطرطوشي)

قَالَ فَخْرُ ٱلدِّينِ ٱلْبَكْرِيُّ :

نِهَايَةُ إِقْدَامِ ٱلْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ ٱلْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ عَنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعاً مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لِكُلِّ ٱجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ ٱلَّذِي دُونَ ٱلْفِرَاقِ قَلِيلُ
أَرَى عِلَلَ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً وَصَاحِبُهَا حَتَّى ٱلْمَمَاتِ عَلِيلُ
وَإِنَّ ٱفْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلُ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَا أَيُّهَا ٱلْمَوْتُ ٱلَّذِي لَيْسَ تَارِكِي أَرِحْنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلِ
أَرَاكَ بَصِيرًا بِٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَلِيلِ

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي ضَبَّةَ :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي حَرَّةً
أَرَى ٱلْأَرْضَ تَبْقَى وَٱلْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ
أَخِلَّايَ لَوْ غَيْرُ ٱلْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
عَتَبْتُ وَلٰكِنْ مَا عَلَى ٱلْمَوْتِ مَعْتَبُ

(للطرطوشي)

٣١ أَلدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ ۔ وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ ۔ يُقَالُ كَانَ عَلَى قَبْرِ

يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ مَكْتُوبٌ . هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ عَمِلَهَا قَبْلَ مَوْتِهِ وَأَمَرَ أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ هٰذِهْ :

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱلدَّوَارِسِ   كَأَنَّهُمُ لَمْ يَجْلِسُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ ٱلْمَاءِ شَرْبَةً   وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسِ
فَقَدْ جَاءَنِي ٱلْمَوْتُ ٱلْمَهُولُ بِسَكْرَةٍ   فَلَمْ تُنْجِنِي مِنْهُ أُلُوفُ فَوَارِسِ
فَيَا زَائِرَ ٱلْقَبْرِ ٱتَّعِظْ وَٱعْتَبِرْ بِنَا   وَلَا تَكُ فِي ٱلدُّنْيَا هُدِيتَ بِآنِسِ

(للغزالي)

قَالَ ٱبْنُ سَادَةَ :

بَنُو ٱلدُّنْيَا بِجَهْلٍ عَظَّمُوهَا   فَجَلَّتْ عِنْدَهُمْ وَهِيَ ٱلْحَقِيرَهْ
يُهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا   مُهَارَشَةَ ٱلْكِلَابِ عَلَى ٱلْعَقِيرَهْ

قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

إِذَا عَاشَ ٱلْفَتَى سِتِّينَ عَامًا   فَنِصْفُ ٱلْعُمْرِ تَمْحَقُهُ ٱللَّيَالِي
وَنِصْفُ ٱلنِّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَدْرِي   لِغَفْلَتِهِ يَمِينًا عَنْ شِمَالِ
وَثُلْثُ ٱلنِّصْفِ آمَالٌ وَحِرْصٌ   وَشُغْلٌ بِٱلْمَكَاسِبِ وَٱلْعِيَالِ
وَبَاقِي ٱلْعُمْرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ   وَهَمٌّ بِٱرْتِحَالٍ وَٱنْتِقَالِ
فَحُبُّ ٱلْمَرْءِ طُولَ ٱلْعُمْرِ جَهْلٌ   وَقِسْمَتُهُ عَلَى هٰذَا ٱلْمِثَالِ

٣٢ يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ لَا تُخْدَعَنَّ كَمَا خُدِعَ مَنْ قَبْلَكَ . فَإِنَّ ٱلَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ ٱلنِّعَمِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ . فَلَوْ بَقِيَتِ ٱلدُّنْيَا لِلْعَالِمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ . وَلَوْ

بَقِيَتْ لِلأَوَّلِ لَمْ تَنْتَقِلْ لِلآخِرِ . يا أَيُّها الرَّجلُ لَوْ كانَتِ الدُّنيا كُلُّها ذَهَبًا وَفِضَّةً ثُمَّ سَلَّمَتْ عَلَيْكَ بِالْخِلافَةِ وَأَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقالِيدَها وَأَفْلاذَ كَبِدِها ثُمَّ كُنْتَ طَرِيدَةً لِلْمَوْتِ ما كانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَهَنَّأَ بِعَيْشٍ . لا فَخْرَ فِيما يَزُولُ ، وَلا غِنَى فِيما يَفْنَى

٢٣ قالَ مالِكُ بْنُ أَنَسٍ : رَكِبَ مَلِكٌ يَوْمًا فِي زِيٍّ عَظِيمٍ فَتَشَرَّفَ لَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَفْواجًا حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ شَيْئًا مُكِبًّا عَلَيْهِ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلا يَرْفَعُ رَأْسَهُ . فَوَقَفَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَقالَ : كُلُّ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ إِلَّا أَنْتَ . فَقالَ الرَّجُلُ : إِنِّي رَأَيْتُ مَلِكًا مِثْلَكَ وَكانَ عَلَى هٰذِهِ الْقَرْيَةِ فَماتَ هُوَ وَمِسْكِينٌ فَدُفِنَ إِلَى جانِبِهِ فِي يَوْمٍ واحِدٍ . وَكُنَّا نَعْرِفُهُما فِي الدُّنْيا بِأَجْسادِهِما . ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُما بِقَبْرَيْهِما . ثُمَّ نَسَفَتِ الرِّيحُ قَبْرَيْهِما وَكَشَفَتْ عَنْهُما فَاخْتَلَطَتْ عِظامُهُما فَلَمْ أَعْرِفِ الْمَلِكَ مِنَ الْمِسْكِينِ . فَلِذٰلِكَ أَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

وَحَقِّكَ لَوْ كَشَفْتَ التُّرْبَ عَنْهُمْ   لَمَا عُرِفَ الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ
وَلا مَنْ كانَ يَلْبَسُ ثَوْبَ شَعْرٍ   وَلا الْبَدَنُ الْمُنَعَّمُ بِالْحَرِيرِ

قالَ التِّهامِيُّ :

وَإِنَّا لَفِي الدُّنْيا كَرَكْبِ سَفِينَةٍ   نُظَنُّ وُقُوفًا وَالزَّمانُ بِنا يَجْرِي

وَقالَ آخَرُ :

لا تَخْدَعَنَّكَ بَعْدَ طُولِ تَجارِبٍ   دُنْيا تَغُرُّ بِوَصْلِها وَسَتَقْطَعُ

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ ... إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

٣٤ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَبِسَ أَفْخَرَ ثِيَابِهِ وَمَسَّ أَطْيَبَ طِيبِهِ وَنَظَرَ فِي مِرْآةٍ فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ: أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ. وَخَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ: كَيْفَ تَرَيْنَ. فَقَالَتْ:

أَنْتَ نِعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى ... غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

لَيْسَ فِيمَا بَدَا لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ ... عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِ

فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَصَوْتُهُ يُسْمِعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ. ثُمَّ رَكِبَتْهُ الْحُمَّى فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَنْقُصُ حَتَّى مَا يَسْمَعُهُ مَنْ حَوْلَهُ. فَصَلَّى وَرَجَعَ فَلَمْ تَدُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ

أَنْشَدَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ:

بِاللّٰهِ رَبِّكَ كَمْ قَصْرٍ مَرَرْتَ بِهِ ... قَدْ كَانَ يَعْمُرُ بِاللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ

طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَايَا فِي جَوَانِبِهِ ... فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ

إِعْمَلْ وَكُنْ طَالِبًا الرِّزْقَ فِي دَعَةٍ ... فَلَا وَرَبِّكَ مَا الْأَرْزَاقُ بِالطَّلَبِ

وَأَنْشَدَ أَيْضًا:

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدًا ... لَنْ تَذُودَ الْمَنُونَ عَنْكَ الْمَبَانِي

إِنَّ هٰذَا الْبِنَاءَ يَبْقَى وَتَفْنَى ... كُلُّ شَيْءٍ أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَيَّامَ تُطْوَى. وَالْأَعْمَارَ تَفْنَى. وَالْأَبْدَانَ فِي الثَّرَى تَبْلَى. وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكَضَانِ تَرَاكُضَ الْبَرِيدِ. يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ. وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ (للطرطوشي)

٣٥ قَالَ حَكِيمٌ : وَجدتُّ مَثَلَ ٱلدُّنيَا وَٱلْمَغْرُورِ بِٱلدُّنيَا ٱلْمَمْلُوءَةِ آفَاتٍ مَثَلَ رَجُلٍ أَلْجَأَهُ خَوفٌ إِلَى بِئْرٍ تَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ نَابِتَيْنِ عَلَى شَفِيرِ ٱلْبِئْرِ . وَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فَمَدَّهُمَا فَنَظَرَ فَإِذَا بِحَيَّاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ جُحُورِهِنَّ . وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ ٱلْبِئْرِ فَإِذَا بِثُعْبَانٍ فَاغِرٍ فَاهُ نَحْوَهُ . فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى ٱلْغُصْنِ ٱلَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِ جُرَذَانِ أَبْيَضُ وَأَسْوَدُ يَقْرِضَانِ ٱلْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ . فَبَيْنَمَا هُوَ مُهْتَمٌّ بِنَفْسِهِ ٱبْتِغَاءَ ٱلْحِيلَةِ فِي نَجَاتِهِ إِذْ نَظَرَ فَإِذَا بِجَانِبٍ مِنْهُ جُحْرُ نَحْلٍ قَدْ وَضَعْنَ شَيْئًا مِنْ عَسَلٍ فَتَطَاعَمَ مِنْهُ فَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ . فَشَغَلَتْهُ عَنِ ٱلْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَٱلْتِمَاسِ ٱلنَّجَاةِ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ فَوْقَ أَرْبَعِ حَيَّاتٍ لَا يَدْرِي مَتَى تُسَاوِرُهُ مِنْهُنَّ وَأَنَّ ٱلْجُرَذَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَرْضِ ٱلْغُصْنِ ٱلَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ وَأَنَّهُمَا إِذَا أَوْقَعَاهُ وَقَعَ فِي لَهَوَاتِ ٱلتِّنِّينِ . وَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا حَتَّى هَلَكَ . قَالَ ٱلْحَكِيمُ : فَشَبَّهْتُ ٱلدُّنْيَا ٱلْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَاوِفَ بِٱلْبِئْرِ . وَشَبَّهْتُ ٱلْحَيَّاتِ ٱلْأَرْبَعَ بِٱلْأَخْلَاطِ ٱلْأَرْبَعِ ٱلَّتِي فِي جَسَدِ ٱلْإِنْسَانِ مِنَ ٱلْمِرَّتَيْنِ وَٱلْبَلْغَمِ وَٱلدَّمِ . وَشَبَّهْتُ ٱلْغُصْنَ ٱلَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ بِٱلْحَيَاةِ . وَشَبَّهْتُ ٱلْجُرَذَيْنِ ٱلْأَبْيَضَ وَٱلْأَسْوَدَ ٱللَّذَيْنِ يَقْرِضَانِ ٱلْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَدَوَرَانِهِمَا فِي إِفْنَاءِ ٱلْأَيَّامِ وَٱلْآجَالِ . وَشَبَّهْتُ ٱلثُّعْبَانَ ٱلْفَاغِرَ فَاهُ بِٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهْتُ ٱلْعَسَلَةَ ٱلَّتِي تَطَاعَمَهَا بِٱلَّذِي يَرَى ٱلْإِنْسَانُ وَيَسْمَعُ وَيَلْبَسُ فَيُلْهِيهِ ذَٰلِكَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ (لابن عبد ربّه)

٣٦ جَاذَبَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ فِي شَيْءٍ فَفَخَرَ عَلَيْهِ ٱلْكِنَانِيُّ وَٱسْتَطَالَ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبٍ وَجَدٍّ وَنَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ ٱلْمَجْدِ
مَا ٱلْفَخْرُ إِلَّا فِي ٱلتُّقَى وَٱلزُّهْدِ وَطَاعَةٍ تُعْطِي جِنَانَ ٱلْخُلْدِ

(للاصبهاني)

٣٧ قَالَ غَانِمٌ ٱلْوَرَّاقُ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي نُوَاسٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِيَوْمٍ . قَالَ لِي : أَمَعَكَ أَلْوَاحُكَ . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ ٱكْتُبْ :

دَبَّ فِيَّ ٱلسَّقَامُ سُفْلًا وَعُلْوَا وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوَا
لَيْسَ تَمْضِي مِنْ لَحْظَةٍ لِيَ إِلَّا نَقَصَتْنِي بِمَرِّهَا بِي جُزْوَا
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ ٱللّٰهِ نِضْوَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّا مٍ تَجَاوَزْتُهُنَّ لَعْبًا وَلَهْوَا
قَدْ أَسَأْنَا كُلَّ ٱلْإِسَاءَةِ فَٱللّٰـهُمَّ صَفْحًا عَنَّا وَغَفْرًا وَعَفْوَا

(للشريشي)

نوائب الدهر

٣٨ لَمَّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ٱلْحِيرَةَ قِيلَ لَهُ : هٰهُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ ٱلْمُلُوكِ يُقَالُ لَهَا ٱلْحُرَقَةُ بِنْتُ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ . وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِّ عَقَائِلِ ٱلْعَرَبِ . وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى بِيعَتِهَا نَشَرَتْ عَلَيْهَا أَلْفَ قَطِيفَةِ خَزٍّ وَدِيبَاجٍ وَمَعَهَا أَلْفُ وَصِيفٍ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ فَجَاءَتْ كَٱلشَّنِّ ٱلْبَالِي . فَقَالَتْ : يَا سَعْدُ كُنَّا مُلُوكَ هٰذَا ٱلْمِصْرِ قَبْلَكَ . يُجْبَى

إِلَيْنَا خَرَاجُهُ وَيُطِيعُنَا أَهْلُهُ مُدَّةً مِنَ ٱلْمُدَدِ . حَتَّى صَاحَ بِنَا صَائِحُ ٱلدَّهْرِ فَشَتَّتَ مَلَأَنَا . وَٱلدَّهْرُ ذُو نَوَائِبَ وَصُرُوفٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنَا فِي أَيَّامِنَا لَأُرْعِدَتْ فَرَائِصُكَ فَرَقًا مِنَّا . فَقَالَ لَهَا سَعْدٌ : مَا أَنْعَمُ مَا تَنَعَّمْتُمْ بِهِ . قَالَتْ : سَعَةُ ٱلدُّنْيَا عَلَيْنَا وَكَثْرَةُ ٱلْأَصْوَاتِ إِذَا دَعَوْنَا . ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

وَبَيْنَا نَسُوسُ ٱلنَّاسَ وَٱلْأَمْرُ أَمْرُنَا ... إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ لَيْسَ نُنْصَفُ
فَتَبًّا لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ... تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ

ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ بَيْتٍ بِخَيْرٍ إِلَّا وَٱلدَّهْرُ يُعْقِبُهُمْ حَسْرَةً حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ ٱللهِ عَلَى ٱلْفَرِيقَيْنِ . فَأَكْرَمَهَا سَعْدٌ وَأَمَرَ بِرَدِّهَا

(للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يُعَانِدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوُّهُ ... وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِٱلْكَرِيهَةِ يَلْقَانِي
وَإِنْ رُمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ ... وَإِنْ يَصْفُ لِي يَوْمًا تَكَدَّرَ فِي ٱلثَّانِي

٣٩ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ :

يَا دَهْرُ وَيْحَكَ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجْعَاتِي ... شَغَلْتَ أَيَّامَ دَهْرِي بِٱلْمُصِيبَاتِ
مَلَأْتَ أَلْحَاظَ عَيْنِي كُلَّهَا حُزْنًا ... فَأَيْنَ لَهْوِي وَأَحْبَابِي وَلَذَّاتِي
حَمْدًا لِرَبِّي وَذَمًّا لِلزَّمَانِ فَمَا ... أَقَلَّ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا مَلَذَّاتِي

قَالَ غَيْرُهُ :

أَلَا إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا كَظِلِّ سَحَابَةٍ ... أَظَلَّتْكَ يَوْمًا ثُمَّ عَنْكَ ٱضْمَحَلَّتِ

فَلَا تَكُ فَرِحَانًا بِهَا حِينَ أَقْبَلَتْ   وَلَا تَكُ جَزِعَانًا بِهَا حِينَ وَلَّتِ

وَقَالَ آخَرُ :

عُرِيتُ مِنَ ٱلشَّبَابِ وَكُنْتُ غُصْنًا   كَمَا يَعْرَى مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلْقَضِيبُ
وَنُحْتُ عَلَى ٱلشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي   فَمَا نَفَعَ ٱلْبُكَاءُ وَلَا ٱلنَّحِيبُ
فَيَا لَيْتَ ٱلشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا   فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ ٱلْمَشِيبُ

وَأَنْشَدَ آخَرُ :

مَا ٱلنَّاسُ إِلَّا مَعَ ٱلدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا   فَكَيْفَمَا ٱنْقَلَبَتْ يَوْمًا بِهِ ٱنْقَلَبُوا
يُعَظِّمُونَ أَخَا ٱلدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ   عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

قَالَ ذُو ٱلْكُلَاحِ ٱلْحِمْيَرِيُّ فِي ٱلدُّنْيَا :

إِنْ صَفَا عَيْشُ ٱمْرِئٍ فِي صُبْحِهَا   جَرَّعَتْهُ مُمْسِيًا كَأْسَ ٱلرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ   أَنْعَمُ ٱلْعَالَمِ عَيْشًا قِيلَ ذَا

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلْأَرَّجَانِيُّ :

يَقْصِدُ أَهْلَ ٱلْفَضْلِ دُونَ ٱلْوَرَى   مَصَائِبُ ٱلدُّنْيَا وَآفَاتُهَا
كَٱلطَّيْرِ لَا يُحْبَسُ مِنْ بَيْنِهَا   إِلَّا ٱلَّتِي تُطْرِبُ أَصْوَاتُهَا

كَتَبَ ٱلْبُحْتُرِيُّ إِلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا فِي ٱلسِّجْنِ :

وَمَا هٰذِهِ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلٌ   فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحْبٍ إِلَى مَنْزِلٍ ضَنْكِ
وَقَدْ هَذَّبَتْكَ ٱلنَّائِبَاتُ وَإِنَّمَا   صَفَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ قَبْلَكَ بِٱلسَّبْكِ
أَمَا فِي رَسُولِ ٱللهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ   لِمِثْلِكَ مَحْبُوسًا عَلَى ٱلظُّلْمِ وَٱلْإِفْكِ
أَقَامَ جَمِيلَ ٱلصَّبْرِ فِي ٱلسِّجْنِ بُرْهَةً   فَآلَ بِهِ ٱلصَّبْرُ ٱلْجَمِيلُ إِلَى ٱلْمُلْكِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْفَضْلِ:

هَانَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱللّٰـهِ فَأَعْطَـاهَا ٱللِّئَامَا
فَهُـمُ فِيهَا يَعِيشُو نَ وَيَلْحُونَ ٱلْكِرَامَا

ذكر الموت

٤١ كَانَ فِي بِلَادِ ٱلرُّومِ مِمَّا يَلِي أَرْضَ ٱلْأَنْدَلُسِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلتَّخَلِّي عَنِ ٱلدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا . وَٱعْتَزَلَ ٱلْخَلْقَ وَلَزِمَ قُلَلَ ٱلْجِبَالِ وَٱلسِّيَاحَةَ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى . فَوَرَدَ عَلَى ٱلْمُسْتَعِينِ بْنِ هُودٍ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ فَأَكْرَمَهُ ٱبْنُ هُودٍ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْـهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَتْهُ مِنَ ٱلْبَيْضَاءِ وَٱلصَّفْرَاءِ وَأَحْجَارِ ٱلْيَاقُوتِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَأَمْثَالِهَا وَنَفَائِسِ ٱلْأَعْـلَاقِ وَٱلْجَوَارِي وَٱلْحَشَمِ وَٱلْأَجْنَادِ وَٱلْكُرَاعِ وَٱلسِّـلَاحِ . فَأَقَامَ عَلَى ذٰلِكَ أَيَّامًا فَلَمَّا ٱنْقَضَى قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي . قَالَ : رَأَيْتُ مُلْكَكَ وَلٰكِنَّهُ تُعْوِزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهَا تَمَّ ٱنْتِظَامُ مُلْكِكَ . وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهٰذَا ٱلْمُلْكُ شِبْهُ لَا شَيْءٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ ٱلْخَصْلَةُ . قَالَ : تَعْمُدُ فَتَصْنَعُ غِطَاءً عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدْرَ ٱلْبَلَدِ . ثُمَّ تُرَكِّبُهُ عَلَى ٱلْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ مَدْخَلًا إِلَيْكَ . فَقَالَ ٱلْمُسْتَعِينُ: سُبْحَانَ ٱللّٰهِ أَوَ يَقْدِرُ ٱلْبَشَرُ عَلَى مِثْلِ هٰذَا . فَقَالَ ٱلْعِلْجُ : يَا هٰذَا أَفَتَفْتَخِرُ بِأَمْرٍ تَتْرُكُهُ غَدًا (للطرطوشي)

٤٢ قَالَ ٱلْمُتَنَبِّي :

نَحْنُ بَنُو ٱلْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي ٱلضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

وَأَرَى ٱلطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهٍ أَتَى
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِٱلدَّاءِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ ٱلْمُدَاوِي وَٱلْمُدَاوَى وَٱلَّذِي جَلَبَ ٱلدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ ٱشْتَرَى

قَالَ ٱبْنُ ٱلْوَرْدِيِّ :

كُتِبَ ٱلْمَوْتُ عَلَى ٱلْخَلْقِ فَكَمْ هَدَّ مِنْ عَرْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دُوَلْ
أَيْنَ كَنْعَانُ وَنُمْرُودُ وَمَنْ مَلَكَ ٱلْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلْ
أَيْنَ عَادٌ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ رَفَعَ ٱلْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَوْا هَلَكَ ٱلْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ ٱلْقُلَلْ

وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ :

قِفْ وَٱعْتَبِرْ يَا مَنْ تَرَى قَبْرِي وَمَا بِي قَدْ جَرَى
بِٱلْأَمْسِ كُنْتُ نَظِيرَكُمْ وَٱلْيَوْمَ أَبْرَانِي ٱلْبِرَى
قُلْ رَبَّنَا ٱلْطُفْ بِنَا وَٱرْحَمْ عِظَامًا فِي ٱلثَّرَى

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

تَعَلَّقْتَ بِآمَالٍ طِوَالٍ أَيِّ آمَالِ
وَأَقْبَلْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مُلِحًّا أَيَّ إِقْبَالِ

أَيَا هٰـذَا تَجَهَّزْ لِـفِرَاقِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ
فَلَا بُدَّ مِنَ ٱلْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنَ ٱلْحَالِ

٤٣ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : صَنَعَ ٱلرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخْرَفَ مَجَالِسَهُ وَأَحْضَرَ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَـةِ وَقَالَ لَهُ : صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا . فَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

عِشْ مَا بَـدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ ٱلْقُصُورِ

فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :

يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا ٱشْتَهَيْتَ لَدَى ٱلرَّوَاحِ أَوِ ٱلْبُكُورِ

فَقَالَ : حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :

فَإِذَا ٱلنُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ ٱلصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْـلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فَبَكَى ٱلرَّشِيدُ . فَقَالَ ٱلْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِتَسُرَّهُ فَحَزَنْتَهُ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : دَعْهُ فَإِنَّهُ رَآنَا فِي عَمًى فَكَرِهَ أَنْ يَزِيدَنَا مِنْهُ (للفخري)

٤٤ أَنْشَدَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

أَلْمَوْتُ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ مُشْتَرَكٌ لَا سُوقَـةٌ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ
مَا ضَرَّ أَصْحَابَ ٱلْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ ٱلْأَمْلَاكِ مَا مَلَكُوا

وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَأْمَنِ ٱلْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفَسٍ إِذَا تَسَتَّرْتَ بِٱلْأَبْوَابِ وَٱلْحَرَسِ

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ سِهَامَ ٱلْمَوْتِ قَاصِدَةٌ لِكُلِّ مُدَّرِعٍ مِنَّا وَمُتَّرِسِ

وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَتَعْمَى عَنِ ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرُ وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرُ
وَتُصْبِحُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَالِدٌ وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ تَسِيرُ
وَتَرْفَعُ فِي ٱلدُّنْيَا بِنَاءَ مُفَاخِرٍ وَمَثْوَاكَ بَيْتٌ فِي ٱلْقُبُورِ صَغِيرُ
وَدُونَكَ فَٱصْنَعْ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ فَإِنَّ بُيُوتَ ٱلْمَيِّتِينَ قُبُورُ

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ :

أُنْظُرْ لِنَفْسِكَ يَا مِسْكِينُ فِي مَهَلٍ مَا دَامَ يَنْفَعُكَ ٱلتَّفْكِيرُ وَٱلنَّظَرُ
قِفْ بِٱلْمَقَابِرِ وَٱنْظُرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا لِلّٰهِ دَرُّكَ مَاذَا تَسْتُرُ ٱلْحُفَرُ
فَفِيهِمِ لَكَ يَا مَغْرُورُ مَوْعِظَةٌ وَفِيهِمِ لَكَ يَا مُغْتَرُّ مُعْتَبَرُ

٤٥ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ ٱللهُ وَمَنْ تَكُونُ ٱلنَّارُ مَثْوَاهُ
وَٱلْوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَتَى يُذَكِّرُنِي ٱلْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
سَارَ ٱلْبَشِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا ٱللهُ وَإِيَّاهُ

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَصْبَحَ ٱلْقَبْرُ مَضْجَعِي وَمَحَلِّي وَمَوْضِعِي
صَرَعَتْنِي ٱلْحُتُوفُ فِي ٱلتُّرْبِ يَا ذُلَّ مَصْرَعِي
أَيْنَ إِخْوَانِيَ ٱلَّذِينَ إِلَيْهِمْ تَطَلُّعِي

مُتُّ وَحْدِي فَلَمْ يَمُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي

قَالَ بَدِيعُ ٱلزَّمَانِ :

إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا غُرُورٌ وَلِمَنْ أَصْغَى نَصِيحُ
وَلِسَانُ ٱلدَّهْرِ بِٱلْوَعْظِ لِوَاعِيهِ فَصِيحُ
نَحْنُ لَاهُونَ وَآجَا لُ ٱلْمَنَايَا لَا تُرِيحُ

٤٦ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي ٱلدَّرْدَاء : مَا لَنَا نَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ . فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنَ ٱلْعُمْرَانِ إِلَى ٱلْخَرَابِ (لبهاء الدين)

مِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ :

تُنَاجِيكَ أَجْدَاثٌ وَهُنَّ سُكُوتُ وَسُكَّانُهَا تَحْتَ ٱلتُّرَابِ خُفُوتُ
أَيَا جَامِعَ ٱلدُّنْيَا لِغَيْرِ بَلَاغَةٍ لِمَنْ تَجْمَعُ ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا خَالِطَ ٱلدِّينِ بِٱلدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا تَرْضَى بِدُنْيَاكَ شَيْئًا لَيْسَ يَسْوَاهُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ وَٱلْمَوْتُ نَحْوَكَ يَهْوِي فَاتِحًا فَاهُ

قَالَ آخَرُ :

تَزَوَّدْ مِنَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ وَإِعْلَمْ بِأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ
نَعِيمُكَ فِي ٱلدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي ٱلدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
أَلَا إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي ٱلصُّبْحِ رَاحِلُ

٤٧ وَقَالَ بعضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

جَزَى ٱللهُ عَنَّا ٱلْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَبَرُّ بِنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرْأَفُ
يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ ٱلنُّفُوسِ مِنَ ٱلْأَذَى وَيُدْنِي مِنَ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

دَخَلَ ٱلْعُتْبِيُّ ٱلْمَقَابِرَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

سَقْيًا وَرَعْيًا لِإِخْوَانٍ لَنَا سَلَفُوا أَفْنَاهُمُ حَدَثَانُ ٱلدَّهْرِ وَٱلْأَبَدُ
نَمُدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يَؤُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمُ أَحَدُ

٤٨ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَقْبَرَةَ قَالَ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ ٱلدِّيَارِ ٱلْمُوحِشَةِ . وَٱلْمَحَالِّ ٱلْمُقْفِرَةِ . مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ . أَللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ . ثُمَّ يَقُولُ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي جَعَلَ لَنَا ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا . وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي مِنْهَا خَلَقَنَا وَإِلَيْهَا مَعَادُنَا وَعَلَيْهَا مَحْشَرُنَا . طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ ٱلْمَعَادَ وَعَمِلَ ٱلْحَسَنَاتِ وَقَنِعَ بِٱلْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ (لابن عبد ربّه)

٤٩ أَلْأَيَّامُ خَمْسَةٌ يَوْمٌ مَفْقُودٌ . وَيَوْمٌ مَشْهُودٌ . وَيَوْمٌ مَوْرُودٌ . وَيَوْمٌ مَوْعُودٌ . وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ . فَٱلْمَفْقُودُ أَمْسُكَ ٱلَّذِي فَاتَكَ مَعَ مَا فَرَّطْتَ فِيهِ . وَٱلْمَشْهُودُ يَوْمُكَ ٱلَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَتَزَوَّدْ فِيهِ مِنَ ٱلطَّاعَاتِ . وَٱلْمَوْرُودُ هُوَ غَدُكَ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مِنْ أَيَّامِكَ أَمْ لَا . وَٱلْمَوْعُودُ هُوَ آخِرُ أَيَّامِكَ مِنْ أَيَّامِ ٱلدُّنْيَا فَٱجْعَلْهُ نُصْبَ عَيْنِكَ . وَٱلْمَمْدُودُ هُوَ آخِرَتُكَ وَهُوَ يَوْمٌ لَا ٱنْقِضَاءَ لَهُ . فَٱهْتَمَّ لَهُ غَايَةَ ٱهْتِمَامِكَ فَإِنَّهُ إِمَّا نَعِيمٌ دَائِمٌ أَوْ عَذَابٌ مُخَلَّدٌ

٥٠ جَاءَ فِي ٱلنَّهْجِ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَٱلآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ . وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَأَخْرِجُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ . فَفِيهَا ٱخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ (لبهاء الدين)

كَمْ مِنْ لَيَالٍ أَحْيَيْتَهَا بِتَكْرَارِ ٱلْعِلْمِ وَمُطَالَعَةِ ٱلْكُتُبِ . وَحَرَّمْتَ عَلَى نَفْسِكَ ٱلنَّوْمَ . لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ ٱلْبَاعِثُ فِيهِ . فَإِنْ كَانَ نِيَّتُكَ غَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَجَذْبَ حُطَامِهَا وَتَحْصِيلَ مَنَاصِبِهَا وَٱلْمُبَاهَاةَ عَلَى ٱلْأَقْرَانِ وَٱلْأَمْثَالِ فَوَيْلٌ لَكَ ثُمَّ وَيْلٌ لَكَ . وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ تَهْذِيبَ أَخْلَاقِكَ وَكَسْرَ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَمَّارَةِ بِٱلسُّوءِ فَطُوبَى لَكَ ثُمَّ طُوبَى لَكَ . وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ :

سَهَرُ ٱلْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ وَبُكَاؤُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلُ

(ايها الولد للغزالي)

وَكَانَ آخِرُ مَا قَالَهُ ذُو ٱلرُّمَّةِ :

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَفَتْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمَتْ
عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مُخْرِجَ ٱلرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا ٱحْتُضِرَتْ
وَفَارِجَ ٱلْكَرْبِ زَحْزِحْنِي عَنِ ٱلنَّارِ

في الخوف

٥١ سُئِلَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ عَنِ ٱلْخَائِفِينَ لِلّٰهِ . فَقَالَ : هُمُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا

اللهَ فِي مَخَافَةِ وَعِيدِهِ . قُلُوبُهُمْ بِالْخَوْفِ قَرِحَةٌ وَأَعْيُنُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَاكِيَةٌ . وَدُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ جَارِيَةٌ . يَقُولُونَ كَيْفَ نَفْرَحُ وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِنَا . وَالْقُبُورُ مِنْ أَمَامِنَا . وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُنَا . وَعَلَى جَهَنَّمَ طَرِيقُنَا . وَبَيْنَ يَدَيْ رَبِّنَا مَوْقِفُنَا . وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فَاكِهِينَ وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذَّبِينَ . شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . قَالَ الْحَسَنُ : عَجَبًا لِمَنْ خَافَ الْعِقَابَ وَلَمْ يَكُفَّ . وَلِمَنْ رَجَا الثَّوَابَ وَلَمْ يَعْمَلْ

(لابن عبد ربّه)

في التوبة

٥٢ لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوَفَاةُ قَالَ : أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ . وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ . وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتَ . فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ مَنَنْتَ . وَإِنْ عَاقَبْتَ . فَمَا ظَلَمْتَ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّكَ فِي دَارٍ لَهَا مُدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
أَمَا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الْآمِلِ
تُعَجِّلُ الذَّنْبَ بِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمُلُ التَّوْبَةَ مِنْ قَابِلِ
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَا غَفْلَةً مَاذَا بِفِعْلِ الْحَازِمِ الْعَاقِلِ

قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ اجْعَلْ خَطَايَاكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ إِلَى أَنْ

تَمُوتَ . وَأَمَّا حَسَنَاتُكَ فَأَلْهُ عَنْهَا فَإِنَّهُ قَدْ أَحْصَاهَا مَنْ لَا يَنْسَاهَا

٥٣ حُكِيَ أَنَّهُ حَائِكٌ بَعْضُ ٱلْعَارِفِينَ ثَوْبًا وَتَأَنَّقَ فِي صَنْعَتِهِ . فَلَمَّا بَاعَهُ رُدَّ عَلَيْهِ بِعُيُوبٍ فِيهِ فَبَكَى . فَقَالَ ٱلْمُشْتَرِي : يَا هٰذَا لَا تَبْكِ فَقَدْ رَضِيتُ بِهِ . فَقَالَ : مَا بُكَائِي لِذٰلِكَ بَلْ لِأَنِّي بَالَغْتُ فِي صَنْعَتِهِ وَتَأَنَّقْتُ فِيهِ جُهْدِي فَرُدَّ عَلَيَّ بِعُيُوبٍ كَانَتْ خَفِيَّةً عَلَيَّ . فَأَخَافُ أَنْ يُرَدَّ عَلَيَّ عَمَلِي ٱلَّذِي أَنَا عَمِلْتُهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً (لبهاء الدين)

٥٤ إِسْمَعْ مِنِّي كَلَامًا تَفَكَّرْ فِيهِ حَتَّى تَجِدَ خَلَاصًا . لَوْ أَنَّكَ أُخْبِرْتَ أَنَّ ٱلسُّلْطَانَ بَعْدَ ٱلْأُسْبُوعِ يَجِيئُكَ زَائِرًا فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ فِي تِلْكَ ٱلْمُدَّةِ لَا تَشْتَغِلُ إِلَّا بِإِصْلَاحِ مَا عَلِمْتَ أَنَّ نَظَرَ ٱلسُّلْطَانِ سَيَقَعُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلثِّيَابِ وَٱلْبَدَنِ وَٱلدَّارِ وَٱلْفِرَاشِ وَغَيْرِهَا . وَٱلْآنَ تَفَكَّرْ إِلَى مَا أَشَرْتُ بِهِ فَإِنَّكَ فَهِمٌ ذَكِيٌّ وَٱلْكَلَامُ ٱلْفَرْدُ يَكْفِي ٱلْكَيِّسَ وَٱلْعَاقِلُ تَكْفِيهِ ٱلْإِشَارَةُ . إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ (ايها الولد للغزالي)

٥٥ مِنْ خُطَبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لَا تَكُونُوا مِمَّنْ خَدَعَتْهُ ٱلدُّنْيَا ٱلْعَاجِلَةُ وَغَرَّتْهُ ٱلْأُمْنِيَّةُ وَٱسْتَهْوَتْهُ ٱلْبِدْعَةُ فَرَكَنَ إِلَى دَارٍ سَرِيعَةِ ٱلزَّوَالِ وَشِيكَةِ ٱلْٱنْتِقَالِ . إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ فِي جَنْبِ مَا مَضَى إِلَّا كَإِنَاخَةِ رَاكِبٍ أَوْ صَرَّةِ حَالِبٍ فَعَلَامَ تُعَرِّجُونَ وَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ . فَكَأَنَّكُمْ وَبِمَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ وَبِمَا تَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْآخِرَةِ لَمْ يَزَلْ . فَخُذُوا ٱلْأُهْبَةَ لِأُزُوفِ ٱلنُّقْلَةِ

وَأَعِدُّوا ٱلزَّادَ لِقُرْبِ ٱلرِّحْلَةِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ عَلَى قَدَمٍ قَادِمٌ . وَعَلَى مَا خَلَّفَ نَادِمٌ

٥٦ (وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ) . أَيُّهَا ٱلنَّاسُ حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ . وَٱلْبَسُوا قِنَاعَ ٱلْمَخَافَةِ . وَٱجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ . وَسَعْيَكُمْ لِمُسْتَقَرِّكُمْ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ . وَإِلَى ٱللهِ صَائِرُونَ . وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ هُنَالِكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدَّمْتُمُوهُ . أَوْ حُسْنُ ثَوَابٍ حُزْتُمُوهُ . إِنَّكُمْ إِنَّمَا تَقْدِمُونَ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ . وَتُجَازَوْنَ عَلَى مَا أَسْلَفْتُمْ . فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا دَنِيَّةٍ . عَنْ مَرَاتِبِ جِنَانٍ عَلِيَّةٍ . فَكَأَنْ قَدِ ٱنْكَشَفَ ٱلْقِنَاعُ وَٱرْتَفَعَ ٱلِٱرْتِيَابُ . وَلَاقَى كُلُّ ٱمْرِئٍ مُسْتَقَرَّهُ وَعَرَفَ مَثْوَاهُ وَمُنْقَلَبَهُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

آهِ يَا ذُلِّي وَيَا خَجَلِي ... إِنْ يَكُنْ مِنِّي دَنَا أَجَلِي
لَوْ بَذَلْتُ ٱلرُّوحَ مُجْتَهِدًا ... وَنَفَيْتُ ٱلنَّوْمَ عَنْ مُقَلِي
كُنْتُ بِٱلتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا ... خَائِفًا عَنْ خَيْبَةِ ٱلْأَمَلِ
فَعَلَى ٱلرَّحْمَانِ مُتَّكَلِي ... لَا عَلَى عِلْمِي وَلَا عَمَلِي

٥٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْعَارِفِينَ : إِذَا كَانَ أَبُونَا آدَمُ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ : ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ . صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فَأُمِرَ بِٱلْخُرُوجِ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . فَكَيْفَ نَرْجُو نَحْنُ دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلذُّنُوبِ ٱلْمُتَتَابِعَةِ وَٱلْخَطَايَا ٱلْمُتَوَاتِرَةِ

(لبهاء الدين)

إِجْعَلِ ٱلْهِمَّةَ فِي ٱلرُّوحِ وَٱلْهَزِيمَةَ فِي ٱلنَّفْسِ وَٱلْمَوْتَ فِي ٱلْبَدَنِ لِأَنَّ

مَنزِلَكَ ٱلْقَبْرُ. فَأَهْلُ ٱلْمَقَابِرِ يَنظُرُونَكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِمْ.
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلَا زَادٍ

قَالَ شَاعِرٌ :

يَا ذَا ٱلَّذِي وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِيًا   وَٱلنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورَا
إِحْرِصْ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ بِهِ مَتَى   يَبْكُونَ حَوْلَكَ ضَاحِكًا مَسْرُورَا

٥٨ رُوِيَ أَنَّ ٱلْحَسَنَ ٱلْبِصْرِيَّ أُعْطِيَ شَرْبَةَ مَاءٍ بَارِدٍ. فَلَمَّا أَخَذَ ٱلْقَدَحَ غُشِيَ عَلَى عَقْلِهِ وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ: مَا بَالُكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ. قَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُ أُمْنِيَّةَ أَهْلِ ٱلنَّارِ حِينَ يَقُولُونَ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ: أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ. قَالُوا: إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ

رُوِيَ فِي وَصَايَا لُقْمَانَ ٱلْحَكِيمِ لِٱبْنِهِ أَنَّهُ قَالَ : يَا بُنَيَّ لَا يَكُونَنَّ ٱلدِّيكُ أَكْيَسَ مِنْكَ. يُنَادِي وَقْتَ ٱلسَّحَرِ وَأَنْتَ نَائِمٌ. لَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ   عَلَى فَنَنٍ وَهْنًا وَإِنِّي لَنَائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيْتِ ٱللهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا   لَمَا سَبَقَتْنِي بِٱلْبُكَاءِ ٱلْحَمَائِمُ
وَأَزْعُمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ   لِرَبِّي وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي ٱلْبَهَائِمُ

دعاء

٥٩ أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ تَمَامَهَا. وَمِنَ ٱلْعِصْمَةِ دَوَامَهَا. وَمِنَ ٱلرَّحْمَةِ شُمُولَهَا. وَمِنَ ٱلْعَافِيَةِ حُصُولَهَا. وَمِنَ ٱلْعَيْشِ أَرْغَدَهُ. وَمِنَ

ٱلْعُمْرِ أَسْعَدَهُ . وَمِنَ ٱلْإِحْسَانِ أَتَمَّهُ . وَمِنَ ٱلْإِنْعَامِ أَعَمَّهُ . وَمِنَ ٱلْفَضْلِ أَعْذَبَهُ . وَمِنَ ٱللُّطْفِ أَنْفَعَهُ . أَللّٰهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا . أَللّٰهُمَّ ٱخْتِمْ بِٱلسَّعَادَةِ آجَالَنَا . وَحَقِّقْ بِٱلزِّيَادَةِ آمَالَنَا . وَٱقْرِنْ بِٱلْعَافِيَةِ غُدُوَّنَا وَآصَالَنَا . وَٱجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَرْجِعَنَا . وَصُبَّ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبِنَا . وَمُنَّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا . وَٱجْعَلِ ٱلتَّقْوَى زَادَنَا . وَفِي دِينِكَ ٱجْتِهَادَنَا . وَعَلَيْكَ تَوَكُّلَنَا وَٱعْتِمَادَنَا . ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ ٱلِٱسْتِقَامَةِ . وَأَعِذْنَا فِي ٱلدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ ٱلنَّدَامَةِ . يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقَلَ ٱلْأَوْزَارِ . وَٱرْزُقْنَا عِيشَةَ ٱلْأَبْرَارِ . وَٱكْفِنَا وَٱصْرِفْ عَنَّا شَرَّ ٱلْأَشْرَارِ . وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَعَشِيرَتِنَا مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ وَمِنَ ٱلنِّيرَانِ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ (ايها الولد للغزالي)

المراثي

٦٠ قَالَ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ فِي ٱلْأَغَانِيِّ : لَمَّا رَأَى ٱلْفَلَاسِفَةُ تَابُوتَ ٱلْإِسْكَنْدَرِ وَقَدْ أُخْرِجَ لِيُدْفَنَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ ٱلْمَلِكُ أَمْسِ أَهْيَبَ مِنْهُ ٱلْيَوْمَ . وَهُوَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسِ . وَقَالَ آخَرُ : سَكَنَتْ حَرَكَةُ ٱلْمَلِكِ فِي لَذَّاتِهِ . وَقَدْ حَرَّكَنَا ٱلْيَوْمَ فِي سُكُونِهِ جَزَعًا لِفَقْدِهِ . وَهٰذَانِ ٱلْمَعْنَيَانِ أَخَذَهُمَا أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ بِرِثَاءِ ٱبْنِهِ عَلِيٍّ قَالَ :

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي ... فَمَا أَغْنَى ٱلْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئَا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ ... وَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي وَلَدٍ مَاتَ لَهُ :

بَلِيَتْ عِظَامُكَ وَٱلْأَسَى يَتَجَدَّدُ ... وَٱلصَّبْرُ يَنْفَدُ وَٱلْبُكَا لَا يَنْفَدُ
يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَابِهِ ... وَلِقَائِهِ دُونَ ٱلْقِيَامَةِ مَوْعِدُ
مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْحَدًا ضُمِّنْتَهُ ... لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ ٱلْمُلْحَدُ
بِٱلْيَأْسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا بِتَجَلُّدِي ... هَيْهَاتَ أَيْنَ مِنَ ٱلْحَزِينِ تَجَلُّدُ

٦١ قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَحْنَفِ يَرْثِي ٱبْنَهُ :

وَلَمَّا دَعَوْتُ ٱلصَّبْرَ بَعْدَكَ وَٱلْأَسَى
أَجَابَ ٱلْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ ٱلصَّبْرُ
فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ ٱلرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ ٱلْحُزْنُ مَا بَقِيَ ٱلدَّهْرُ

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرْثِي وَلَدَهَا :

يَا قُرْحَةَ ٱلْقَلْبِ وَٱلْأَحْشَاءِ وَٱلْكَبِدِ ... يَا لَيْتَ أُمَّكَ لَمْ تَحْبَلْ وَلَمْ تَلِدِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ أُدْرِجْتَ فِي كَفَنٍ ... مُطَيَّبًا لِلْمَنَايَا آخِرَ ٱلْأَبَدِ
أَيْقَنْتُ بَعْدَكَ أَنِّي غَيْرُ بَاقِيَةٍ ... وَكَيْفَ يَبْقَى ذِرَاعٌ زَالَ عَنْ عَضُدِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي ٱبْنَهُ :

بُنَيَّ لَئِنْ ضَنَّتْ جُفُونٌ بِمَائِهَا ... لَقَدْ قُرِّحَتْ مِنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحَتْ ... وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينُ

قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ يَرْثِي بَعْضَ أَوْلَادِهِ :

أَضْحَتْ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومُ ... أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِي ٱلْفُؤَادِ كُلُومُ
وَٱلصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي ٱلْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ... إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

اَلْبَابُ ٱلثَّالِثُ
فِي ٱلْحِكَمِ

٦٢ قَالَ ٱلْحُكَمَاءُ: لَا يَطْلُبُ ٱلرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ. وَقَالُوا: إِذَا وَجَدْتُمُ ٱلْحِكْمَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى ٱلسِّكَكِ فَخُذُوهَا. وَقَالَ زِيَادٌ: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لَا يَمْنَعَنَّكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَنْتَفِعُوا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا فَإِنَّ ٱلشَّاعِرَ يَقُولُ:

إِعْمَلْ بِعِلْمِي وَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي
يَنْفَعْكَ قَوْلِي وَلَا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي

٦٣ قَالَ ٱلرِّيَاحِيُّ فِي خُطْبَتِهِ بِٱلْمِرْبَدِ: يَا بَنِي رِيَاحٍ لَا تَحْقِرُوا صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ. فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ ٱللَّيْثِ بَسَالَتَهُ. وَمِنَ ٱلْحِمَارِ صَبْرَهُ. وَمِنَ ٱلْخِنْزِيرِ حِرْصَهُ. وَمِنَ ٱلْغُرَابِ حَذَرَهُ. وَمِنَ ٱلثَّعْلَبِ رَوَغَانَهُ. وَمِنَ ٱلسِّنَّوْرِ ضَرَعَهُ. وَمِنَ ٱلْقِرْدِ حِكَايَتَهُ. وَمِنَ ٱلْكَلْبِ نُصْرَتَهُ. وَمِنَ ٱبْنِ آوَى حَذَرَهُ. وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ ٱلْقَمَرِ سَيْرَ ٱللَّيْلِ. وَمِنَ ٱلشَّمْسِ ظُهُورَ ٱلْحِينِ بَعْدَ ٱلْحِينِ (لابن عبد ربّه)

٦٤ قَالَ كَعْبٌ: ٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱللهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ فِي عَلَانِيَتِكُمْ. وَقِيلَ: مَنْ يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْ نَفْسِهِ فَلَا قَدْرَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ. وَقَالَ رَجُلٌ لِلنُّعْمَانِ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: ٱسْتَحْيِ مِنَ ٱللهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ عَشِيرَتِكَ

٦٥ قَالَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ . لَاصَدِيقَ لِمُتَلَوِّنٍ . وَلَا وَفَاءَ لِكَذُوبٍ وَلَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ . وَلَا مُرُوءَةَ لِدَنِيءٍ . وَلَا زَعَامَةَ لِسَيِّءِ ٱلْخُلُقِ

(مؤنس الوحيد للثعالبي)

٦٦ قِيلَ: تَجَنَّبْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لِتَخْلُصَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ . تَجَنَّبْ مِنَ ٱلْحَسَدِ لِتَخْلُصَ مِنَ ٱلْحُزْنِ . وَلَا تُجَالِسْ جَلِيسَ ٱلسُّوءِ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلْمَلَامَةِ . وَلَا تَرْكَبِ ٱلْمَعَاصِيَ وَقَدْ خَلَصْتَ مِنَ ٱلنَّارِ . وَلَا تَجْمَعِ ٱلْمَالَ وَقَدِ ٱسْتَرَحْتَ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْخَلْقِ (للغزالي)

٦٧ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

بِقَدْرِ ٱلْكَدِّ تُكْتَسَبُ ٱلْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى سَهِرَ ٱللَّيَالِي
يَغُوصُ ٱلْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ ٱللَّآلِي وَيَحْظَى بِٱلسِّيَادَةِ وَٱلنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ ٱلْعُمْرَ فِي طَلَبِ ٱلْمُحَالِ

٦٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : دَخَلْتُ عَلَى سُفْيَانَ ٱلثَّوْرِيِّ بِمَكَّةَ فَوَجَدْتُهُ مَرِيضًا وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً . فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ . فَقَالَ لِي : قُلْ مَا بَدَا لَكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنِ ٱلنَّاسُ . قَالَ : ٱلْفُقَهَاءُ . قُلْتُ لَهُ : فَمَنِ ٱلْمُلُوكُ . قَالَ : ٱلزُّهَّادُ . قُلْتُ لَهُ : فَمَنِ ٱلْأَشْرَافُ . قَالَ : ٱلْأَتْقِيَاءُ . قُلْتُ فَمَنِ ٱلْغَوْغَاءُ . قَالَ : مَنْ يَكْتُبُ ٱلْحَدِيثَ وَيَأْكُلُ بِهِ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ . قُلْتُ فَمَنِ ٱلسَّفِلَةُ . قَالَ : ٱلظَّلَمَةُ أُولَئِكَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ

رُوِيَ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ حِذْيَمَ وَعَظَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ يَوْمًا . فَقَالَ

لَهُ عُمَرُ: وَمَنْ يُطِيقُ ذٰلِكَ . قَالَ : أَنْتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ فَتُطَاعَ . فَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى مُخَالَفَتِكَ (نوادر القليوبي)

٦٩ قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَلَمَّا ٱحْتُضِرَ ذُو ٱلْإِصْبَعِ دَعَا ٱبْنَهُ أُسَيْدًا . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ وَعَاشَ حَتَّى سَئِمَ ٱلْعَيْشَ . وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتُهُ . فَٱحْفَظْ عَنِّي : أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ . وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ . وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ . وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ . وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ يُكْرِمْكَ كِبَارُهُمْ . وَيَكْبَرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ . وَٱسْمَحْ بِمَالِكَ . وَأَعْزِزْ جَارَكَ . وَأَعِنْ مَنِ ٱسْتَعَانَ بِكَ . وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ . وَأَسْرِعِ ٱلنَّهْضَةَ فِي ٱلصَّرِيخِ فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ . وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذٰلِكَ يَتِمُّ سُؤْدُدُكَ (للاصبهاني)

٧٠ سُئِلَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: أَيُّ ٱلْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : مُشَاوَرَةُ ٱلْعُلَمَاءِ . وَتَجْرِبَةُ ٱلْأُمُورِ . وَحُسْنُ ٱلتَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : ٱلِٱسْتِبْدَادُ . وَٱلتَّهَاوُنُ . وَٱلْعَجَلَةُ (لابن عبد ربّه)

٧١ قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ ... فَٱلدِّينُ أَوَّلُهَا وَٱلْعَقْلُ ثَانِيهَا
وَٱلْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَٱلْحِلْمُ رَابِعُهَا ... وَٱلْجُودُ خَامِسُهَا وَٱلْعُرْفُ سَادِيهَا
وَٱلْبِرُّ سَابِعُهَا وَٱلصَّبْرُ ثَامِنُهَا ... وَٱلشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَٱللِّينُ عَاشِيهَا

وَٱلْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنَيْ مُحَدِّثِهَا   إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
وَٱلنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لا أُصَدِّقُهَا   وَلَسْتُ أُرْشَدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا

٧٢ قَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا يُنْدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ إِلَيْهِمْ . أَللهُ فِي عَمَلٍ لَهُ وَٱلْمَوْلَى ٱلشَّكُورُ فِيمَا أَسْدِيَ إِلَيْهِ . وَٱلْأَرْضُ ٱلْكَرِيمَةُ فِيمَا بُذِرَ فِيهَا . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا بَقَاءَ لَهَا . ظِلُّ ٱلْغَمَامِ . وَصُحْبَةُ ٱلْأَشْرَارِ . وَٱلثَّنَاءُ ٱلْكَاذِبُ . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . ٱلْغِنَى فِي ٱلنَّفْسِ . وَٱلشَّرَفُ فِي ٱلتَّوَاضُعِ . وَٱلْكَرَمُ فِي ٱلتَّقْوَى . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تُعْرَفُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . ذُو ٱلْبَأْسِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ ٱللِّقَاءِ . وَذُو ٱلْأَمَانَةِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ ٱلْأَخْذِ وَٱلْعَطَاءِ . وَٱلْإِخْوَانُ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ٱلنَّوَائِبِ

٧٣ قَالَ أَبْرَوِيزُ لِكَاتِبِهِ : إِعْلَمْ أَنَّ دَعَائِمَ ٱلْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ . إِنِ ٱلْتُمِسَ لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ . وَإِنْ نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ . وَهِيَ سُؤَالُكَ ٱلشَّيْءَ . وَأَمْرُكَ بِٱلشَّيْءِ . وَإِخْبَارُكَ عَنِ ٱلشَّيْءِ . وَسُؤَالُكَ عَنِ ٱلشَّيْءِ . فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَسْجِحْ . وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ . وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكِمْ . وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ . وَٱجْمَعِ ٱلْكَثِيرَ مِمَّا تُرِيدُ فِي ٱلْقَلِيلِ مِمَّا تَقُولُ (يُرِيدُ ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي تَقِلُّ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ)

٧٤ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : ٱلْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ . أَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وُدَّهُ . وَيَبْذُلُ لَكَ رِفْدَهُ . وَيَسْتَفْرِغُ فِي مُهِمِّكَ جُهْدَهُ . وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ يَقْتَصِرُ بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ . دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ . وَأَخٌ يَتَمَلَّقُ لَكَ بِلِسَانِهِ .

وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَانِهِ . وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ

٧٥ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ ٱلِٱسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ ٱلْحَدِيثِ . وَلْيَعْلَمِ ٱلنَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَٱحْذَرْ أَنْ تُسْرِعَ فِي ٱلْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ عَنْهُ ٱلرُّجُوعُ بِٱلْفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنَّكَ عَلَى فِعْلِ مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى قَوْلِ مَا لَمْ تَفْعَلْ (لابن عبد ربّه)

٧٦ أَنْشَدَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا ٱلتَّعْلِيمُ
تَصِفُ ٱلدَّوَاءَ لِذِي ٱلسَّقَامِ وَذِي ٱلضَّنَى كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَنَرَاكَ تُصْلِحُ بِٱلرَّشَادِ عُقُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ ٱلرَّشَادِ عَدِيمُ
فَٱبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَٱنْهَهَا عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا ٱنْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُهْتَدَى بِٱلْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ ٱلتَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

٧٧ قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ لِلْإِسْكَنْدَرِ : إِنَّ ٱلنَّاسَ إِذَا قَدَرُوا أَنْ يَقُولُوا قَدَرُوا أَنْ يَفْعَلُوا . فَٱحْتَرِسْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا . تَسْلَمْ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا

٧٨ قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ : ٱجْتَمَعَتِ ٱلْعَرَبُ وَٱلْعَجَمُ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ . قَالُوا : لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى قَلْبِكَ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَعْمَلَنَّ عَمَلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ . وَلَا تَثِقْ بِٱمْرَأَةٍ . وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ

٧٩ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَا فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا . وَمَا خَلَقَ اللهُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ . وَلَا بَلَاءَهَا عُقُوبَةً لِلْعَاصِينَ . يَا بُنَيَّ لَا تَضْحَكْ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ . وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ أَرَبٍ . وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ . يَا بُنَيَّ لَا تُضِعْ مَالَكَ وَتُصْلِحَ مَالَ غَيْرِكَ . فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ . وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمْ يُرْحَمْ . وَمَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ . وَمَنْ يَقُلِ الْخَيْرَ يَغْنَمْ . وَمَنْ يَقُلِ الْبَاطِلَ يَأْثَمْ . وَمَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ . يَا بُنَيَّ زَاحِمِ الْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتَيْكَ . وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنَيْكَ . فَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ . كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ بِمَطَرِ السَّمَاءِ

٨٠ قَالَ عُمَرُ بْنُ عُتْبَةَ : لَمَّا بَلَغْتُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً قَالَ لِي أَبِي : يَا بُنَيَّ قَدْ تَقَطَّعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصِّبَا . فَالْزَمِ الْحَيَاءَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ . وَلَا تُزَايِلْهُ فَتَبِينَ مِنْهُ . وَلَا يَغُرَّنَّكَ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا تَعْلَمُ خِلَافَهُ مِنْ نَفْسِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَعْلَمْ إِذَا رَضِيَ . قَالَ فِيكَ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهُ إِذَا سَخِطَ . فَاسْتَأْنِسْ بِالْوَحْدَةِ مِنْ جُلَسَاءِ السُّوءِ تَسْلَمْ مِنْ غِبِّ عَوَاقِبِهِمْ (لابن عبد ربّه)

٨١ قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ :

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكْ
فَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ حِجَابٌ إِذَا جِئْتَهُ يَحْجُبُكْ

٨٢ مِنْ كَلَامِ أُومِيرُسَ : إِتَّهِمْ أَخْلَاقَكَ السَّيِّئَةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَصَلَتْ

إِلَى حَاجَاتِهَا مِنَ ٱلدُّنْيَا كَانَتْ كَالْحَطَبِ لِلنَّارِ وَٱلْمَاءِ لِلسَّمَكِ . وَإِذَا عَزَلْتَهَا عَنْ مَآرِبِهَا وَحُلْتَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَهْوَى ٱنْطَفَأَتْ كَٱنْطِفَاءِ ٱلنَّارِ عِنْدَ فِقْدَانِ ٱلْحَطَبِ . وَهَلَكَتْ كَهَلَاكِ ٱلسَّمَكِ عِنْدَ فِقْدَانِ ٱلْمَاءِ

٣ قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ :

إِذَا طَالَبَتْكَ ٱلنَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ إِلَيْهَا فِي ٱلْخِلَافِ طَرِيقُ

فَخَالِفْ هَوَاهَا مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا هَوَاهَا عَدُوٌّ وَٱلْخِلَافُ صَدِيقُ

٨٤ وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَقَلَهُ ٱلشَّيْخُ ٱلْمُفِيدُ فِي ٱلْإِرْشَادِ : كُلُّ قَوْلٍ لَيْسَ لِلّٰهِ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَغْوٌ . وَكُلُّ صَمْتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرٌ فَسَهْوٌ . وَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ ٱعْتِبَارٌ فَلَهْوٌ

٨٥ وَمِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ . إِنَّ مُرْتَكِبَ ٱلصَّغِيرَةِ وَمُرْتَكِبَ ٱلْكَبِيرَةِ سِيَّانِ . فَقِيلَ : وَكَيْفَ ذٰلِكَ . فَقَالَ : ٱلْجُرْأَةُ وَاحِدَةٌ . وَمَا عَفَّ عَنِ ٱلذَّرَّةِ . مَنْ يَسْرِقُ ٱلذَّرَّةَ

٨٦ (سَانِحَةٌ) غَفْلَةُ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱلْحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْعُيُوبِ . وَأَكْبَرِ ٱلذُّنُوبِ . وَلَوْ كَانَتْ آنًا مِنَ ٱلْآنَاتِ أَوْ لَمْحَةً مِنَ ٱللَّمَحَاتِ . حَتَّى إِنَّ أَهْلَ ٱلْقُلُوبِ عَدُّوا ٱلْغَافِلَ فِي آنِ ٱلْغَفْلَةِ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْكُفَّارِ . وَكَمَا يُعَاقَبُ ٱلْعَوَامُّ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ كَذٰلِكَ يُعَاقَبُ ٱلْخَوَاصُّ عَلَى غَفَلَاتِهِمْ . فَٱجْتَنِبِ ٱلِٱخْتِلَاطَ بِأَصْحَابِ ٱلْغَفْلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ ٱلْكَمَالِ

٨٧ أَوْصَى بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ ٱبْنَهُ فَقَالَ : لِيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ .

وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ . وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ

٨٨ عَنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ ٱلْجَهْلِ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْضِيهِ . وَجَلَسَ إِلَى مَنْ لَا يُدْنِيهِ . وَتَفَاقَرَ إِلَى مَنْ لَا يُغْنِيهِ . وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ

٨٩ قِيلَ لِحَكِيمٍ : إِنَّ ٱلَّذِي قُلْتَهُ لِأَهْلِ مَدِينَةِ كَذَا لَمْ يَقْبَلُوهُ . فَقَالَ : لَا يَلْزَمُنِي أَنْ يُقْبَلَ بَلْ يَلْزَمُنِي أَنْ يَكُونَ صَوَابًا

قَالَ حَكِيمٌ : لَا يَكُونُ ٱلرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ تَعْنِيفُ ٱلنَّاصِحِ أَلْطَفَ مَوْقِعًا مِنْ مَلَقِ ٱلْكَاشِحِ (ابهاء الدين)

٩٠ قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ :

إِذَا صَحِبْتَ ٱلْمُلُوكَ فَٱلْبَسْ مِنَ ٱلتَّوَقِّي أَعَزَّ مَلْبَسْ
وَٱدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَٱخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسْ

٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ : عَشِيرَتُكَ مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَكَ . وَعَمُّكَ مَنْ عَمَّكَ خَيْرُهُ . وَقَرِيبُكَ مَنْ قَرُبَ مِنْكَ نَفْعُهُ

٩٢ قَالَ سُقْرَاطُ وَهُوَ تِلْمِيذُ فِيثَاغُورُسَ ٱلْحَكِيمِ : إِذَا أَقْبَلَتِ ٱلْحِكْمَةُ خَدَمَتِ ٱلشَّهَوَاتُ ٱلْعُقُولَ . وَإِذَا أَدْبَرَتْ خَدَمَتِ ٱلْعُقُولُ ٱلشَّهَوَاتِ

٩٣ مِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرَى ٱلْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَلَا يَرَى ٱلْجِذْعَ ٱلْمُعْتَرِضَ فِي حَلْقِ نَفْسِهِ

٩٤ وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : ثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَخَفُّ بِهِمْ . ٱلسُّلْطَانُ

وَٱلْعَالِمُ وَٱلصَّدِيقُ . فَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلسُّلْطَانِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ . وَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلْعَالِمِ ذَهَبَ دِينُهُ . وَمَنِ ٱسْتَخَفَّ بِٱلصَّدِيقِ ذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ

(لبهاء الدين)

٩٥ أَنْشَدَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا ... أَلْأَمْنُ وَٱلصِّحَّةُ وَٱلْقُوتُ

فَلَا تَثِقْ بِٱلْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا ... لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ

قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْكُنَ بَلَدًا لَيْسَ فِيهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ . سُلْطَانٌ حَازِمٌ . وَقَاضٍ عَادِلٌ . وَطَبِيبٌ عَالِمٌ . وَنَهْرٌ جَارٍ . وَسُوقٌ قَائِمٌ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ . فَأَمَّا ٱلْمُهْلِكَاتُ . فَشُحٌّ مُطَاعٌ . وَهَوًى مُتَّبَعٌ . وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . وَأَمَّا ٱلْمُنْجِيَاتُ . فَخَشْيَةُ ٱللهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ . وَٱلْقَصْدُ فِي ٱلْغِنَى وَٱلْفَقْرِ . وَٱلْعَدْلُ فِي ٱلرِّضَاءِ وَٱلْغَضَبِ (لطائف العرب)

٩٦ قِيلَ : إِذَا أَقْبَلَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ . وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ . (رسالة آداب للمستعصمي)

٩٧ قِيلَ : مَا مِنْ خَصْلَةٍ تَكُونُ لِلْغَنِيِّ مَدْحًا إِلَّا وَتَكُونُ لِلْفَقِيرِ ذَمًّا . فَإِنْ كَانَ حَلِيمًا قِيلَ : ذَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجُ . وَإِنْ كَانَ لَسِنًا قِيلَ : مِهْذَارٌ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا كُنْتَ لَا تُرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ ... وَلَمْ يَكُ فِي ٱلْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ مَطْمَعُ

وَلا أَنتَ مِمَّنْ يُسْتَعَانُ بِجَاهِهِ   وَلا أَنتَ يَوْمَ ٱلْحَشْرِ مِمَّنْ يُشَفَّعُ
فَعَيْشُكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَمَوْتُكَ وَاحِدٌ   وَعُودُ خِلَالٍ مِنْ وِصَالِكَ أَنْفَعُ

قَالَ عُمَرُ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْس : مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ . وَمَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ . كَثُرَ سَقَطُهُ . وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ . قَلَّ وَرَعُهُ . وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ . قَلَّ حَيَاؤُهُ . وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ . مَاتَ قَلْبُهُ

٩٨ قَالَ ٱلْحَسَنُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ نَافِسُوا فِي ٱلْمَكَارِمِ . وَسَارِعُوا فِي ٱلْمَغَانِمِ . وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعَجِّلُوهُ . وَلَا تَكْسِبُوا بِٱلْمَطْلِ ذَمًّا . وَٱعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ ٱلنَّاسِ مِنْ نِعَمِ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ . فَلَا تَمَلُّوا ٱلنِّعَمَ فَتَحُولَ نِقَمًا . وَأَنَّ أَجْوَدَ ٱلنَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ . وَأَنَّ أَعْفَى ٱلنَّاسِ مَنْ عَفَا مِنْ قُدْرَةٍ . وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ ٱللّٰهُ إِلَيْهِ . وَٱللّٰهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ . وَقَالَ أَيْضًا : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا تُدْرِكُ . وَلَا تَعِدْ بِمَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَلَا تُنْفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ . وَلَا تَطْلُبْ مِنَ ٱلْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ . وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نِلْتَ مِنْ طَاعَةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى . وَلَا تَتَنَاوَلْ إِلَّا مَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا لَهُ

٩٩ قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ . أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ . وَأَنْ أُوَسِّعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ . وَأُصْغِيَ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ

١٠٠ أَوْصَى عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا . فَقَالَ : لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَعْنِيكَ . وَدَعِ ٱلْكَلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَعْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا . وَلَا تُمَارِيَنَّ

حليمًا ولا سفيهًا . فإنَّ الحليم يطغيك . والسَّفيه يؤذيك . واذكر أخاك إذا توارى عنك بما تحبُّ أن يذكرك إذا تواريت عنه . ودعه ممَّا تحبُّ أن يدعك منه فإنَّ ذلك العدل . واعمل عمل امرئ يعلم أنَّه مجزيٌّ بالإحسان مأخوذٌ بالإجرام

١٠١ قال عبد الله بن جعفر : كمال المرء في خلال ثلاث . معاشرة أهل الرَّأي والفطنة . ومداراة النَّاس بالمعاشرة الجميلة . والاقتصاد من بخلٍ وإسرافٍ

قال بزرجمهر لكسرى وعنده أولاده : أيُّ أولادك أحبُّ إليك . قال : أرغبهم في الآداب . وأجزعهم من العار . وأنظرهم إلى الطَّبقة الَّتي فوقهم

١٠٢ قال بهرام جور : ينبغي للملك أن لا يضيع التَّثبُّت عندما يقول وما يفعل . فإنَّ الرُّجوع عن الصَّمت أحسن من الرُّجوع عن الكلام . والعطيَّة بعد المنع خيرٌ من المنع بعد العطيَّة . والإقدام على العمل بعد التَّأنِّي خيرٌ من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه

١٠٣ وقال كسرى لحكماء الفرس وقد اجتمعوا إليه : ليتكلَّم كلُّ واحدٍ منكم بكلماتٍ ولا يكثرها . فقال أحدهم : خير الملوك أرحبهم ذرعًا عند الضِّيق . وأعدلهم حكمًا عند الغضب . وأرحمهم إذا سلِّط . وأبعدهم من الظُّلم عند القدرة . وأطلبهم لرضاء الرَّعيَّة . وأبسطهم وجهًا عند المسألة . فقال كسرى : حسبي هذا لا أريد عليه مزيدًا

١٠٤ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ لِمَرَازِبَتِهِ • أُوصِيكُمْ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِيهَا رَاحَةُ أَنْفُسِكُمْ • وَٱسْتِقَامَةُ أُمُورِكُمْ • أُوصِيكُمْ بِتَرْكِ ٱلْمِرَاءِ • وَٱجْتِنَابِ ٱلتَّفَاخُرِ • وَٱلِاصْطِبَارِ عَلَى ٱلْقَنَاعَةِ • وَٱلرِّضَاءِ بِٱلْحُظُوظِ • وَأُوصِيكُمْ بِكُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَجْمُلُ • وَأَنْهَاكُمْ عَنْ كُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَقْبُحُ

قَالَ ٱبْنُ ٱلسَّمَّاكِ : ٱلْكَمَالُ فِي خَمْسٍ • أَنْ لَا يَعِيبَ ٱلرَّجُلُ أَحَدًا بِعَيْبٍ فِيهِ مِثْلُهُ • حَتَّى يُصْلِحَ ذٰلِكَ ٱلْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ • فَإِنَّهُ لَا يَفْرُغُ مِنْ إِصْلَاحِ عَيْبٍ حَتَّى يَهْجُمَ عَلَى آخَرَ • فَتَشْغَلُهُ عُيُوبُهُ عَنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ • وَٱلثَّانِيَةُ أَنْ لَا يُطْلِقَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ حَتَّى يَعْلَمَ أَفِي طَاعَةٍ ذٰلِكَ أَمْ فِي مَعْصِيَةٍ • وَٱلثَّالِثَةُ أَنْ لَا يَلْتَمِسَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُعْطِيهِمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَهُ • وَٱلرَّابِعَةُ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ ٱلنَّاسِ بِٱسْتِشْعَارِ مُدَارَاتِهِ وَتَوْفِيَتِهِمْ حُقُوقَهُمْ • وَٱلْخَامِسَةُ أَنْ يُنْفِقَ ٱلْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ • وَيُمْسِكَ ٱلْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ

١٠٥ قَالَ حَاتِمٌ ٱلزَّاهِدُ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ عَيْبًا فَإِنْ كَتَمْتَهُ عَنْهُ فَقَدْ خُنْتَهُ • وَإِنْ قُلْتَهُ لِغَيْرِهِ فَقَدِ ٱغْتَبْتَهُ • وَإِنْ وَاجَهْتَهُ فَقَدْ أَوْحَشْتَهُ • فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ : فَمَا ٱلَّذِي أَصْنَعُ • قَالَ : تَكْنِي عَنْهُ وَتُعَرِّضُ بِهِ • وَتَجْعَلُهُ فِي جُمْلَةِ ٱلْحَدِيثِ

١٠٦ قَالَ ٱبْنُ وَهْبٍ : لَا يَكُونُ ٱلرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ : ٱلْكِبْرُ مِنْهُ مَأْمُونًا • وَٱلْخَيْرُ فِيهِ مَأْمُولًا • يَقْتَدِي بِأَهْلِ ٱلْأَدَبِ مِنْ قَبْلِهِ فَهُوَ إِمَامٌ لِمَنْ بَعْدَهُ • وَحَتَّى يَكُونَ ٱلذُّلُّ فِي طَاعَةِ ٱللّٰهِ أَحَبَّ

إِلَيْهِ مِنَ ٱلْعِزِّ فِي مَعْصِيَةِ ٱللهِ . وَحَتَّى يَكُونَ ٱلْفَقْرُ فِي ٱلْحَلَالِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْغِنَى فِي ٱلْحَرَامِ . وَحَتَّى يَكُونَ عَيْشُهُ ٱلْقُوتَ . وَحَتَّى يَسْتَقِلَّ ٱلْكَثِيرَ مِنْ عَمَلِهِ . وَيَسْتَكْثِرَهُ مِنْ غَيْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمَ بِطَلَبِ ٱلْحَوَائِجِ قِبَلَهُ . وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلَ أَحَدًا إِلَّا رَأَى أَنَّهُ دُونَهُ

(للمستعصمي)

١٠٧ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا فِي مُخَاصَمَةٍ وَلَوْ يَكُونُ ضَعِيفَ ٱلْبَطْشِ وَٱلْجَلَدِ
فَلِلْبَعُوضَةِ فِي ٱلْجُرْحِ ٱلْمَدِيدِ يَدٌ تَنَالُ مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ يَدُ ٱلْأَسَدِ

١٠٨ (مِنَ ٱلنَّهْجِ) . كَتَبَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى ٱلْحَارِثِ ٱلْهَمْدَانِيِّ : تَمَسَّكْ بِحَبْلِ ٱلدِّينِ . وَٱنْتَصِحْهُ وَأَحِلَّ حَلَالَهُ . وَحَرِّمْ حَرَامَهُ . وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَٱعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا وَآخِرَهَا لَاحِقٌ أَوَّلَهَا . وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ . وَعَظِّمِ ٱسْمَ ٱللهِ لَا تَذْكُرْهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ . وَأَكْثِرْ ذِكْرَ ٱلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ . وَلَا تَتَمَنَّ ٱلْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ . وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ . وَيَكْرَهُهُ لِعَامَّةِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ فِي ٱلسِّرِّ وَيُسْتَحَيَا مِنْهُ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ . وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ صَاحِبُهُ عَنْهُ أَنْكَرَهُ وَٱعْتَذَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبَالِ ٱلْقَوْمِ . وَلَا تُحَدِّثْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ فَكَفَى بِذٰلِكَ كَذِبًا . وَلَا تَرُدَّ عَلَى ٱلنَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذٰلِكَ جَهْلًا . وَٱكْظِمِ ٱلْغَيْظَ . وَٱحْلُمْ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ .

وَتَجاوَزْ عِندَ ٱلْقُدْرَةِ . وَٱصْفَحْ عَنِ ٱلزَّلَّةِ تَكُنْ لَكَ ٱلْعاقِبَةُ . وَٱسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعمَةٍ أَنعمَ ٱللهُ بِها عَلَيْكَ . وَلا تُضِعْ نِعمَةً مِنْ نِعَمِ ٱللهِ عِندَكَ . وَلْيَبِنْ عَلَيكَ أَثَرُ ما أَنعمَ ٱللهُ بِهِ عَلَيكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفضَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَفضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفسِهِ وَأَهلِهِ ومالِهِ . وَأَنَّكَ ما تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ يَبقَ لَكَ ذَخِيرَةً . وَما تُؤَخِّرْ يَكُونُ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ . وَٱحْذَرْ صُحْبَةَ مَنْ تَقْبَلُ رَأْيَهُ وَتُنكِرُ عَمَلَهُ . فَإِنَّ ٱلصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصاحِبِهِ . وَٱحْذَرْ مَنازِلَ ٱلْغَفْلَةِ وَٱلْجَفاءِ وَقِلَّةِ ٱلْأَعوانِ عَلَى طاعَةِ ٱللهِ . وَأَقصِرْ رَأْيَكَ عَلَى ما يَعنِيكَ . وَإِيَّاكَ وَمَقاعِدَ ٱلْأَسواقِ فَإِنَّها مَحاضِرُ ٱلشَّيطانِ وَمَعارِيضُ ٱلْفِتَنِ . وَأَطِعِ ٱللهَ فِي كُلِّ أُمورِكَ فَإِنَّ طاعَةَ ٱللهِ تَعالَى فاضِلَةٌ عَلَى ما سِواها . وَإِيَّاكَ أَنْ يَنزِلَ بِكَ ٱلْمَوتُ وَأَنتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ ٱلدُّنيا . وَإِيَّاكَ وَمُصاحَبَةَ ٱلْأَشرارِ فَإِنَّ ٱلشَّرَّ بِٱلشَّرِّ يَلحَقُ . وَفِرَّ إِلَى ٱللهِ وَأَحِبَّ أَحِبَّاءَهُ . وَٱحْذَرِ ٱلْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُندٌ مِنْ جُنُودِ إِبليسَ وَٱلسَّلامُ (لبهاء الدين العاملي)

نخبة من ارجوزة ابن مكانس

١٠٩ هَلْ مِنْ فَتًى ظَرِيفٍ . مُعاشِرٍ لَطِيفٍ . يَسْمَعُ مِنْ مَقالِي . ما يُرْخِصُ ٱللَّآلِي . أَمْنَحُهُ وَصِيَّهْ . سارِيَةً سَرِيَّهْ . تُنِيرُ فِي ٱلدَّياجِي . كَلُمعَةِ ٱلسِّراجِ . رَشِيقَةَ ٱلْأَلفاظِ . تَسهُلُ لِلْحُفَّاظِ . جادَتْ بِها ٱلْقَرِيحَهْ . فِي مَعْرِضِ ٱلنَّصِيحَهْ . أَنا ٱلشَّفِيقُ ٱلنَّاصِحُ . أَنا ٱلْمُجِدُّ ٱلْمازِحُ . إِنْ تَبْتَغِ ٱلْكَرامَهْ . وَتَطْلُبِ ٱلسَّلامَهْ . أَسْلُكْ مَعَ ٱلنَّاسِ ٱلْأَدَبْ . تَرَى مِنَ ٱلدَّهْرِ ٱلْعَجَبْ .

لِنْ لَهُمُ ٱلْخِطَابَا . وَٱعْتَمِدِ ٱلْآدَابَا . تَنَلْ بِهَا ٱلطِّلَابَا . وَتَسْحَرِ ٱلْأَلْبَابَا .
وَلَا تُطَاوِلْ بِنَشَبْ . وَلَا تُفَاخِرْ بِنَسَبْ . فَٱلْمَرْءُ إِبْنُ ٱلْيَوْمِ . وَٱلْعَقْلُ
زَيْنُ ٱلْقَوْمِ . مَا أَرْوَضَ ٱلسِّيَاسَهْ . لِصَاحِبِ ٱلرِّئَاسَهْ . إِنْ شِئْتَ تُلْفَى
مُحْسِنَا . فَلَا تَقُلْ يَوْمًا أَنَا . أَلْعِزُّ فِي ٱلْأَمَانَهْ . وَٱلْكَيْسُ فِي ٱلْفَطَانَهْ .
أَلْقَصْدُ بَابُ ٱلْبَرَكَهْ . وَٱلْخُرْقُ دَاعِي ٱلْهَلَكَهْ . لَا تُغْضِبِ ٱلْجَلِيسَا .
لَا تُوحِشِ ٱلْأَنِيسَا . لَا تَصْحَبِ ٱلْخَسِيسَا . لَا تُسْخِطِ ٱلرَّئِيسَا . لَا تُكْثِرِ
ٱلْعِتَابَا . تُنَفِّرِ ٱلْأَصْحَابَا . فَكَثْرَةُ ٱلْمُعَاتَبَهْ . تَدْعُو إِلَى ٱلْمُجَانَبَهْ . وَإِنْ
حَلَلْتَ مَجْلِسَا . بَيْنَ سَرَاةٍ رُؤَسَا . إِقْصِدْ رِضَا ٱلْجَمَاعَهْ . وَكُنْ غُلَامَ
ٱلطَّاعَهْ . وَدَارِهِمْ بِٱللُّطْفِ . وَٱحْذَرْ وَبَالَ ٱلسُّخْفِ . وَٱخْتَصِرِ ٱلسُّؤَالَا .
وَقَلِّلِ ٱلْمَقَالَا . وَلَا تَكُنْ مُعَرْبِدَا . وَلَا بَغِيضًا نَكِدَا . لَا تَحْمِلِ ٱلطَّعَامَا .
وَٱلنُّقْلَ وَٱلْمُدَامَا . فَذَاكَ فِي ٱلْوَلِيمَهْ . شَنَاعَةٌ عَظِيمَهْ . لَا يَرْتَضِيهَا آدَمِي .
غَيْرُ مُقِلٍّ عَادِمِ . وَقُلْ مِنَ ٱلْكَلَامِ . مَا لَاقَ بِٱلْمُدَامِ . كَرَائِقِ ٱلْأَشْعَارِ .
وَطَيِّبِ ٱلْأَخْبَارِ . وَٱتْرُكْ كَلَامَ ٱلسَّفَلَهْ . وَٱلنُّكَتَ ٱلْمُبْتَذَلَهْ . إِيَّاكَ
وَٱلتَّطْفِيلَا . وَشُؤْمَهُ ٱلْوَبِيلَا . وَلَا تَكُنْ مَبْذُولَا . وَلَا تَكُنْ مَلُولَا . أَلْبُخْلَ لَا
تَأْلَفْهُ . وَٱلْخِلَّ لَا تَصْدِفْهُ . وَلَا تَقُلْ لِمَنْ تُحِبْ . ضَيْفُ ٱلْكِرَامِ
يَصْطَحِبْ . وَلَا تَكُنْ مِلْحَاحَا . وَٱجْتَنِبِ ٱلْمُزَاحَا . فَكَثْرَةُ ٱلْمُجُونِ . نَوْعٌ
مِنَ ٱلْجُنُونِ . فَٱلشُّؤْمُ فِي ٱللَّجَاجِ . وَٱلْحُرُّ لَا يُدَاجِي . وَهٰذِهِ ٱلْوَصِيَّهْ .
لِلْأَنْفُسِ ٱلْأَبِيَّهْ . أَخْتَارُهَا لِنَفْسِي . وَإِخْوَتِي وَجِنْسِي . فَهَاكَهَا وَصِيَّهْ .
تَصْحَبُهَا ٱلتَّحِيَّهْ . تَحْمِلُهَا ٱلْكِرَامُ . إِلَيْكَ وَٱلسَّلَامُ

١١٠ إِنِّي نَاصِحُكَ بِبَعْضِ نَصَائِحَ اقْبَلْهَا مِنِّي لِئَلَّا يَكُونَ عِلْمُكَ خَصْمًا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . تَعْمَلُ مِنْهَا وَتَدَعُ مِنْهَا . وَأَمَّا مَا تَدَعُ فَالْأَوَّلُ أَنْ لَا تُنَاظِرَ أَحَدًا فِي مَسْأَلَةٍ مَا اسْتَطَعْتَ . لِأَنَّ فِيهَا آفَةً كَثِيرَةً وَإِثْمُهَا فِي نَفْعِهَا كَبِيرٌ إِذْ هِيَ مَنْبَعُ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ كَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْمُبَاهَاةِ وَغَيْرِهَا . نَعَمْ لَوْ وَقَعَ مَسْأَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ وَكَانَ إِرَادَتُكَ فِيهَا أَنْ تُظْهِرَ الْحَقَّ جَازَ لَكَ الْبَحْثُ لَكِنْ لِتِلْكَ الْإِرَادَةِ عَلَامَتَانِ . إِحْدَاهُمَا أَنْ لَا تُفَرِّقَ بَيْنَ أَنْ يَنْكَشِفَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ . وَثَانِيَتُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْبَحْثُ فِي الْخَلَاءِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلَإِ . وَالثَّانِي مِمَّا تَدَعُ وَهُوَ أَنْ تَحْذَرَ وَتَحْتَرِزَ مِنْ أَنْ تَكُونَ وَاعِظًا وَمُذَكِّرًا لِأَنَّ آفَتَهُ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنْ تَعْمَلَ بِمَا تَقُولُ أَوَّلًا ثُمَّ تَعِظَ بِهِ النَّاسَ فَتَفَكَّرْ فِيمَا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : عِظْ نَفْسَكَ فَإِنِ اتَّعَظَتْ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلَّا فَاسْتَحْيِي رَبَّكَ إِنِ ابْتُلِيتَ بِهٰذَا الْعَمَلِ

وَأَمَّا مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ . فَالْأَوَّلُ أَنْ تَجْعَلَ مُعَامَلَتَكَ مَعَ اللهِ تَعَالَى . بِحَيْثُ لَوْ عَمِلَ مَعَكَ بِهَا عَبْدُكَ تَرْضَى بِهَا مِنْهُ . وَلَا يَضِيقُ خَاطِرُكَ عَلَيْهِ وَلَا تَغْضَبُ . وَمَا لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْ عَبْدِكَ الْمَجَازِيِّ فَلَا تَرْضَ بِهِ لِلّٰهِ تَعَالَى وَهُوَ سَيِّدُكَ الْحَقِيقِيُّ . وَالثَّانِي كُلَّمَا عَمِلْتَ بِالنَّاسِ اجْعَلْ كَمَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ . لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ حَتَّى يُحِبَّ لِسَائِرِ النَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَالثَّالِثُ إِذَا قَرَأْتَ الْعِلْ

أَوْ طَالَعْتَهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمًا يُصْلِحُ قَلْبَكَ وَيُزَكِّي نَفْسَكَ

(ايها الولد للغزالي)

(من كلام موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي)

١١١ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى مَنَامِكَ . وَتَنْظُرَ مَا اكْتَسَبْتَ فِي يَوْمِكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَتَشْكُرَ اللّٰهَ عَلَيْهَا . وَمَا اكْتَسَبْتَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَتَسْتَغْفِرَ اللّٰهَ مِنْهَا وَتُقْلِعَ عَنْهَا . وَتُرَتِّبَ فِي نَفْسِكَ مَا تَعْمَلُهُ فِي غَدِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ . وَتَسْأَلَ اللّٰهَ الْإِعَانَةَ عَلَى ذٰلِكَ

وَقَالَ : أُوصِيكَ أَلَّا تَأْخُذَ الْعُلُومَ مِنَ الْكُتُبِ وَإِنْ وَثِقْتَ مِنْ نَفْسِكَ بِقُوَّةِ الْفَهْمِ . وَعَلَيْكَ بِالْأَسَاتِذِينِ فِي كُلِّ عِلْمٍ تَطْلُبُ اكْتِسَابَهُ . وَلَوْ كَانَ الْأُسْتَاذُ نَاقِصًا فَخُذْ عَنْهُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى تَجِدَ أَكْمَلَ مِنْهُ . وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِهِ وَتَرْجِيبِهِ وَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُفِيدَهُ مِنْ دُنْيَاكَ فَافْعَلْ . وَإِلَّا فَبِلِسَانِكَ وَثَنَائِكَ . وَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابًا فَاحْرِصْ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ تَسْتَظْهِرَهُ وَتَمْلِكَ مَعْنَاهُ . وَتَوَهَّمْ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ عُدِمَ وَأَنَّكَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ وَلَا تَحْزَنْ لِفَقْدِهِ

وَإِذَا كُنْتَ مُكِبًّا عَلَى دِرَاسَةِ كِتَابٍ وَتَفَهُّمِهِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِآخَرَ مَعَهُ . وَاصْرِفِ الزَّمَانَ الَّذِي تُرِيدُ صَرْفَهُ فِي غَيْرِهِ إِلَيْهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِعِلْمَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً . وَوَاظِبْ عَلَى الْعِلْمِ الْوَاحِدِ سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ أَوْ مَا شَاءَ اللّٰهُ . وَإِذَا قَضَيْتَ مِنْهُ وَطَرَكَ . فَانْتَقِلْ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ

وَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ إِذَا حَصَّلْتَ عِلْمًا فَقَدِ اكْتَفَيْتَ . بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى مُرَاعَاتِهِ لِيَنْمِيَ وَلَا يَنْقُصَ . وَمُرَاعَاتُهُ تَكُونُ بِالْمُذَاكَرَةِ وَالتَّفَكُّرِ وَاشْتِغَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالتَّحَفُّظِ وَالتَّعَلُّمِ وَمُبَاحَثَةِ الْأَقْرَانِ وَاشْتِغَالِ الْعَالِمِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ . وَإِذَا تَصَدَّيْتَ لِتَعْلِيمِ عِلْمٍ أَوْ لِلْمُنَاظَرَةِ فِيهِ فَلَا تَمْزُجْ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ . فَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ مُكْتَفٍ بِنَفْسِهِ مُسْتَغْنٍ عَنْ غَيْرِهِ . فَإِنَّ اسْتِعَانَتَكَ فِي عِلْمٍ بِعِلْمٍ عَجْزٌ عَنِ اسْتِيفَاءِ أَقْسَامِهِ كَمَنْ يَسْتَعِينُ بِلُغَةٍ فِي لُغَةٍ أُخْرَى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ أَوْ جَهِلَ بَعْضَهَا

قَالَ : وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقْرَأَ التَّوَارِيخَ وَأَنْ يَطَّلِعَ عَلَى السِّيَرِ وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ . فَيَصِيرُ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي عُمْرِهِ الْقَصِيرِ قَدْ أَدْرَكَ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ وَعَاصَرَهُمْ وَعَاشَرَهُمْ وَعَرَفَ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ

قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ اتِّهَامُكَ لِنَفْسِكَ وَلَا تُحْسِنَ الظَّنَّ بِهَا . وَتَعْرِضَ خَوَاطِرَكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ . وَتَثَبَّتْ وَلَا تَعْجَلْ وَلَا تُعْجَبْ . فَمَعَ الْعُجْبِ الْعِثَارُ وَمَعَ الْاِسْتِبْدَادِ الزَّلَلُ . وَمَنْ لَمْ يَعْرَقْ جَبِينُهُ إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَعْرَقْ فِي الْفَضِيلَةِ . وَمَنْ لَمْ يُخَجِّلُوهُ لَمْ يُبَجِّلْهُ النَّاسُ . وَمَنْ لَمْ يُبَكِّتُوهُ . لَمْ يَسُدْ . وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ أَلَمَ التَّعَلُّمِ . لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ . وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ . لَمْ يُفْلِحْ . وَإِذَا خَلَوْتَ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَكُّرِ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَبِتَسَابِيحِهِ . وَخَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ فَيَتَشَرَّبَهُ لُبُّكَ وَيُعْجَنَ فِي خَيَالِكَ . وَتَتَكَلَّمَ بِهِ فِي مَنَامِكَ . وَإِذَا حَدَثَ لَكَ فَرَحٌ وَسُرُورٌ بِبَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا فَاذْكُرِ الْمَوْتَ وَسُرْعَةَ

الزَّوالِ وأصْنافَ المنغِّصاتِ . وإذا أحزنَكَ أمرٌ فاسترجِعْ . وإذا اعترتكَ غفلةٌ فاستغفِرْ . فاجعلِ الموتَ نُصبَ عينِكَ والعلمَ والتُّقى زادَكَ إلى الآخرةِ . وإذا أردتَ أنْ تعصيَ اللهَ تعالى فاطلبْ مكانًا لا يراكَ فيهِ . واعلمْ أنَّ النَّاسَ عيونُ اللهِ على العبدِ يُريهم خيرَهُ وإنْ أخفاهُ . وشرَّهُ وإنْ سترَهُ . فباطنُهُ مكشوفٌ للهِ . واللهُ يكشفُهُ لعبادِهِ . فعليكَ أنْ تجعلَ باطنَكَ خيرًا منْ ظاهرِكَ . وسرَّكَ أصحَّ منْ علانيتِكَ

ولا تتألَّمْ إذا أعرضتْ عنكَ الدُّنيا . ولو عرضتْ لكَ لشغلتْكَ عنْ كسبِ الفضائلِ . وقلَّما يتعلَّقُ في العلمِ ذو الثَّروةِ إلَّا أنْ يكونَ شريفَ الهمَّةِ جدًّا . وأنْ يُثريَ قبلَ تحصيلِ العلمِ . وإنِّي لا أقولُ : إنَّ الدُّنيا تُعرِضُ عنْ طالبِ العلمِ بلْ هوَ الَّذي يُعرِضُ عنها . لأنَّ همَّتَهُ مصروفةٌ إلى العلمِ فلا يبقى لهُ التفاتٌ إلى الدُّنيا . والدُّنيا إنَّما تحصلُ بحرصٍ وفكرٍ في وجوهِها . فإذا غفلَ عنْ أسبابِها لمْ تأتِهِ . وأيضًا فإنَّ طالبَ العلمِ تشرُفُ نفسُهُ عنِ الصَّنائعِ الرَّذلةِ والمكاسبِ الدَّنيَّةِ . وعنْ أصنافِ التِّجاراتِ . وعنِ التَّذلُّلِ لأربابِ الدُّنيا . والوقوفِ على أبوابِهمْ . ولبعضِ إخوانِنا بيتٌ :

مَنْ جدَّ في طلبِ العلومِ أفادَهُ   شرفَ العلومِ دناءةُ التَّحصيلِ

وجميعُ طرقِ مكاسبِ الدُّنيا تحتاجُ إلى فراغٍ لها . وحذقٍ فيها . وصرفِ الزَّمانِ إليها . والمشتغلُ بالعلمِ لا يسعُهُ شيءٌ منْ ذلكَ .

وَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَنْ تَأْتِيَهُ ٱلدُّنْيَا بِلَا سَبَبٍ . وَتَطْلُبَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْلُبَهَا طَلَبَ مِثْلِهَا . وَهٰذَا ظُلْمٌ مِنْهُ وَعُدْوَانٌ . وَلٰكِنْ إِذَا تَمَكَّنَ ٱلرَّجُلُ فِي ٱلْعِلْمِ وَشُهْرَتِهِ خُطِبَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلْمَنَاصِبُ وَجَاءَتْهُ ٱلدُّنْيَا صَاغِرَةً فَأَخَذَ مَا أَهْدَتْهُ وَمَاءُ وَجْهِهِ مُوَفَّرٌ . وَعِرْضُهُ وَدِينُهُ مَصُونٌ

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِلْعِلْمِ عَبَقَةً وَعَرْفًا يُنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ . وَنُورًا وَضِيَاءً يُشْرِقُ عَلَيْهِ وَيَدِلُّ عَلَيْهِ . كَتَاجِرِ مِسْكٍ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ . وَلَا تُجْهَلُ بِضَاعَتُهُ . وَكَمَنْ يَمْشِي بِمِشْعَلٍ فِي لَيْلٍ مُدْلَهِمٍّ . وَٱلْعَالِمُ مَعَ هٰذَا مَحْبُوبٌ أَيْنَ مَا كَانَ . وَكَيْفَ مَا كَانَ لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ . وَيُؤْثِرُ قُرْبَهُ وَيَأْنَسُ بِهِ . وَيَرْتَاحُ بِمُدَانَاتِهِ

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْعُلُومَ تَغُورُ . ثُمَّ تَنُورُ . تَغُورُ فِي زَمَانٍ . وَتَفُورُ فِي زَمَانٍ . بِمَنْزِلَةِ ٱلنَّبَاتِ أَوْ عُيُونِ ٱلْمِيَاهِ . وَتَنْتَقِلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ . وَمِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ

قَالَ : ٱجْعَلْ كَلَامَكَ فِي ٱلْغَالِبِ بِصِفَاتِ أَنْ يَكُونَ وَجِيزًا فَصِيحًا فِي مَعْنًى مُهِمٍّ أَوْ مُسْتَحْسَنٍ . فِيهِ إِلْغَازٌ مَا وَإِبْهَامٌ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ . وَلَا تَجْعَلْهُ مُهْمَلًا كَكَلَامِ ٱلْجُمْهُورِ بَلْ رَفِّعْهُ عَنْهُمْ وَلَا تُبَاعِدْهُ عَلَيْهِمْ جِدًّا

وَقَالَ : إِيَّاكَ وَٱلْهَذَرَ وَٱلْكَلَامَ فِيمَا لَا يَعْنِي . وَإِيَّاكَ وَٱلسُّكُوتَ فِي مَحَلِّ ٱلْحَاجَةِ وَرُجُوعِ ٱلنَّوْبَةِ إِلَيْكَ . إِمَّا لِٱسْتِخْرَاجِ حَقٍّ . أَوِ ٱجْتِلَابِ مَوَدَّةٍ . أَوْ تَنْبِيهٍ عَلَى فَضِيلَةٍ . وَإِيَّاكَ وَٱلضَّحِكَ مَعَ كَلَامِكَ . وَكَثْرَةَ ٱلْكَلَامِ . وَتَبْتِيرَ ٱلْكَلَامِ . بَلِ ٱجْعَلْ كَلَامَكَ سَرْدًا بِسُكُونٍ وَوَقَارٍ .

بحيث يُستشعر منك أن وراءه أكثر منه . وأنه عن خبرةٍ سابقةٍ . ونظرٍ متقدم

وقال : إياك الغلظة في الخطاب . والجفاء في المناظرة فإن ذلك يذهب بهجة الكلام ويُسقط فائدته . ويعدم حلاوته . ويجلب الضغائن . ويمحق المودات . ويصير القائل مستثقلا . سكوته أشهى إلى السامع من كلامه . ويثير النفوس على معاندته ويبسط الألسن بمخاشنته وإذهاب حرمته

وقال : لا تترفع بحيث تُستثقل . ولا تتنازل بحيث تُستخس وتُستحقر . وقال : اجعل كلامك كله جدلا . وأجب من حيث تعقل . لا من حيث تعتاد وتألف . وقال : انترح عن عادات الصبا . وتجرد عن مألوفات الطبيعة . واجعل كلامك لاهوتيا في الغالب لا ينفك عن خبرٍ أو قولٍ حكيم . أو بيتٍ نادرٍ . أو مثلٍ سائر

وقال : تجنب الوقيعة في الناس . وثلب الملوك والغلظة على المعاشر . وكثرة الغضب . وتجاوز الحد فيه . وقال : استكثر من حفظ الأشعار الأمثالية . والنوادر الحكمية . والمعاني المستغربة

أَلْبَابُ ٱلرَّابِعُ
فِي ٱلْأَمْثَالِ ٱلسَّائِرَةِ

من نثر اللآلي لعليّ بن أبي طالب

١١٢ (ا) . إِيمَانُ ٱلْمَرْءِ يُعْرَفُ بِأَيْمَانِهِ . أَدَبُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَبِهِ . أَدَاءُ ٱلدَّيْنِ مِنَ ٱلدِّينِ . أَحْسِنْ إِلَى ٱلْمُسِيءِ تَسُدْ . إِخْوَانُ هٰذَا ٱلزَّمَانِ جَوَاسِيسُ ٱلْعُيُوبِ . أَخُوكَ مَنْ وَاسَاكَ بِنَشَبٍ لَا مَنْ وَاسَاكَ بِنَسَبٍ . (ب) . بَشِّرْ نَفْسَكَ بِٱلظَّفَرِ بَعْدَ ٱلصَّبْرِ . بَرَكَةُ ٱلْمَالِ فِي أَدَاءِ ٱلزَّكَاةِ . بِعِ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ تَرْبَحْ . بُكَاءُ ٱلْمَرْءِ مِنْ خَشْيَةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى قُرَّةُ ٱلْعَيْنِ . بَاكِرْ تَسْعَدْ . بَطْنُ ٱلْمَرْءِ عَدُوُّهُ . بَرَكَةُ ٱلْعُمْرِ حُسْنُ ٱلْعَمَلِ . بَلَاءُ ٱلْإِنْسَانِ مِنَ ٱللِّسَانِ . بَشَاشَةُ ٱلْوَجْهِ عَطِيَّةٌ ثَانِيَةٌ . (ت) . تَوَكَّلْ عَلَى ٱللّٰهِ يَكْفِكَ . تَدَارَكْ فِي آخِرِ ٱلْعُمْرِ مَا فَاتَكَ فِي أَوَّلِهِ . تَكَاسُلُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلصَّلَاةِ مِنْ ضَعْفِ ٱلْإِيمَانِ . تَغَافَلْ عَنِ ٱلْمَكْرُوهِ تُوَقَّرْ . (ث) ثُلْمَةُ ٱلدِّينِ مَوْتُ ٱلْعُلَمَاءِ . ثَبَاتُ ٱلْمُلْكِ بِٱلْعَدْلِ . ثَوَابُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ نَعِيمِ ٱلدُّنْيَا . ثَنَاءُ ٱلرَّجُلِ عَلَى مُعْطِيهِ مُسْتَزِيدٌ . (ج) . جُدْ بِمَا تَجِدُ . جَوْلَةُ ٱلْبَاطِلِ سَاعَةٌ وَجَوْلَةُ ٱلْحَقِّ إِلَى قِيَامِ ٱلسَّاعَةِ . جَوْدَةُ ٱلْكَلَامِ فِي ٱلْاخْتِصَارِ . جَلِيسُ ٱلْمَرْءِ مِثْلُهُ . جَلِيسُ ٱلْمَرْءِ غَنِيمَةٌ . جَالِسِ ٱلْفُقَرَاءَ تَزْدَدْ شُكْرًا . جَلَّ مَنْ لَا يَمُوتُ . (ح) . حَيَاءُ ٱلْمَرْءِ سِتْرُهُ . حُمُوضَاتُ ٱلطَّعَامِ خَيْرٌ مِنْ حُمُوضَاتِ ٱلْكَلَامِ . (خ) . خَفِ ٱللّٰهَ تَأْمَنْ غَيْرَهُ .

خَالِفْ نَفْسَكَ تَسْتَرِحْ . خَيْرُ ٱلْأَصْحَابِ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَى ٱلْخَيْرِ . خَلِيلُ ٱلْمَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ . خَوْفُ ٱللهِ يَجْلُو ٱلْقَلْبَ . خُلُوُّ ٱلْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ مَلْءِ ٱلْكِيسِ . خَيْرُ ٱلْمَالِ مَا أُنْفِقَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ . (د) . دَلِيلُ عَقْلِ ٱلْمَرْءِ فِعْلُهُ وَدَلِيلُ عِلْمِهِ قَوْلُهُ . دَوَامُ ٱلسُّرُورِ بِرُؤْيَةِ ٱلْإِخْوَانِ . دَوْلَةُ ٱلْأَرْذَالِ آفَةُ ٱلرِّجَالِ . دِينُ ٱلرَّجُلِ حَدِيثُهُ . دَوْلَةُ ٱلْمُلُوكِ فِي ٱلْعَدْلِ . دَارِ مَنْ جَفَاكَ تَخْجِيلًا . دُمْ عَلَى كَظْمِ ٱلْغَيْظِ تُحْمَدْ عَوَاقِبُكَ . (ذ) . ذَنْبٌ وَاحِدٌ كَثِيرٌ وَذِكْرٌ وَأَلْفُ طَاعَةٍ قَلِيلٌ . ذِكْرُ ٱلْأَوْلِيَاءِ يُنْزِلُ ٱلرَّحْمَةَ . ذَلِيلُ ٱلْخُلُقِ عَزِيزٌ عِنْدَ ٱللهِ . ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ جَلَاءُ ٱلْقَلْبِ . ذِكْرُ ٱلشَّبَابِ حَسْرَةٌ . (ر) . رُؤْيَةُ ٱلْحَبِيبِ جَلَاءُ ٱلْعَيْنِ . رَفَاهِيَةُ ٱلْعَيْشِ فِي ٱلْأَمْنِ . رَسُولُ ٱلْمَوْتِ ٱلْوِلَادَةُ . (ز) . زِيَارَةُ ٱلْحَبِيبِ إِطْرَاءُ ٱلْمَحَبَّةِ . زَوَايَا ٱلدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِٱلرَّزَايَا . زِيَارَةُ ٱلضُّعَفَاءِ مِنَ ٱلتَّوَاضُعِ . زِينَةُ ٱلْبَاطِنِ خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ ٱلظَّاهِرِ . (س) . سِيرَةُ ٱلْمَرْءِ تُنْبِئُ عَنْ سَرِيرَتِهِ . سُمُوُّ ٱلْمَرْءِ ٱلتَّوَاضُعُ . (ش) . شَيْنُ ٱلْعِلْمِ ٱلصَّلَفُ . شَمِّرُوا فِي طَلَبِ ٱلْجَنَّةِ . شَيْبُكَ نَاعِيكَ . شَحِيحٌ غَنِيٌّ أَفْقَرُ مِنْ فَقِيرٍ سَخِيٍّ . (ص) . صِدْقُ ٱلْمَرْءِ نَجَاتُهُ . صِحَّةُ ٱلْبَدَنِ فِي ٱلصَّوْمِ . أَلصَّبْرُ يُورِثُ ٱلظَّفَرَ . صَلَاةُ ٱللَّيْلِ بَهَاءُ ٱلنَّهَارِ . صَلَاحُ ٱلْإِنْسَانِ فِي حِفْظِ ٱللِّسَانِ . صَاحِبِ ٱلْأَخْيَارَ تَأْمَنِ ٱلْأَشْرَارَ . صَمْتُ ٱلْجَاهِلِ سِتْرُهُ . صَلَاحُ ٱلدِّينِ فِي ٱلْوَرَعِ وَفَسَادُهُ فِي ٱلطَّمَعِ . (ض) . ضَلَّ سَعْيُ مَنْ رَجَا غَيْرَ ٱللهِ تَعَالَى . ضَرْبُ ٱلْحَبِيبِ أَوْجَعُ . ضَلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى ٱلْأَشْرَارِ . (ط) . طَابَ مَنْ وَثِقَ بِٱللهِ . طَلَبُ

ٱلْأَدَبِ أَوْلَى مِنْ طَلَبِ ٱلذَّهَبِ . (ظ) . ظُلْمُ ٱلْمَرْءِ يَصْرَعُهُ . ظُلَامَةُ ٱلْمَظْلُومِ لَا تَضِيعُ . ظَمَأُ ٱلْمَالِ أَشَدُّ مِنْ ظَمَإِ ٱلْمَاءِ . ظِلُّ عُمْرِ ٱلظَّالِمِ قَصِيرٌ . وَظِلُّ عُمْرِ ٱلْكَرِيمِ فَسِيحٌ . (ع) . عِشْ قَنِعًا تَكُنْ مَلِكًا . عَيْبُ ٱلْكَلَامِ تَطْوِيلُهُ . عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِ وَخِيمَةٌ . (غ) . غَدَرَكَ مَنْ دَلَّكَ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ . (ف) . فَازَ مَنْ ظَفِرَ بِٱلدِّينِ . فَخْرُ ٱلْمَرْءِ بِفَضْلِهِ . أَوْلَى مِنْ فَخْرِهِ بِأَصْلِهِ . فَازَ مَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ . فَسَدَتْ نِعْمَةُ مَنْ كَفَرَهَا . (ق) . قَبُولُ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلدِّينِ . (ك) . كَلَامُ ٱللهِ دَوَاءُ ٱلْقَلْبِ . كُفْرَانُ ٱلنِّعْمَةِ مُزِيلُهَا . كَفَى بِٱلشَّيْبِ دَاءً . كَمَالُ ٱلْعِلْمِ فِي ٱلْحِلْمِ . (ل) . لِينُ ٱلْكَلَامِ قَيْدُ ٱلْقُلُوبِ . (م) . مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ . كَثُرَ مَلَامُهُ . مَجْلِسُ ٱلْعِلْمِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ . مُصَاحَبَةُ ٱلْأَشْرَارِ رُكُوبُ ٱلْبَحْرِ . (ن) . نِسْيَانُ ٱلْمَوْتِ صَدَأُ ٱلْقَلْبِ . نَمْ آمِنًا تَكُنْ فِي أَمْهَدِ ٱلْفُرُشِ . نَضْرَةُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلصِّدْقِ . (و) . وِلَايَةُ ٱلْأَحْمَقِ سَرِيعَةُ ٱلزَّوَالِ . وَحْدَةُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ ٱلسُّوءِ . (ه) . هَمُّ ٱلسَّعِيدِ آخِرَتُهُ وَهَمُّ ٱلشَّقِيِّ دُنْيَاهُ . هَلَاكُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْعُجْبِ . هَرَبُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْفَعُ مِنْ هَرَبِكَ مِنَ ٱلْأَسَدِ . (لا) . لَا دِينَ لِمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ . لَا فَقْرَ لِلْعَاقِلِ . (ي) . يَعْمَلُ ٱلنَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ فِتْنَةَ أَشْهُرٍ . يَسُودُ ٱلْمَرْءُ قَوْمَهُ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ

نبذة

من كتاب غُرَر الحكم ودُرَر الكلم جمعهُ عبد الواحد بن محمد من كلام علي بن أبي طالب

١١٣ (ا) . أَلدِّينُ يَعْصِمُ . أَلدُّنْيَا تُسْلِمُ . أَلصِّيَانَةُ رَأْسُ ٱلْمُرُوءَةِ . أَلْحَقُّ

سَيفٌ قَاطِعٌ . أَلْعُجْبُ عُنْوَانُ الْحَمَاقَةِ . أَلْبَشَاشَةُ حَبلُ الْمَوَدَّةِ . أَلِارْتِقَاءُ إِلَى الْفَضَائِلِ صَعْبٌ . أَلِانْحِطَاطُ إِلَى الرَّذَائِلِ سَهلٌ . أَلسُّكُوتُ عَنِ الْأَحْمَقِ جَوَابُهُ . إِمَامٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ . أَلْمُحْسِنُ حَيٌّ وَإِنْ نُقِلَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَمْوَاتِ . أَلعَاقِلُ إِذَا سَكَتَ فَكَّرَ . وَإِذَا نَطَقَ ذَكَّرَ وَإِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ . أَلدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالْقَوْسِ بِلَا وَتَرٍ . إِعْجَابُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عُنْوَانُ ضُعْفِ عَقْلِهِ . أَحْسَنُ الْجُودِ عَفْوٌ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ . (ب) . بِرُكُوبِ الْأَهْوَالِ . تُكْسَبُ الْأَمْوَالُ . بِالسَّخَاءِ يُسْتَرُ الْعُيُوبُ . (ت) . تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . (ث) . ثَوْبُ التُّقَى أَشْرَفُ الْمَلَابِسِ . ثَوْبُ الْآخِرَةِ يُنْسِي مَشَقَّةَ الدُّنْيَا . ثَرْوَةُ الْعَاقِلِ فِي عِلْمِهِ وَثَرْوَةُ الْجَاهِلِ فِي مَالِهِ . ثَلَاثٌ يُوجِبْنَ الْمَحَبَّةَ الدِّينُ وَالتَّوَاضُعُ وَالسَّخَاءُ . (ج) . جِهَادُ النَّفْسِ أَفْضَلُ الْجِهَادِ . (ح) . حُسْنُ الْأَدَبِ يَسْتُرُ قُبْحَ النَّسَبِ . حَلَاوَةُ الظَّفَرِ تَمْحُو مَرَارَةَ الصَّبْرِ . حَدُّ اللِّسَانِ يَقْطَعُ الْأَوْصَالَ . (خ) . خَيْرُ الثَّنَاءِ مَا جَرَى عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَخْيَارِ . (د) . دَوَامُ الْفِتَنِ . مِنْ أَعْظَمِ الْمِحَنِ . (ر) . رُبَّ سُكُوتٍ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامٍ . (ز) . زَلَّةُ الْعَالِمِ كَانْكِسَارِ السَّفِينَةِ تَغْرَقُ وَتُغْرِقُ مَعَهَا غَيْرَهَا . زَخَارِفُ الدُّنْيَا تُفْسِدُ الْعُقُولَ الضَّعِيفَةَ . (س) . سِلَاحُ اللِّئَامِ قُبْحُ الْكَلَامِ . سَمْعُ الْأُذُنِ لَا يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ . (ش) . شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئاً . شَيْئَانِ لَا يُعْرَفُ فَضْلُهُمَا إِلَّا مِنْ فَقْدِهِمَا الشَّبَابُ وَالْعَافِيَةُ . (ص) . صَمْتُكَ حَتَّى تُسْتَنْطَقَ أَجْمَلُ مِنْ

نُطْقَكَ حَتَّى تُسْكَتَ . صَوْمُ ٱلنَّفْسِ عَنْ لَذَّاتِ ٱلدُّنْيَا أَفْضَلُ ٱلصِّيَامِ . صَدْرُ ٱلْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ . (ض) . ضَعْ فَخْرَكَ وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . ضَعْفُ ٱلْبَصَرِ لَا يَضُرُّ مَعَ ٱسْتِنَارَةِ ٱلْبَصِيرَةِ . (ط) . طُوبَى لِمَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ تَغْلِبْهُ . وَمَلَكَ هَوَاهُ وَلَمْ يَمْلِكْهُ . طَلَبُ ٱلثَّنَاءِ بِغَيْرِ ٱسْتِحْقَاقٍ خُرْقٌ . (ظ) . ظَنُّ ٱلْعَاقِلِ أَصَحُّ مِنْ يَقِينِ ٱلْجَاهِلِ . ظَرْفُ ٱلرَّجُلِ تَنَزُّهُهُ عَنِ ٱلْمَحَارِمِ وَمُبَادَرَتُهُ إِلَى ٱلْمَكَارِمِ . (ع) . عَلَيْكَ بِٱلْآخِرَةِ تَأْتِكَ ٱلدُّنْيَا صَاغِرَةً . عِنْدَ ٱلِٱمْتِحَانِ يُكْرَمُ ٱلْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ . عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ ٱلْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ ٱلْبَقَاءِ . عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ . عَبْدُ ٱلشَّهْوَةِ أَذَلُّ مِنْ عَبْدِ ٱلرِّقِّ . عَبْدُ ٱلْمَطَامِعِ أَسِيرٌ لَا يُفَكُّ أَسْرُهُ . عَاشِرْ أَهْلَ ٱلْفَضَائِلِ تَنْبُلْ . عَدَاوَةُ ٱلْأَقَارِبِ أَمَسُّ مِنْ لَسْعِ ٱلْعَقَارِبِ . (غ) . غَايَةُ ٱلْمَعْرِفَةِ أَنْ يَعْرِفَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ . غِنَى ٱلْمُؤْمِنِ بِٱللهِ . غِنَى ٱلْعَاقِلِ فِي حِكْمَتِهِ . غِنَى ٱلْجَاهِلِ فِي قُنْيَتِهِ . (ف) . فِي ٱلذِّكْرِ حَيَاةُ ٱلْقُلُوبِ . فِي رِضَا ٱللهِ نَيْلُ ٱلْمَطْلُوبِ . فِي ٱلدُّنْيَا عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ . فِي ٱلْآخِرَةِ ٱلْحِسَابُ وَلَا عَمَلٌ . فِي ٱلِٱسْتِشَارَةِ عَيْنُ ٱلْهِدَايَةِ . فَقْدُ ٱلْبَصَرِ أَهْوَنُ مِنْ فَقْدِ ٱلْبَصِيرَةِ . (ق) . قَدْ يَبْعُدُ ٱلْقَرِيبُ . قَدْ يَلِينُ ٱلصَّلِيبُ . قِلَّةُ ٱلْأَكْلِ تَمْنَعُ كَثِيرًا مِنْ أَعْلَالِ ٱلْجِسْمِ . قُلِ ٱلْحَقَّ وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ . قَلِيلُ ٱلْحَقِّ يَدْفَعُ كَثِيرَ ٱلْبَاطِلِ كَمَا أَنَّ قَلِيلَ ٱلنَّارِ يُحْرِقُ كَثِيرَ ٱلْحَطَبِ . (ك) . كُلُّ طَيْرٍ يَأْوِي إِلَى شَكْلِهِ . كُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ . كُلُّ

وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . كَمْ يُفْتَحُ بِالصَّبْرِ مِنْ غَلَقٍ . كَيْفَ يَنْجُو مِنَ اللهِ هَارِبُهُ . كَيْفَ يَسْلَمُ مِنَ الْمَوْتِ طَالِبُهُ . كُنْ عَالِمًا نَاطِقًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَاعِيًا . كَلَامُ الرَّجُلِ مِيزَانُ عَقْلِهِ . كُلَّمَا قَارَبْتَ أَجَلًا . فَأَحْسِنْ عَمَلًا . (ل) . لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكِرَامِ . تَأْخِيرُ الْإِنْعَامِ . لِلشَّدَائِدِ تُذْخَرُ الرِّجَالُ . (م) . مَنْ تَوَقَّرَ وُقِّرَ . وَمَنْ تَكَبَّرَ حُقِّرَ . مَنِ اسْتَشَارَ الْعَاقِلَ مَلَكَ . مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ . مَا حَقَّرَ نَفْسَهُ إِلَّا عَاقِلٌ . مَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ إِلَّا جَاهِلٌ . (ن) . نِعْمَ الْإِدَامُ الْجُوعُ . (ه) . هُدِيَ مَنْ أَطَاعَ رَبَّهُ . وَخَافَ ذَنْبَهُ . هَلَكَ امْرُؤٌ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ . هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهِ لِسَانَهُ . (و) . وَقِّرُوا كِبَارَكُمْ تُوَقِّرْكُمْ صِغَارُكُمْ . وَقَارُ الشَّيْبِ أَجْمَلُ مِنْ نَضَارَةِ الشَّبَابِ . (لا) . لَا تَثِقَنَّ بِعَهْدِ مَنْ لَا دِينَ لَهُ . لَا تَعِدْ مَا تَعْجِزُ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ . لَا تَثِقْ بِمَنْ يُذِيعُ سِرَّكَ . لَا يَسْتَرِقَّكَ الطَّمَعُ فَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا . (ي) . يُسْتَدَلُّ عَلَى الْكَرِيمِ بِحُسْنِ بِشْرِهِ وَبَذْلِ خَيْرِهِ . يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّوَلِ بِأَرْبَعٍ تَضْيِيعِ الْأُصُولِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْفُرُوعِ وَتَقْدِيمِ الْأَرْذَالِ وَتَأْخِيرِ الْأَفَاضِلِ . يَبْلُغُ الصَّادِقُ بِصِدْقِهِ . مَا لَا يَبْلُغُهُ الْكَاذِبُ بِاحْتِيَالِهِ

نخبة امثال انتقاها الاتشيهي

١١٤ (ا) . إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ . حَلَّ الْبَلَاءُ . إِذَا اصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ فَاسْتُرْهُ وَإِذَا اصْطُنِعَ إِلَيْكَ فَانْشُرْهُ . أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدِ الشَّهْوَةُ دِينَهُ . أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ . أَظْهَرُ النَّاسِ مَحَبَّةً

أَحْسَنُهُمْ لِقَاءً . إِيَّاكَ وَفُضُولَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مِنْ عُيُوبِكَ مَا بَطَنَ . وَيُحَرِّكُ مِنْ عَدُوِّكَ مَا سَكَنَ . (ب) بِالتَّأَنِّي تَسْهُلُ الْمَطَالِبُ . بِخَفْضِ الْجَانِبِ تَأْنَسُ النُّفُوسُ . (ت) . ثَمَرَةُ الْعُلُومِ الْعَمَلُ بِالْمَعْلُومِ . (ح) . الْحَازِمُ مَنْ حَفِظَ مَا فِي يَدِهِ . وَلَمْ يُؤَخِّرْ شُغْلَ يَوْمِهِ لِغَدِهِ . حَقٌّ يَضُرُّ خَيْرٌ مِنْ بَاطِلٍ يَسُرُّ . (خ) خَيْرُ النَّاسِ مَنْ أَخْرَجَ الْحِرْصَ مِنْ قَلْبِهِ . وَعَصَى هَوَاهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ . خَيْرُ الْمَالِ مَا أُخِذَ مِنَ الْحَلَالِ . وَصُرِفَ فِي النَّوَالِ . (ر) الرِّفْقُ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ . (ش) . شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَنْصُرُ الظَّلُومَ وَيَخْذُلُ الْمَظْلُومَ . (ص) . صَاحِبُ الْعَقْلِ مَغْبُوطٌ . صَدَاقَةُ الْجَاهِلِ تَعَبٌ . (ع) عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ . كَدَوَاءٍ لَا يَنْجَعُ . عِظِ الْمُسِيءَ بِحُسْنِ أَفْعَالِكَ . وَدُلَّ عَلَى الْجَمِيلِ بِجَمِيلِ خِلَالِكَ . عَثْرَةُ الرِّجْلِ تُزِيلُ الْقَدَمَ . وَعَثْرَةُ اللِّسَانِ تُزِيلُ النِّعَمَ . الْعَجَلَةُ أُخْتُ النَّدَامَةِ . (ق) . قَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ . (ك) . كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ وَتَرْجُمَانُ عَقْلِهِ . كُلٌّ يَنْفِرُ مِنْ ضِدِّهِ وَيَمِيلُ إِلَى جِنْسِهِ . (ل) . لَا تَفْتَحْ بَابًا يُعْيِيكَ سَدُّهُ . أَللِّسَانُ سَيْفٌ قَاطِعٌ لَا يُؤْمَنُ حَدُّهُ . وَالْكَلَامُ سَهْمٌ نَافِذٌ لَا يُمْكِنُ رَدُّهُ . لَا يَجِدُ الْعَجُولُ فَرَحًا وَلَا الْغَضُوبُ سُرُورًا وَلَا الْمَلُولُ صَدِيقًا . لَا يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ وَدُودٍ يَمْدَحُ وَعَدُوٍّ يَقْدَحُ . (م) . مَنْ طَاعَ هَوَاهُ . بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَاهُ . مَنْ لَزِمَ الطَّمَعَ عَدِمَ الْوَرَعَ . مَنْ قَرَّبَ السَّفَلَةَ وَاطَّرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ اسْتَحَقَّ الْخِذْلَانَ . مَنْ عَفَا تَفَضَّلَ . مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ فَقَدْ حَلُمَ . مَنْ حَلُمَ فَقَدْ صَبَرَ . مَنْ صَبَرَ فَقَدْ ظَفِرَ . مَنْ

أَكْثَرَ مِنْ مَقَالِهِ سَئِمَ . وَمِنْ سُؤَالِهِ حُرِمَ . مَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ . مَنْ رَجَعَ فِي هِبَتِهِ بَالَغَ فِي خِسَّتِهِ . مَنْ جَادَ بِمَالِهِ جَلَّ . وَمَنْ جَادَ بِعِرْضِهِ ذَلَّ . مَنْ حَفَرَ حَفِيرًا لِأَخِيهِ كَانَ حَتْفُهُ فِيهِ . مَنْ قَالَ مَا لَا يَنْبَغِي سَمِعَ مَا لَا يَشْتَهِي . مَنْ لَزِمَ ٱلرُّقَادَ . عَدِمَ ٱلْمُرَادَ . مَنْ نَظَرَ فِي ٱلْعَوَاقِبِ . سَلِمَ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ . مَنْ أَسْرَعَ فِي ٱلْجَوَابِ . أَخْطَأَ فِي ٱلصَّوَابِ . مَنْ حَسُنَتْ خِصَالُهُ . طَابَ وِصَالُهُ . مَنْ عُرِفَ بِشَيْءٍ نُسِبَ إِلَيْهِ . (ن) نُصْرَةُ ٱلْحَقِّ شَرَفٌ . وَنُصْرَةُ ٱلْبَاطِلِ سَرَفٌ

نخبة امثال اوردها بهاء الدين العاملي في الكشكول

١١٥ (ا) . إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ . إِذَا هَرَبَ ٱلزَّاهِدُ مِنَ ٱلنَّاسِ فَٱطْلُبْهُ . إِذَا ذَكَرَ جَلِيسُكَ عِنْدَكَ أَحَدًا بِٱلسُّوءِ فَٱعْلَمْ أَنَّكَ ثَانِيهِ . أَفْضَلُ ٱلزَّادِ مَا تُزُوِّدَ لِلْمَعَادِ . إِنْ سَلِمْتَ مِنَ ٱلْأَسَدِ فَلَا تَطْمَعْ فِي صَيْدِهِ . أَوَّلُ ٱلْمَعْرِفَةِ ٱلِٱخْتِبَارُ . أَيْسَرُ شَيْءٍ ٱلدُّخُولُ فِي ٱلْعَدَاوَةِ وَأَصْعَبُ شَيْءٍ ٱلْخُرُوجُ مِنْهَا . (ب) . بَعْضُ ٱلْكَلَامِ . أَقْطَعُ مِنَ ٱلْحُسَامِ . (ت) . أَلتُّقَى مُلْجِمٌ . (خ) . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ . خَيْرُ سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . (د) . أَلدَّالُّ عَلَى ٱلْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ . (ر) . رُبَّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَاتٍ . أَلرِّفْقُ يُمْنٌ وَٱلْخُرْقُ شُؤْمٌ . (س) . أَلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ . (ص) . صَغِيرُ ٱلشَّرِّ يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . (ع) . عِنْدَ ٱلْغَايَةِ يُعْرَفُ ٱلسَّبْقُ . (ق) . قَبْلَ ٱلرِّمَايَةِ تُمْلَأُ ٱلْكَنَائِنُ . أَلْقَرِيبُ مَنْ قَرُبَ نَفْعُهُ . أَلْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا يَنْفُذُ ٱلْإِبَرُ . قَيِّدُوا ٱلنِّعَمَ بِٱلشُّكْرِ . (ك) . كَلْبٌ

جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ. كُلُّ مَبْذُولٍ مَمْلُولٌ. كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ فِيهِ. كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ ٱلْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ. (ل). لَا نُبْلَغُ ٱلْغَايَاتُ بِٱلْأَمَانِيِّ. لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ. لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ. لِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ. لَيْسَ مِنْكَ مَنْ غَشَّكَ. (م). مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ. مَنْ أَفْسَدَ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ فَعَلَى يَدَيْهِمَا هَلَاكُهُ. مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَتْ رِجْلُهُ بِأَجَلِهِ. مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَٱتَّقِهِ. مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ. مَنْ لَمْ تُصْلِحْهُ ٱلْكَرَامَةُ أَصْلَحَهُ ٱلْهَوَانُ. مَنْ يَزْرَعِ ٱلْمَعْرُوفَ يَحْصُدِ ٱلشُّكْرَ

١١٦ أَبْيَاتٌ تَتَمَثَّلُ بِهَا ٱلْعَرَبُ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَلْقَى ٱلْعَصَا ... فَقَدْ بَطَلَ ٱلسِّحْرُ وَٱلسَّاحِرُ
إِذَا كَانَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ بِٱلدُّفِّ مُولَعًا ... فَشِيمَةُ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ كُلِّهِمِ ٱلرَّقْصُ
إِذَا مَا أَرَادَ ٱللهُ إِهْلَاكَ نَمْلَةٍ ... سَمَتْ بِجَنَاحَيْهَا إِلَى ٱلْجَوِّ تَصْعَدُ
أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى ٱلْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا ... وَٱلشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنِعُ
أُقَلِّبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ ... يَمِيلُ مَعَ ٱلنَّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللهَ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ
إِنَّ ٱلْفَسَادَ ضِدُّهُ ٱلصَّلَاحُ ... وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ ٱلْمُزَاحُ
أَتَمَنَّى عَلَى ٱلزَّمَانِ مُحَالًا ... أَنْ تَرَى مُقْلَتَايَ طَلْعَةَ حُرِّ
إِذَا ضَاعَ شَيْءٌ بَيْنَ أُمٍّ وَبِنْتِهَا ... فَإِحْدَاهُمَا يَا صَاحِ لَا شَكَّ آخِذَهْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ ... فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسْلَمَ سَائِرُهْ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنْشِقُ ٱلشَّحِيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
إِنْتَهِزِ ٱلْفُرْصَةَ فِي حِينِهَا وَٱلْتَقِطِ ٱلْجَوْزَ إِذَا يُنْثَرْ
أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسٍ خَلَقْ
أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثُمَّ ٱطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ ٱلذَّنْبِ ذَنْبَانِ
إِذَا ٱمْتَحَنَ ٱلدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ
جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ لِيَ ٱلتَّجَارِبُ فِي وِدِّ ٱمْرِئٍ غَرَضَا
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ ٱلْقُوتُ مَا أَكْثَرَ ٱلْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ لَوْلَا ٱلدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ
أَلْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا وَٱلشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ ٱلْمَطَرْ
رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ وَسَمِينِ ٱلْجِسْمِ مَهْزُولُ ٱلْحَسَبْ
أَلرِّزْقُ يُخْطِئُ بَابَ عَاقِلِ قَوْمِهِ وَيَبِيتُ بَوَّابًا بِبَابِ ٱلْأَحْمَقِ
سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
ضَاقَتْ وَلَوْ لَمْ تَضِقْ لَمَا ٱنْفَرَجَتْ وَٱلْعُسْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَيْسُورِ
أَلْعَنْزُ لَا يَسْمَنُ إِلَّا بِٱلْعَلَفْ لَا يَسْمَنُ ٱلْعَنْزُ بِقَوْلِ ذِي لَطَفْ
فَإِنْ تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تُخَبِّرْكَ ٱلْعُيُونُ عَنِ ٱلضَّمِيرِ
فَٱقْطَعْ حَبَائِلَ خِلٍّ لَا تُلَائِمُهُ فَرُبَّمَا ضَاقَتِ ٱلدُّنْيَا بِٱثْنَيْنِ
أَلْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ ٱلْكَفَافَا مَنِ ٱتَّقَى ٱللهَ رَجَا وَخَافَا
فِي كُلِّ مُسْتَحْسَنٍ عَيْبٌ بِلَا رَيْبِ مَا يَسْلَمُ ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ مِنْ عَيْبِ
فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخَلِّدُ ٱلْمَرْءَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنَّ حَمْدَ ٱلْمَرْءِ غَيْرُ مُخَلِّدِ

قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ ٱلْخَطْوِ مَوْضِعَهَا ... فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُتَأَنِّي حُسْنَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلزَّلَلُ
قَدْ يُنْعِمُ ٱللهُ بِٱلْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي ٱللهُ بَعْضَ ٱلْقَوْمِ بِٱلنِّعَمِ
قَدْ يُدْرِكُ ٱلشَّرَفَ ٱلْفَتَى وَرِدَاؤُهُ ... خَلَقٌ وَجَيْبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ
كَانَ يُقَالُ مَنْ أَتَى خِوَانَا ... مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ هَانَا
كَذَا قَضَى ٱللهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ ... أَلصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ ٱلْكَلَامُ أَوْسَعُ
أَلْكَلْبُ لَا يُذْكَرُ فِي مَجْلِسٍ ... إِلَّا تَرَاهُ عِنْدَ مَا يُذْكَرُ
كُنْتُ فِي كُرْبَتِي أَفِرُّ إِلَيْهِمْ ... فَهُمُ كُرْبَتِي فَأَيْنَ ٱلْفِرَارُ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ ... خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَّانِ
لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ ... وَأَوْسَطٌ وَأَصْغَرٌ وَأَكْبَرُ
لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمْ ... مَا أَطْوَلَ ٱللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنَمْ
لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَٱسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ... إِنَّمَا ٱلْمَيْتُ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ
مَا ٱنْتَفَعَ ٱلْمَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ ... وَخَيْرُ ذُخْرِ ٱلْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
مَا زَالَتِ ٱلدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذًى ... مَمْزُوجَةَ ٱلصَّفْوِ بِأَلْوَانِ ٱلْقَذَى
مَا كُنْتُ لَوْ أُكْرِمْتُ أَسْتَعْصِي ... لَا يَهْرُبُ ٱلْكَلْبُ مِنَ ٱلْقُرْصِ
مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ ... يَكُونُ أَنْفًا بَيْنَ عَيْنَيْنِ
مَا عَاشَ مَنْ عَاشَ مَذْمُومًا خَصَائِلُهُ ... وَلَمْ يَمُتْ مَنْ يَكُنْ بِٱلْخَيْرِ مَذْكُورَا
مَا كَلَّفَ ٱللهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا ... وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ طَعَامُ ... فَمَا لَهُ فِي بَيْتِهِ مُقَامُ

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَائِزَهُ — لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّ بِهِ — وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ

هَنَّاكُمُ اللهُ بِالدُّنْيَا وَمَتَّعَكُمْ — بِمَا نُحِبُّ لَكُمْ مِنْهَا وَنَرْضَاهُ

وَاقْنَعْ بِمَا أُوتِيتَهُ تَنَلِ الْمُنَى — وَإِذَا دَهَتْكَ مُلِمَّةٌ فَتَصَبَّرِ

وَإِذَا سَخِطتَّ لِضُرِّ حَالِكَ مَرَّةً — وَرَأَيتَ نَفْسَكَ قَدْ عَدَتْ فَتَبَصَّرِ

وَاللهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ فَلَا تَسَلْ — بَشَرًا تَعِشْ عَيْشَ الْكِرَامِ وَتُؤْجَرِ

وَأَحْسِنْ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا بُدَّ مَيِّتٌ — وَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِمَا كُنْتَ سَاعِيَا

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ — إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالْهِلَالِ وَضَوْئِهِ — يُوَافِي تَمَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ

وَقَدْ تَسْلُبُ الْأَيَّامُ حَالَاتِ أَهْلِهَا — وَتَعْدُو عَلَى أُسْدِ الرِّجَالِ الثَّعَالِبُ

وَمَا لِامْرِئٍ طُولُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا — يُخَلِّدُهُ طُولُ الثَّنَاءِ فَيَخْلُدُ

وَالْمَرْءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقْطَعُهَا — وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ

وَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ — لِلّٰهِ ذَاكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا — وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى — رَزِيَّةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ — وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا — وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى تَبُوعُ

وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا — عُدَّ أَهْلُ الْعَقْلِ قَلُّوا فِي الْعَدَدْ

وَكَمْ مِنْ فَتًى يُمْسِي وَيُصْبِحُ آمِنًا — وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ ٱلْمَاءَ ٱلزُّلَالَا
وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ حَتَّى ٱلْحَدِيدُ سَطَا عَلَيْهِ ٱلْمِبْرَدُ
وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوءُهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا
يَزِيدُ تَفَضُّلًا وَأَزِيدُ شُكْرًا وَذٰلِكَ دَأْبُهُ أَبَدًا وَدَأْبِي
وَيُطْلَبُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ فِعْلِهِ فَفِعْلُهُ عَنْ أَصْلِهِ يُخْبِرُ

ٱلْبَابُ ٱلْخَامِسُ
فِي ٱلْأَمْثَالِ عَنْ أَلْسِنَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ

الثعلب والديك

١١٧ حُكِيَ أَنَّ ٱلثَّعْلَبَ مَرَّ فِي ٱلسَّحَرِ بِشَجَرَةٍ فَرَأَى فَوْقَهَا دِيكًا. فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَنْزِلُ نُصَلِّي جَمَاعَةً. فَقَالَ: إِنَّ ٱلْإِمَامَ نَائِمٌ خَلْفَ ٱلشَّجَرَةِ فَأَيْقِظْهُ. فَنَظَرَ ٱلثَّعْلَبُ فَرَأَى ٱلْكَلْبَ وَوَلَّى هَارِبًا. فَنَادَاهُ ٱلدِّيكُ مَا تَأْتِي لِنُصَلِّيَ. فَقَالَ: قَدِ ٱنْتَقَضَ وُضُوئِي فَٱصْبِرْ حَتَّى أُجَدِّدَ لِي وُضُوءًا وَأَرْجِعَ

الأسد والثعلب والذئب النمام

١١٨ ذَكَرَ ٱبْنُ ٱلْجَوْزِيِّ فِي آخِرِ كِتَابِ ٱلْأَذْكِيَاءِ. قَالَ: مَرِضَ ٱلْأَسَدُ فَعَادَتْهُ ٱلسِّبَاعُ وَٱلْوُحُوشُ مَا خَلَا ٱلثَّعْلَبَ فَنَمَّ عَلَيْهِ ٱلذِّئْبُ. فَقَالَ ٱلْأَسَدُ: إِذَا حَضَرَ فَأَعْلِمْنِي. فَلَمَّا حَضَرَ ٱلثَّعْلَبُ أَعْلَمَهُ ٱلذِّئْبُ

بِذٰلِكَ . وَكَانَ قَدْ أُخْبِرَ بِمَا قَالَهُ ٱلذِّئْبُ . فَقَالَ ٱلْأَسَدُ : أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا ٱلْفَوَارِسِ . فَقَالَ : كُنْتُ أَطْلُبُ لَكَ ٱلدَّوَاءَ . قَالَ : وَأَيَّ شَيْءٍ أَصَبْتَهُ . قَالَ : قِيلَ لِي : خَرَزَةٌ فِي عُرْقُوبِ أَبِي جَعْدَةَ . قَالَ : فَضَرَبَ ٱلْأَسَدُ بِيَدِهِ فِي سَاقِ ٱلذِّئْبِ فَأَدْمَاهُ . وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . وَخَرَجَ دَمُهُ يَسِيلُ عَلَى رِجْلِهِ . وَٱنْسَلَّ ٱلثَّعْلَبُ . فَمَرَّ بِهِ ٱلذِّئْبُ فَنَادَاهُ : يَا صَاحِبَ ٱلْخُفِّ ٱلْأَحْمَرِ إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ فَٱنْظُرْ مَا يَخْرُجُ مِنْكَ . فَإِنَّ ٱلْمَجَالِسَ بِٱلْأَمَانَاتِ

رجل وقُبَّرة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَكُونُ وَابِصَةَ سَمْعٍ يَنْخَدِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ

١١٩ رَجُلٌ صَادَ قُبَّرَةً . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي . قَالَ : أَذْبَحُكِ وَآكُلُكِ . قَالَتْ : وَٱللهِ إِنِّي لَا أُسْمِنُ وَلَا أُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وَلَا أَشْفِي مِنْ قَرَمٍ . وَلٰكِنِّي أُعَلِّمُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَكْلِي : أَمَّا ٱلْوَاحِدَةُ فَأُعَلِّمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا عَلَى يَدِكَ . وَٱلثَّانِيَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى ٱلشَّجَرَةِ . وَٱلثَّالِثَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى ٱلْجَبَلِ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَتْ وَهِيَ عَلَى يَدِهِ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . فَخَلَّى عَنْهَا . فَلَمَّا صَارَتْ عَلَى ٱلشَّجَرَةِ قَالَتْ لَهُ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ . فَلَمَّا صَارَتْ عَلَى ٱلْجَبَلِ قَالَتْ : يَا شَقِيُّ لَوْ ذَبَحْتَنِي لَوَجَدْتَ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً وَزْنُهَا عِشْرُونَ مِثْقَالًا . قَالَ : فَعَضَّ عَلَى شَفَتَيْهِ وَتَلَهَّفَ ثُمَّ قَالَ : هَاتِي ٱلثَّالِثَةَ . قَالَتْ : قَدْ نَسِيتَ ٱلثِّنْتَيْنِ ٱلْأُولَيَيْنِ فَكَيْفَ أُعَلِّمُكَ ٱلثَّالِثَةَ .

قَالَ : وَكَيفَ ذٰلِكَ . قَالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . وَقَدْ تَأَسَّفْتَ عَلَيَّ وَأَنَا فُتُّكَ . وَقُلْتُ لَكَ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ وَقَدْ صَدَّقْتَ . فَإِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ عِظَامِي وَلَحْمِي وَرِيشِي لَمْ يَبْلُغْ عِشْرِينَ مِثْقَالًا . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةٌ وَزْنُهَا كَذٰلِكَ (للشريشي)

الكلب والطبل

١٢٠ حُكِيَ أَنَّ كَلْبًا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ طَبْلٍ فِي مَكَانٍ يَذْهَبُ إِلَيْهِ وَيَظُنُّ أَنَّ فِيهِ عُرْسًا أَوْ وَلِيمَةً . فَعَمِلَ ٱلنَّاسُ حِيلَةً عَلَى ذٰلِكَ ٱلْكَلْبِ وَتَوَاطَؤُوا بِأَنْ يَضْرِبُوا ٱلطَّبْلَ فِي قَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا أَتَى ٱلْكَلْبُ إِلَى مَضْرِبِ ٱلطَّبْلِ يُسْكَتُ وَيُضْرَبُ فِي ٱلْقَرْيَةِ ٱلْأُخْرَى . فَفَعَلُوا ذٰلِكَ . فَجَعَلَ ٱلْكَلْبُ يَجْرِي بَيْنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا جَاءَ قَرْيَةً مِنْهُمَا أَسْكَتُوا ٱلطَّبْلَ وَضُرِبَ فِي ٱلْقَرْيَةِ ٱلْأُخْرَى . وَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى مَاتَ ٱلْكَلْبُ جَائِعًا عَطْشَانًا (أنيس الجليس للسيوطي)

الصيَّاد والصدفة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ ٱلْأُمُورِ

١٢١ حُكِيَ أَن صَيَّادًا كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْخُلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ ٱلسَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَرْضِ ٱلْمَاءِ صَدَفَةً تَتَلَأْلَأُ حُسْنًا . فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي ٱلْبَحْرِ فَٱشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي ٱلْمَاءِ لِيَأْخُذَ ٱلصَّدَفَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ

لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا . وَرَأَى أَيْضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . فَٱجْتَازَ بِهَا بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا (كليلة ودمنة)

العُصفور والفَخّ

١٢٢ حُكِيَ أَنَّ عُصْفُورًا مَرَّ بِفَخٍّ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَبَاعِدًا عَنِ ٱلطَّرِيقِ . فَقَالَ ٱلْفَخُّ : أَرَدْتُ ٱلْعُزْلَةَ عَنِ ٱلنَّاسِ لِآمَنَ مِنْهُمْ وَيَأْمَنُوا مِنِّي . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ مُقِيمًا فِي ٱلتُّرَابِ . فَقَالَ : تَوَاضُعًا . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ نَاحِلَ ٱلْجِسْمِ . فَقَالَ : نَهَكَتْنِي ٱلْعِبَادَةُ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذَا ٱلْحَبْلُ ٱلَّذِي عَلَى عَاتِقِكَ . قَالَ : هُوَ مَلْبَسُ ٱلنُّسَّاكِ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذِهِ ٱلْعَصَا . قَالَ : أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : فَمَا هٰذَا ٱلْقَمْحُ ٱلَّذِي عِنْدَكَ . قَالَ : هُوَ فَضْلُ قُوتِي أَعْدَدْتُهُ لِفَقِيرٍ جَائِعٍ أَوِ ٱبْنِ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٍ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : إِنِّي ٱبْنُ سَبِيلٍ وَجَائِعٌ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُطْعِمَنِي . قَالَ : نَعَمْ دُونَكَ . فَلَمَّا أَلْقَى مِنْقَارَهُ أَمْسَكَ ٱلْفَخُّ بِعُنُقِهِ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ : بِئْسَ مَا ٱخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مِنَ ٱلْغَدْرِ وَٱلْخَدِيعَةِ . وَٱلْأَخْلَاقِ ٱلشَّنِيعَةِ . وَلَمْ يَشْعُرِ ٱلْعُصْفُورُ إِلَّا وَصَاحِبُ ٱلْفَخِّ قَدْ قَبَضَ عَلَيْهِ . فَقَالَ ٱلْعُصْفُورُ فِي نَفْسِهِ : بِحَقٍّ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : مَنْ تَهَوَّرَ نَدِمَ . وَمَنْ حَذِرَ سَلِمَ . وَكَيْفَ لِي بِٱلْخَلَاصِ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (للشبراوي)

الغراب والسنّور والنمر

١٢٣ إِنَّ غُرَابًا وَسِنَّوْرًا كَانَا مُتَآخِيَيْنِ . فَبَيْنَمَا هُمَا تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ إِذْ رَأَيَا نَمِرًا مُقْبِلًا عَلَى تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي كَانَا تَحْتَهَا . وَلَمْ يَعْلَمَا بِهِ حَتَّى صَارَ قَرِيبًا مِنَ ٱلشَّجَرَةِ . فَطَارَ ٱلْغُرَابُ إِلَى أَعْلَى ٱلشَّجَرَةِ وَبَقِيَ ٱلسِّنَّوْرُ مُتَحَيِّرًا . فَقَالَ لِلْغُرَابِ : يَا خَلِيلِي هَلْ عِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي خَلَاصِي كَمَا هُوَ ٱلرَّجَاءُ فِيكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْغُرَابُ : إِنَّمَا تَلْتَمِسُ ٱلْإِخْوَانُ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ فِي ٱلْحِيلَةِ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْمَكْرُوهِ بِهِمْ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ :

إِنَّ صَدِيقَ ٱلْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ ٱلزَّمَانِ صَدَعَكْ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكْ

وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ ٱلشَّجَرَةِ رُعَاةٌ مَعَهُمْ كِلَابٌ . فَذَهَبَ ٱلْغُرَابُ حَتَّى ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ وَنَعَقَ وَصَاحَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ بَعْضِ ٱلْكِلَابِ . وَٱرْتَفَعَ قَلِيلًا وَتَبِعَتْهُ ٱلْكِلَابُ . وَصَارَتْ فِي أَثَرِهِ فَرَفَعَ ٱلرَّاعِي رَأْسَهُ فَرَأَى طَائِرًا يَطِيرُ قَرِيبًا مِنَ ٱلْأَرْضِ وَيَقَعُ فَتَبِعَهُ . وَصَارَ ٱلْغُرَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِقَدْرِ ٱلنَّجَاةِ وَٱلْخَلَاصِ مِنَ ٱلْكِلَابِ . وَيُطْمِعُهَا فِي أَنْ تَفْتَرِسَهُ . ثُمَّ ٱرْتَفَعَ قَلِيلًا . وَتَبِعَهُ ٱلْكِلَابُ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي تَحْتَهَا ٱلنَّمِرُ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْكِلَابُ ٱلنَّمِرَ وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَوَلَّى هَارِبًا . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْكُلُ ٱلْقِطَّ فَنَجَا مِنْهُ ذَلِكَ ٱلْقِطُّ بِحِيلَةِ صَاحِبِهِ ٱلْغُرَابِ (الف ليلة وليلة)

العابد والدرّتان

١٢٤ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَعِيشَتُهُ . فَخَرَجَ إِلَى ٱلصَّحْرَاءِ يَعْبُدُ ٱللهَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئًا . فَنُودِيَ ذَاتَ يَوْمٍ : أَيُّهَا ٱلْعَابِدُ مُدَّ يَدَكَ وَخُذْ . فَمَدَّ يَدَهُ فَوُضِعَ عَلَيْهَا دُرَّتَانِ كَأَنَّهُمَا كَوْكَبَانِ ضِيَاءً . فَجَاءَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ لِٱمْرَأَتِهِ : قَدْ أَمِنَّا مِنَ ٱلْفَقْرِ . ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ فِي ٱلْجَنَّةِ فَرَأَى فِيهَا قَصْرًا . فَقِيلَ لَهُ : هٰذَا قَصْرُكَ . فَرَأَى فِيهِ أَرِيكَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْأَحْمَرِ وَٱلْأُخْرَى مِنَ ٱلْفِضَّةِ . وَسَقْفُهُمَا مِنَ ٱللُّؤْلُؤِ وَقِيلَ لَهُ : إِحْدَاهُمَا مَقْعَدُكَ وَٱلْأُخْرَى مَقْعَدُ ٱمْرَأَتِكَ . فَنَظَرَ إِلَى سَقْفِهِمَا فَإِذَا فِيهِ مَوْضِعٌ خَالٍ مِقْدَارُ دُرَّتَيْنِ . فَقَالَ : مَا بَالُ هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ خَالِيًا . فَقِيلَ : لَمْ يَكُنْ خَالِيًا وَإِنَّمَا أَنْتَ تَعَجَّلْتَ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلدُّرَّتَيْنِ وَهٰذَا مَوْضِعُهُمَا . فَٱنْتَبَهَ مِنْ مَنَامِهِ بَاكِيًا وَأَخْبَرَ ٱمْرَأَتَهُ بِذٰلِكَ . فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ : أَنِ ٱدْعُ ٱللهَ وَٱسْأَلْهُ حَتَّى يَرُدَّهُمَا مَكَانَهُمَا . فَخَرَجَ إِلَى ٱلصَّحْرَاءِ وَهُمَا فِي كَفِّهِ وَصَارَ يَدْعُو ٱللهَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا . وَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى أُخِذَتَا مِنْ كَفِّهِ وَنُودِيَ أَنْ: رَدَدْنَاهُمَا إِلَى مَكَانِهِمَا (للقليوبي)

بطتان وسلحفاة

١٢٥ قِيلَ : كَانَ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْأَوَّلِ غَدِيرٌ عَظِيمٌ وَقَدْ سَكَنَتْ فِيهِ بَطَّتَانِ وَسُلَحْفَاةٌ . وَوَقَعَتِ ٱلْأُلْفَةُ بَيْنَهُمْ . وَٱسْتَأْنَسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ

فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ ٱلْمَاءُ فَيَبِسَ ٱلْغَدِيرُ. فَجَاءَتِ ٱلْبَطَّتَانِ عِنْدَ ٱلسُّلَحْفَاةِ وَقَالَتَا: إِعْلَمِي أَيَّتُهَا ٱلصَّدِيقَةُ ٱلْمُشْفِقَةُ أَنَّ حَالَ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ آخِرُهَا ٱلْفُرْقَةُ وَٱلْقَطِيعَةُ. وَقَدْ يَبِسَ مَاءُ ٱلْغَدِيرِ ٱلَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ وَقَدْ آنَ ٱلرَّحِيلُ وَوَقَعَ ٱلشَّتَتُ بَيْنَنَا. فَلَمْ نَجِدْ إِلَّا ٱلِانْتِقَالَ إِلَى غَدِيرٍ آخَرَ. فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ هٰذَا ٱلْكَلَامَ بَكَتْ وَنَادَتْ بِٱلْوَيْلِ وَٱلثُّبُورِ وَقَالَتْ: أَيَّتُهَا ٱلصَّدِيقَتَانِ ٱلْمُشْفِقَتَانِ فَمَا حِيلَتِي أَنْ أَذْهَبَ مَعَكُمَا. وَمَا سَبَبُ أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا. قَالَتِ ٱلْبَطَّتَانِ: نَأْخُذُكِ مَعَنَا وَلٰكِنَّنَا نَخَافُ أَنْ تَتَكَلَّمِي لِأَنَّكِ لَمْ تَمْلِكِي لِسَانَكِ. قَالَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ: ٱلْآنَ عَهِدْتُ أَنْ لَا أَنْطِقَ. فَقَالَتِ ٱلْبَطَّتَانِ: إِذَا رَأَى ٱلْخَلْقُ أَنَّنَا حَمَلْنَاكِ وَطِرْنَا بِكِ وَتَعَجَّبَ كُلُّهُمْ عَلَى طَيَرَانِنَا بِكِ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَعَلَيْكِ أَنْ تَصْبِرِي وَلَا تَتَكَلَّمِي بِشَيْءٍ. وَلَا تَنْسَيْ قَوْلَ ٱلْفُضَلَاءِ: إِنَّهُ مَنْ صَمَتَ نَجَا. وَقَوْلَهُمْ: ٱلْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِٱلْمَنْطِقِ. وَإِنْ لَمْ تَصْبِرِي وَتَكَلَّمْتِ بِشَيْءٍ فَلَا تَلُومِنَّ إِلَّا نَفْسَكِ. وَيَكُونُ ذَنْبُكِ عَلَيْكِ. فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ كَلَامَهُمَا قَالَتْ: لَا أَتَكَلَّمُ أَبَدًا بَلْ أَتَمَسَّكُ بِذِكْرِ ٱللّٰهِ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِيًّا. فَلَمَّا أَخَذَتِ ٱلْبَطَّتَانِ عَهْدًا عَلَى ٱلسُّلَحْفَاةِ أَتَتَا بِقَضِيبٍ وَقَالَتَا لِلسُّلَحْفَاةِ: أَمْسِكِي وَسَطَ ٱلْقَضِيبِ بِفَمِكِ وَضُمِّي شَفَتَيْكِ مُحْكَمًا. فَفَعَلَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ مَا قَالَتَا. ثُمَّ أَخَذَتِ ٱلْبَطَّتَانِ بِطَرَفَيِ ٱلْقَضِيبِ عَلَى عُنُقِهِمَا. ثُمَّ طَارَتَا فِي ٱلْهَوَاءِ مَعَ ٱلسُّلَحْفَاةِ. فَرَأَى بَعْضُ ٱلنَّاسِ ذٰلِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَبَادَرُوا: يَا عَجَبَاهُ. ٱنْظُرُوا كَيْفَ

حَمَلَتِ ٱلْبَطَّتَانِ ٱلسُّلَحْفَاةَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلسُّلَحْفَاةَ سَمِعَتْ كَلَامَ ٱلنَّاسِ. فَصَبَرَتْ سَاعَةً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى ٱلصَّبْرِ مِنْ كَثْرَةِ تَعَجُّبِ ٱلْخَلْقِ. فَأَجَابَتْهُمْ: لِمَ تَعْجَبُونَ مِنْ أَمْرِنَا. أَمَا لَكُمْ تَرَوْنَ كَيْفَ حَمَلَتْنِي ٱلْبَطَّتَانِ. وَمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمَتْ إِلَّا أَنْ وَقَعَتْ عَلَى ٱلْحَضِيضِ فَهَلَكَتْ (للسيوطي)

اعمى ومقعد

١٢٦ قَالُوا: إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ بِفَقْرٍ وَضُرٍّ لَا قَائِدَ لِلْأَعْمَى وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ. وَكَانَ فِي ٱلْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ٱحْتِسَابًا قُوتَهُمَا مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ. فَلَمْ يَزَالَا فِي عَافِيَةٍ إِلَى أَنْ هَلَكَ ٱلْمُحْتَسِبُ. فَأَقَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا فَٱشْتَدَّ جُوعُهُمَا وَبَلَغَ ٱلضَّرَرُ مِنْهُمَا جُهْدَهُ. فَأَجْمَعَا رَأْيَهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ ٱلْأَعْمَى ٱلْمُقْعَدَ. فَيَدُلُّهُ ٱلْمُقْعَدُ عَلَى ٱلطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ. وَيَسْتَقِلُّ ٱلْأَعْمَى بِحَمْلِ ٱلْمُقْعَدِ وَيَدُورَانِ فِي ٱلْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهَا. فَفَعَلَا فَنَجَحَ أَمْرُهُمَا. وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا هَلَكَا

(للطرطوشي)

الحمامتان

١٢٧ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ. فَقَالَ ٱلذَّكَرُ لِلْأُنْثَى: إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي ٱلصَّحَارِي مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنَا شَيْئًا. فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلصَّحَارِي شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ. فَرَضِيَتِ ٱلْأُنْثَى بِذٰلِكَ وَقَالَتْ لَهُ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا. فَٱنْطَلَقَ

ٱلذَّكَرُ فَغَابَ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيْفُ يَبِسَ ٱلْحَبُّ وَضَمُرَ . فَلَمَّا رَجَعَ ٱلذَّكَرُ رَأَى ٱلْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ : أَلَيْسَ كُنَّا أَجْمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى أَنْ لَا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَ أَكَلْتِهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَدَخَلَ ٱلشِّتَاءُ تَنَدَّى ٱلْحَبُّ وَٱمْتَلَأَ ٱلْعُشُّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى ٱلذَّكَرُ ذٰلِكَ تَنَدَّمَ . ثُمَّ ٱضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي ٱلْحَبُّ وَٱلْعَيْشُ بَعْدَكِ . إِذْ طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا (كليله ودمنه)

العابد والكلب

١٢٨ إِنَّهُ كَانَ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْعُبَّادِ مُنْزَوِيًا عَنِ ٱلنَّاسِ فِي غَارٍ فِي ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ . وَكَانَ يَصُومُ ٱلنَّهَارَ وَيَأْتِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ رَغِيفٌ يُفْطِرُ عَلَى نِصْفِهِ وَيَتَسَحَّرُ بِٱلنِّصْفِ ٱلْآخَرِ . وَكَانَ عَلَى ذٰلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً لَا يَنْزِلُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ أَصْلًا . فَٱتَّفَقَ أَنِ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ ٱلرَّغِيفُ لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي فَٱشْتَدَّ جُوعُهُ وَقَلَّ هُجُوعُهُ . فَصَلَّى ٱلْعِشَاءَيْنِ وَبَاتَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ فِي ٱنْتِظَارِ شَيْءٍ يَدْفَعُ بِهِ ٱلْجُوعَ فَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ شَيْءٌ . وَكَانَ فِي أَسْفَلِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ قَرْيَةٌ سُكَّانُهَا نَصَارَى . فَعِنْدَمَا أَصْبَحَ ٱلْعَابِدُ نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَٱسْتَطْعَمَ شَيْخًا مِنْهُمْ فَأَعْطَاهُ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ فَأَخَذَهُمَا

وَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلْجَبَلِ . وَكَانَ فِي دَارِ ذٰلِكَ ٱلشَّيْخِ ٱلنَّصْرَانِيِّ كَلْبٌ جَرِبٌ مَهْزُولٌ فَلَحِقَ ٱلْعَابِدَ وَنَبَحَ عَلَيْهِ وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِ . فَأَلْقَى إِلَيْهِ ٱلْعَابِدُ رَغِيفًا مِنْ ذَيْنِكَ ٱلرَّغِيفَيْنِ لِيَشْتَغِلَ بِهِ عَنْهُ . فَأَكَلَ ٱلْكَلْبُ ذٰلِكَ ٱلرَّغِيفَ . وَلَحِقَ ٱلْعَابِدَ مَرَّةً أُخْرَى وَأَخَذَ فِي ٱلنُّبَاحِ وَٱلْهَرِيرِ . فَأَلْقَى إِلَيْهِ ٱلْعَابِدُ ٱلرَّغِيفَ ٱلْآخَرَ فَأَكَلَهُ . وَلَحِقَهُ تَارَةً أُخْرَى وَٱشْتَدَّ هَرِيرُهُ وَتَشَبَّثَ بِذَيْلِ ٱلْعَابِدِ وَمَزَّقَهُ . فَقَالَ ٱلْعَابِدُ : سُبْحَانَ ٱللّٰهِ إِنِّي لَمْ أَرَ كَلْبًا أَقَلَّ حَيَاءً مِنْكَ . إِنَّ صَاحِبَكَ لَمْ يُعْطِنِي إِلَّا رَغِيفَيْنِ وَقَدْ أَخَذْتَهُمَا مِنِّي . مَاذَا تَطْلُبُ بِهَرِيرِكَ وَتَمْزِيقِ ثِيَابِي . فَأَنْطَقَ ٱللّٰهُ تَعَالَى ذٰلِكَ ٱلْكَلْبَ فَقَالَ : لَسْتُ أَنَا قَلِيلَ ٱلْحَيَاءِ . إِعْلَمْ أَنِّي رَبِيتُ فِي دَارِ ذٰلِكَ ٱلنَّصْرَانِيِّ أَحْرُسُ غَنَمَهُ وَأَحْفَظُ دَارَهُ . وَأَقْنَعُ بِمَا يَدْفَعُهُ لِي مِنْ عِظَامٍ أَوْ خُبْزٍ . وَرُبَّمَا نَسِيَنِي فَأَبْقَى أَيَّامًا لَا آكُلُ شَيْئًا . بَلْ رُبَّمَا يَمْضِي عَلَيْنَا أَيَّامٌ لَا يَجِدُ هُوَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا لِي . وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ أُفَارِقْ دَارَهُ مُنْذُ عَرَفْتُ نَفْسِي وَلَا تَوَجَّهْتُ إِلَى بَابِ غَيْرِهِ . بَلْ كَانَ دَأْبِي أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ شَيْءٌ شَكَرْتُ وَإِلَّا صَبَرْتُ . وَأَمَّا أَنْتَ فَبِٱنْقِطَاعِ ٱلرَّغِيفِ عَنْكَ لَيْلَةً وَاحِدَةً لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ وَلَا كَانَ مِنْكَ تَحَمُّلٌ حَتَّى تَوَجَّهْتَ مِنْ بَابِ رَازِقِ ٱلْعِبَادِ إِلَى بَابِ إِنْسَانٍ . فَأَيُّنَا أَقَلُّ حَيَاءً أَنَا أَمْ أَنْتَ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْعَابِدُ ذٰلِكَ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ

(لبهاء الدين)

تاجر ومستودع عنده

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ أَخَذَ بِثَأْرِهِ بِمِثْلِ مَا ثُئِرَ بِهِ

١٢٩ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ. وَأَنَّهُ أَرَادَ الْخُرُوجَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ ابْتِغَاءَ الرِّزْقِ. وَكَانَ عِنْدَهُ مِئَةُ مَنٍّ حَدِيدًا. فَأَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وُجْهَتِهِ. ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ. فَجَاءَ وَالْتَمَسَ الْحَدِيدَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قَدْ أَكَلَتْهُ الْجِرْذَانُ. فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ. فَفَرِحَ الرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ مَا قَالَ وَادَّعَى. ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ وَلَدًا لِلرَّجُلِ. فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ. فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِابْنِي. قَالَ: لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ رَأَيْتُ بَازِيًا قَدِ اخْتَطَفَ صَبِيًّا. فَلَعَلَّهُ ابْنُكَ. فَلَطَمَ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ يَا قَوْمُ: هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُزَاةَ تَخْتَطِفُ الصِّبْيَانَ. فَقَالَ: نَعَمْ إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْذَانُهَا مِئَةَ مَنٍّ حَدِيدٍ لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزَاتُهَا الْفِيَلَةَ. قَالَ الرَّجُلُ: أَكَلْتُ حَدِيدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ. فَارْدُدْ عَلَيَّ ابْنِي

يراعة وقردة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَا يَتَّعِظُ بِكَلَامِ غَيْرِهِ فَيُغَامِرُ بِنَفْسِهِ فَيَعْطَبُ

١٣٠ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ. فَالْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا. فَرَأَوْا يَرَاعَةً تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةُ نَارٍ فَظَنُّوهَا نَارًا. فَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا وَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا.

وَجعلُوا يَنفُخُونَ طَمعًا أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصطَلُونَ بِهَا . وَكَانَ قَرِيبًا مِنهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا . فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : لَا تَتْعَبُوا . فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَمَدَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ . فَإِنَّ الْحَجَرَ الْمَانِعَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ . وَالْعُودَ الَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا يُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ . فَلَا تَتْعَبْ . فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرَدَةِ لِيُعَرِّفَهُمْ أَنَّ الْيَرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ . وَإِذَا بِأَحَدِهِمْ تَنَاوَلَهُ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ

شريكان

وَهُوَ مَثَلُ مَنِ الْتَمَسَ صَلَاحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ

١٣١ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِتَاجِرٍ شَرِيكٌ . فَاسْتَأْجَرَا حَانُوتًا وَجَعَلَا مَتَاعَهُمَا فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْمَنْزِلِ مِنَ الْحَانُوتِ . فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ . وَفَكَّرَ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ وَقَالَ : إِنْ أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ آمَنْ أَنْ أَحْمِلَ أَحَدَ أَعْدَالِي أَوْ إِحْدَى رُزَمِي وَلَا أَعْرِفُهَا . فَيَذْهَبُ عَنَائِي وَتَعَبِي بَاطِلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى مَا أَضْمَرَ أَخْذَهُ مِنْ أَعْدَالِ شَرِيكِهِ وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُصْلِحَ الْأَعْدَالَ فَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ . فَقَالَ : هَذَا رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا الرَّأْيُ أَنْ أَدَعَهُ هَهُنَا .

وَلَكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزْمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْبِقُنِي إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَيَجِدُهُ حَيْثُ يُحِبُّ. ثُمَّ أَخَذَ ٱلرِّدَاءَ وَأَلْقَاهُ عَلَى أَحَدِ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ ٱلْحَانُوتَ وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ. فَلَمَّا هَجَمَ ٱللَّيْلُ أَتَى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ. وَضَمِنَ لَهُ جُعْلًا عَلَى حَمْلِهِ. فَصَارَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ وَٱلْتَمَسَ ٱلْإِزَارَ فِي ٱلظُّلْمَةِ. حَتَّى إِذَا حَسَّ بِهِ ٱحْتَمَلَ ٱلْعِدْلَ ٱلَّذِي تَحْتَهُ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَٱلرَّجُلُ. وَجَعَلَا يَتَرَاوَحَانِ عَلَى حَمْلِهِ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَهُوَ يَنْحِطُ تَعَبًا فَرَزَحَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱفْتَقَدَهُ وَإِذَا بِهِ بَعْضُ مَتَاعِهِ. فَنَدِمَ أَشَدَّ ٱلنَّدَمِ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ وَفَقَدَ ٱلْعِدْلَ وَجَلَسَ مُغْتَمًّا يَقُولُ: سَوْءَتَا مِنْ رَفِيقٍ صَالِحٍ قَدِ ٱئْتَمَنَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَّفَنِي فِيهِ. مَاذَا تَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي تُهْمَتِهِ إِيَّايَ. وَلَكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْخَائِنُ: يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ. فَإِنَّ ٱلْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَ ٱلْإِنْسَانُ وَٱلْمَكْرَ وَٱلْخَدِيعَةَ لَا يُؤَدِّيَانِ إِلَى خَيْرٍ. وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ أَبَدًا. وَمَا عَادَ وَبَالُ ٱلْبَغْيِ إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ. وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ. فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ. فَأَضْرَبَ ٱلرَّجُلُ عَنْ تَوْبِيخِهِ وَقَبِلَ مَعْذِرَتَهُ. وَنَدِمَ هُوَ غَايَةَ ٱلنَّدَامَةِ

رجلٌ وابن عرس

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَهْجُمُ عَلَى أَعْمَالِهِ بِٱلْعَجَلَةِ

١٣٢ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ غُلَامٌ. وَٱتَّفَقَ يَوْمًا أَنَّ ٱمْرَأَتَهُ قَالَتْ

لَهُ : اُقْعُدْ عِنْدَ ٱبْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى ٱلْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأُسْرِعَ ٱلْعَوْدَةَ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَٱلْغُلَامَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ ٱلْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ٱبْنِهِ غَيْرَ ٱبْنِ عِرْسٍ . وَكَانَ دَاجِنًا عِنْدَهُ وَقَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا . فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ ٱلرَّجُلُ عِنْدَ ٱلصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا ٱلْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ ٱلرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ ٱلْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ . فَدَنَتْ مِنَ ٱلْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ٱبْنُ عِرْسٍ فَقَتَلَهَا . ثُمَّ قَطَعَهَا وَٱمْتَلَأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا . ثُمَّ جَاءَ ٱلرَّجُلُ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ . فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱبْنُ عِرْسٍ كَٱلْمُبَشِّرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ . فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثًا بِٱلدَّمِ طَارَ عَقْلُهُ . وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوَّ فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ مَا جَرَى . وَلَكِنْ عَجَّلَ عَلَى ٱبْنِ عِرْسٍ ٱلْمِسْكِينِ بِضَرْبَةِ عُكَّازٍ كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَوَقَعَ مَيْتًا . ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَأَى ٱلْغُلَامَ سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ . فَفَهِمَ ٱلْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي ٱلْعَجَلَةِ . فَلَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هٰذَا ٱلْوَلَدَ . وَلَمْ أَغْدُرْ هٰذَا ٱلْغَدْرَ . ثُمَّ دَخَلَتْ زَوْجَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا ٱلْخَبَرَ وَحُسْنَ فِعْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَسُوءَ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ : هٰذَا ثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ

فِيلَةٌ وَأَرْنَبٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ صَرَفَ ٱلْأَذَى عَنْ قَوْمِهِ بِحِيلَتِهِ

١٣٣ زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرَاضِي ٱلْفِيلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا ٱلسِّنُونَ

وَأَجدَبَتْ. وَقَلَّ مَاؤُهَا وَغَارَتْ عُيُونُهَا. وَذَوَى نَبَاتُهَا وَيَبِسَ شَجَرُهَا. فَأَصَابَ ٱلْفِيَلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ. فَشَكَوْنَ ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُوَّادَهُ فِي طَلَبِ ٱلْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ. فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلرُّسُلِ فَأَخْبَرَهُ قَائِلًا: قَدْ وَجَدتُّ بِمَكَانِ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ ٱلْقَمَرِ كَثِيرَةَ ٱلْمَاءِ فَتَوَجَّهَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ ٱلْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا هُوَ وَفِيَلَتُهُ. وَكَانَتِ ٱلْعَيْنُ فِي أَرْضِ ٱلْأَرَانِبِ فَوَطِئْنَ وَهُنَّ فِي أَجْحَارِهِنَّ فَهَلَكَ مِنْهُنَّ كَثِيرٌ. فَاجْتَمَعْنَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَقُلْنَ لَهُ: قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنَ ٱلْفِيَلَةِ. فَقَالَ: لِيَحْضُرْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ. فَتَقَدَّمَتْ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلْأَرَانِبِ يُقَالُ لَهَا فَيْرُوزُ. وَكَانَ ٱلْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ وَٱلْأَدَبِ. فَقَالَتْ: إِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى ٱلْفِيَلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِي أَمِينًا لِيَرَى وَيَسْمَعَ مَا أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ. فَقَالَ لَهَا ٱلْمَلِكُ: أَنْتِ أَمِينَةٌ وَنَرْضَى بِقَوْلِكِ. فَانْطَلِقِي إِلَى ٱلْفِيَلَةِ وَبَلِّغِي عَنَّا مَا تُرِيدِينَ. وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱلرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ ٱلْمُرْسِلِ. فَعَلَيْكِ بِٱللِّينِ وَٱلْمُوَاتَاةِ. فَإِنَّ ٱلرَّسُولَ هُوَ ٱلَّذِي يُلِينُ ٱلصُّدُورَ إِذَا رَفَقَ. وَيُخَشِّنُ ٱلصُّدُورَ إِذَا خَرِقَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَرْنَبَ ٱنْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ حَتَّى ٱنْتَهَتْ إِلَى ٱلْفِيَلَةِ. وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُوَ مِنْهُنَّ مَخَافَةَ أَنْ يَطَأْنَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ. فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ. ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى ٱلْجَبَلِ وَنَادَتْ مَلِكَ ٱلْفِيَلَةِ وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ ٱلْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَٱلرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيمَا يُبَلِّغُ وَإِنْ أَغْلَظَ فِي ٱلْقَوْلِ. قَالَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ: فَمَا ٱلرِّسَالَةُ.

قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ . إِنَّـهُ مَنْ عَرَفَ قُوَّتَهُ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ فَٱغْتَرَّ بِذٰلِكَ بِٱلْأَقْوِيَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى ٱلدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذٰلِكَ . فَعَمَدتَّ إِلَى ٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي تُسَمَّى بِٱسْمِي فَوَرَدْتَهَا وَكَدَّرْتَهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأُنْذِرَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ . وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَغْشِي بَصَرَكَ وَأُتْلِفُ نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي . فَهَلُمَّ إِلَى ٱلْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنِّي مُوَافِيكَ إِلَيْهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ مِنْ قَوْلِ ٱلْأَرْنَبِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ ٱلرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ ٱلْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ ٱلرَّسُولُ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ ٱلْمَاءِ فَٱغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَٱسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ ٱلْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي ٱلْمَاءِ فَتَحَرَّكَ . فَخُيِّلَ لَهُ أَنَّ ٱلْقَمَرَ ٱرْتَعَدَ . فَقَالَ : مَا شَأْنُ ٱلْقَمَرِ ٱرْتَعَدَ . أَتُرَاهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي جَحْفَلَتِي فِي ٱلْمَاءِ . قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ ٱلْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى . وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ ٱلْفِيَلَةِ

أرنبٌ واسد

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ دَفَعَ ٱلْمَكْرُوهَ بِرَأْيِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ وَحِيلَتَهُ

١٣٤ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ أَرِيضَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْعُشْبِ . وَكَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْوُحُوشِ فِي سَعَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْمَرْعَى كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذٰلِكَ لِخَوْفِهَا مِنْ أَسَدٍ كَانَ مُسْتَبِدًّا بِٱلْأَمْرِ فِيهَا . فَٱجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ تُصِيبُ مِنَّا ٱلدَّابَّةَ بَعْدَ ٱلْجَهْدِ وَٱلتَّعَبِ . وَقَدْ رَأَيْنَا

لَكَ رَأْيًا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا . فَإِنْ أَنْتَ أَمَّنْتَنَا وَلَمْ تُخِفْنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نَبْعَثُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِيَ ٱلْأَسَدُ بِذٰلِكَ وَصَالَحَ ٱلْوُحُوشَ عَلَيْهِ . وَوَفَيْنَ لَهُ إِلَى أَنْ أَصَابَتِ ٱلْقُرْعَةُ أَرْنَبًا . فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ : إِنْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكُنَّ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ ٱلْأَسَدِ . فَقُلْنَ : وَمَا ٱلَّذِي تُكَلِّفِينَنَا مِنَ ٱلْأُمُورِ . قَالَتْ : تَأْمُرْنَ ٱلَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى ٱلْأَسَدِ أَنْ يُمْهِلَنِي رَيْثَمَا أُبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ ٱلْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا : ذٰلِكَ لَكِ . فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْأَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً حَتَّى جَاوَزَتِ ٱلْوَقْتَ ٱلَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ ٱلْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحْدَهَا رُوَيْدًا وَقَدْ جَاعَ وَغَضِبَ . فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ . قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ ٱلْوُحُوشِ إِلَيْكَ بَعَثَتْنِي وَمَعِي أَرْنَبٌ لَكَ فَتَبِعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي غَصْبًا . وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى بِهٰذِهِ ٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ ٱلْوُحُوشِ . فَقُلْتُ : إِنَّ هٰذَا غَدَاءُ ٱلْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ ٱلْوُحُوشُ مَعِي إِلَيْهِ فَلَا تَغْصِبَنْهُ . فَسَبَّكَ وَشَتَمَكَ . فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً إِلَيْكَ لِأُخْبِرَكَ . فَقَالَ ٱلْأَسَدُ : أَوَ فِي زَمَنِي غَاصِبٌ ٱنْطَلِقِي مَعِي فَأَرِينِي مَوْضِعَ هٰذَا ٱلْأَسَدِ . فَٱنْطَلَقَتْ إِلَى جُبٍّ فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ . فَٱطَّلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ : هٰذَا ٱلْمَكَانُ . فَتَطَلَّعَ ٱلْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ ٱلْأَرْنَبِ فِي ٱلْمَاءِ فَلَمْ يَشُكَّ فِي قَوْلِهَا . ثُمَّ وَثَبَ إِلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ فَغَرِقَ فِي ٱلْجُبِّ . فَٱنْقَلَبَتِ ٱلْأَرْنَبُ إِلَى ٱلْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِٱلْأَسَدِ

(كليله ودمنه)

اَلْبَابُ ٱلسَّادِسُ
فِي ٱلْفَضَائِلِ وَٱلنَّقَائِصِ

الصبر

١٣٥ قَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ : ٱلصَّبْرُ عَشَرَةُ أَقْسَامٍ . ٱلصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ ٱلْبَطْنِ يُسَمَّى قَنَاعَةً وَضِدُّهُ ٱلشَّرَهُ . وَٱلصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ ٱلْجَسَدِ يُسَمَّى عِفَّةً وَضِدُّهُ ٱلشَّبَقُ . وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلْمُصِيبَةِ يُسَمَّى صَبْرًا وَضِدُّهُ ٱلْجَزَعُ . وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلْغِنَاءِ يُسَمَّى ضَبْطَ ٱلنَّفْسِ وَضِدُّهُ ٱلْبَطَرُ . وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلْقِتَالِ يُسَمَّى ٱلشَّجَاعَةَ وَضِدُّهُ ٱلْجُبْنُ . وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ يُسَمَّى حِلْمًا وَضِدُّهُ ٱلْحُمْقُ . وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلنَّوَائِبِ يُسَمَّى سَعَةَ ٱلصَّدْرِ وَضِدُّهُ ٱلضَّجَرُ . وَٱلصَّبْرُ عَلَى حِفْظِ ٱلسِّرِّ يُسَمَّى ٱلْكِتْمَانَ وَضِدُّهُ ٱلْخَرْقُ . وَٱلصَّبْرُ عَنْ فُضُولِ ٱلْمَعِيشَةِ يُسَمَّى ٱلزُّهْدَ وَضِدُّهُ ٱلْحِرْصُ . وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ تَوَقُّعِ ٱلْأُمُورِ يُسَمَّى ٱلتُّؤَدَةَ وَضِدُّهُ ٱلطَّيْشُ (للقليوبي)

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

بَنَى ٱللهُ لِلْأَخْيَارِ بَيْتًا سَمَاؤُهُ هُمُومٌ وَأَحْزَانٌ وَحِيطَانُهُ ٱلضُّرُّ
وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمُ ٱلصَّبْرُ

قَالَ آخَرُ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا وَكُنْ بِٱللهِ مُعْتَصِمًا وَلَا تُعَاجِلْ فَإِنَّ ٱلْعَجْزَ بِٱلْعَجَلِ
أَلصَّبْرُ مِثْلُ ٱسْمِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ لٰكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ ٱلْعَسَلِ

١٣٦ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلصَّبْرُ صَبْرَانِ . صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ . وَٱلثَّانِي أَشَدُّهُمَا عَلَى ٱلنَّفْسِ (لبهاء الدين)

مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ :

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي ٱلْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ ٱلْأَثَرِ
لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا يَدْخُلْكَ مَعْجَزَةٌ فَٱلنُّجْحُ يَهْلِكُ بَيْنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلضَّجَرِ

لِٱمْرَأَةٍ مِنَ ٱلْعَرَبِ :

أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ صَبْرًا إِنَّ بَعْدَ ٱلْعُسْرِ يُسْرَا
إِشْرَبِ ٱلصَّبْرَ وَإِنْ كَا نَ مِنَ ٱلصَّبْرِ أَمَرَّا

١٣٧ شَكَا رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ أَذِيَّةَ جَارِهِ . فَقَالَ لَهُ : ٱصْبِرْ عَلَيْهِ . قَالَ : يَنْسُبُنِي إِلَى ٱلذُّلِّ . قَالَ : إِنَّمَا ٱلذَّلِيلُ مَنْ ظَلَمَ (للمستعصمي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ ٱلْعُسْرِ تَيْسِيرُ وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتٌ وَتَدْبِيرُ
وَلِلْمُهَيْمِنِ فِي حَالَاتِنَا نَظَرٌ وَفَوْقَ تَدْبِيرِنَا لِلّٰهِ تَدْبِيرُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَاكَ ٱلدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَأَفْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرَا
فَإِنَّ تَصَارِيفَ ٱلزَّمَانِ عَجِيبَةٌ فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرَا

قَالَ آخَرُ :

وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ تَلَقَّيْتُهَا بِٱلصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ

وَكَانَتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً   فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى ٱلذُّلِّ ذَلَّتِ

١٣٨ قَالَ ٱلْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يَزْوِي ٱللهُ ٱلدُّنْيَا عَمَّنْ يُحِبُّ وَيُمَرِّرُهَا عَلَيْهِمْ تَارَةً بِٱلْجُوعِ وَمَرَّةً بِٱلْحَاجَةِ. كَمَا تَصْنَعُ ٱلْأُمُّ ٱلشَّفِيقَةُ بِوَلَدِهَا تَفْطِمُهُ بِٱلصَّبْرِ مَرَّةً وَبِٱلْحُضَضِ أُخْرَى وَإِنَّمَا تُرِيدُ صَلَاحَهُ (لبهاء الدين)

أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

وَإِذَا بُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَٱلْبَسْ لَهَا   صَبْرَ ٱلْكَرِيمِ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَحْزَمُ
لَا تَشْكُوَنَّ إِلَى ٱلْعِبَادِ فَإِنَّمَا   تَشْكُو ٱلرَّحِيمَ إِلَى ٱلَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَقَالَ آخَرُ:

وَٱصْبِرْ إِذَا مَا شِئْتَ إِكْلِيلَ ٱلْمُنَى   فَبِغَيْرِ حُسْنِ ٱلصَّبْرِ لَنْ تَتَكَلَّلَا
فَإِذَا كَرِهْتَ ٱلصَّبْرَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا   حَقًّا كَرِهْتَ بِأَنْ تَكُونَ مُكَلَّلَا

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ:

مَا أَحْسَنَ ٱلصَّبْرَ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَجْمَلَهُ   عِنْدَ ٱلْإِلٰهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ ٱلْجَزَعِ
مَنْ شَدَّ بِٱلصَّبْرِ كَفًّا عِنْدَ مُؤْلِمَةٍ   أَلْوَتْ يَدَاهُ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

قَالَ آخَرُ:

أَمَا وَٱلَّذِي لَا يَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ غَيْرُهُ   وَمَنْ لَيْسَ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ لَهُ كُفُو
لَئِنْ كَانَ بَدْءُ ٱلصَّبْرِ مُرًّا مَذَاقُهُ   لَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِ ٱلثَّمَرُ ٱلْحُلْوُ

قَالَ مُحَمَّدٌ ٱلْأَبِيوَرْدِيُّ:

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي   أَعِزُّ وَأَهْوَالُ ٱلزَّمَانِ تَهُونُ

وَظَلَّ يُرِينِي ٱلْخَطْبَ كَيْفَ ٱعْتِدَاؤُهُ   وَبِتُّ أُرِيهِ ٱلصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

١٣٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : ٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلصَّبْرَ مِنَ ٱلْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ . إِذَا فَارَقَ ٱلرَّأْسُ ٱلْجَسَدَ فَسَدَ ٱلْجَسَدُ . وَإِذَا فَارَقَ ٱلصَّبْرُ ٱلْأُمُورَ فَسَدَتِ ٱلْأُمُورُ . وَلِلّٰهِ مَنْ قَالَ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ ٱلْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ   وَيُحْمَدُ مِنْهُ ٱلصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
فَمَنْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ ٱصْطِبَارُهُ   فَقَدْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ نَصِيبُهُ

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

وَإِذَا مَسَّكَ ٱلزَّمَانُ بِضُرٍّ   عَظُمَتْ دُونَهُ ٱلْخُطُوبُ وَجَلَّتْ
وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوَائِبُ أُخْرَى   سَئِمَتْ نَفْسُكَ ٱلْحَيَاةَ وَمَلَّتْ
فَٱصْطَبِرْ وَٱنْتَظِرْ بُلُوغَ ٱلْأَمَانِي   فَٱلرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ

قَالَ مَحْمُودٌ ٱلْوَرَّاقُ :

أَلدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ   لٰكِنَّهُ يُقْبِلُ أَوْ يُدْبِرُ
فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ   فَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

١٤٠ (مِنْ كِتَابِ أَنِيسِ ٱلْعُقَلَاءِ) . إِعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّصْرَ مَعَ ٱلصَّبْرِ . وَٱلْفَرَجَ مَعَ ٱلْكَرْبِ . وَٱلْيُسْرَ مَعَ ٱلْعُسْرِ . قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : بِمِفْتَاحِ عَزِيمَةِ ٱلصَّبْرِ تُعَالَجُ مَغَالِيقُ ٱلْأُمُورِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عِنْدَ ٱنْسِدَادِ ٱلْفُرَجِ . تَبْدُو مَطَالِعُ ٱلْفَرَجِ   (لبهاء الدين)

وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَلصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرَجَّى   وَكُلُّ صَعْبٍ بِهِ يَهُونُ

فَٱصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ ٱللَّيَالِي   فَرُبَّمَا أَمْكَنَ ٱلْحَرُونُ
وَرُبَّمَا نِيلَ بِٱصْطِبَارٍ   مَا قِيلَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ

قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ :

تَحَمَّلْ أَخَاكَ عَلَى مَا بِهِ   فَمَا فِي ٱسْتِقَامَتِهِ مَطْمَعُ
وَأَنَّى لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ   وَفِيهِ طَبَائِعُهُ ٱلْأَرْبَعُ

قَالَ غَيْرُهُ :

دَعِ ٱلْأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ   وَطِبْ نَفْسًا إِذَا نَزَلَ ٱلْبَلَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ ٱللَّيَالِي   فَمَا لِحَوَادِثِ ٱلدُّنْيَا بَقَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ   فَأَنْتَ وَمَالِكُ ٱلدُّنْيَا سَوَاءُ

قَالَ آخَرُ :

إِدْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ ٱلْأَيَّامِ   وَتَرَجَّ لُطْفَ ٱلْوَاحِدِ ٱلْعَلَّامِ
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ تَضَايَقَ كَرْبُهَا   وَرَمَاكَ رَيْبُ صُرُوفِهَا بِسِهَامِ
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذٰلِكَ فُرْجَةٌ   تَخْفَى عَلَى ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَوْهَامِ
كَمْ مِنْ نَجِيٍّ بَيْنَ أَطْرَافِ ٱلْقَنَا   وَفَرِيسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ ٱلضِّرْغَامِ

الحلم

١٤١ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ : مَا ٱلْحِلْمُ . قَالَ : أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ . وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ . وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : حِلْمُكَ عَلَى ٱلسَّفِيهِ يُكْثِرُ أَنْصَارَكَ عَلَيْهِ . قَالُوا : لَا يَظْهَرُ ٱلْحِلْمُ إِلَّا مَعَ ٱلِٱنْتِصَارِ . كَمَا لَا يَظْهَرُ ٱلْعَفْوُ إِلَّا مَعَ ٱلِٱقْتِدَارِ . وَقَالُوا : مَا قُرِنَ

شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزْيَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ . وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنْ رَبِّي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي . أَوْ جَهْلٌ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي . أَوْ عَوْرَةٌ لَا أُوَارِيهَا بِسَتْرِي . وَقَالَ ٱلْمُوَرِّقُ ٱلْعِجْلِيُّ : مَا تَكَلَّمْتُ فِي ٱلْغَضَبِ بِكَلِمَةٍ نَدِمْتُ عَلَيْهَا فِي ٱلرِّضَا

(لابن عبد ربّه)

قَالَ ٱلنَّوَاجِيُّ :

يُخَاطِبُنِي ٱلسَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ ... وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا ... كَعُودٍ زَادَهُ ٱلْإِحْرَاقُ طِيبَا

١٤٢ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : يُدْرَكُ بِٱلرِّفْقِ مَا لَا يُدْرَكُ بِٱلْعُنْفِ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْمَاءَ عَلَى لِينِهِ يَقْطَعُ ٱلْحَجَرَ عَلَى شِدَّتِهِ . وَقَالَ أَشْجَعُ ٱلسُّلَمِيُّ لِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : مَا كَادَ يُدْرَكُ بِٱلرِّجَالِ وَلَا بِٱلْمَالِ مَا أَدْرَكْتَ بِٱلرِّفْقِ . وَقَالَ ٱلنَّابِغَةُ .

أَلرِّفْقُ يُمْنٌ وَٱلْأَنَاةُ سَعَادَةٌ ... فَٱسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ تُلَاقِ نَجَاحَا

قَالَ ٱلشَّعْبِيُّ لِعَبْدِ ٱلْمَلِكِ : إِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا أَوْقَعْتَ . وَأَخَذَ ذٰلِكَ ٱلشَّاعِرُ فَقَالَ :

فَدَاوَيْتُهُ بِٱلْحِلْمِ وَٱلْمَرْءُ قَادِرٌ ... عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ ٱلسَّهْمُ

(للثعالبي)

قِيلَ لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ : تَطْمَعُ فِي ٱلْخِلَافَةِ وَأَنْتَ بَخِيلٌ جَبَانٌ . قَالَ : وَلِمَ لَا أَطْمَعُ فِيهَا وَأَنَا حَلِيمٌ عَفِيفٌ (لابي الفرج)

١٤٣ قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ :

تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنَّ حِفْظَ ٱلذُّ م نُوبِ إِذَا قَدُمْنَ مِنَ ٱلذُّنُوبِ

قِيلَ : ٱلِاعْتِرَافُ . يَزُولُ بِهِ ٱلِاقْتِرَافُ . لَا عَتْبَ مَعَ إِقْرَارٍ . وَلَا ذَنْبَ مَعَ ٱسْتِغْفَارٍ . ٱلْمُعْتَرِفُ بِٱلْجَرِيرَةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْغَفِيرَةِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

إِذَا مَا ٱمْرُؤٌ مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَكَ ٱلذَّنْبُ

قَالَ كُلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو لِصَدِيقٍ لَهُ أَنْكَرَ ذَنْبًا : إِمَّا أَنْ تُقِرَّ بِذَنْبِكَ فَيَكُونُ إِقْرَارُكَ حُجَّةً لَنَا فِي ٱلْعَفْوِ . وَإِلَّا فَطِبْ نَفْسًا بِٱلِانْتِظَارِ مِنْكَ

أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثُمَّ ٱطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ ٱلذَّنْبِ ذَنْبَانِ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصُّولِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا ٱلصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرَقٍ بِرِيقِي

غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلَا صَدِيقِ

١٤٤ أُتِيَ ٱلْمَنْصُورُ بِرَجُلٍ أَذْنَبَ . فَقَالَ : إِنَّ ٱللّٰهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ . فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِٱلْعَدْلِ فَخُذْ فِيَّ بِٱلْإِحْسَانِ . فَعَفَا عَنْهُ . قَالَ أَبُو فِرَاسٍ :

إِنْ لَمْ تَجَافَ عَنِ ٱلذُّنُو بِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَهْ

لٰكِنَّ عَادَتَكَ ٱلْجَمِيـ لَةَ أَنْ تَغُضَّ عَلَى ٱلْجَرِيرَهْ

(لِلثَّعَالِبِيِّ)

دَخَلَ ٱبْنُ خُزَيْمٍ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ وَقَدْ عَتَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ ٱلشَّامِ

وَأَرَادَ أَنْ يَغْزُوَهُمْ جَيْشًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْمُذْنِبِ وَٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلْمُسِيءِ . فَلَأَنْ يُطِيعَكَ ٱلْعَرَبُ طَاعَةَ مَحَبَّةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةَ خَوْفٍ (لابن عبد ربّهِ)

لَمَّا ظَفِرَ ٱلْمَأْمُونُ بِإِبْرٰهِيمَ بْنِ ٱلْمَهْدِيِّ شَاوَرَ فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ ٱلْأَحْوَلَ ٱلْوَزِيرَ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نُظَرَاءُ . وَإِنْ عَفَوْتَ فَمَا لَكَ نَظِيرٌ (وفيات الاعيان لابن خلّكان)

العدل

١٤٥ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَدْلَ مِيزَانُ ٱللهِ تَعَالَى فِي ٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ وَٱلْمُحِقِّ مِنَ ٱلْمُبْطِلِ . وَٱعْلَمْ أَنَّ عَدْلَ ٱلْمَلِكِ يُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وَجَوْرَهُ يُوجِبُ ٱلِٱفْتِرَاقَ عَنْهُ . قِيلَ : دَعْوَةُ ٱلْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى ٱلْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ . وَسَأَلَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ حُكَمَاءَ أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمْ أَٱلشَّجَاعَةُ أَمِ ٱلْعَدْلُ . قَالُوا إِذَا ٱسْتَعْمَلْنَا ٱلْعَدْلَ ٱسْتَغْنَيْنَا بِهِ عَنِ ٱلشَّجَاعَةِ . وَيُقَالُ : عَدْلُ ٱلسُّلْطَانِ . أَنْفَعُ مِنْ خِصْبِ ٱلزَّمَانِ (للابشيهي)

١٤٦ إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ ٱنْتَشَرَ ٱلْعَدْلُ فِي رَعِيَّتِهِ . وَأَقَامُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَتَعَاطَوُا ٱلْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَلَزِمُوا قَوَانِينَ ٱلْعَدْلِ . فَمَاتَ ٱلْبَاطِلُ وَذَهَبَتْ رُسُومُ ٱلْجَوْرِ . وَٱنْتَعَشَتْ قَوَانِينُ ٱلْحَقِّ . فَأَرْسَلَتِ ٱلسَّمَاءُ غِيَاثَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا . وَنَمَتْ تِجَارَتُهُمْ . وَزَكَتْ زُرُوعُهُمْ . وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ . وَدَرَّتْ أَرْزَاقُهُمْ . وَرَخُصَتْ أَسْعَارُهُمْ .

وَٱمْتَلَأَتْ أَوْعِيَتُهُمْ . فَوَاسَى ٱلْبَخِيلُ . وَأَفْضَلَ ٱلْكَرِيمُ . وَقُضِيَتِ ٱلْحُقُوقُ . وَإِذَا جَارَ ٱلسُّلْطَانُ ٱنْتَشَرَ ٱلْجَوْرُ فِي ٱلْبِلَادِ وَعَمَّ ٱلْعِبَادَ . فَرَقَّتْ أَدْيَانُهُمْ . وَٱضْمَحَلَّتْ مُرُوآتُهُمْ . وَفَشَتْ فِيهِمِ ٱلْمَعَاصِي . وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ . وَتَضَعْضَعَتِ ٱلنُّفُوسُ . وَقَنِطَتِ ٱلْقُلُوبُ . فَمَنَعُوا ٱلْحُقُوقَ . وَتَعَاطَوْا ٱلْبَاطِلَ . وَبَخَسُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ . فَرُفِعَتْ مِنْهُمُ ٱلْبَرَكَةُ . وَأَمْسَكَتِ ٱلسَّمَاءُ غِيَاثَهَا . وَلَمْ تُخْرِجِ ٱلْأَرْضُ زَرْعَهَا وَنَبَاتَهَا . وَقَلَّ فِي أَيْدِيهِمِ ٱلْحُطَامُ . وَقَنِطُوا وَأَمْسَكُوا ٱلْفَضْلَ ٱلْمَوْجُودَ . وَتَنَاجَزُوا عَلَى ٱلْمَفْقُودِ . فَمَنَعُوا ٱلزَّكَوَاتِ ٱلْمَفْرُوضَةَ . وَبَخِلُوا بِٱلْمُوَاسَاةِ ٱلْمَسْنُونَةِ . وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ ٱلْمَكَارِمِ . وَتَنَازَعُوا ٱلْمِقْدَارَ ٱللَّطِيفَ وَتَجَاحَدُوا ٱلْقَدْرَ ٱلْخَسِيسَ . فَفَشَتْ فِيهِمِ ٱلْأَيْمَانُ ٱلْكَاذِبَةُ . وَٱلْحِيَلُ فِي ٱلْبَيْعِ . وَٱلْخِدَاعُ فِي ٱلْمُعَامَلَةِ . وَٱلْمَكْرُ وَٱلْحِيلَةُ فِي ٱلْقَضَاءِ وَٱلِٱقْتِضَاءِ . وَمَنْ عَاشَ كَذَٰلِكَ فَبَطْنُ ٱلْأَرْضِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهْرِهَا (للطرطوشي)

قَالَ أَرْدَشِيرُ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّ ٱلْمُلْكَ وَٱلْعَدْلَ أَخَوَانِ لَا غِنَى بِأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ . فَٱلْمُلْكُ أُسٌّ وَٱلْعَدْلُ حَارِسٌ . فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أُسٌّ فَمَهْدُومٌ . وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ (لابن عبد ربه)

الوفاء

١٤٧ قَالَ ٱلْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ٱلثَّقَفِيُّ : مَا خَلَقْتُ إِلَّا فَرَيْتُ . وَمَا وَعَدْتُ إِلَّا وَفَيْتُ (للقزويني)

قَالُوا . مَنْ تَحَلَّى بِٱلْوَفَاءِ . وَتَخَلَّى عَنِ ٱلْجَفَاءِ . فَذَٰلِكَ مِنْ إِخْوَانِ

ٱلصَّفَاء . وَقَالُوا : ٱلْوَفَاءُ ضَالَّةٌ كَثِيرٌ نَاشِدُهَا . قَلِيلٌ وَاجِدُهَا . وَقِيلَ :
ٱلْوَفَاءُ مِنْ شِيَمِ ٱلْكِرَامِ . وَٱلْغَدْرُ مِنْ خَلَائِقِ ٱللِّئَامِ

(الكنز المدفون للسيوطي)

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ :

ذَهَبَ ٱلْوَفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ ٱلذَّاهِبِ فَٱلنَّاسُ بَيْنَ مُخَاتِلٍ وَمُوَارِبِ
يُفْشُونَ بَيْنَهُمُ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلصَّفَا وَقُلُوبُهُمْ مَحْشُوَّةٌ بِعَقَارِبِ

١٤٨ قَالُوا : وَعْدُ ٱلْكَرِيمِ نَقْدٌ . وَوَعْدُ ٱللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ . قَالَ عُمَرُ ٱبْنُ ٱلْحَارِثِ : كَانُوا فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ يَفْعَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ . ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ . ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ

قَالَ زِيَادٌ ٱلْأَعْجَمُ :

لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولْ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ ٱلْجَوَا دِ وَحَبَّذَا صِدْقُ ٱلْبَخِيلْ

الصداقة والخلة

١٤٩ قِيلَ : ٱلْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ . قَالَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : خَيْرُ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ إِنِ ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ فِي ٱلْمَوَدَّةِ . وَإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ . وَإِنْ كُوثِرْتَ عَضَدَكَ . وَإِنِ ٱسْتَرْفَدْتَ رَفَدَكَ . وَأَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ أَبَانَ :

إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِرْ عَلَى ٱلذَّنْبِ مِنْ أَخٍ وَكُنْتُ أُجَازِيهِ فَأَيْنَ ٱلتَّفَاضُلُ
وَلٰكِنْ أُدَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرَّنِي وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

قَالَ آخَرُ :

وَلَيسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي بِلِسَانِـهِ   وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهْوَ غَائِبُ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا   وَمَالِي لَهُ إِنْ أَعْوَزَتْـهُ النَّوَائِبُ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِصْحَبْ ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلَ الدِّينِ   فَالْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَرِينِ

قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ
وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَا فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْـأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَـدِي

١٥٠ قِيلَ لِبزرجمهر : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ . فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا . وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ : أَلْقَرَابَةُ تُقْطَعُ . وَالْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ . وَمَا رَأَيْتُ كَتَقَارُبِ الْقُلُوبِ

قَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ : يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِطَ لِزَلَّةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ عُذْرًا . فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَقُلْ لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ . يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَخُوكَ سَبْعِينَ عُذْرًا فَلَا تَقْبَلُ عُذْرَهُ فَأَنْتَ الْمَعْتُوبُ لَا هُوَ

قَالَ الْمُبَرِّدُ :

مَا الْقُرْبُ إِلَّا لِمَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُـهُ
وَلَمْ يَخُنْكَ وَلَيْسَ الْقُرْبُ لِلنَّسَبِ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ دَوِيِّ ٱلصَّدْرِ مُضْطَغِنٍ
وَمِنْ بَعِيدٍ سَلِيمٍ غَيْرِ مُقْتَرِبِ

قَالَ ٱلْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَلْقَاكَ بِٱلْبِشْرِ وَٱلرِّضَا وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ ٱلْمَتْكَ عَقَارِبُهْ

قَالَ بَشَّارٌ :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي صَدِيقُكَ إِنَّ ٱلرَّأْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأْيَ عَيْنِهِ وَلٰكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهْوَ غَائِبُ

١٥١ مِمَّا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادَهُ : يَا بَنِيَّ عَاشِرُوا ٱلنَّاسَ عِشْرَةً إِنْ غِبْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ . وَإِنْ فُقِدْتُمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ . يَا بَنِيَّ : إِنَّ ٱلْقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَاحَظُ بِٱلْمَوَدَّةِ وَتَتَنَاجَى بِهَا وَكَذٰلِكَ هِيَ فِي ٱلْبُغْضِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ ٱلرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَٱرْجُوهُ . وَإِذَا أَبْغَضْتُمُ ٱلرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَٱحْذَرُوهُ

قَالَ ٱلطُّغْرَائِيُّ :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهْوَ أَجَلُّ ذُخْرٍ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ ٱلزَّمَانِ
وَإِنْ بَانَتْ إِسَاءَتُهُ فَهَبْهَا لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلشِّيَمِ ٱلْحِسَانِ
تُرِيدُ مُهَذَّبًا لَا عَيْبَ فِيهِ وَهَلْ عُودٌ يَفُوحُ بِلَا دُخَانِ

قَالَ ٱلْعَطْوِيُّ :

صُنِ ٱلْوِدَّ إِلَّا عَنِ ٱلْأَكْرَمِينَ وَمَنْ بِمُؤَاخَاتِهِ تَشْرُفُ
وَلَا تَغْتَرِرْ مِنْ ذَوِي خِلَّةٍ وَإِنْ مَوَّهُوا لَكَ أَوْ زَخْرَفُوا

١٥٢ قَالَ بَزَرْجَمهر: مَن لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخٌ يَرْجِعُ إِلَيْـهِ فِي أُمُورِهِ وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ فِي شِدَّتِهِ فَلَا يَعُدَّنَّ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ. مِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْعَارِفِينَ: أَلْأَخُ ٱلصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ. لِأَنَّ ٱلنَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِٱلسُّوءِ وَٱلْأَخُ ٱلصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِٱلْخَيْرِ. فِي ٱلْخَبَرِ: أَلْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيـهِ. وَيُقَالُ: ٱلرَّجُلُ بِلَا إِخْوَانٍ كَٱلشِّمَالِ بِلَا يَمِينٍ. وَيُقَالُ: مَنِ ٱتَّخَذَ إِخْوَانًا. كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا. وَقَالَ ٱلْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَـةَ: أَلتَّارِكُ لِلْإِخْوَانِ مَتْرُوكٌ. وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَـةَ: عَلَيْكَ بِٱلْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي ٱلرَّخَاءِ. وَعُدَّةٌ عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ (لبهاء الدين)

قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

تَكَثَّرْ مِنَ ٱلْإِخْوَانِ مَا ٱسْطَعْتَ إِنَّهُمْ عِمَادٌ إِذَا ٱسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظَهِيرُ
وَمَا بِكَثِيرٍ أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرُ

١٥٣ وَقَالَ ٱلْعُتْبِيُّ: لِقَاءُ ٱلْإِخْوَانِ نُزْهَةُ ٱلْقُلُوبِ. وَقَالَ ٱبْنُ عَائِشَةَ ٱلْقُرَشِيُّ: مُجَالَسَةُ ٱلْإِخْوَانِ مَسْلَاةٌ لِلْأَحْزَانِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: إِنَّ فِي لِقَاءِ ٱلْإِخْوَانِ لَغُنْمًا وَإِنْ قَلَّ

(ظرائف اللطائف لابي نصر المقدسي)

وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ ٱلْهَيْثَمِ: مَا تُحِبُّ لِلصَّدِيقِ. فَقَالَ: ثَلَاثَ خِلَالٍ. كِتْمَانَ حَدِيثِ ٱلْخَلْوَةِ. وَٱلْمُوَاسَاةَ عِنْدَ ٱلشِّدَّةِ. وَإِقَالَةَ ٱلْعَثْرَةِ

(للمستعصمي)

١٥٤ قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَعْفَرٍ: عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ.

وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ صَانَكَ . وَإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلَيْهِ مَانَكَ . وَإِنْ رَأَى مِنْكَ خَلَّةً سَدَّهَا . أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا . وَقَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : مِنْ حُقُوقِ ٱلْمَوَدَّةِ أَخْذُ عَفْوِ ٱلْإِخْوَانِ . وَٱلْإِغْضَاءُ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ . وَقِيلَ : خَيْرُ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا نَسِيتَ ذَنْبَكَ لَمْ يُقَرِّعْكَ بِهِ . وَمَعْرُوفُهُ عِنْدَكَ لَمْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِهِ (للشريشي)

قَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ : ٱنْتَفَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا ٱنْتَفَعْتُ بِأَصْدِقَائِي لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي وَيُنَبِّهُونِي بِذٰلِكَ عَلَى ٱلْخَطَاءِ فَأَسْتَدْرِكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُزَيِّنُونَ لِي ٱلْخَطَاءَ وَيُشَجِّعُونِي عَلَيْهِ (الآداب السلطانيّة للفخري)

وَلِلّٰهِ دَرُّ أَبِي حَيَّانَ ٱلْأَنْدَلُسِيِّ :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ ٱلرَّحْمٰنُ عَنِّي ٱلْأَعَادِيَا
هُمُ بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَٱجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَٱكْتَسَبْتُ ٱلْمَعَالِيَا

المشورة

١٥٥ سُئِلَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَيُّ ٱلْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . مُشَاوَرَةُ ٱلْعُلَمَاءِ . وَتَجْرِبَةُ ٱلْأُمُورِ . وَحُسْنُ ٱلتَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . ٱلِٱسْتِبْدَادُ . وَٱلتَّهَاوُنُ . وَٱلْعَجَلَةُ . كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : رَأْيُ ٱلشَّيْخِ أَحْسَنُ مِنْ جَلَدِ ٱلْغُلَامِ . قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ : قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبْسٍ مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ .

فَنَحْنُ نُشَاوِرُهُ فَكَأَنَّا أَلْفُ حَازِمٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

أَلرَّأْيُ كَاللَّيْلِ مُسْوَدًّا جَوَانِبُهُ وَاللَّيْلُ لَا يَنْجَلِي إِلَّا بِإِصْبَاحِ
فَاضْمُمْ مَصَابِيحَ آرَاءِ الرِّجَالِ إِلَى مِصْبَاحِ رَأْيِكَ تَزْدَدْ ضَوْءَ مِصْبَاحِ

قَالَ الْأَرَّجَانِيُّ :

إِقْرِنْ بِرَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ وَاسْتَشِرْ فَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى الْإِثْنَيْنِ
لِلْمَرْءِ مِرْآةٌ تُرِيهِ وَجْهَهُ وَيَرَى قَفَاهُ بِجَمْعِ مِرْآتَيْنِ

١٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : إِذَا شَاوَرْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ . وَقَالَ الْعَتَابِيُّ : الْمَشُورَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ . وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْمَشُورَةُ رَاحَةٌ لَكَ وَتَعَبٌ لِغَيْرِكَ . وَمَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةَ لَمْ يَنْدَمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَادِحًا وَعِنْدَ الْخَطَإِ عَاذِرًا (لابي نصر المقدسي)

كتمان السر

١٥٧ قَالَ أَنُوشَرْوَانُ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ خَصْلَتَانِ . الظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ . وَالسَّلَامَةُ مِنَ السَّطَوَاتِ . وَقِيلَ : كُلَّمَا كَثُرَتْ خُزَّانُ الْأَسْرَارِ زَادَتْ ضَيَاعًا . وَقِيلَ : أَنْفَرِدْ بِسِرِّكَ لَا تُودِعْهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ . وَلَا جَاهِلًا فَيَخُونَ (للابشيهي)

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ :

وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلرِّجَالِ سَرِيرَتِي وَلَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِمُسَائِلِ

وَقَالَ آخَرُ :

يَا ذَا الَّذِي أَوْدَعَنِي سِرَّهُ لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي

لَمْ أُجْرِهِ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ فِي أُذُنِي

قَالَ ٱبْنُ ٱلْخَطِيرِ :

لَا يَكْتُمُ ٱلسِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَٱلسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ ٱلنَّاسِ مَكْتُومُ

فَٱلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَٱلْبَابُ مَخْتُومُ

قَالَ أَبُو ٱلْمَحَاسِنِ ٱلشَّوَّاءُ فِي شَخْصٍ لَا يَكْتُمُ ٱلسِّرَّ وَقَدْ أَجَادَ فِيهِ :

لِي صَدِيقٌ غَدَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْـطِقُ إِلَّا بِغِيبَـةٍ أَوْ مُحَالِ

أَشْبَهَ ٱلنَّاسِ بِٱلصَّدَى إِنْ تُحَدِّثْـهُ حَدِيثًا أَعَادَهُ فِي ٱلْحَـالِ

الصمت وحفظ اللسان

١٥٨ سُئِـلَ سُولُونُ : أَيُّ شَيْءٍ أَصْعَبُ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ . قَالَ : ٱلْإِمْسَاكُ عَنِ ٱلْكَلَامِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ . شَتَمَ رَجُلٌ سَخِينِسَ ٱلْحَكِيمَ فَأَمْسَكَ عَنْهُ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ . فَقَالَ : لَا أَدْخُلُ حَرْبًا ٱلْغَالِبُ فِيهَا أَشَرُّ مِنَ ٱلْمَغْلُوبِ . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ . لَا تَبِعْ هَيْبَةَ ٱلسُّكُوتِ بِٱلرَّخِيصِ مِنَ ٱلْكَلَامِ . قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : إِخْتِصَارُ ٱلْكَلَامِ طَيُّ ٱلْمَعَانِي . وَقِيلَ لَهُ : مَا أَحْسَنَ مَا حَمَلَهُ ٱلْإِنْسَانُ . قَالَ : ٱلسُّكُوتُ . وَمِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ ٱلرَّجُلِ بِقِلَّةِ مَقَالِهِ . وَعَلَى فَضْلِهِ بِكَثْرَةِ ٱحْتِمَالِهِ (لبهاء الدين)

١٥٩ ٱجْتَمَعَ أَرْبَعَـةُ مُلُوكٍ فَتَكَلَّمُوا . فَقَالَ مَلِكُ ٱلْفُرْسِ : مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ مَرَّةً وَنَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ مِرَارًا . وَقَالَ قَيْصَرُ : أَنَا عَلَى رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْـدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ ٱلصِّينِ : مَا لَمْ

أَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ مَلَكْتُهَا فَإِذَا تَكَلَّمْتُ بِهَا مَلَكَتْنِي . وَقَالَ مَلِكُ ٱلْهِنْدِ :
أَلْعَجَبُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ إِنْ رُفِعَتْ ضَرَّتْ وَإِنْ لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَنْفَعْ
(كاليله ودمنه)

١٦٠ ذَكَرَ ٱبْنُ خِلِّكَانَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُجَالِسُ ٱلشَّعْبِيَّ وَيُطِيلُ ٱلصَّمْتَ . فَقَالَ لَهُ ٱلشَّعْبِيُّ يَوْمًا : أَلَا تَتَكَلَّمُ . فَقَالَ : أَصْمُتُ فَأَسْلَمُ . وَأَسْمَعُ فَأَعْلَمُ . إِنَّ حَظَّ ٱلْمَرْءِ فِي أُذُنِهِ لَهُ وَفِي لِسَانِهِ لِغَيْرِهِ (للدميري)

قَالَ ٱبْنُ ٱلسِّكِّيتِ :

يُصَابُ ٱلْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ
وَلَيْسَ يُصَابُ ٱلْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ ٱلرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ بِٱلْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ
وَعَثْرَتُهُ بِٱلرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهْلِ

١٦١ قَالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ : أَلنَّدَمُ عَلَى ٱلصَّمْتِ خَيْرٌ مِنَ ٱلنَّدَمِ عَلَى ٱلْقَوْلِ . وَمِنْ فُصُولِ ٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ : مَنْ أَخَافَهُ ٱلْكَلَامُ أَجَارَهُ ٱلصَّمْتُ . وَقَالَ أَيْضًا : ٱلْخَطَأُ بِٱلصَّمْتِ يُخْتَمُ . وَٱلْخَطَلُ بِمِثْلِهِ لَا يُكْتَمُ

وَقَالَ آخَرُ :

أَلصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ صِدْقَ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْمَحَبَّهْ
وَٱلْقَوْلُ يَسْتَدْعِي لِصَا حِبِهِ ٱلْمَذَمَّةَ وَٱلْمَسَبَّهْ
فَٱرْغَبْ عَنِ ٱلْقَوْلِ وَلَا يَهْتَاجَ مِنْكَ إِلَيْهِ رَغْبَهْ

١٦٢ وَيُقَالُ : مِنْ عَلَامَاتِ ٱلْعَاقِلِ حُسْنُ سَمْتِهِ . وَطُولُ صَمْتِهِ . وَقَالَ

بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَوَّلُ ٱلْعِلْمِ ٱلصَّمْتُ . وَٱلثَّانِي حُسْنُ ٱلِاسْتِمَاعِ . وَٱلثَّالِثُ ٱلْحِفْظُ . وَٱلرَّابِعُ ٱلْعَمَلُ بِهِ . وَٱلْخَامِسُ نَشْرُهُ . كَانَ يُقَالُ : مَقْتَلُ ٱلرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : ٱللِّسَانُ . أَجْرَحُ جَوَارِحِ ٱلْإِنْسَانِ . وَقَالَ آخَرُ : ٱللِّسَانُ سَبُعٌ صَغِيرُ ٱلْجِرْمِ

(لابي نصر المقدسي)

سَمِعْتُ بَعْضَ ٱلشُّيُوخِ يَقُولُ : أَشَدُّ ٱلنَّاسِ بَلَاءً وَأَكْثَرُهُمْ عَنَاءً . مَنْ لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ . وَقَلْبٌ مُطْبَقٌ . فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ (الكنز المدفون)

قَالَ نَضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ :

وَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَحَكِّمٍ يَجِدُ ٱلْمُحَالَ مِنَ ٱلْأُمُورِ صَوَابَا
أَوْلَيْتُهُ مِنِّي ٱلسُّكُوتَ وَرُبَّمَا كَانَ ٱلسُّكُوتُ عَنِ ٱلْجَوَابِ جَوَابَا

قَالَ فَيْلَسُوفٌ : كَمَا أَنَّ ٱلْآنِيَةَ تُمْتَحَنُ بِإِطْنَانِهَا فَيُعْرَفُ صَحِيحُهَا أَوْ مَكْسُورُهَا . كَذٰلِكَ ٱلْإِنْسَانُ يُعْرَفُ حَالُهُ بِمَنْطِقِهِ (لبهاء الدين)

١٦٣ شَاوَرَ مُعَاوِيَةُ ٱلْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ فِي ٱسْتِخْلَافِهِ يَزِيدَ . فَسَكَتَ عَنْهُ فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَقُولُ . فَقَالَ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَسْخَطْنَاكَ . وَإِنْ كَذَبْنَاكَ أَسْخَطْنَا ٱللّٰهَ . فَسُخْطُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ سُخْطِ ٱللّٰهِ . فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ

قَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ : لِسَانُ ٱلْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ ٱلْكَلَامَ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ . وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ سَكَتَ . وَقَلْبُ

ٱلْأَحْمَقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ (لابن عبد ربّه)
قَالَ زُهَيْرٌ:
كَأَيِّنْ تَرَى مِنْ مُعْجِبٍ لَكَ صَامِتٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي ٱلتَّكَلُّمِ
لِسَانُ ٱلْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ

الكذب

١٦٤ أَلْكَذِبُ هُوَ ٱلْإِخْبَارُ عَلَى خِلَافِ ٱلْوَاقِعِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَمْ أَدَعِ ٱلْكَذِبَ تَوَرُّعًا. تَرَكْتُهُ تَصَنُّعًا (الكنز المدفون للسيوطي)
قَالَ عُمَرُ: عَلَيْكَ بِٱلصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذٰلِكَ.
عَلَيْكَ بِٱلصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ ٱلصِّدْقُ بِنَارِ ٱلْوَعِيدْ
وَٱبْغِ رِضَا ٱلْمَوْلَى فَأَغْبَى ٱلْوَرَى مَنْ أَسْخَطَ ٱلْمَوْلَى وَأَرْضَى ٱلْعَبِيدْ
وَقِيلَ: لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ ٱلنُّطْقِ ٱلصِّدْقُ (للابشيهي)
١٦٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ: ٱلصِّدْقُ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ. وَزَكَاةُ ٱلْخِلْقَةِ. وَثَمَرَةُ ٱلْمُرُوءَةِ. وَشُعَاعُ ٱلضَّمِيرِ. وَعَنْ جَلَالَةِ ٱلْقَدْرِ عِبَارَتُهُ. وَإِلَى ٱعْتِدَالِ وَزْنِ ٱلْعَقْلِ يُنْسَبُ صَاحِبُهُ. قَالَ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ: ٱلْكَذَّابُ وَٱلْمَيْتُ سَوَاءٌ. لِأَنَّ فَضِيلَةَ ٱلْحَيِّ ٱلنُّطْقُ فَإِذَا لَمْ يُوثَقْ بِكَلَامِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ. قَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ: ٱلْكَذَّابُ لِصٌّ. لِأَنَّ ٱللِّصَّ يَسْرِقُ مَالَكَ. وَٱلْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ. وَلَا تَأْمَنْ مِنْ كَاذِبٍ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ. وَمَنِ ٱغْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ

حَسْبُ ٱلْكَذُوبِ مِنَ ٱلْمَهَا   نَةِ بَعْضُ مَا يُحْكَى عَلَيْه
مَا إِنْ سَمِعْتُ بِكِذْبَةٍ   مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْه

(زهر الآداب للقيرواني)

التواضع والكبر

١٦٦ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا ٱلتَّوَاضُعُ . فَقَالَ : ٱجْتِلَابُ ٱلْمَجْدِ وَٱكْتِسَابُ ٱلْوِدِّ . فَقِيلَ : مَا ٱلْكِبْرُ . فَقَالَ ٱكْتِسَابُ ٱلْبُغْضِ . وَقِيلَ : ٱلتَّوَاضُعُ أَحَدُ مَصَايِدِ ٱلشَّرَفِ . مَنْ لَمْ يَتَّضِعْ عِنْدَ نَفْسِهِ . لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَ غَيْرِهِ

نَظَرَ مُطَرِّفٌ إِلَى ٱلْمُهَلَّبِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَسْحَبُهَا . فَقَالَ : مَا هٰذِهِ ٱلْمِشْيَةُ ٱلَّتِي يُبْغِضُهَا ٱللهُ تَعَالَى . فَقَالَ : أَوَمَا تَعْرِفُنِي . قَالَ : بَلَى أَوَّلُكَ مَادَّةٌ مَذِرَةٌ وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ . فَلَمْ يَعُدْ إِلَى تِلْكَ ٱلْمِشْيَةِ بَعْدَ ذٰلِكَ . وَنَظَرَ ٱلْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يَخْطِرُ فِي نَاحِيَةِ ٱلْمَسْجِدِ . فَقَالَ : ٱنْظُرُوا إِلَى هٰذَا لَيْسَ مِنْهُ عُضْوٌ إِلَّا وَلِلّٰهِ عَلَيْهِ فِيهِ نِعْمَةٌ وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ لَعْنَةٌ

وَٱشْتَرَى رَجُلٌ شَيْئًا فَمَرَّ بِسَلْمَانَ وَهُوَ أَمِيرُ ٱلْمَدَائِنِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ . فَقَالَ : ٱحْمِلْ مَعِي هٰذَا يَا عِلْجُ . فَحَمَلَهُ . فَكَانَ مَنْ يَتَلَقَّاهُ يَقُولُ : ٱدْفَعْهُ إِلَيَّ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ . فَقَالَ : وَٱللهِ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا ٱلْعِلْجُ . وَٱلرَّجُلُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ . فَأَبَى حَتَّى حَمَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ   (للثعالبي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَثَلُ ٱلْمَجْدِ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ   مَثَلُ ٱلظِّلِّ ٱلَّذِي يَمْشِي مَعَكْ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مُتَّبِعًا   فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكْ

١٦٧ قَالَ بَعضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِبَعضِ ٱلْوُزَرَاءِ : إِنَّ تَوَاضُعَكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . قَالَ بَعضُهُمْ :

وَمِنَ ٱلبَلْوَى ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي ٱلنَّاسِ كُنْهُ
أَنَّ مَنْ يَعرِفُ شَيْئًا يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلعَتَاهِيَةِ :

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهْوَ غَدًا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَنْصُورَ كَانَ جَالِسًا فَأَلَحَّ عَلَيْهِ ٱلذُّبَابُ حَتَّى أَضْجَرَهُ . فَقَالَ : ٱنْظُرُوا مَنْ بِٱلْبَابِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ . فَقَالُوا : مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ . فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ تَعلَمُ لِأَيِّ حِكْمَةٍ خَلَقَ ٱللهُ ٱلذُّبَابَ . قَالَ : لِيُذِلَّ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَجَازَهُ (للابشيهي)

١٦٨ قَالَ بَعضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَحَقُّ مَنْ كَانَ لِلْكِبْرِ مُجَانِبًا . وَلِلْإِعْجَابِ مُبَايِنًا . مَنْ جَلَّ فِي ٱلدُّنْيَا قَدْرُهُ . وَعَظُمَ فِيهَا خَطَرُهُ . لِأَنَّهُ يَستَقِلُّ بِعَالِي هِمَّتِهِ كُلَّ كَثِيرٍ . وَيَستَصْغِرُ مَعَهَا كُلَّ كَبِيرٍ

وَرَدَ فِي بَعضِ ٱلْكُتُبِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ : عَجَبًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَا لَيسَ فِيهِ فَفَرِحَ . وَقِيلَ فِيهِ مِنَ ٱلشَّرِّ مَا هُوَ فِيهِ فَغَضِبَ

(للعاملي)

الحسد

١٦٩ قِيلَ : ٱلْحَسَدُ أَنْ تَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ غَيْرِكَ . أَلْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ ٱللهُ بِهِ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : ٱلْحَسَدُ وَٱلْحِرْصُ دِعَامَتَا ٱلذُّنُوبِ . فَٱلْحِرْصُ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . وَٱلْحَسَدُ نَقَلَ إِبْلِيسَ عَنْ جِوَارِ ٱللهِ . وَقَالَ أَيْضًا : لِلّٰهِ دَرُّ ٱلْحَسَدِ مَا أَعْدَلَهُ يَقْتُلُ ٱلْحَاسِدَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى ٱلْمَحْسُودِ . وَقِيلَ : ٱلْحَسُودُ لَا يَسُودُ (للثعالبي)

قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ :

أَلْمَجْدُ وَٱلْحُسَّادُ مَقْرُونَانِ إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبْ
وَلَئِنْ مَلَكْتَ ٱلْمَجْدَ لَمْ تَمْلِكْ مَوَدَّاتِ ٱلْأَقَارِبْ

١٧٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : أَعْظَمُ ٱلذُّنُوبِ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْحَسَدُ وَٱلْحَاسِدُ مُضَادٌّ لِنِعْمَةِ ٱللهِ . خَارِجٌ عَنْ أَمْرِ ٱللهِ . تَارِكٌ لِعَهْدِ ٱللهِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كُلُّ إِنْسَانٍ أَقْدِرُ أَنْ أُرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا . وَكَانَ يُقَالُ : ٱلْحِقْدُ دَاءٌ دَوِيٌّ . وَيُقَالُ : مَنْ كَثُرَ حِقْدُهُ دَوِيَ قَلْبُهُ . وَيُقَالُ : ٱلْحِقْدُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . وَيُقَالُ : حُلَّ عُقَدَ ٱلْحِقْدِ . يَنْتَظِمْ لَكَ عِقْدُ ٱلْوُدِّ (لابي نصر المقدسي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا ٱشْتِعَالُ ٱلنَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ ٱلْعُودِ

ذمّ الغيبة

١٧١ إعلَمْ أَنَّ ٱلغِيبَةَ مِنْ أَقبَحِ ٱلقَبائِحِ وأَكثَرِها ٱنتِشارًا في ٱلنَّاسِ حَتَّى لا يَسلَمُ مِنْها إلَّا ٱلقَليلُ مِنَ ٱلنَّاسِ . وهِيَ ذِكرُكَ ٱلإنسانَ بِما يَكرَهُ ولَوْ بِما فِيهِ . سَواءٌ كانَ في دِينِهِ أَوْ بَدَنِهِ أَوْ نَفسِهِ أَوْ خَلْقِهِ أَوْ خُلُقِهِ أَوْ مالِهِ أَوْ غَيرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَتعَلَّقُ بِهِ . سَواءٌ ذَكَرْتَهُ بِلَفظِكَ أَوْ بِكِتابِكَ أَوْ رَمَزْتَ إلَيهِ بِعَينِكَ أَوْ يَدِكَ أَوْ رَأْسِكَ أَوْ نَحوِ ذٰلِكَ . وَقِيلَ لِلرَّبِيعِ ٱبنِ خُثَيمٍ : ما نَراكَ تَعيبُ أَحَدًا . فَقالَ : لَستُ عَنْ نَفسِي راضِيًا فَأَتَفَرَّغَ لِذَمِّ ٱلنَّاسِ . وأَنشَدَ :

لِنَفسِي أَبكِي لَستُ أَبكِي لِغَيرِها   لِنَفسِي مِنْ نَفسِي عَنِ ٱلنَّاسِ شاغِلُ

١٧٢ إستَحِ مِنْ ذَمِّ مَنْ لَوْ كانَ حاضِرًا لَبالَغتَ في مَدحِهِ . ومَدحِ مَنْ لَوْ كانَ غائِبًا لَسارَعتَ إلى ذَمِّهِ . وَمِنْ كَلامِهِمْ : كَما أَنَّ ٱلذُّبابَ يَتبَعُ مَواضِعَ ٱلجُرُوحِ فَيَنكَأُها وَيَجتَنِبُ ٱلمَواضِعَ ٱلصَّحِيحَةَ . كَذٰلِكَ ٱلأَشرارُ يَتبَعُونَ ٱلمَعايِبَ فَيَذكُرُونَها وَيَدفِنُونَ ٱلمَحاسِنَ

(لبهاء الدين)

١٧٣ إعلَمْ أَنَّهُ كَما يَحرُمُ عَلَى ٱلمُغتابِ ذِكرُ ٱلغِيبَةِ كَذٰلِكَ يَحرُمُ عَلَى ٱلسَّامِعِ ٱستِماعُها . فَيَجِبُ عَلَى مَنْ يَستَمِعُ إنسانًا يَبتَدِئُ بِغِيبَةٍ أَنْ يَنهاهُ إنْ لَمْ يَخَفْ ضَرَرًا . فَإنْ خافَهُ وَجَبَ عَلَيهِ ٱلإنكارُ بِقَلبِهِ وَمُفارَقَةُ ذٰلِكَ ٱلمَجلِسِ إنْ تَمَكَّنَ مِنْ مُفارَقَتِهِ (للابشيهي)

سَمِعَ عَلِيٌّ رَجُلًا يَغتابُ آخَرَ عِندَ ٱبنِهِ ٱلحَسَنِ فَقالَ : يا بُنَيَّ نَزِّهْ

سَمْعَكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ

(للمستعصمي)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ ٱلْقَبِيحِ ... كَصَوْنِ ٱللِّسَانِ عَنِ ٱلنُّطْقِ بِهْ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ ٱلْقَبِيحِ ... شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَٱنْتَبِهْ

المزاح

١٧٤ قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ ٱلْعَرَبِ : (ٱلْمُزَاحُ يُذْهِبُ ٱلْمَهَابَةَ وَيُورِثُ ٱلضَّغِينَةَ أَوِ ٱلْمَهَانَةَ) وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : ٱلْمُزَاحُ يَأْكُلُ ٱلْهَيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ . وَمَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ لَمْ يَزَلْ فِي ٱسْتِخْفَافٍ بِهِ وَحِقْدٍ عَلَيْهِ

قَالَ نَاصِحُ ٱلدِّينِ بْنِ ٱلدَّهَّانِ :

لَا تَجْعَلِ ٱلْهَزْلَ دَأْبًا فَهُوَ مَنْقَصَةٌ ... وَٱلْجِدُّ تَعْلُو بِهِ بَيْنَ ٱلْوَرَى ٱلْقِيَمُ
وَلَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ مَلْكٍ تَبَسُّمُهُ ... مَا سَحَّتِ ٱلسُّحْبُ إِلَّا حِينَ تَبْتَسِمُ

١٧٥ كَانَ يُقَالُ : ٱلْإِفْرَاطُ فِي ٱلْمَزْحِ مُجُونٌ وَٱلِٱقْتِصَادُ فِيهِ ظَرَافَةٌ . وَيُقَالُ : ٱلْمَزْحُ فِي ٱلْكَلَامِ . كَٱلْمِلْحِ فِي ٱلطَّعَامِ . وَقَدْ نَظَمَهُ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ فَقَالَ :

أَفِدْ طَبْعَكَ ٱلْمَكْدُودَ بِٱلْهَمِّ رَاحَةً ... قَلِيلًا وَعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْمَزْحِ
وَلٰكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ ٱلْمَزْحَ فَلْيَكُنْ ... بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي ٱلطَّعَامَ مِنَ ٱلْمِلْحِ

(لابي نصر المقدسي)

الكرم

١٧٦ أَلْجُودُ سُهُولَةُ ٱلْبَذْلِ وَسُقُوطُ شُحِّ ٱلنَّفْسِ . وَقَدْ قِيلَ فِي كَرِيمٍ :

يَا وَاحِدَ ٱلْعُرْبِ ٱلَّذِي   أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ
لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخَرٌ   مَا كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا فَقِيرٌ

(الكنز المدفون)

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيّ حَكِيمُ ٱلْعَرَبِ : ذَلِّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ . وَقُودُوهَا إِلَى ٱلْمَحَامِدِ . وَعَلِّمُوهَا ٱلْمَكَارِمَ . وَصِلُوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ . وَتَحَلَّوْا بِٱلْجُودِ يُلْبِسْكُمُ ٱلْمَحَبَّةَ . وَلَا تَعْتَقِدُوا ٱلْبُخْلَ فَتَتَعَجَّلُوا ٱلْفَقْرَ

(لابن عبد ربّه)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَصِفُ ٱلْخَلِيفَةَ ٱلْمُعْتَصِمَ :

تَعَوَّدَ بَسْطَ ٱلْكَفِّ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ   أَرَادَ ٱنْقِبَاضًا لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ
هُوَ ٱلْبَحْرُ مِنْ أَيِّ ٱلنَّوَاحِي أَتَيْتَهُ   فَلُجَّتُهُ ٱلْمَعْرُوفُ وَٱلْجُودُ سَاحِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ   لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ ٱللّٰهَ سَائِلُهْ

١٧٧ قَالُوا : ٱلسَّخِيُّ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِبَذْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِعَطَائِهِ . لَا يَلْتَمِسُ عَرَضَ دُنْيَا فَيُحْبِطَ عَمَلَهُ . وَلَا طَلَبَ مُكَافَأَةٍ فَيَسْقُطَ شُكْرُهُ . وَيَكُونُ مَثَلُهُ فِيمَا أَعْطَى مَثَلَ ٱلصَّائِدِ ٱلَّذِي يُلْقِي ٱلْحَبَّ لِلطَّائِرِ لَا يُرِيدُ نَفْعَهُ وَلٰكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : مَنْ أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ . قَالَ : مَنْ جَادَ مِنْ قِلَّةٍ . وَصَانَ وَجْهَ ٱلسَّائِلِ عَنِ ٱلْمَذَلَّةِ (لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْحُسَيْنِ ٱلْجَزَّارُ فِي ٱلْحَثِّ عَلَى ٱلْإِنْفَاقِ :

إِذَا كَانَ لِي مَالٌ عَلَامَ أَصُونُهُ ... وَمَا سَادَ فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْبُخْلِ دِينُهُ
وَمَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا يَسَارٍ فَإِنَّهُ ... خَلِيقٌ لَعَمْرِي أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ

١٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : ٱلْجُودُ أَشْرَافُ ٱلْأَخْلَاقِ . وَأَنْفَسُ ٱلْأَعْلَاقِ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : ٱلْجُودُ حَارِسُ ٱلنَّفْسِ مِنَ ٱلذَّمِّ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْأَسْخِيَاءُ يَعْبُدُهُمُ ٱلْمَالُ . وَٱلْبُخَلَاءُ يَعْبُدُونَهُ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ : لَوْ كَانَ شَيْءٌ يُشْبِهُ ٱلرُّبُوبِيَّةَ لَقُلْتُ : ٱلْجُودُ . وَيُقَالُ : مَنْ جَادَ سَادَ . وَمَنْ بَخِلَ رَذُلَ . وَقَالَ عُمَرُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلْجَوَادُ حِينَ يُسْأَلُ . وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكْتَهُ ... فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَٱلْمَالُ لَكْ

قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ بَعْضَ ٱلْخُلَفَاءِ :

بَنَتِ ٱلْمَكَارِمُ وَسْطَ كَفِّكَ مَنْزِلًا ... وَجَعَلْتَ مَالَكَ لِلْأَنَامِ مُبَاحَا
فَإِذَا ٱلْمَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا ... كَانَتْ يَدَاكَ لِقُفْلِهَا مِفْتَاحَا

١٧٩ كَتَبَ كِسْرَى إِلَى هُرْمُزَ : ٱسْتَقْلِلْ كَثِيرَ مَا تُعْطِي . وَٱسْتَكْثِرْ قَلِيلَ مَا تَأْخُذُ . فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ ٱلْكَرِيمِ فِيمَا يُعْطِي . وَقُرَّةَ عَيْنِ ٱللَّئِيمِ فِيمَا يَأْخُذُ . وَلَا تَجْعَلِ ٱلشَّحِيحَ لَكَ مُعِينًا . وَلَا ٱلْكَذَّابَ أَمِينًا . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ مَعَ شُحٍّ وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ . وَٱلسَّلَامُ (للمستعصمي)

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ ... تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ ... فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

الشكر

١٨٠ أَلشُّكْرُ أَلثَّنَاءُ عَلَى أَلْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ . وَقَالَ إِبْرٰهِيمُ أَلشَّيْبَانِيُّ : كُنْتُ أَرَى رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ أَلْكُوفَةِ لَا يَجِفُّ لُبُّهُ . وَلَا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ . فِي طَلَبِ حَوَائِجِ أَلنَّاسِ وَإِدْخَالِ أَلْمَرَافِقِ عَلَى أَلضَّعِيفِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنِ أَلْحَالِ أَلَّتِي هَوَّنَتْ عَلَيْكَ هٰذَا أَلتَّعَبَ فِي أَلْقِيَامِ بِحَوَائِجِ أَلنَّاسِ مَا هِيَ . قَالَ : قَدْ وَٱللهِ سَمِعْتُ تَغْرِيدَ ٱلْأَطْيَارِ . بِٱلْأَسْحَارِ . فِي فُرُوعِ ٱلْأَشْجَارِ . وَسَمِعْتُ خُفُوقَ أَوْتَارِ ٱلْعِيدَانِ . وَتَرْجِيعَ أَصْوَاتِ ٱلْقِيَانِ . فَمَا طَرِبْتُ مِنْ صَوْتٍ قَطُّ طَرَبِي مِنْ ثَنَاءِ حَسَنٍ بِلِسَانٍ حَسَنٍ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَحْسَنَ . وَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ شُكْرِ حُرٍّ لِرَجُلٍ حُرٍّ (للشريشي)

١٨١ قَالَ سُلَيْمَانُ ٱلتَّيْمِيُّ : إِنَّ ٱللهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ . وَكَلَّفَهُمْ مِنَ ٱلشُّكْرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ . قِيلَ : ٱلشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلنِّعَمِ لِأَنَّهُ يَبْقَى وَٱلنِّعَمُ تَفْنَى . وَقِيلَ : ٱلشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي ٱلنِّعَمِ . وَأَمَانٌ مِنَ ٱلنِّقَمِ . وَقَالُوا : كُفْرُ ٱلنِّعْمَةِ يُوجِبُ زَوَالَهَا . وَشُكْرُهَا يُوجِبُ ٱلْمَزِيدَ فِيهَا . وَقَالُوا : مَنْ حَمِدَكَ فَقَدْ وَفَاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ . وَقَالُوا : إِذَا قَصُرَتْ يَدَاكَ عَنِ ٱلْمُكَافَأَةِ فَلْيَطُلْ لِسَانُكَ بِٱلشُّكْرِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ٱلْوَاقِدِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ٱلْبَرْمَكِيِّ فَقُلْتُ : إِنَّ هٰهُنَا قَوْمًا يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هٰؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا فَكَيْفَ لَنَا شُكْرُهُمْ (لابن عبد ربّه)

١٨٢ أَلْقَنَاعَةُ ٱلِاكْتِفَاءُ بِٱلْمَوْجُودِ . وَتَرْكُ ٱلتَّشَوُّقِ إِلَى ٱلْمَفْقُودِ
قَالَ بَعضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ ٱلْعَبْدُ حُرٌّ إِذَا قَنِعَ . وَٱلْحُرُّ عَبْدٌ إِذَا طَمِعَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِٱلْقَلِيلِ لَمْ يَكْتَفِ بِٱلْكَثِيرِ .
وَمِنْ فُصُولِ ٱبْنِ ٱلْمُعتَزِّ : أَعْرَفُ ٱلنَّاسِ بِٱللهِ مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ لَهُ .
وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ   فَكُلُّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ

قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ   عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعَلْيَا مِنَ ٱلْعَيْشِ لَمْ يَزَلْ   حَقِيرًا وَفِي ٱلدُّنْيَا أَسِيرَ غُبُونِهَا

١٨٣ قَالُوا : ٱلْغَنِيُّ مَنِ ٱسْتَغْنَى بِٱللهِ . وَٱلْفَقِيرُ مَنِ ٱفْتَقَرَ إِلَى ٱلنَّاسِ
وَقَالُوا : لَا غِنَيَّ إِلَّا غِنَيُّ ٱلنَّفْسِ   (لابن عبد ربّه)
قَالَ ٱلنَّوَوِيُّ :

وَجَدتُّ ٱلْقَنَاعَةَ أَصْلَ ٱلْغِنَى   فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُمْتَسِكْ
فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ   وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكْ
وَعِشْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ   أَمُرُّ عَلَى ٱلنَّاسِ شِبْهَ ٱلْمَلِكْ

نَظَرَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ إِلَى قَصَّارٍ يَضْرِبُ بِٱلثَّوْبِ ٱلْمِغْسَلَةَ . فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَّارًا وَلَمْ أَتَقَلَّدِ ٱلْخِلَافَةَ . فَبَلَغَ كَلَامُهُ أَبَا حَاتِمٍ . فَقَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي جَعَلَهُمْ إِذَا

حَضَرَهُمُ ٱلْمَوْتُ يَتَمَنَّوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ . وَإِذَا حَضَرَنَا ٱلْمَوْتُ لَمْ نَتَمَنَّ مَا هُمْ فِيهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

بِقَدْرِ ٱلصُّعُودِ يَكُونُ ٱلْهُبُوطُ   فَإِيَّاكَ وَٱلرُّتَبَ ٱلْعَالِيَهْ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطْتَ   تَقُومُ وَرِجْلَاكَ فِي عَافِيَهْ

١٨٤ كَانَ أَنُوشَرْوَانُ يُمْسِكُ عَنِ ٱلطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَيَقُولُ : نَتْرُكُ مَا نُحِبُّ لِئَلَّا نَقَعَ فِيمَا نَكْرَهُ . كَانَ سُقْرَاطُ ٱلْحَكِيمُ قَلِيلَ ٱلْأَكْلِ خَشِنَ ٱللِّبَاسِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : أَنْتَ تَحْسَبُ أَنَّ ٱلرَّحْمَةَ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ ذُو رُوحٍ فَلَا تَرْحَمُهَا . فَكَتَبَ لَهُ سُقْرَاطُ فِي جَوَابِهِ : إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آكُلَ لِأَعِيشَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعِيشَ لِتَأْكُلَ . وَٱلسَّلَامُ

١٨٥ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : إِذَا طَلَبْتَ ٱلْعِزَّ فَٱطْلُبْهُ بِٱلطَّاعَةِ . وَإِذَا أَرَدْتَ ٱلْغِنَى فَٱطْلُبْهُ بِٱلْقَنَاعَةِ . فَمَنْ أَطَاعَ ٱللهَ عَزَّ نَصْرُهُ . وَمَنْ لَزِمَ ٱلْقَنَاعَةَ زَالَ فَقْرُهُ . قَالَ أَرِسْطُو : ٱلْقُنْيَةُ يَنْبُوعُ ٱلْأَحْزَانِ . نَظَمَهُ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ بِقَوْلِهِ :

يَقُولُونَ مَا لَكَ لَا تَقْتَنِي   مِنَ ٱلْمَالِ ذُخْرًا يُفِيدُ ٱلْغِنَى
فَقُلْتُ وَأَفْحَمْتُهُمْ فِي ٱلْجَوَابِ   لِئَلَّا أَخَافَ وَلَا أَحْزَنَا

(لبهاء الدين)

البطنة

١٨٦ قَالُوا : ٱلْبِطْنَةُ تُذْهِبُ ٱلْفِطْنَةَ . رَأَى أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ

رَجُلًا يَلْقَمُ لُقَمًا مُنْكَرًا . فَقَالَ : كَيْفَ ٱسْمُكَ . قَالَ : لُقْمَانُ . قَالَ : صَدَقَ ٱلَّذِي سَمَّاكَ . وَرَأَى أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا سَمِينًا . فَقَالَ لَهُ : أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مِنْ نَسْجِ أَضْرَاسِكَ . قِيلَ لِبَزَرْجَمْهَرَ : أَيُّ وَقْتٍ فِيهِ ٱلطَّعَامُ أَصْلَحُ . قَالَ : أَمَّا لِمَنْ قَدَرَ فَإِذَا جَاعَ . وَلِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَإِذَا وَجَدَ . قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا أَفْضَلُ ٱلدَّوَاءِ . قَالَ : أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ عَنِ ٱلطَّعَامِ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ . قَالُوا : ٱحْذَرُوا ٱلْبِطْنَةَ فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلْعِلَلِ إِنَّمَا تَتَوَلَّدُ مِنْ فُضُولِ ٱلطَّعَامِ (لابن عبد ربّه)

ذمّ النبيذ

١٨٧ جَاءَ فِي ٱلْمُبْهِجِ : ٱلْخَمْرُ مِصْبَاحُ ٱلسُّرُورِ . وَلٰكِنَّهَا مِفْتَاحُ ٱلشُّرُورِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ . ٱشْرَبْ مَعَنَا . فَقَالَ : أَنَا لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : ٱلنَّبِيذُ كِيمِيَاءُ ٱلطَّرَبِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَلٰكِنَّهُ دَاعِيَةُ ٱلْحَرَبِ . قَالَ يَزِيدُ ٱلْمُهَلَّبِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا يُحْصَى عَلَى ٱلنَّاسِ شَرُّهَا ... وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَذَّةٌ وَهَنَاءُ
مِرَارًا تُرِيكَ ٱلْغَيَّ رُشْدًا وَتَارَةً ... تُخَيِّلُ أَنَّ ٱلْمُحْسِنِينَ أَسَاؤُوا
وَأَنَّ ٱلصَّدِيقَ ٱلْمَاحِضَ ٱلْوُدِّ مُبْغِضٌ ... وَأَنَّ مَدِيحَ ٱلْمَادِحِينَ هِجَاءُ
وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ ٱلنَّبِيذِ فَقَلَّمَا ... يَدُومُ لِإِخْوَانِ ٱلنَّبِيذِ إِخَاءُ

العزلة

١٨٨ يُقَالُ : ٱلْعُزْلَةُ عَنِ ٱلنَّاسِ تُوَقِّي ٱلْعِرْضَ . وَتُبْقِي ٱلْجَلَالَةَ . وَتَسْتُرُ ٱلْفَاقَةَ . وَقَالَ مَكْحُولٌ : إِنْ كَانَ ٱلْفَضْلُ فِي ٱلْجَمَاعَةِ . فَإِنَّ

ٱلسَّلَامَةَ فِي ٱلْوَحْدَةِ وَٱلْعُزْلَةِ . قَالَ ٱلْجُرْجَانِيُّ :

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ ٱلْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسَا
إِنَّمَا ٱلذُّلُّ فِي مُدَاخَلَةِ ٱلنَّا سِ فَدَعْهَا وَكُنْ كَرِيمًا رَئِيسَا
لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَجَلُّ مِنَ ٱلْعِلْـمِ فَـلَا أَبْتَغِي سِوَاهُ أَنِيسَا

(لابي نصر المقدسي)

١٨٩ أَلْعُزْلَةُ عَنِ ٱلْخَلْقِ هِيَ ٱلطَّرِيقُ ٱلْأَقْوَمُ ٱلْأَسَـدُّ . وَفِرَّ مِنَ ٱلْخَلْقِ فِرَارَكَ مِنَ ٱلْأَسَدِ . فَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْرِفُونَهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْفَضَائِلِ وَٱلْمَزَايَا . لِأَنَّهُ سَالِمٌ مِنَ ٱلْآلَامِ وَٱلرَّزَايَا . فَٱحْبِسْ نَفْسَكَ فِي زَاوِيَةِ ٱلْعُزْلَةِ . فَإِنَّ عُزْلَةَ ٱلْمَرْءِ عِزٌّ لَهُ . قِيـلَ لِبَعْضِ ٱلزُّهَّادِ : إِلَى أَيِّ شَيْءٍ أَفْضَتْ بِكُمُ ٱلْخَلْوَةُ . فَقَالَ : إِلَى ٱلْأُنْسِ بِٱللهِ تَعَالَى

وَلِلهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي فَطَابَ ٱلْأُنْسُ لِي وَصَفَا ٱلسُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي ٱلزَّمَانُ فَـلَا أُبَالِي بِأَنِّي لَا أُزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا عِشْتُ يَوْمًا أَسَارَ ٱلْجُنْدُ أَمْ رَكِبَ ٱلْأَمِيرُ

قِيلَ لِدِعْبِلٍ ٱلشَّاعِرِ : مَا ٱلْوَحْشَةُ عِنْدَكَ . فَقَالَ : ٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلنَّاسِ ثُمَّ أَنْشَدَ :

مَا أَكْثَرَ ٱلنَّاسَ لَا بَلْ مَا أَقَلَّهُمُ ٱللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَـدَا
إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدَا

(لبهاء الدين)

ألبَابُ ٱلسَّابِعُ
فِي ٱلذَّكَاءِ وَٱلأَدَبِ

العقل

١٩٠ قَالَ حَكِيمٌ: أَلْعَقْلُ أَشْرَفُ ٱلْأَحْسَابِ. وَأَحْصَنُ مَعْقِلٍ. قَالَ آخَرُ: أَشَدُّ ٱلْفَاقَةِ عَدَمُ ٱلْعَقْلِ. وَقَالَ آخَرُ: كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ رَخُصَ إِلَّا ٱلْعَقْلَ فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَ غَلَا. قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

يُعَدُّ رَفِيعَ ٱلْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبِ
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلْدَةٍ بِغَرِيبِ

(لابي نصر المقدسي)

١٩١ إِفْتَخَرَ بَعْضُ ٱلْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ بِٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ. وَبِزَخَارِفِ ٱلْمَالِ ٱلْمُسْتَفَادِ. فَقَالَ لَهُ ذٰلِكَ ٱلْحَكِيمُ: إِنْ كَانَ فِي هٰذِهِ فَخْرٌ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْفَخْرُ لَهَا لَا لَكَ. وَإِنْ كَانَ آبَاؤُكَ كَمَا ذَكَرْتَ أَشْرَافًا فَٱلْفَخْرُ لَهُمْ لَا لَكَ (للفخري)

١٩٢ إِعْلَمُوا أَنَّ ٱلْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ ٱللّٰهَ. وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ ٱلْمَنْظَرِ حَقِيرَ ٱلْخَطَرِ دَنِيَّ ٱلْمَنْزِلَةِ رَثَّ ٱلْهَيْئَةِ. وَأَنَّ ٱلْجَاهِلَ مَنْ عَصَى ٱللّٰهَ تَعَالَى. وَإِنْ كَانَ جَمِيلَ ٱلْمَنْظَرِ عَظِيمَ ٱلْخَطَرِ شَرِيفَ ٱلْمَنْزِلَةِ حَسَنَ ٱلْهَيْئَةِ فَصِيحًا نَطُوقًا. فَٱلْقِرَدَةُ وَٱلْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ ٱللّٰهِ تَعَالَى مِمَّنْ عَصَاهُ. وَلَا تَغْتَرُّوا بِتَعْظِيمِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ (احياء علوم الدين)

١٩٣ قَالَ أَنُوشَرْوَانُ : إِنَّ ٱلْعَاقِلَ أَقْرَبُ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ . وَٱلْعَقْلَ كَٱلشَّمْسِ فِي ٱلدُّنْيَا . وَهُوَ قَلْبُ ٱلْحَسَنَاتِ . وَٱلْعَقْلُ حَسَنٌ فِي كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ فِي ٱلْأَكَابِرِ وَٱلزُّعَمَاءِ أَحْسَنُ . وَٱلْعَقْلُ فِي جَسَدِ ٱلْإِنْسَانِ كَٱلرُّطُوبَةِ فِي ٱلشَّجَرَةِ . لِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ مَا دَامَتْ رَطْبَةً طَرِيَّةً كَانَ ٱلْخَلْقُ مِنْ رَائِحَتِهَا وَنَشْرِ أَزْهَارِهَا وَطِيبِ ثِمَارِهَا وَنَضَارَتِهَا وَطَرَاءَتِهَا فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَنُزْهَةٍ وَفَرْحَةٍ . فَإِذَا جَفَّتْ رُطُوبَتُهَا وَقَلَّتْ نَضَارَتُهَا فَلَا تَصْلُحُ حِينَئِذٍ لِسِوَى ٱلْقَطْعِ وَٱلْإِحْرَاقِ وَٱلْقَلْعِ . قَالَ أَيْضًا : لَيْسَ لِمَلِكٍ وَلَا لِرَعِيَّةٍ خَيْرٌ مِنَ ٱلْعَقْلِ . فَإِنَّ بِضِيَائِهِ يُفَرَّقُ بَيْنَ ٱلْقَبِيحِ وَٱلْمَلِيحِ . وَٱلْجَيِّدِ وَٱلرَّدِيءِ . وَٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ . وَٱلصِّدْقِ وَٱلْكَذِبِ

(التبر المسبوك للغزالي)

العلم وشرفهُ

١٩٤ قِيلَ : ٱلْعُلَمَاءُ فِي ٱلْأَرْضِ كَٱلنُّجُومِ فِي ٱلسَّمَاءِ . لَوْلَا ٱلْعِلْمُ لَكَانَ ٱلنَّاسُ كَٱلْبَهَائِمِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْعِلْمُ حَيَاةُ ٱلْقُلُوبِ وَمِصْبَاحُ ٱلْأَبْصَارِ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ فِي فُصُولِهِ : ٱلْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا . وَٱلْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا . وَقَالَ أَيْضًا : مَا مَاتَ مَنْ أَحْيَا ٱلْعُلُومَ . قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ خُذِ ٱلْعِلْمَ مِنْ أَفْوَاهِ ٱلرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ . وَيَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَكْتُبُونَ . وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ (لابي نصر المقدسي)

١٩٥ لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ وَفَدَ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ .

فَوَفَدَ عَلَيْهِ ٱلْحِجَازِيُّونَ فَتَقَدَّمَ مِنْهُمْ غُلَامٌ لِلْكَلَامِ. وَكَانَ حَدِيثَ ٱلسِّنِّ. فَقَالَ عُمَرُ: لِيَنْطِقْ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ. فَقَالَ ٱلْغُلَامُ: أَصْلَحَ ٱللّٰهُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ. فَإِذَا مَنَحَ ٱللّٰهُ ٱلْعَبْدَ لِسَانًا لَافِظًا وَقَلْبًا حَافِظًا فَقَدِ ٱسْتَحَقَّ ٱلْكَلَامَ. وَلَوْ أَنَّ ٱلْأَمْرَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلسِّنِّ لَكَانَ فِي ٱلْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْكَ بِمَجْلِسِكَ هٰذَا. فَتَعَجَّبَ عُمَرُ مِنْ كَلَامِهِ. وَسَأَلَ عَنْ سِنِّهِ فَإِذَا هُوَ ٱبْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً. فَتَمَثَّلَ عُمَرُ عِنْدَ ذٰلِكَ بِقَوْلِ ٱلشَّاعِرِ:

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ ٱلْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
وَإِنَّ كَبِيرَ ٱلْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا ٱلْتَفَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَحَافِلُ

١٩٦ قِيلَ لِبَزَرْجَمْهَرَ: أَيُّ ٱلِٱكْتِسَابِ أَفْضَلُ. قَالَ: ٱلْعِلْمُ وَٱلْأَدَبُ كَنْزَانِ لَا يَنْفَدَانِ. وَسِرَاجَانِ لَا يَطْفَآنِ وَحُلَّتَانِ لَا تَبْلَيَانِ. مَنْ نَالَهُمَا أَصَابَ ٱلرَّشَادَ. وَعَرَفَ طَرِيقَ ٱلْمَعَادِ. وَعَاشَ رَفِيعًا بَيْنَ ٱلْعِبَادِ

(للقيرواني)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ:

أَلْعِلْمُ أَنْفَسُ ذُخْرٍ أَنْتَ ذَاخِرُهُ
مَنْ يَدْرُسِ ٱلْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ
أَقْبِلْ عَلَى ٱلْعِلْمِ وَٱسْتَقْبِلْ مَقَاصِدَهُ
فَأَوَّلُ ٱلْعِلْمِ إِقْبَالٌ وَآخِرُهُ

١٩٧ قِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ أَلْعِلْمُ أَوِ ٱلْمَالُ. قَالَ: ٱلْعِلْمُ.

قِيلَ لَهُ : فَمَا بَالُ ٱلْعُلَمَاءِ يَزْدَحِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْمُلُوكِ . وَٱلْمُلُوكُ لَا يَزْدَحِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْعُلَمَاءِ . قَالَ : ذٰلِكَ لِمَعْرِفَةِ ٱلْعُلَمَاءِ بِحَقِّ ٱلْمُلُوكِ وَجَهْلِ ٱلْمُلُوكِ بِحَقِّ ٱلْعُلَمَاءِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلْعِلْمُ يُحْيِي قُلُوبَ ٱلْمَيِّتِينَ كَمَا
تَحْيَا ٱلْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا ٱلْمَطَرُ

وَٱلْعِلْمُ يَجْلُو ٱلْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ
كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ ٱلظُّلْمَةِ ٱلْقَمَرُ

(لابن عبد ربّه)

١٩٨ قَالَ ٱلْجَاحِظُ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِ بَغْدَاذَ فِي أَيَّامِ وِلَايَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ٱلدِّيوَانِ وَٱلنَّاسُ مُثُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمِ ٱلطَّيْرَ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مُدَّةٍ وَهُوَ مَعْزُولٌ وَهُوَ جَالِسٌ فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ وَحَوَالَيْهِ ٱلْكُتُبُ وَٱلدَّفَاتِرُ وَٱلْمَحَابِرُ وَٱلْمَسَاطِرُ فَمَا رَأَيْتُهُ أَهْيَبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ (للفخري)

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

مَنْ يَعْدَمِ ٱلْعِلْمَ يَظْلِمْ عَقْلُهُ أَبَدًا ... تَرَاهُ أَشْبَهَ مَا تَلْقَاهُ بِٱلنَّعَمِ
كَمْ مِنْ نُفُوسٍ غَدَتْ لِلّٰهِ مُخْلِصَةً ... بِٱلْعِلْمِ فِي صَفْحَةِ ٱلْقِرْطَاسِ وَٱلْقَلَمِ
وَٱلْعَقْلُ شَمْسٌ وَنُورُ ٱلْعِلْمِ مُنْبَثِقٌ ... مِنْهَا وَمِنْهَا ثِمَارُ ٱلْفَضْلِ فَٱفْتَهِمِ

شرائط العلم

١٩٩ قَالُوا : لَا يَكُونُ ٱلْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ . لَا

يَحْتَقِرُ مَنْ دُونَهُ . وَلَا يَحْسِدُ مَنْ فَوْقَهُ . وَلَا يَأْخُذُ عَلَى ٱلْعِلْمِ ثَمَنًا . وَمَدَحَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ بَدِيعَ ٱلْمَنْطِقِ . جَزْلَ ٱلْأَلْفَاظِ . عَرَبِيَّ ٱللِّسَانِ . قَلِيلَ ٱلْحَرَكَاتِ . حَسَنَ ٱلْإِشَارَاتِ . حُلْوَ ٱلشَّمَائِلِ . كَثِيرَ ٱلطَّلَاوَةِ صَمُوتًا وَقُورًا . قَالَ ٱلشَّافِعِيُّ :

أَخِي لَا تَنَالُ ٱلْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَٱجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ ... وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ

٢٠٠ كَانَ حَمْزَةُ مِنْ خُطَبَاءِ ٱلْعَرَبِ وَمِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ . ضُرِبَ بِهِ ٱلْمَثَلُ فِي ٱلْفَصَاحَةِ وَطُولِ ٱلْعُمْرِ . سَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَابَهُ عَنْهَا . فَقَالَ لَهُ : بِمَ نِلْتَ ٱلْعِلْمَ . قَالَ : بِلِسَانٍ سَؤُولٍ . وَقَلْبٍ عَقُولٍ . ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ لِلْعِلْمِ آفَةً وَإِضَاعَةً وَنَكَدًا وَٱسْتِجَاعَةً . فَآفَتُهُ ٱلنِّسْيَانُ . وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ . وَنَكَدُهُ ٱلْكَذِبُ فِيهِ وَٱسْتِجَاعَتُهُ أَنَّ صَاحِبَهُ مَنْهُومٌ لَا يَشْبَعُ أَبَدًا (الدميري)

آفات العلم

٢٠١ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْأَعْلَامِ : مَنِ ٱزْدَادَ فِي ٱلْعِلْمِ رُشْدًا . وَلَمْ يَزْدَدْ فِي ٱلدُّنْيَا زُهْدًا . فَقَدِ ٱزْدَادَ مِنَ ٱللهِ بُعْدًا . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْأَكَابِرِ : إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلْعَالِمُ زَاهِدًا فِي ٱلدُّنْيَا فَهُوَ عُقُوبَةٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِ . قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : إِذَا أُوتِيتَ عِلْمًا فَلَا تُطْفِئْ نُورَ ٱلْعِلْمِ بِظُلْمَةِ ٱلذُّنُوبِ فَتَبْقَى فِي ٱلظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْعَى أَهْلُ ٱلْعِلْمِ بِنُورِ عِلْمِهِمْ . قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : لَسْتَ مُنْتَفِعًا بِمَا تَعْلَمُ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِمَا تَعْلَمُ . فَإِنْ

زِدتَّ فِي عِلْمِكَ فَأَنتَ مِثْلُ رَجُلٍ حَزَمَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ وَأَرَادَ حَمْلَهَا فَلَمْ يُطِقْ فَوَضَعَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا (لبهاء الدين)

قَالُوا : لَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْعِلْمِ صَانُوا عِلْمَهُمْ لَسَادُوا أَهْلَ ٱلدُّنْيَا . لَكِنْ وَضَعُوهُ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فَقَصَّرَ فِي حَقِّهِمْ أَهْلُ ٱلدُّنْيَا . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ ٱلنَّاسِ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : ٱلْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا

(لابن عبد ربّه)

٢٠٢ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : ٱلْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يَخْفَى . وَنَسَبٌ لَا يُجْفَى . وَقَالَ أَيْضًا : زَلَّةُ ٱلْعَالِمِ كَٱنْكِسَارِ سَفِينَةٍ تَغْرَقُ وَيَغْرَقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ . قَالَ غَيْرُهُ : إِذَا زَلَّ ٱلْعَالِمُ . زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : ٱلْمُتَوَاضِعُ فِي طُلَّابِ ٱلْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا كَمَا أَنَّ ٱلْمَكَانَ ٱلْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ ٱلْبِقَاعِ مَاءً . إِذَا عَلِمْتَ فَلَا تَذْكُرْ مَنْ دُونَكَ مِنَ ٱلْجُهَّالِ . وَٱذْكُرْ مَنْ فَوْقَكَ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ . وَقَالَ أَيْضًا : مَاتَ خَزَنَةُ ٱلْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ . وَعَاشَ خُزَّانُ ٱلْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ . مَثَلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ

(للقيرواني)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْبَطَلْيَوْسِيُّ ٱلنَّحْوِيُّ :

أَخُو ٱلْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ رَمِيمُ
وَذُو ٱلْجَهْلِ مَيْتٌ وَهُوَ مَاشٍ عَلَى ٱلثَّرَى
يُظَنُّ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمُ

الادب

٢٠٣ قَالَ شَبِيبُ بْنُ شُبَّةَ : اُطْلُبُوا ٱلْأَدَبَ فَإِنَّهُ مَادَّةُ ٱلْعَقْلِ وَدَلِيلٌ عَلَى ٱلْمُرُوءَةِ ، وَصَاحِبٌ فِي ٱلْغُرْبَةِ ، وَمُؤْنِسٌ فِي ٱلْوَحْشَةِ ، وَصِلَةٌ فِي ٱلْمَجْلِسِ ، قَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِبَنِيهِ : عَلَيْكُمْ بِطَلَبِ ٱلْأَدَبِ فَإِنَّكُمْ إِنِ ٱحْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا ، وَإِنِ ٱسْتَغْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ جَمَالًا ، وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ ٱلنَّاسُ لِمَالٍ أَوْ لِسُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبْكَ ذٰلِكَ ، فَإِنَّ ٱلْكَرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا ، لِيُعْجِبْكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ

قَالَ ٱلشَّافِعِيُّ :

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ
إِنْ كُنْتُ فِي ٱلْبَيْتِ كَانَ ٱلْعِلْمُ فِيهِ مَعِي
أَوْ كُنْتُ فِي ٱلسُّوقِ كَانَ ٱلْعِلْمُ فِي ٱلسُّوقِ

٢٠٤ قَالَ بُزُرْجُمْهُرُ : ٱلْجَهْلُ هُوَ ٱلْمَوْتُ ٱلْأَكْبَرُ ، وَٱلْعِلْمُ هُوَ ٱلْحَيَاةُ ٱلشَّرِيفَةُ ، مَنْ أَكْثَرَ أَدَبُهُ شَرُفَ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا ، وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا ، وَٱرْتَفَعَ صِيتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا ، وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا (للسيوطي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلسَّبْعُ سَبْعٌ وَلَوْ كَلَّتْ مَخَالِبُهُ وَٱلْكَلْبُ كَلْبٌ وَلَوْ بَيْنَ ٱلسِّبَاعِ رَبِي
وَهٰكَذَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ خَالَطَهُ صُفْرُ ٱلنُّحَاسِ فَكَانَ ٱلْفَضْلُ لِلذَّهَبِ

لَا تَنْظُرَنَّ لِأَثْوَابٍ عَلَى أَحَدٍ إِنْ رُمْتَ تَعْرِفَهُ فَانْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ
فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَفُحْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرُقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ

دَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَأَقْعَدَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ . فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجُهُومَةَ وُجُوهِهِمْ . فَقَالَ : مَالَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّحِيحِ إِلَى الْغَرِيمِ الْمُفْلِسِ . هٰكَذَا الْأَدَبُ يُشَرِّفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ . وَيَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْمَوْلَى . وَيُقْعِدُ الْعَبِيدَ عَلَى الْأَسِرَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا لِي عَقْلِي وَهِمَّتِي حَسَبِي مَا أَنَا مَوْلًى وَلَا أَنَا عَرَبِي
إِذَا انْتَمَى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَإِنَّنِي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

(للابشيهي)

٢٠٥ دَخَلَ سَالِمُ بْنُ مَخْزُومٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَخَلَّى لَهُ عَنِ الصَّدْرِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ . فَقَالَ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ مَنْ لَا تَرَى لَكَ عَلَيْهِ فَضْلًا فَلَا تَأْخُذْ عَلَيْهِ شَرَفَ الْمَنْزِلَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَهْلًا بِالْحَسَبْ إِنَّمَا النَّاسُ لِأُمٍّ وَلِأَبْ
إِنَّمَا الْفَخْرُ بِعَقْلٍ رَاجِحٍ وَبِأَخْلَاقٍ حِسَانٍ وَأَدَبْ

قَالَ آخَرُ :

لَا تَدَّخِرْ غَيْرَ الْعُلُو مِ فَإِنَّهَا نِعْمَ الذَّخَائِرْ
فَالْمَرْءُ لَوْ رَبِحَ الْبَقَا ءَ مَعَ الْجَهَالَةِ كَانَ خَاسِرْ

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ مُؤَدِّبُ الْوَاثِقِ عَلَى الْوَاثِقِ . فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ

وَأَكْثَرَ إِعْظَامَهُ . فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هٰذَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : هٰذَا أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ ٱللهِ . وَأَدْنَانِي مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ

تاديب الصغير

٢٠٦ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سُرَّ بِهِ كَبِيرًا . وَقَالُوا : أَطْبَعُ ٱلطِّينِ مَا كَانَ رَطْبًا . وَأَعْدَلُ ٱلْعُودِ مَا كَانَ لَدْنًا . وَقَالَ صَالِحُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ :

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبْتَهُ فِي ٱلصِّبَا ... كَٱلْعُودِ يُسْقَى ٱلْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا ... بَعْدَ ٱلَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ
وَٱلشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ ... حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ٱرْعَوَى عَادَ لَهُ جَهْلُهُ ... كَذِي ٱلضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
مَا تَبْلُغُ ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ... مَا يَبْلُغُ ٱلْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

قَالَ بَعْضُهُمْ فِي سُوءِ تَرْبِيَةِ صَغِيرٍ :

فَيَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا ... أُلَقِّمُهُ بِأَطْرَافِ ٱلْبَنَانِ
أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
أُعَلِّمُهُ ٱلْفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ ... فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ ٱلْقَوَافِي ... فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْحَيَاءُ فِي ٱلصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنَ ٱلْخَوْفِ . لِأَنَّ ٱلْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْعَقْلِ . وَٱلْخَوْفَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْجُبْنِ (لابن عبد ربّه)

ما ينبغي للوالد في تربية ابنه

٢٠٧ يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَنْ لَا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ . وَيُحَسِّنَ عِنْدَهُ الْحَسَنَ . وَيُقَبِّحَ عِنْدَهُ الْقَبِيحَ . وَيَحُثَّهُ عَلَى الْمَكَارِمِ وَعَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَيَضْرِبَهُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَسْهُ عَنْ أَدَبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ شَكَا أَلَمَ التَّعَبْ
وَدَعِ الْكَبِيرَ وَشَأْنَهُ كَبُرَ الْكَبِيرُ عَنِ الْأَدَبْ

٢٠٨ قَالَ ابْنُ عُتْبَةَ يُوصِي مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ : لِيَكُنْ أَوَّلُ إِصْلَاحِكَ بَنِيَّ إِصْلَاحَكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّ عُيُوبَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْبِكَ . فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا فَعَلْتَ . وَالْقَبِيحُ مَا تَرَكْتَ . عَلِّمْهُمُ الدِّينَ وَلَا تُمِلَّهُمْ فِيهِ فَيَتْرُكُوهُ . وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . وَرَوِّهِمْ مِنَ الشِّعْرِ أَعَفَّهُ . وَمِنَ الْكَلَامِ أَشْرَفَهُ . وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكِمُوهُ . فَإِنَّ ازْدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لِلْفَهْمِ . تَهَدَّدْهُمْ بِي وَأَدِّبْهُمْ دُونِي . وَكُنْ كَالطَّبِيبِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالدَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . وَجَنِّبْهُمْ مُحَادَثَةَ السُّفَهَاءِ . وَرَوِّهِمْ سِيَرَ الْحُكَمَاءِ (كتاب الدراري لكمال الدين الحلبي)

٢٠٩ أَوْصَى الرَّشِيدُ مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةَ نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ . فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . أَقْرِئْهُ كُتُبَ الدِّينِ . وَعَرِّفْهُ الْآثَارَ . وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ . وَعَلِّمْهُ السُّنَنَ وَبَصِّرْهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ . وَامْنَعْهُ الضَّحِكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمُرَّنَّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فِيهَا فَائِدَةً تُفِيدُهُ

إيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْرُقَ بِهِ فَتُميتَ ذِهْنَهُ . وَلَا تُمْعِنْ فِي مُسَامَحَتِهِ فَيَسْتَحْلِيَ ٱلْفَرَاغَ وَيَأْلَفَهُ . وَقَوِّمْهُ مَا ٱسْتَطَعْتَ بِٱلْقُرْبِ وَٱلْمُلَايَنَةِ . فَإِنْ أَبَاهُمَا فَعَلَيْكَ بِٱلشِّدَّةِ وَٱلْغِلْظَةِ (للشريشي)

رقة الادب في الظاهر

٢١٠ قَالَ أَبُو حَفْصٍ : حُسْنُ ٱلْأَدَبِ فِي ٱلظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ ٱلْأَدَبِ فِي ٱلْبَاطِنِ . قِيلَ لِأَبِي وَائِلٍ : أَيُّكُمَا أَكْبَرُ أَنْتَ أَمِ ٱلرَّبِيعُ ٱبْنُ خَيْثَمٍ . قَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا . وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي عَقْلًا

قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةٍ لِعَبْدِ ٱلْعَزِيزِ : مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ أَدَبًا وَلَا أَكْرَمَ عَشِيرَةً مِنْ أَبِيكَ . سَمَرْتُ عِنْدَهُ لَيْلَةً فَبَيْنَا نَحْنُ كَذٰلِكَ إِذْ غَشِيَ ٱلْمِصْبَاحُ وَنَامَ ٱلْغُلَامُ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ غَشِيَ ٱلْمِصْبَاحُ وَنَامَ ٱلْغُلَامُ فَلَوْ أَذِنْتَ لِي أَصْلَحْتُهُ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُرُوءَةِ ٱلرَّجُلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ . ثُمَّ حَطَّ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . وَقَامَ إِلَى ٱلدَّبَّةِ . فَصَبَّ مِنَ ٱلزَّيْتِ فِي ٱلْمِصْبَاحِ وَأَشْخَصَ ٱلْفَتِيلَةَ . ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ

قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُعَاشَرَةِ ٱلْأُدَبَاءِ :

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَمْسَى أَدِيبًا ... بِصُحْبَةِ عَاقِلٍ وَغَدَا إِمَامَا
كَمَاءِ ٱلْبَحْرِ مُرٌّ ثُمَّ تَحْلُو ... مَذَاقَتُهُ إِذَا صَحِبَ ٱلْغَمَامَا

الادب في الحديث والاستماع

٢١١ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : رَأْسُ ٱلْأَدَبِ كُلِّهِ حُسْنُ ٱلْفَهْمِ وَٱلتَّفَهُّمِ .

وَٱلْإِصْغَاء لِلْمُتَكَلِّمِ. قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاء لِٱبْنِهِ: يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ ٱلِٱسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ ٱلْحَدِيثِ. وَلْيَعْلَمِ ٱلنَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ. فَٱحْذَرْ أَنْ تَسْرِعَ فِي ٱلْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ عَنْهُ ٱلرُّجُوعُ بِٱلْفِعْلِ. قَالُوا: مِنْ حُسْنِ ٱلْأَدَبِ أَنْ لَا تُغَالِبَ أَحَدًا عَلَى كَلَامِهِ. وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تُجِبْ عَنْهُ. وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَلَا تُنَازِعْهُ إِيَّاهُ. وَلَا تَقْتَحِمْ عَلَيْهِ فِيهِ. وَلَا تُرِهِ أَنَّكَ تَعْلَمُهُ

يُقَالُ إِنَّ هِشَامًا كَتَبَ إِلَى مَلِكِ ٱلرُّومِ: مِنْ هِشَامٍ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱلطَّاغِيَةِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ ٱلْمُلُوكَ تَسُبُّ. وَمَا ٱلَّذِي يُؤْمِنُكَ أَنْ أُجِيبَكَ: مِنْ مَلِكِ ٱلرُّومِ إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْمَذْمُومِ

الادب في المجالسة

٢١٢ قَالَ إِبْرٰهِيمُ ٱلنَّخَعِيُّ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَيْتًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ أَجْلَسَهُ أَهْلُهُ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ ٱلْعَاصِ: مَا مَدَدْتُ رِجْلِي قَطُّ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسِي. وَلَا قُمْتُ حَتَّى يَقُومَ. وَقَالَ أَيْضًا: لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ. إِذَا دَنَا رَحَّبْتُ بِهِ. وَإِذَا جَلَسَ وَسَّعْتُ لَهُ. وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ. قَالَ زِيَادٌ: إِيَّاكَ وَصُدُورَ ٱلْمَجَالِسِ وَإِنْ صَدَّرَكَ صَاحِبُهَا فَإِنَّهَا مَجْلِسُ قُلْعَةٍ. وَلَأَنْ أُدْعَى مِنْ بُعْدٍ إِلَى قُرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْصَى مِنْ قُرْبٍ إِلَى بُعْدٍ. قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ: لَا تُسْرِعْ إِلَى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ فِي ٱلْمَجْلِسِ فَٱلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي تُحَطُّ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي تُحَطُّ مِنْهُ

(لابن عبد ربّه)

٢١٣ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ ٱللهِ : بَعَثَنِي أَبِي إِلَى ٱلْمُعْتَمِدِ فِي شَيْءٍ . فَقَالَ لِي : ٱجْلِسْ . فَٱسْتَعْظَمْتُ ذٰلِكَ . فَأَعَادَ . فَٱعْتَذَرْتُ بِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يَجُوزُ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ تَرْكَ أَدَبِكَ فِي ٱلْقَبُولِ مِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَدَبِكَ فِي خِلَافِي

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ فَٱسْتَحْسَنَ لَفْظَهُ وَأَدَبَهُ . فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : يُبْقِيكَ ٱللهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ . فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمَرَ لَكَ بِذٰلِكَ . فَقَالَ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَوَٱللهِ مَا أَخَافُ بُخْلَكَ . وَلَا أَسْتَقْصِرُ أَجَلَكَ . وَلَا أَغْتَنِمُ مَالَكَ . وَإِنَّ عَطَاءَكَ لَزَيْنٌ . وَمَا بِٱمْرِئٍ بَذَلَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ وَلَا شَيْنٌ . فَأَعْجَبَ ٱلْمَنْصُورَ كَلَامُهُ . وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ وَوَصَلَهُ

٢١٤ وَقَفَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ ٱلْأَشْعَثِ بِبَابِ مُعَاوِيَةَ فَأُذِنَ لِلْأَحْنَفِ ثُمَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَشْعَثَ . فَأَسْرَعَ مُحَمَّدٌ فِي مَشْيِهِ حَتَّى دَخَلَ قَبْلَ ٱلْأَحْنَفِ . فَلَمَّا رَآهُ مُعَاوِيَةُ . قَالَ لَهُ : إِنِّي وَٱللهِ مَا أَذِنْتُ لَهُ قَبْلَكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ . وَإِنَّا كَمَا نَلِي أُمُورَكُمْ كَذٰلِكَ نَلِي أَدَبَكُمْ . وَمَا تَزَيَّدَ مُتَزَيِّدٌ إِلَّا لِنَقْصٍ يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ (للمستعصمي)

وَمِنَ ٱلْأَدَبِ أَلَّا تَنْتَابَ صَاحِبًا فَتُثَقِّلَ عَلَيْهِ . قَالَ ٱلثَّعَالِبِيُّ :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ ٱلزِّيَارَةِ إِنَّهَا
إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى ٱلْهَجْرِ مَسْلَكَا

فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْغَيْثَ يُسْأَمُ دَائِمًا
وَيُسْأَلُ بِٱلْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

الادب في المماشاة

٢١٥ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَاشَيْتُ ٱلْمَأْمُونَ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ فِي بُسْتَانِ مُؤْنِسَةَ بِنْتِ ٱلْمَهْدِيِّ . فَكُنْتُ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ ٱلشَّمْسِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَأَرَادَ ٱلرُّجُوعَ أَرَدتُّ أَنْ أَدُورَ إِلَى ٱلْجَانِبِ ٱلَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ ٱلشَّمْسِ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ وَلٰكِنْ كُنْ بِحَالِكَ حَتَّى أَسْتُرَكَ كَمَا سَتَرْتَنِي . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَقِيَكَ حَرَّ ٱلنَّارِ لَفَعَلْتُ فَكَيْفَ ٱلشَّمْسَ . فَقَالَ : لَيْسَ هٰذَا مِنْ كَرَمِ ٱلصُّحْبَةِ . وَمَشَى سَاتِرًا لِي مِنَ ٱلشَّمْسِ كَمَا سَتَرْتُهُ (لابن عبد ربّه)

الادب في الأكل

٢١٦ قَالَ ٱلْغَزَّالِيُّ : إِذَا حَضَرَ ٱلطَّعَامُ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدِئَ فِي ٱلْأَكْلِ وَمَعَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ ٱلتَّقَدُّمَ عَلَيْهِ لِكِبَرِ سِنٍّ أَوْ زِيَادَةِ فَضْلٍ . إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ ٱلْمَتْبُوعَ ٱلْمُقْتَدَى بِهِ . فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُطَوِّلَ عَلَيْهِمِ ٱلِٱنْتِظَارَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْكُتَ عَلَى ٱلطَّعَامِ . وَلٰكِنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَبِٱلْحَدِيثِ عَنِ ٱلصَّالِحِينَ وَأَهْلِ ٱلْأَدَبِ فِي ٱلْأَطْعِمَةِ . قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : أَحْسَنُ ٱلْآكِلِينَ مَنْ لَا يُحْوِجُ صَاحِبَهُ إِلَى تَفَقُّدِهِ فِي ٱلْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَدَّمَ لَهُ أَخُوهُ ٱلطَّسْتَ أَنْ يَقْبَلَهُ وَلَا يَرُدَّهُ (للمستعصمي)

الكتاب والقلم

٢١٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْقَلَمُ صَائِغُ ٱلْكَلَامِ يُفْرِغُ مَا يَجْمَعُهُ ٱلْقَلْبُ . وَيَصُوغُ مَا يَسْبِكُهُ ٱللُّبُّ (الكنز المدفون)

قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي قَلَمٍ :

وَسَاكِنِ رَمْسٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ   إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ ٱلطَّعَامِ تَكَلَّمَا
يَقُومُ وَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا   وَيَرْجِعُ مَنْ فِي ٱلْقَبْرِ مِنْهُ مُقَوَّمَا
وَلَيْسَ بِحَيٍّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً   وَلَيْسَ بِمَيْتٍ يَسْتَحِقُّ ٱلتَّرَحُّمَا

قَالَ ٱلْعَتَابِيُّ : بِبُكَاءِ ٱلْقَلَمِ تَبْتَسِمُ ٱلْكُتُبُ . وَٱلْأَقْلَامُ مَطَايَا ٱلْفِطَنِ . قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : عُقُولُ ٱلرِّجَالِ تَحْتَ سِنِّ أَقْلَامِهِمْ . قَالَ ثُمَامَةُ ٱبْنُ أَشْرَسَ : مَا أَثَّرَتْهُ ٱلْأَقْلَامُ . لَمْ تَطْمَعْ فِي دِرَاسَتِهِ ٱلْأَيَّامُ

٢١٨ قِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ : إِنَّهُ ٱلْجَلِيسُ ٱلَّذِي لَا يُنَافِقُ وَلَا يَمَلُّ . وَلَا يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي فَضِيلَتِهِ :

جَلِيسُ ٱلْأَنِيسِ يَأْمَنُ ٱلنَّاسُ شَرَّهُ   وَيَذْكُرُ أَنْوَاعَ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلنُّهَى
وَيَأْمُرُ بِٱلْإِحْسَانِ وَٱلْبِرِّ وَٱلتُّقَى   وَيَنْهَى عَنِ ٱلطُّغْيَانِ وَٱلشَّرِّ وَٱلْأَذَى

الشعر

٢١٩ قَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : رَوُّوا أَوْلَادَكُمُ ٱلشِّعْرَ تَعْذُبْ أَلْسِنَتُهُمْ . فَإِنَّ أَفْضَلَ صِنَاعَاتِ ٱلرَّجُلِ ٱلْأَبْيَاتُ مِنَ ٱلشِّعْرِ . يُقَدِّمُهَا فِي حَاجَتِهِ يَسْتَعْطِفُ بِهَا قَلْبَ ٱلْكَرِيمِ . وَيَسْتَمِيلُ بِهَا قَلْبَ ٱللَّئِيمِ . وَقَالَ أَيْضًا : ٱلشِّعْرُ جَزْلٌ مِنْ كَلَامِ ٱلْعَرَبِ يُسَكَّنُ بِهِ ٱلْغَيْظُ . وَتُطْفَأُ بِهِ ٱلنَّائِرَةُ .

وَيَبْلُغُ لَهُ ٱلْقَوْمُ فِي نَادِيهِمْ . وَيُعْطَى بِهِ ٱلسَّائِلُ . وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : ٱلشِّعْرُ عِلْمُ ٱلْعَرَبِ وَدِيوَانُهَا فَتَعَلَّمُوهُ

كَانَ بَنُو أَنْفِ ٱلنَّاقَةِ يُعَيَّبُونَ بِهٰذَا ٱلِاسْمِ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى قَالَ فِيهِمِ ٱلْحُطَيْئَةُ :

قَوْمٌ هُمُ ٱلْأَنْفُ وَٱلْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ   وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ ٱلنَّاقَةِ ٱلذَّنَبَا

فَعَادَ هٰذَا ٱلِاسْمُ فَخْرًا لَهُمْ وَشَرَفًا فِيهِمْ   (لابن عبد ربّهِ)

٢٢٠ قِيلَ لِبَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ : مَنْ أَشْعَرُ ٱلنَّاسِ . قَالَ : ٱلنَّابِغَةُ إِذَا رَهِبَ . وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغِبَ . وَجَرِيرٌ إِذَا غَضِبَ . وَعَنْتَرَةُ إِذَا رَكِبَ . قَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ لِلْفَرَزْدَقِ : مَنْ أَشْعَرُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْإِسْلَامِ . قَالَ : كَفَاكَ بِٱبْنِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ إِذَا مَدَحَ . (يُرِيدُ ٱلْأَخْطَلَ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةَ ٱلنَّصْرَانِيَّ)   (الاغاني)

أَلْبَابُ ٱلثَّامِنُ
فِي ٱللَّطَائِفِ

٢٢١ رَأَى ٱلْإِسْكَنْدَرُ سَمِيًّا لَهُ لَا يَزَالُ يَنْهَزِمُ فِي ٱلْحُرُوبِ فَقَالَ لَهُ : يَا هٰذَا إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ فِعْلَكَ أَوْ تُغَيِّرَ ٱسْمَكَ

٢٢٢ بَعَثَ مَلِكٌ إِلَى عَبْدٍ لَهُ مَا لَكَ لَا تَخْدُمُنِي وَأَنْتَ عَبْدِي . فَأَجَابَهُ : لَوِ ٱعْتَبَرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ عَبْدُ عَبْدِي . لِأَنَّكَ تَتْبَعُ ٱلْهَوَى فَأَنْتَ عَبْدُهُ وَأَنَا أَمْلِكُهُ فَهُوَ عَبْدِي   (للمستعصميّ)

مِنْهُمْ مِنْ ذَوِي ٱلرَّأْيِ وَٱلْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ فَقَالُوا : مِنَ ٱلْحَزْمِ عَرْضُ ٱلرَّأْيِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَا أَرَى ذٰلِكَ صَوَابًا . فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذٰلِكَ . فَقَالَ : غَدًا أُخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَيْهِ لِلْوَعْدِ وَقَالُوا : لَقَدْ وَعَدْتَنَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كَلْبَيْنِ عَظِيمَيْنِ قَدْ أَعَدَّهُمَا . ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا وَأَلَّبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى ٱلْآخَرِ فَتَوَاثَبَا وَتَهَارَشَا حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا . فَلَمَّا بَلَغَ ٱلْغَايَةَ فَتَحَ بَابَ بَيْتٍ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى ٱلْكَلْبَيْنِ ذِئْبًا عِنْدَهُ قَدْ أَعَدَّهُ . فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ تَرَكَا مَا كَانَا عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا . وَوَثَبَا جَمِيعًا عَلَى ٱلذِّئْبِ فَنَالَا مِنْهُ مَا أَرَادَا . ثُمَّ أَقْبَلَ ٱلرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ ٱلْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ : مَثَلُكُمْ مَعَ ٱلْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هٰذَا ٱلذِّئْبِ مَعَ ٱلْكِلَابِ لَا يَزَالُ ٱلْهَرْجُ وَٱلْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَتَأَلَّفُوا عَلَى ٱلْعَدُوِّ . فَٱسْتَحْسَنُوا قَوْلَهُ وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِ

الرشيد والذكي

٢٤٣ يُحْكَى أَنَّ رَجُلًا ٱسْتَأْذَنَ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ فَقَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ مَا تَعْجِزُ ٱلْخَلَائِقُ عَنْهُ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : هَاتِ . فَأَخْرَجَ أُنْبُوبَةً فَصَبَّ فِيهَا إِبَرًا عِدَّةً . ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي ٱلْأَرْضِ . وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَرْمِي إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ فَتَقَعُ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ ٱلْإِبْرَةِ ٱلْمَوْضُوعَةِ حَتَّى فَرَغَ دَسْتُهُ . فَأَمَرَ ٱلرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ مِائَةَ سَوْطٍ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ . فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْهَوَانِ فَقَالَ : وَصَلْتُهُ لِجَوْدَةِ ذَكَائِهِ . وَأَدَّبْتُهُ لِكَيْ لَا يَصْرِفَ فَرْطَ ذَكَائِهِ فِي ٱلْفُضُولِ

الملك وسائق الحمار

٢٤٤ مَرَّ بَعْضُ ٱلْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ حِمَارًا غَيْرَ مُنْبَعِثٍ وَقَدْ عَنُفَ عَلَيْهِ فِي ٱلسَّوْقِ فَقَالَ: يَا غُلَامُ ٱرْفُقْ بِهِ. فَقَالَ ٱلْغُلَامُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فِي ٱلرِّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ. قَالَ: وَمَا مَضَرَّتُهُ. قَالَ: يَطُولُ طَرِيقُهُ وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ. وَفِي ٱلْعُنْفِ بِهِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ. قَالَ: وَمَا ٱلْإِحْسَانُ إِلَيْهِ. قَالَ: يَخِفُّ حِمْلُهُ وَيَطُولُ أَكْلُهُ. قَالَ: فَأَعْجَبَ ٱلْمَلِكَ بِكَلَامِهِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ: رِزْقٌ مَقْدُورٌ. وَوَاهِبٌ مَأْجُورٌ. قَالَ: وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِ ٱسْمِكَ فِي جَيْشِي. فَقَالَ: كُفِيتُ مَؤُونَةً. وَرُزِقْتُ بِهَا مَعُونَةً. قَالَ: لَوْلَا أَنَّكَ حَدِيثُ ٱلسِّنِّ لَٱسْتَوْزَرْتُكَ. قَالَ: لَنْ يَعْدَمَ ٱلْفَضْلَ مَنْ رُزِقَ ٱلْعَقْلَ. قَالَ: فَهَلْ تَصْلُحُ لِذٰلِكَ. قَالَ: إِنَّمَا يَكُونُ ٱلْمَدْحُ وَٱلذَّمُّ بَعْدَ ٱلتَّجْرِبَةِ. وَلَا يَعْرِفُ ٱلْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى يَبْلُوَهَا. قَالَ: فَٱسْتَوْزَرَهُ فَوَجَدَهُ ذَا رَأْيٍ صَائِبٍ وَفَهْمٍ رَحِيبٍ وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ ٱلتَّوْفِيقِ

(للطرطوشي)

٢٤٥ فَرَّ حِمَاسٌ عَنِ ٱلْعَدُوِّ مُنْهَزِمًا يَوْمَ ٱلْخَنْدَمَةِ. فَلَامَتْهُ ٱمْرَأَتُهُ. فَقَالَ:

إِنَّكِ لَوْ شَاهَدْتِ يَوْمَ ٱلْخَنْدَمَهْ ... إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
إِذْ لَحِقُونَا بِٱلسُّيُوفِ ٱلْمُسْلِمَهْ ... يَفْلُقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ
ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهْ ... لَمْ تَنْطِقِي فِي ٱللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

عمر بن الخطاب والصمصامة

٢٤٦ بَعَثَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ ٱلْمَعْرُوفِ بِٱلصَّمْصَامَةِ . فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا ضَرَبَ بِهِ وَجَدَهُ دُونَ مَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي ذٰلِكَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ : إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلسَّيْفِ وَلَمْ أَبْعَثْ بِٱلسَّاعِدِ ٱلَّذِي يَضْرِبُ بِهِ

ابرهيم الموصليّ عند الرشيد

٢٤٧ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : كُنْتُ عِنْدَ ٱلرَّشِيدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ إِبْرٰهِيمُ ٱلْمَوْصِلِيُّ فَأَنْشَدَهُ :

وَآمِرَةٍ بِٱلْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا ٱقْصِرِي فَلَيْسَ إِلَى مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ
فِعَالِي فِعَالُ ٱلْمُكْثِرِينَ تَجَمُّلًا وَمَا لِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
فَكَيْفَ أَخَافُ ٱلْفَقْرَ أَوْ أُحْرَمُ ٱلْغِنَى وَرَأْيُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

فَقَالَ : لِلّٰهِ أَبْيَاتٌ تَأْتِينَا بِهَا مَا أَحْسَنَ أُصُولَهَا . وَأَبْيَنَ فُصُولَهَا . وَأَقَلَّ فُضُولَهَا . يَا غُلَامُ أَعْطِهِ عِشْرِينَ أَلْفًا . قَالَ : وَٱللّٰهِ لَا أَخَذْتُ مِنْهَا دِرْهَمًا . قَالَ : وَلِمَ . قَالَ : لِأَنَّ كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ شِعْرِي . قَالَ : أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَصْيَدُ لِدَرَاهِمِ ٱلْمُلُوكِ مِنِّي

٢٤٨ كَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى بَعْضِ وُلَاةِ ٱلْكُوفَةِ رُقْعَةً فِيهَا هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ :

إِذَا جِئْتَ ٱلْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ ٱللّٰهِ ٱلرَّحِيمِ

فَأَمَّا بَعْدَ ذَاكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ قُبِّحَ مِنْ غَرِيمِ
لَزُومٌ مَا عَامْتُ لِبَابِ دَارِي لُزُومَ ٱلْكَلْبِ أَصْحَابَ ٱلرَّقِيمِ
لَهُ مِائَةٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ ٱلنِّصْفِ فِي صَكٍّ قَدِيمِ
دَرَاهِمُ مَا ٱنْتَفَعْتُ بِهَا وَلٰكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمِ
قَالَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (للشريشي)

ازهر وابو جعفر المنصور

٢٤٩ رَوَى ٱلشَّيْبَانِيُّ قَالَ: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ إِذَا دَخَلَ دَخَلَ مُسْتَتِرًا. فَكَانَ يَجْلِسُ فِي حَلْقَةِ أَزْهَرَ ٱلسَّمَّانِ ٱلْمُحَدِّثِ. فَلَمَّا أَفْضَتِ ٱلْخِلَافَةُ إِلَيْهِ قَدِمَ عَلَيْهِ أَزْهَرُ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَرَّبَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: دَارِي مُنْهَدِمَةٌ. وَعَلَيَّ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَوَصَلَهُ بِٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَقَالَ: قَدْ قَضَيْنَا حَاجَتَكَ يَا أَزْهَرُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا. فَأَخَذَهَا وَٱرْتَحَلَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ. فَلَمَّا رَآهُ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: جِئْتُكَ مُسَلِّمًا. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَٱذْهَبْ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا. فَأَخَذَهَا وَمَضَى. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ. فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ. قَالَ: أَتَيْتُ عَائِدًا. قَالَ: إِنَّهُ يَقَعُ فِي خَلَدِي أَنَّكَ جِئْتَ طَالِبًا. قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا عَائِدًا. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا. وَٱذْهَبْ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا وَلَا عَائِدًا. فَأَخَذَهَا وَٱنْصَرَفَ. فَلَمَّا مَضَتِ ٱلسَّنَةُ أَقْبَلَ. فَقَالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ.

قَالَ : دُعَاءٌ كُنْتُ أَسْمَعُكَ تَدْعُو بِهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ جِئْتُ لِأَكْتُبَهُ . فَضَحِكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ : إِنَّهُ دُعَاءٌ غَيْرُ مُسْتَجَابٍ . وَذٰلِكَ أَنِّي قَدْ دَعَوْتُ ٱللهَ بِهِ أَنْ لَا أَرَاكَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَتَعَالَ مَتَى شِئْتَ فَقَدْ أَعْيَتْنِي فِيكَ ٱلْحِيلَةُ

٢٥٠ أَبْطَأَ عُبَيْدُ ٱللهِ بْنُ يَحْيَى عَنِ ٱلدِّيوَانِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ٱلْمُتَوَكِّلُ يَتَعَرَّفُ خَبَرَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانَيْنِ مِنَ ٱلْإِفْلَاسِ وَٱلدَّيْنِ
فَفِي هٰذَيْنِ لِي شُغْلٌ وَحَسْبِي شُغْلُ هٰذَيْنِ

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ

المستعطي بالحلم

٢٥١ قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ : دَخَلَ ٱبْنُ دِعْبِلٍ عَلَى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا وَلِيَ ٱلْكُوفَةَ فَقَعَدَ بَيْنَ ٱلسِّمَاطَيْنِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا فَأْذَنْ لِي فِي قَصَصِهَا . فَقَالَ : قُلْ . فَقَالَ :

أَغْفَيْتُ قَبْلَ ٱلصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ جُدْتَ لِي بِوَصِيفَةٍ مَوْسُومَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامُهَا
وَبِبَدْرَةٍ حُمِلَتْ إِلَيَّ وَبَغْلَةٍ شَهْبَاءَ نَاجِيَةٍ يَصِرُّ لِجَامُهَا

قَالَ لَهُ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ : كُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ فَهُوَ عِنْدِي إِلَّا ٱلْبَغْلَةَ فَإِنَّهَا دَهْمَاءُ فَارِهَةٌ . قَالَ : بَرِئْتُ مِنْ نَسَبِي إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُهَا إِلَّا دَهْمَاءَ إِلَّا أَنِّي غَلِطْتُ

٢٥٢ قَالَ ٱلْبُطَيْنُ ٱلشَّاعِرُ: قَدِمْتُ عَلَى ٱبْنِ يَحْيَى ٱلْأَرْمِينِيِّ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

رَأَيْتُ فِي ٱلنَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي دَنَانِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حِذْقٌ وَمَعْرِفَةٌ رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسِّرْ غَدًا عِنْدَ ٱلْأَمِيرِ تَجِدْ تَعْبِيرَ ذَاكَ وَفِي ٱلْفَالِ ٱلتَّبَاشِيرُ
فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرِحًا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِٱلْفِعْلِ تَبْشِيرُ

قَالَ: فَوَقَّعَ لِي فِي أَسْفَلِ كِتَابِي أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ. ثُمَّ أَمَرَ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ فِي أَبْيَاتِي وَرَأَيْتُهُ فِي مَنَامِي

٢٥٣ مَدَحَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ أَمِيرًا فَخَيَّبَهُ. فَأَنْشَدَهُ:

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيكَ مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَحْلَلْتُ آمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ

السائل وعبيد الله بن عبّاس

٢٥٤ مِنْ جُودِ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَتَاهُ سَائِلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ لَهُ: صَدِّقْ فَإِنِّي نُبِّئْتُ أَنَّ عُبَيْدَ ٱللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَعْطَى سَائِلًا أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: وَأَيْنَ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ ٱللهِ. قَالَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُ فِي ٱلْحَسَبِ أَمْ فِي كَثْرَةِ ٱلْمَالِ. قَالَ: فِيهِمَا. قَالَ: أَمَّا ٱلْحَسَبُ فِي ٱلرَّجُلِ فَمُرُوءَتُهُ وَفِعْلُهُ. وَإِذَا شِئْتَ فَعَلْتَ. وَإِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ حَسِيبًا. فَأَعْطَاهُ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ ضِيقِ ٱلْحَالِ. فَقَالَ لَهُ ٱلسَّائِلُ:

إِنْ لَمْ تَكُنْ عُبَيْدَ ٱللهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُ . وَإِنْ كُنْتَ هُوَ فَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسِ . فَأَعْطَاهُ أَلْفًا أُخْرَى . فَقَالَ ٱلسَّائِلُ : هٰذِهِ هَزَّةُ كَرِيمٍ حَسِيبٍ . وَٱللهِ لَقَدْ نَقَرْتَ حَبَّةَ قَلْبِي فَأَفْرَغْتَهَا فِي قَلْبِكَ فَمَا أَخْطَأْتَ إِلَّا بِٱعْتِرَاضِ ٱلشَّدِّ مِنْ جَوَانِحِي

٢٥٥ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُطَيْرٍ : أَنْشَدتُّ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ طَاهِرٍ أَبْيَاتًا كُنْتُ مَدَحْتُ بِهَا بَعْضَ ٱلْوُلَاةِ وَهِيَ :

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ ... وَيَوْمُ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمُ
فَيَقْطُرُ يَوْمَ ٱلْجُودِ مِنْ كَفِّهِ ٱلنَّدَى ... وَيَقْطُرُ يَوْمَ ٱلْبُؤْسِ مِنْ كَفِّهِ ٱلدَّمُ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْبُؤْسِ لَمْ يَثْنِ كَفَّهُ ... عَنِ ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُجْرِمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْجُودِ فَرَّغَ كَفَّهُ ... لِبَذْلِ ٱلنَّدَى مَا كَانَ بِٱلْأَرْضِ مُعْدِمُ

فَقَالَ لِي عَبْدُ ٱللهِ : كَمْ أَعْطَاكَ . قُلْتُ : خَمْسَةَ آلَافٍ . قَالَ : فَقَبِلْتَهَا . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ لِي : أَخْطَأْتَ . مَا ثَمَنُ هٰذِهِ إِلَّا مِائَةُ أَلْفٍ

٢٥٦ قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ : سَمِعْتُ عَمِّي يُنْشِدُ لِأَبِي عَبَّاسٍ ٱلزُّبَيْرِيِّ :

وَكُلُّ خَلِيفَةٍ وَوَلِيِّ عَهْدٍ ... لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ ٱلْفِدَاءُ
إِمَارَتُكُمْ شِفَاءٌ حَيْثُ كَانَتْ ... وَبَعْضُ إِمَارَةِ ٱلْأَقْوَامِ دَاءُ
فَأَنْتُمْ تُحْسِنُونَ إِذَا مَلَكْتُمْ ... وَبَعْضُ ٱلْقَوْمِ إِنْ مَلَكُوا أَسَاءُوا
أَأَجْعَلُكُمْ وَغَيْرَكُمْ سَوَاءً ... وَبَيْنَكُمُ وَبَيْنَهُمُ ٱلْهَوَاءُ

هُمُ أَرْضٌ لِأَرْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَاءْ
فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ أَعْطَى عَلَيْهَا . قَالَ : عِشْرِينَ أَلْفًا

٢٥٧ دَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ : كَبِرْتَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ . قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً . قَالَ : هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَيُّ ٱلدَّوْلَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ أَبْغَضُ . أَدَوْلَتُنَا أَمْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : ذٰلِكَ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . إِنْ زَادَ بِرُّكَ عَلَى بِرِّهِمْ كَانَتْ دَوْلَتُكَ أَحَبَّ إِلَيَّ . وَإِنْ زَادَ بِرُّهُمْ عَلَى بِرِّكَ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ . قَالَ : صَدَقْتَ

٢٥٨ دَخَلَ ٱلْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ ٱلدِّيوَانِ فَرَأَى غُلَامًا جَمِيلًا عَلَى أُذُنِهِ قَلَمٌ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ . قَالَ : أَنَا ٱلنَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ . وَٱلْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ . وَٱلْمُؤَمِّلُ لِخِدْمَتِكَ ٱلْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ . قَالَ ٱلْمَأْمُونُ : بِٱلْإِحْسَانِ فِي ٱلْبَدِيهَةِ تَفَاضَلَتِ ٱلْعُقُولُ . إِرْفَعُوا هٰذَا ٱلْغُلَامَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ

٢٥٩ كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبِ إِلَى عَلِيلٍ :

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مُعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ نَفْسِي ٱلْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ
يَا لَيْتَ عِلَّتَهُ بِي ثُمَّ كَانَ لَهُ أَجْرُ ٱلْعَلِيلِ وَإِنِّي غَيْرُ مَأْجُورِ

٢٦٠ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلَى ٱلْمُتَوَكِّلِ فِي شَكَاةٍ لَهُ يَعُودُهُ فَقَالَ :

أَللّٰهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ ٱلْإِمَامِ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْمَنَايَا دُونَهُ عَرَضُ

فَلَيْتَ أَنَّ ٱلَّذِي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضٍ بِٱلْعَـائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ ٱلْمَرَضُ
فَبِـٱلْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عِوَضٌ وَلَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْـهُ لَنَا عِوَضُ
فَمَا أُبَالِي إِذَا مَا نَفْسُـهُ سَلِمَتْ لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ ٱللهِ وَٱنْقَرَضُوا

(لابن عبد ربّه)

٢٦١ لَمَّا قَدِمَ نَصْرُ بْنُ مَنِيعٍ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَأْمُونِ وَكَانَ قَدْ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِـهِ قَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ: ٱسْمَعْ مِنِّي كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا. قَالَ: قُلْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

زَعَمُوا بِأَنَّ ٱلصَّقْرَ صَادَفَ مَرَّةً عُصْفُورَ بَرٍّ سَاقَهُ ٱلتَّقْـدِيرُ
فَتَكَلَّمَ ٱلْعُصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَٱلصَّقْرُ مُنْقَضٌّ عَلَيْـهِ يَطِيرُ
إِنِّي لِمِثْـلِكَ لَا أُتَمِّمُ لُقْمَـةً وَلَئِنْ شُوِيتُ فَإِنَّنِي لَحَقِـيرُ
فَتَهَاوَنَ ٱلصَّقْرُ ٱلْمُدِلُّ بِصَيْـدِهِ كَرَمًا وَأَفْلَتَ ذٰلِكَ ٱلْعُصْفُورُ

فَعَفَا عَنْهُ (لابن خلّكان)

الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة

٢٦٢ قَالَ ٱلشَّيْبَانِيُّ: نَزَلَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى خَيْمَةِ أَعْرَابِيَّةٍ وَلَهَا دَجَاجَةٌ وَقَدْ دَجَنَتْ عِنْدَهَا. فَذَبَحَتْهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِ. فَقَالَتْ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ هٰذِهِ دَجَاجَةٌ لِي كُنْتُ أُدْجِنُهَا وَأَعْلِفُهَا مِنْ قُوتِي وَأَلْمِسُهَا فِي آنَاءِ ٱللَّيْلِ فَكَأَنَّمَا أَلْمِسُ بِنْتِي زَلَّتْ عَنْ كَبِدِي. فَنَذَرْتُ لِلهِ أَنْ أَدْفِنَهَا فِي أَكْرَمِ بُقْعَةٍ تَكُونُ. فَلَمْ أَجِدْ تِلْكَ ٱلْبُقْعَةَ ٱلْمُبَارَكَةَ إِلَّا بَطْنَكَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْفِنَهَا فِيهِ. فَضَحِكَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ.

٢٦٣ دَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ . فَأَجْلَسَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى سَرِيرِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . قَالَ : وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ بَنِي أُمَيَّةَ تُصَابُونَ فِي بَصَائِرِكُمْ

٢٦٤ كَانَ بَطْلِيمُوسُ الأَخِيرُ مَلِكُ الرُّومِ يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْمِرْآةِ فَإِنْ رَأَى وَجْهَهُ حَسَنًا لَمْ يَشِنْهُ بِقُبْحٍ . وَإِنْ رَآهُ قَبِيحًا لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَبِيحَيْنِ (لثمرات الاوراق للحموي)

٢٦٥ قَالَ حَسَّانٌ : خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ مُرَابِطِينَ إِلَى الشَّامِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ فِي أَزِقَّةِ الْمِصِّيصَةِ إِذْ لَقِيَ سَكْرَانَ قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى . فَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ بَرْنَامَجًا مِنْ كُمِّهِ فَكَتَبَ الْبَيْتَ . فَقُلْنَا لَهُ : أَتَكْتُبُ بَيْتَ شِعْرٍ سَمِعْتَهُ مِنْ سَكْرَانَ . قَالَ : أَمَا سَمِعْتُمُ الْمَثَلَ . رُبَّ جَوْهَرَةٍ فِي مَزْبَلَةٍ : قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : فَهٰذِهِ جَوْهَرَةٌ فِي مَزْبَلَةٍ

٢٦٦ إِسْتَأْذَنَ نُصَيْبُ بْنُ رِيَاحٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَقَالَ : أَعْلِمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي قُلْتُ شِعْرًا أَوَّلُهُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ . فَأَعْلَمُوهُ فَأَذِنَ لَهُ . فَأُدْخِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ :

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ فَقَدْ أَتَتْنَا بِكَ الْحَاجَاتُ وَالْقَدَرُ
فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَيِّدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

فَأَمَرَ لَهُ بِحِلْيَةِ سَيْفِهِ (لابن عبد ربّه)

٢٦٧ حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : كَانَ ثَابِتُ قُطْنَةَ قَدْ وُلِّيَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ . فَلَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَامَ الْكَلَامَ فَتَعَذَّرَ

عَلَيْهِ وَحَصِرَ فَقَالَ : : سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا وَبَعْدَ عِيٍّ بَيَانًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى أَمِيرٍ فَعَّالٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى أَمِيرٍ قَوَّالٍ

وَإِلَّا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنَّنِي بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ ٱلْوَغَى لَخَطِيبُ

فَبَلَغَتْ كَلِمَاتُهُ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ . (وَيُقَالُ ٱلْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ) فَقَالَ : وَٱللَّهِ مَا عَلَا ذَٰلِكَ ٱلْمِنْبَرَ أَخْطَبُ مِنْهُ (الاغاني)

٢٦٨ نَظَرَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى فَتًى عَلَى ثِيَابِهِ أَثَرُ مِدَادٍ . فَوَنَّبَهُ عَلَى ذَٰلِكَ فَقَالَ :

لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ ٱلْمِدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ ٱلرِّجَالِ وَحِلْيَةُ ٱلْكُتَّابِ

فَأَجَابَهُ :

حِمَارٌ فِي ٱلْكِتَابَةِ يَدَّعِيهَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ
فَدَعْ عَنْكَ ٱلْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَّخْتَ نَفْسَكَ بِٱلسَّوَادِ

٢٦٩ حَدَّثَ ٱلْغَلَابِيُّ قَالَ : تَهَدَّدَ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ مَعْنٍ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ وَخَوَّفَهُ . فَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ يَهْجُوهُ :

أَلَا قُلْ لِٱبْنِ مَعْنٍ وَٱلَّذِي م فِي ٱلْوُدِّ قَدْ حَالَا
لَقَدْ بُلِّغْتُ مَا قَالَا فَمَا بَالَيْتُ مَا قَالَا
وَلَوْ كَانَ مِنَ ٱلْأُسْدِ لَمَا رَاعَ وَلَا هَالَا
فَصُغْ مَا كُنْتَ حَلَّيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالَا
فَمَا تَصْنَعُ بِٱلسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالَا
أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالًا وَقَدْ أَصْبَحْتَ بَطَّالَا

قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ : مَا لَبِسْتُ ٱلسَّيْفَ قَطُّ فَلَحَنِي إِنْسَانٌ إِلَّا قُلْتُ : إِنَّهُ يَحْفَظُ شِعْرَ أَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ فِيَّ فَيَنْظُرُ إِلَيَّ بِسَبَبِهِ

(للشريشي)

٢٧٠ حَدَّثَ ٱلْمَدَائِنِيُّ قَالَ : عَيَّرَ زِيَادُ ٱلْأَعْجَمُ ٱلْمُغِيرَةَ بْنَ حَبْنَاءَ فِي مَجْلِسِ ٱلْمُهَلَّبِ بِٱلْبَرَصِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمُغِيرَةُ : إِنَّ عِتَاقَ ٱلْخَيْلِ لَا تَشِينُهَا ٱلْأَوْضَاحُ وَلَا تُعَيَّرُ بِٱلْغُرَرِ وَٱلْحُجُولِ . وَقَدْ قَالَ صَاحِبُنَا بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ لِرَجُلٍ عَيَّرَهُ بِٱلْبَرَصِ : إِنَّمَا أَنَا سَيْفُ ٱللهِ جَلَاهُ وَٱسْتَلَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ

(الاغاني)

٢٧١ قِيلَ لِبَعْضِ ٱلْمَجَانِينِ وَقَدْ أَقْبَلَ مِنَ ٱلْمَقْبَرَةِ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ . فَقَالَ : مِنْ هٰذِهِ ٱلْقَافِلَةِ ٱلنَّازِلَةِ . قِيلَ : مَاذَا قُلْتَ لَهُمْ . قَالَ : قُلْتُ لَهُمْ مَتَى تَرْحَلُونَ . فَقَالُوا : حِينَ عَلَيْنَا تَقْدَمُونَ (لبهاء الدين)

٢٧٢ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

لِكُلِّ فَتًى خُرْجٌ مِنَ ٱلْعَيْبِ مُمْتَلٍ
عَلَى كِتْفِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ
فَعَيْنُ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ نُصْبُ عُيُونِهِ
وَعَيْنُ عُيُوبِ ٱلنَّفْسِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ

وعد عرقوب

٢٧٣ كَانَ عُرْقُوبُ وَعَدَ رَجُلًا ثَمَرَ نَخْلَةٍ فَلَمَّا أَطْلَعَتْ أَتَاهُ فَقَالَ : دَعْهَا حَتَّى تُبْلِحَ . فَلَمَّا أَبْلَحَتْ قَالَ : دَعْهَا حَتَّى تُزْهِيَ . فَلَمَّا أَزْهَتْ أَتَاهُ . فَقَالَ :

دَعْهَا حَتَّى تُرْطِبَ . ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : دَعْهَا حَتَّى تُتْمِرَ . فَلَمَّا أَتْمَرَتْ عَدَا عَلَيْهَا ٱلْبَلَاءُ فَجَدَّهَا فَضُرِبَ بِهِ ٱلْمَثَلُ فِي ٱلْخُلْفِ . قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

مَنْ كَانَ خُلْفُ ٱلْوَعْدِ شِيمَتُهُ   وَٱلْغَدْرَ عُرْقُوبٌ لَهُ مَثَـلُ

٢٧٤ حَدَّثَ أَبُو ٱلْعَالِيَةِ قَالَ : دَخَلَ ٱلتَّيْمِيُّ إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ ٱلرَّبِيعِ فِي يَوْمِ عِيدٍ فَأَنْشَدَهُ :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ   وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ
تَرَى عُظَمَاءَ ٱلنَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَّعًا   إِذَا مَا بَدَا وَٱلْفَضْـلُ لِلّٰهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ ٱللّٰهُ رِفْعَـةً   وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْـدَهُ مُتَوَاضِعُ

فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (الاغاني)

٢٧٥ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي ٱسْمِ عَلِيٍّ :

إِسْمُ ٱلَّذِي تَيَّمَـنِي   أَوَّلُهُ نَاظِرُهُ
إِنْ فَاتَنِي أَوَّلُهُ   فَإِنَّ لِي آخِرُهُ

٢٧٦ لِمُجِيرِ ٱلدِّينِ فِي زَهْرِ ٱللَّوْزِ :

أَزَهْرَ ٱللَّوْزِ أَنْتَ لِكُلِّ زَهْرٍ   مِنَ ٱلْأَزْهَارِ يَأْتِينَـا إِمَامُ
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ ٱلْأَيَّامُ حَتَّى   كَأَنَّكَ فِي فَمِ ٱلدُّنْيَا ٱبْتِسَامُ

٢٧٧ كَتَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَدِيَّةٍ وَأَرْسَلَهَا :

يَا أَيُّهَـا ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي   عَمَّتْ أَيَادِيهِ ٱلْجَلِيـلَه
إِقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ يَرَى   فِي حَقِّكَ ٱلدُّنْيَا قَلِيلَهْ

٢٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ لِٱبْنِ سِينَا : هَلَّا تُسَافِرُ بَحْرًا . فَقَالَ :

لا أَرْكَبُ ٱلْبَحْرَ أَخْشَى عَلَيَّ مِنْهُ ٱلْمَعَاطِبْ
طِينٌ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ وَٱلطِّينُ فِي ٱلْمَاءِ ذَائِبْ

٢٧٩ سَمِعَ رَجُلٌ رَجُلًا يَقُولُ : أَيْنَ ٱلزَّاهِدُونَ فِي ٱلدُّنْيَا . ٱلرَّاغِبُونَ فِي ٱلْآخِرَةِ . فَقَالَ لَهُ : يَا هٰذَا ٱقْلِبْ كَلَامَكَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَنْ شِئْتَ

٢٨٠ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ ٱلْقُلُوبِ : إِنَّ ٱلنَّاسَ يَقُولُونَ : ٱفْتَحُوا أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُبْصِرُوا . وَأَنَا أَقُولُ : غَمِّضُوا أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُبْصِرُوا

٢٨١ كَانَ فِي زَمَانِ دِيُوجَانِسَ ٱلْحَكِيمِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ فَتَرَكَ ٱلتَّصْوِيرَ وَصَارَ طَبِيبًا فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ إِنَّكَ لَمَّا رَأَيْتَ خَطَأَ ٱلتَّصْوِيرِ ظَاهِرًا لِلْعَيْنِ وَخَطَأَ ٱلطِّبِّ يُوَارِيهِ ٱلتُّرَابُ تَرَكْتَ ٱلتَّصْوِيرَ وَدَخَلْتَ فِي ٱلطِّبِّ

٢٨٢ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ قَوْمًا يَجُودُونَ بِأَنْفُسِهِمْ :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ لَا يَيْأَسُونَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

٢٨٣ وَفَدَ حَاجِبُ بْنُ زُرَارَةَ عَلَى أَنُوشَرْوَانَ فَٱسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لِلْحَاجِبِ : سَلْهُ مَنْ هُوَ . فَقَالَ : رَجُلٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ أَنُوشَرْوَانُ : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : سَيِّدُ ٱلْعَرَبِ . قَالَ : أَلَيْسَ زَعَمْتَ أَنَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ كَذٰلِكَ . فَلَمَّا أَكْرَمَنِي ٱلْمَلِكُ بِمُكَالَمَتِهِ صِرْتُ سَيِّدَهُمْ . فَأَمَرَ بِحَشْوِ فِيهِ دُرًّا (للعاملي)

٢٨٤ قِيلَ : إِنَّ جَرِيرًا أَفْخَرُ ٱلْعَرَبِ حَيْثُ يَقُولُ :

تَرَى ٱلنَّاسَ إِنْ سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا
وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَفُوا

عين ابصرت بقلعها

٢٨٥ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ ٱلْخُلَفَاءِ فَوَجَدَهُ جَالِسًا وَإِلَى جَانِبِهِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ تُدْعَى خَالِصَةَ . وَعَلَيْهَا مِنَ ٱلْحُلِي وَأَنْوَاعِ ٱلْجَوَاهِرِ وَٱللَّآلِئِ مَا لَا يُوصَفُ . فَصَارَ ٱلشَّاعِرُ يَمْتَدِحُهُ وَهُوَ يَسْهُو عَنِ ٱسْتِمَاعِهِ . فَلَمَّا خَرَجَ كَتَبَ عَلَى ٱلْبَابِ :

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ

فَقَرَأَهُ بَعْضُ حَاشِيَةِ ٱلْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ . فَغَضِبَ لِذٰلِكَ وَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِ ٱلشَّاعِرِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلْبَابِ مَسَحَ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلَّتِي فِي لَفْظَةِ ضَاعَ . وَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا كَتَبْتَ عَلَى ٱلْبَابِ . قَالَ : كَتَبْتُ

لَقَدْ ضَاءَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاءَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ

فَأَعْجَبَهُ ذٰلِكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ . وَخَرَجَ ٱلشَّاعِرُ وَهُوَ يَقُولُ : لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ شِعْرٍ قُلِعَتْ عَيْنَاهُ فَأَبْصَرَ (للنواجي)

٢٨٦ تَفَاخَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَحَدِ ٱلشُّعَرَاءِ . فَقَالَ فِيهِ ٱلشَّاعِرُ :

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ ٱلْوَضِيعِ بِهِ وَتَرَى ٱلشَّرِيفَ يَحُطُّهُ شَرَفُهْ
كَٱلْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ سُفْلًا وَتَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُهْ

قَالَ آخَرُ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

لَا غَرْوَ أَنْ فَاقَ ٱلدَّنِيءُ أَخَا ٱلْعُلَا فِي ذَا ٱلزَّمَانِ وَهَلْ لِذٰلِكَ جَاحِدُ
فَٱلدَّهْرُ كَٱلْمِيزَانِ يَرْفَعُ كُلَّ مَا هُوَ نَاقِصٌ وَيَحُطُّ مَا هُوَ زَائِدُ

الفلاّح الحكيم

٢٨٧ قِيلَ: وَقَفَ كِسْرَى عَلَى فَلَّاحٍ يَغْرِسُ نَخْلًا وَقَدْ طَعَنَ فِي ٱلسِّنِّ. فَقَالَ لَهُ كِسْرَى مُتَعَجِّبًا مِنْهُ: أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ أَتُؤَمِّلُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ هٰذَا ٱلنَّخْلِ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ. وَأَنْتَ قَدْ فَنِيَ عُمْرُكَ. فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ غَرَسُوا وَأَكَلْنَا وَغَرَسْنَا فَيَأْكُلُونَ. فَقَالَ مُتَعَجِّبًا مِنْ كَلَامِهِ: زِهْ. وَأَعْطَى ٱلْفَلَّاحَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَا أَعْجَلَ مَا أَثْمَرَ هٰذَا ٱلنَّخْلُ. فَٱسْتَحْسَنَ كِسْرَى ذٰلِكَ وَقَالَ: زِهْ. فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى. فَأَخَذَهَا وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَأَعْجَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّ ٱلنَّخْلَ أَثْمَرَ ٱلسَّنَةَ مَرَّتَيْنِ. فَٱسْتَحْسَنَ كِسْرَى ذٰلِكَ وَقَالَ: زِهْ. فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى ثُمَّ تَرَكَهُ وَٱنْصَرَفَ (للاتليدي)

عفو معن بن زائدة عن أسراهُ

٢٨٨ قِيلَ: إِنَّ مَعْنًا قَبَضَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ ٱلْأَسْرَى فَعَرَضَهُمْ عَلَى ٱلسَّيْفِ. فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ لَا تَجْمَعْ عَلَيْنَا بَيْنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْعَطَشِ ثُمَّ ٱلْقَتْلِ. فَوَٱللهِ إِنَّ كَرَمَ ٱلْأَمِيرِ يُبْعِدُ عَنْ ذٰلِكَ. فَأَمَرَ لَهُمْ حِينَئِذٍ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ. فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا وَمَعْنٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ أَكْلِهِمْ قَالُوا لَهُ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَكَ إِنَّنَا قَدْ كُنَّا أَسْرَاكَ وَٱلْآنَ صِرْنَا ضُيُوفَكَ. فَٱنْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ بِضُيُوفِكَ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ قَالَ لَهُمْ مَعْنٌ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: وَٱللهِ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنَّ عِنْدَنَا عَفْوَكَ عَنَّا أَشْرَفُ مِنْ يَوْمِ

ظَفَرِكَ بِنَا . فَسُرَّ مَعْنًا هٰذَا ٱلْكَلَامُ وَأَمَرَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ بِكُسْوَةٍ وَمَالٍ

(لابن عبد ربّه)

٢٨٩ لَمَّا قُتِلَ ٱلْوَزِيرُ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ أَكْثَرَ ٱلشُّعَرَاءُ مِنَ ٱلْمَرَاثِي فِيهِ . فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ شِبْلِ ٱلدَّوْلَةِ مُقَاتِلِ بْنِ عَطِيَّةَ :

كَانَ ٱلْوَزِيرُ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ جَوْهَرَةً
مَكْنُونَةً صَاغَهَا ٱلْبَارِي مِنَ ٱلشَّرَفِ
جَاءَتْ فَلَمْ تَعْرِفِ ٱلْأَيَّامُ قِيمَتَهَا
فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى ٱلصَّدَفِ

المتنبي والكتّاب

٢٩٠ مِنْ أَرَقِّ مَا حُكِيَ أَنَّ ٱلْمُتَنَبِّي ٱمْتَدَحَ بَعْضَ أَعْدَاءِ صَاحِبِ مَمْلَكَتِهِ . فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ فَتَوَعَّدَ ٱلْمُتَنَبِّي بِٱلْقَتْلِ . فَخَرَجَ هَارِبًا ثُمَّ ٱخْتَفَى مُدَّةً . فَأُخْبِرَ ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ بِبَلْدَةِ كَذَا . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِكَاتِبِهِ : ٱكْتُبْ لِلْمُتَنَبِّي كِتَابًا وَلَطِّفْ لَهُ ٱلْعِبَارَةَ . وَٱسْتَعْطِفْ خَاطِرَهُ وَأَخْبِرْهُ أَنِّي رَضِيتُ عَنْهُ . وَأْمُرْهُ بِٱلرُّجُوعِ إِلَيْنَا . فَإِذَا جَاءَ إِلَيْنَا فَعَلْنَا بِهِ مَا نُرِيدُ . وَكَانَ بَيْنَ ٱلْكَاتِبِ وَٱلْمُتَنَبِّي مُصَادَقَةٌ فِي ٱلسِّرِّ . فَلَمْ يَسَعِ ٱلْكَاتِبَ إِلَّا ٱلِٱمْتِثَالُ . فَكَتَبَ كِتَابًا وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدُسَّ فِيهِ شَيْئًا خَوْفًا مِنَ ٱلْمَلِكِ لِأَنَّهُ يَقْرَأُهُ قَبْلَ خَتْمِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَكَتَبَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى شَدَّدَ ٱلنُّونَ (إِنَّ) . وَقَرَأَهُ ٱلسُّلْطَانُ وَخَتَمَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى ٱلْمُتَنَبِّي . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَرَأَى تَشْدِيدَ ٱلنُّونِ ٱرْتَحَلَ مِنْ تِلْكَ ٱلْبَلْدَةِ عَلَى ٱلْفَوْرِ . فَقِيلَ لَهُ

فِي ذٰلِكَ. فَقَالَ: أَشَارَ ٱلْكَاتِبُ بِتَشْدِيدِ ٱلنُّونِ إِلَى مَا جَاءَ فِي ٱلْقُرْآنِ: إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ. فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ. فَٱنْظُرْ إِلَى بُلُوغِ هٰذَا ٱلْغَرَضِ بِأَلْطَفِ عِبَارَةٍ. وَيُحْكَى أَنَّ ٱلْمُتَنَبِّي كَتَبَ ٱلْجَوَابَ وَزَادَ أَلِفًا فِي آخِرِ لَفْظَةِ إِنَّ إِشَارَةً إِلَى مَا قِيلَ: إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا (للنواجي)

٢٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي ٱلنَّارِ:

وَآكِلَةٍ بِغَيْرِ فَمٍ وَبَطْنٍ ... لَهَا ٱلْأَشْجَارُ وَٱلْحَيَوَانُ قُوتُ

فَإِنْ أَطْعَمْتَهَا ٱنْتَعَشَتْ وَعَاشَتْ ... وَلَوْ أَسْقَيْتَهَا مَاءً تَمُوتُ

٢٩٢ وَقَالَ آخَرُ مُلْغِزًا فِي بَجَعٍ:

مَا طَائِرٌ فِي قَلْبِهِ ... يَلُوحُ لِلنَّاسِ عَجَبْ

مِنْقَارُهُ فِي رَأْسِهِ ... وَٱلْعَيْنُ مِنْهُ فِي ٱلذَّنَبْ

٢٩٣ رَأَى أَبُو ٱلْعَمَّارِ أَمِيرًا جَائِرًا يُصَلِّي فَقَالَ:

قَدْ بُلِينَا بِأَمِيرٍ ... ظَلَمَ ٱلنَّاسَ وَسَبَّحْ

فَهُوَ كَٱلْجَزَّارِ فِيهِمْ ... يَذْكُرُ ٱللّٰهَ وَيَذْبَحْ

٢٩٤ قَالَ عَبْدُ ٱلْحَكَمِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ فِي رَجُلٍ وَجَبَ عَلَيْهِ ٱلْقَتْلُ. فَرَمَاهُ مُسْتَوْفِي ٱلْقِصَاصِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ كَبِدَهُ فَقَتَلَهُ. فَقَالَ عَبْدُ ٱلْحَكَمِ:

أَخْرَجْتَ مِنْ كَبِدِ ٱلْقَوْسِ ٱبْنَهَا فَغَدَتْ

تَئِنُّ وَٱلْأُمُّ قَدْ تَحْنُو عَلَى ٱلْوَلَدِ

وَمَا دَرَتْ أَنَّهُ لَمَّا رَمَيْتَ بِهِ
مَا سَارَ مِنْ كَبِدٍ إِلَّا إِلَى كَبِدِ

٢٩٥ كَانَ ٱلْوَزِيرُ صَفِيُّ ٱلدِّينِ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱبْنِ شُكْرٍ وَزِيرَ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَادِلِ ٱبْنِ أَيُّوبَ بِمِصْرَ. فَعزَلَ عَبْدَ ٱلْحَكَمِ ٱلْمَذْكُورَ عَنْ خَطَابَةِ جَامِعِ مِصْرَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

فَلِأَيِّ بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ أَرْجِعُ ... وَبِأَيِّ جُودٍ غَيْرِ جُودِكَ أَطْمَعُ
سُدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي ... إِلَّا إِلَيْكَ فَدُلَّنِي مَا أَصْنَعُ
فَكَأَنَّمَا ٱلْأَبْوَابُ بَابُكَ وَحْدَهُ ... وَكَأَنَّمَا أَنْتَ ٱلْخَلِيقَةُ أَجْمَعُ

ذكاء المأمون

٢٩٦ حُكِيَ أَنَّ أُمَّ جَعْفَرٍ عَاتَبَتِ ٱلرَّشِيدَ فِي تَقْرِيظِهِ لِلْمَأْمُونِ دُونَ ٱلْأَمِينِ وَلَدِهَا. فَدَعَا خَادِمًا وَقَالَ لَهُ: وَجِّهْ إِلَى ٱلْأَمِينِ وَٱلْمَأْمُونِ خَادِمًا يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى ٱلْخَلْوَةِ: مَا تَفْعَلُ بِي إِذَا أَفْضَتِ ٱلْخِلَافَةُ إِلَيْكَ. فَأَمَّا ٱلْأَمِينُ فَقَالَ لِلْخَادِمِ: أُقْطِعُكَ وَأُعْطِيكَ. وَأَمَّا ٱلْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ قَامَ إِلَى ٱلْخَادِمِ بِدَوَاةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: أَتَسْأَلُنِي عَمَّا أَفْعَلُ بِكَ يَوْمَ يَمُوتُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. وَخَلِيفَةُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِدَاءً لَهُ. فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ لِأُمِّ جَعْفَرٍ: كَيْفَ تَرَيْنَ. فَسَكَتَتْ عَنِ ٱلْجَوَابِ (لابن خلكان)

٢٩٧ لَمَّا قُتِلَ ذُو ٱلرِّيَاسَتَيْنِ دَخَلَ ٱلْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ. لَا تَجْزَعِي فَإِنِّي ٱبْنُكِ بَعْدَ ٱبْنِكِ. فَقَالَتْ: أَفَلَا أَبْكِي عَلَى ٱبْنٍ أَكْسَبَنِي ٱبْنًا مِثْلَكَ

٢٩٨ نَظَرَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْحُذَّاقِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُهَّالِ ٱلنَّاسِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ حَسَنَةٌ وَيَتَكَلَّمُ وَيَلْحَنُ . فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ عَلَى قَدْرِ ثِيَابِكَ . أَوِ ٱلْبَسْ عَلَى قَدْرِ كَلَامِكَ (للقيرواني)

٢٩٩ وَصَفَ بَعْضُ ٱلنُّبَلَاءِ بَخِيلًا فَقَالَ : هُوَ جَلَمٌ أَيْ مِقَصٌّ . مِنْ حَيْثُ جِئْتَهُ وَجَدتَّ لَا (الكنز المدفون)

٣٠٠ دَخَلَ طَبِيبٌ عَلَى عَلِيلٍ فَقَالَ لَهُ : أَنَا وَأَنْتَ وَٱلْعِلَّةُ ثَلَاثَةٌ فَإِنْ أَعَنْتَنِي عَلَيْهَا بِٱلْقَبُولِ مِنِّي صِرْنَا ٱثْنَيْنِ وَٱنْفَرَدَتِ ٱلْعِلَّةُ فَقَوِينَا عَلَيْهَا (الملل والنحل للشهرساني)

٣٠١ كَانَ ٱلْمَلِكُ ٱلْكَامِلُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى بَعْضِ إِخْوَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ ٱلصَّلَاحُ وَزِيرُهُ مُسْتَشْفِعًا :

مِنْ شَرْطِ صَاحِبِ مِصْرٍ أَنْ يَكُونَ كَمَا
قَدْ كَانَ يُوسُفُ فِي ٱلْحُسْنَى لِإِخْوَتِهِ
سَاؤُوا فَقَابَلَهُمْ بِٱلْعَفْوِ وَٱفْتَقَرُوا
فَبَرَّهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ بِرَحْمَتِهِ

عبد الملك بن مروان والحجاج

٣٠٢ أَمَرَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يُعْمَلَ بَابُ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ فَيُكْتَبَ عَلَيْهِ ٱسْمُهُ . وَسَأَلَهُ ٱلْحَجَّاجُ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ بَابًا . فَأَذِنَ لَهُ فَاتَّفَقَ أَنَّ صَاعِقَةً وَقَعَتْ فَٱحْتَرَقَ مِنْهَا بَابُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ . وَبَقِيَ بَابُ ٱلْحَجَّاجِ فَعَظُمَ ذٰلِكَ عَلَى عَبْدِ ٱلْمَلِكِ . فَكَتَبَ ٱلْحَجَّاجُ إِلَيْهِ : بَلَغَنِي أَنَّ نَارًا نَزَلَتْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ

فَأَحرقتَ بَابَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تُحرِقْ بَابَ ٱلْحَجَّاجِ . وَمَا مَثَلُنَا فِي ذٰلِكَ إِلَّا كَمَثَلِ ٱبْنَيْ آدَمَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ . فَسُرِّيَ عَنْهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ

٣٠٣ رَوَى ٱلْحَافِظُ ٱلْحُمَيْدِيُّ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ ٱلْأُمَوِيِّ فِي ٱلِٱفْتِرَاقِ :

إِنْ كَانَتِ ٱلْأَبْدَانُ نَائِيَةً ... فَنُفُوسُ أَهْلِ ٱلظَّرْفِ تَأْتَلِفُ

يَا رُبَّ مُفْتَرِقَيْنِ قَدْ جَمَعَتْ ... قَلْبَيْهِمَا ٱلْأَقْلَامُ وَٱلصُّحُفُ

٣٠٤ مِنْ شِعْرِ ٱبْنِ مُسْهِرٍ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ ٱلرُّؤَسَاءِ فِي عِلَّةٍ :

وَلَمَّا ٱشْتَكَيْتَ ٱشْتَكَى كُلُّ مَا ... عَلَى ٱلْأَرْضِ وَٱعْتَلَّ شَرْقٌ وَغَرْبُ

لِأَنَّكَ قَلْبٌ لِجِسْمِ ٱلزَّمَانِ ... وَمَا صَحَّ جِسْمٌ إِذَا ٱعْتَلَّ قَلْبُ

٣٠٥ قَالَ أَبُو ٱلْمَيْمُونِ ٱلْمُبَارَكُ ٱلْكِنَانِيُّ فِي ٱلْبَرَاغِيثِ :

وَمَعْشَرٍ يَسْتَحِلُّ ٱلنَّاسُ قَتْلَهُمُ ... كَمَا ٱسْتَحَلُّوا دَمَ ٱلْحُجَّاجِ فِي ٱلْحَرَمِ

إِذَا سَفَكْتُ دَمًا مِنْهَا فَمَا سَفَكَتْ ... يَدَايَ مِنْ دَمِهَا ٱلْمَسْفُوكِ غَيْرَ دَمِي

٣٠٦ كَلَّمَ ٱلشَّعْبِيُّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ ٱلْفَزَارِيَّ أَمِيرَ ٱلْعِرَاقَيْنِ فِي قَوْمٍ حَبَسَهُمْ لِيُطْلِقَهُمْ فَأَبَى . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنْ حَبَسْتَهُمْ بِٱلْبَاطِلِ فَٱلْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ . وَإِنْ حَبَسْتَهُمْ بِٱلْحَقِّ فَٱلْعَفْوُ يَسَعُهُمْ . فَأَطْلَقَهُمْ

(لابن خلّكان)

٣٠٧ لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَصْرَهُ حِيَالَ قَصْرِ ٱلْمَأْمُونِ قِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بَارَاكَ وَبَاهَاكَ . فَدَعَاهُ وَقَالَ : لِمَ بَنَيْتَ هٰذَا ٱلْقَصْرَ حِذَائِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَرَى نِعْمَتَكَ عَلَيَّ فَجَعَلْتُهُ نُصْبَ

عَنكَ . فَٱسْتَحسَنَ ٱلْمَأْمُونُ جَوابَهُ وَعَفَا عَنْهُ (للمستعصي)

ان للعالم خالقًا

٣٠٨ حُكِيَ أَنَّ دَهرِيًّا جَاءَ إِلَى هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدِ ٱتَّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِكَ مِثْلُ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا . فَمَنْ كَانَ فَاضِلًا مِنْ هٰؤُلَاءِ فَأْمُرْهُ أَنْ يَحْضُرَ هٰهُنَا حَتَّى أَبْحَثَ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأُثْبِتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ . فَأَرْسَلَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ لِأَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ ٱلْعُلَمَاءِ . وَقَالَ : يَا إِمَامَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا ٱلدَّهْرِيُّ وَهُوَ يَدَّعِي نَفْيَ ٱلصَّانِعِ وَيَدْعُوكَ إِلَى ٱلْمُنَاظَرَةِ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَذْهَبُ بَعْدَ ٱلظُّهْرِ . فَجَاءَ رَسُولُ ٱلْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَ بِمَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ . فَأَرْسَلَ ثَانِيًا . فَقَامَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَتَى إِلَى هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ . فَٱسْتَقْبَلَهُ هَارُونُ وَجَاءَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ فِي ٱلصَّدْرِ وَقَدِ ٱجْتَمَعَ ٱلْأَكَابِرُ وَٱلْأَعْيَانُ . فَقَالَ ٱلدَّهْرِيُّ : يَا أَبَا حَنِيفَةَ لِمَ أَبْطَأْتَ فِي مَجِيئِكَ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : قَدْ حَصَلَ لِي أَمْرٌ عَجِيبٌ فَلِذٰلِكَ أَبْطَأْتُ . وَذٰلِكَ أَنَّ بَيْتِي وَرَاءَ دِجْلَةَ . فَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي وَجِئْتُ إِلَى جَنْبِ دِجْلَةَ حَتَّى أَعْبُرَهَا فَرَأَيْتُ بِجَنْبِ دِجْلَةَ سَفِينَةً عَتِيقَةً مُقَطَّعَةً قَدِ ٱفْتَرَقَ أَلْوَاحُهَا . فَلَمَّا وَقَعَ بَصَرِي عَلَيْهَا ٱضْطَرَبَتِ ٱلْأَلْوَاحُ وَتَحَرَّكَتْ وَٱجْتَمَعَتْ وَتَوَصَّلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَصَارَتِ ٱلسَّفِينَةُ صَحِيحَةً بِلَا نَجَّارٍ وَلَا عَمَلِ عَامِلٍ . فَقَعَدْتُ عَلَيْهَا وَعَبَرْتُ ٱلْمَاءَ وَجِئْتُ هٰهُنَا . فَقَالَ ٱلدَّهْرِيُّ : ٱسْمَعُوا أَيُّهَا ٱلْأَعْيَانُ مَا يَقُولُ إِمَامُكُمْ وَأَفْضَلُ زَمَانِكُمْ .

فَهَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامًا أَكْذَبَ مِنْ هٰذَا كَيْفَ تَحْصُلُ ٱلسَّفِينَةُ ٱلْمَكْسُورَةُ بِلَا عَمَلِ نَجَّارٍ فَهُوَ كَذِبٌ مَحْضٌ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَائِكُمْ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَيُّهَا ٱلْكَافِرُ ٱلْمُطْلَقُ إِذَا لَمْ تَحْصُلِ ٱلسَّفِينَةُ بِلَا صَانِعٍ وَنَجَّارٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلَ هٰذَا ٱلْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ بِعَدَمِ ٱلصَّانِعِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَمَرَ ٱلرَّشِيدُ بِضَرْبِ عُنُقِ ٱلدَّهْرِيِّ فَقَتَلُوهُ

(للسيوطي)

أَلْبَابُ ٱلثَّامِنُ

فِي ٱلْحِكَايَاتِ

---

٣٠٩ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ إِنَّهُ دَعَاهُمْ فَلَكِيٌّ لَيْلَةً لِيُرِيَهُمُ ٱلنُّجُومَ وَيُعَرِّفَهُمْ خَوَاصَّهَا وَأَحْوَالَ سَيْرِهَا . فَأَدْخَلَهُمْ إِلَى بُسْتَانٍ وَجَعَلَ يَمْشِي مَعَهُمْ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيْهَا حَتَّى سَقَطَ فِي بِئْرٍ هُنَاكَ . فَقَالَ : مَنْ تَعَاطَى عِلْمَ مَا فَوْقَهُ بُلِيَ بِجَهْلِ مَا تَحْتَهُ (لبهاء الدين)

٣١٠ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا ٱنْكَسَرَتْ بِهِ ٱلسَّفِينَةُ فِي ٱلْبَحْرِ فَوَقَعَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَعَمِلَ شَكْلًا هَنْدَسِيًّا عَلَى ٱلْأَرْضِ فَرَآهُ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى ٱلْمَلِكِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَكَتَبَ ٱلْمَلِكُ إِلَى سَائِرِ مَمَالِكِهِ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱقْتَنُوا مَا إِذَا كُسِرْتُمْ فِي ٱلْبَحْرِ صَارَ مَعَكُمْ

(تاريخ الحكماء للشهرزوري)

بزرجمهر في حبسه

٣١١ سَخِطَ كِسْرَى عَلَى بُزُرْجُمْهِرَ فَحَبَسَهُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَفَّدَ بِالْحَدِيدِ فَبَقِيَ أَيَّامًا عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فَإِذَا هُوَ مَشْرُوحُ ٱلصَّدْرِ مُطْمَئِنُّ ٱلنَّفْسِ فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ فِي هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ مِنَ ٱلضِّيقِ وَنَرَاكَ نَاعِمَ ٱلْبَالِ . فَقَالَ : أَصْطَنَعْتُ سِتَّةَ أَخْلَاطٍ وَعَجَنْتُهَا وَٱسْتَعْمَلْتُهَا فَهِيَ ٱلَّتِي أَبْقَتْنِي عَلَى مَا تَرَوْنَ . قَالُوا : صِفْ لَنَا هٰذِهِ ٱلْأَخْلَاطَ لَعَلَّنَا نَنْتَفِعُ بِهَا عِنْدَ ٱلْبَلْوَى فَقَالَ : نَعَمْ . أَمَّا ٱلْخِلْطُ ٱلْأَوَّلُ فَٱلثِّقَةُ بِٱللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَمَّا ٱلثَّانِي فَكُلُّ مَا شَاءَهُ ٱللّٰهُ كَائِنٌ . وَأَمَّا ٱلثَّالِثُ فَٱلصَّبْرُ خَيْرُ مَا ٱسْتَعْمَلَهُ ٱلْمُمْتَحَنُ . وَأَمَّا ٱلرَّابِعُ فَإِذَا لَمْ أَصْبِرْ فَمَاذَا أَصْنَعُ وَلَا أُعِينُ عَلَى نَفْسِي بِٱلْجَزَعِ . وَأَمَّا ٱلْخَامِسُ فَقَدْ يَكُونُ أَشَدُّ مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَأَمَّا ٱلسَّادِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ . فَبَلَغَ مَا قَالَهُ كِسْرَى . فَأَطْلَقَهُ وَأَعَزَّهُ

٣١٢ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ وَاقِفًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ فَسَمِعَ صَوْتَ رَعْدٍ فَفَزِعَ سُلَيْمَانُ مِنْهُ وَوَضَعَ صَدْرَهُ عَلَى مُقَدَّمِ رَحْلِهِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : هٰذَا صَوْتُ رَحْمَتِهِ فَكَيْفَ صَوْتُ عَذَابِهِ

المدعو الى الوليمة والسائل

٣١٣ دَعَا رَجُلٌ آخَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ : لِنَأْكُلَ مَعَكَ خُبْزًا وَمِلْحًا . فَظَنَّ ٱلرَّجُلُ أَنَّ ذٰلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ طَعَامٍ لَطِيفٍ لَذِيذٍ أَعَدَّهُ صَاحِبُ ٱلْمَنْزِلِ . فَمَضَى مَعَهُ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى ٱلْخُبْزِ وَٱلْمِلْحِ . فَبَيْنَا هُمَا يَأْكُلَانِ إِذْ وَقَفَ

بِالْبَابِ سَائِلٌ . فَنهرهُ صَاحِبُ الْمـنْزِلِ مِرارًا فلم يَنْزَجِرْ . فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ وَإِلَّا خَرَجْتُ وَكَسَرْتُ رَأْسَكَ . فَقَالَ الْمَدْعُوُّ : يَا هٰذَا انصَرِفْ فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ مِنْ صِدْقِ وَعِيـدِهِ ما عَرَفْتُ مِنْ صِدْقِ وَعْدِهِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ

علي بن ابي رافع وابنة علي بن ابي طالب

٣١٤ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَاتِبَهُ . فَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عِقْدُ لُؤْلُؤٍ كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ الْبَصْرَةِ فَأَرْسَلَتْ إِلَيَّ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِقْدَ لُؤْلُؤٍ . وَهُوَ فِي يَدِكَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي يَوْمِ الْأَضْحَى . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَتْ : نَعَمْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَدَفَعْتُـهُ إِلَيْهَا وَإِذْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَآهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ . فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكِ هٰذَا الْعِقْدُ . فَقَالَتِ : اسْتَعَرْتُهُ مِنِ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَتَزَيَّنَ بِهِ فِي الْعِيدِ ثُمَّ أَرُدَّهُ . فَبَعَثَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَجِئْتُهُ فَقَالَ لِي : أَتَخُونُ الْمُسْلِمِينَ يَا ابْنَ أَبِي رَافِعٍ . فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَخُونَ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ : كَيْفَ أَعَرْتَ بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعِقْـدَ الَّذِي فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ إِذْنِي وَرِضَاهُمْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَـا بِنْتُكَ وَسَأَلَتْنِي أَنْ أُعِيرَهَا تَتَزَيَّنُ بِهِ . فَأَعَرْتُهَا إِيَّاهُ عَارِيَةً مَضْمُونَةً مَرْدُودَةً

عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ سَالِمًا إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : رُدَّهُ مِنْ يَوْمِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ فَتَنَالَكَ عُقُوبَتِي . ثُمَّ قَالَ : وَيْلٌ لِابْنَتِي . لَوْ كَانَتْ أَخَذَتِ الْعِقْدَ عَلَى غَيْرِ عَارِيَةٍ مَرْدُودَةٍ مَضْمُونَةٍ لَكَانَتْ إِذَنْ أَوَّلَ هَاشِمِيَّةٍ قُطِعَتْ يَدُهَا فِي سَرِقَةٍ . فَبَلَغَتْ مَقَالَتُهُ ابْنَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا ابْنَتُكَ وَبَضْعَةٌ مِنْكَ فَمَنْ أَحَقُّ بِلُبْسِهِ مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكِ عَنِ الْحَقِّ . أَكُلُّ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَتَزَيَّنَّ فِي مِثْلِ هٰذَا الْعِيدِ بِمِثْلِ هٰذَا . فَقَبَضْتُهُ مِنْهَا وَرَدَدْتُهُ إِلَى مَوْضِعِهِ (لبهاء الدين)

الحلاوة المدّخرة

٣١٥ حدَّثَ عَنِ الْوَزِيرِ مُؤَيَّدِ الدِّينِ الْقُمِّيِّ مَمْلُوكُهُ بَدْرُ الدِّينِ أَيَازُ قَالَ : طَلَبَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي حَلَاوَةَ النَّبَاتِ فَعُمِلَ فِي الْحَالِ مِنْهَا صُحُونٌ كَثِيرَةٌ وَأُحْضِرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . فَقَالَ لِي : يَا أَيَازُ أَتَقْدِرُ أَنْ تَدَّخِرَ هٰذِهِ الْحَلَاوَةَ لِي مُوَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا وَكَيْفَ يَكُونُ ذٰلِكَ وَهَلْ يُمْكِنُ هٰذَا . قَالَ : نَعَمْ . تَمْضِي فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ إِلَى مَشْهَدِ مُوسَى وَالْجَوَادِ . تَضَعُ هٰذِهِ الْأَصْحُنَ قُدَّامَ أَيْتَامِ الْعَلَوِيِّينَ فَإِنَّهَا تُدَّخَرُ لِي مُوَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَيَازُ : فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَمَضَيْتُ وَكَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ إِلَى الْمَشْهَدِ وَفُتِحَتِ الْأَبْوَابُ وَنَبَّهْتُ الصِّبْيَانَ الْأَيْتَامَ وَوَضَعْتُ الْأَصْحُنَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَرَجَعْتُ (للفخري)

بهرام جُور والراعي

٣١٦ حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ يَوْمًا لِلصَّيْدِ فَظَهَرَ لَهُ حِمَارُ وَحْشٍ فَٱتَّبَعَهُ حَتَّى خَفِيَ عَنْ عَسْكَرِهِ . فَظَفِرَ بِهِ فَمَسَكَهُ . وَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهُ . فَرَأَى رَاعِيًا أَقْبَلَ مِنَ ٱلْبَرِيَّةِ فَقَالَ لَهُ : يَا رَاعِي أَمْسِكْ فَرَسِي هٰذَا حَتَّى أَذْبَحَ هٰذَا ٱلْحِمَارَ فَمَسَكَهُ ثُمَّ تَشَاغَلَ بِذَبْحِ ٱلْحِمَارِ . فَلَاحَتْ مِنْهُ ٱلْتِفَاتَةٌ فَرَأَى ٱلرَّاعِيَ يَقْطَعُ جَوْهَرَةً فِي عِذَارِ فَرَسِهِ . فَأَعْرَضَ ٱلْمَلِكُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَهَا وَقَالَ : إِنَّ ٱلنَّظَرَ إِلَى ٱلْعَيْبِ مِنَ ٱلْعَيْبِ . ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَلَحِقَ بِعَسْكَرِهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَزِيرُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ أَيْنَ جَوْهَرَةُ عِذَارِ فَرَسِكَ فَتَبَسَّمَ ٱلْمَلِكُ . ثُمَّ قَالَ : أَخَذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا وَأَبْصَرَ مَنْ لَا يَنِمُّ عَلَيْهِ فَمَنْ رَآهَا مِنْكُمْ مَعَ أَحَدٍ فَلَا يُعَارِضْهُ بِشَيْءٍ بِسَبَبِ ذٰلِكَ (للقليوبي)

الملك المتّعظ بمجنون

٣١٧ مِنَ ٱلْحِكَايَاتِ ٱللَّطِيفَةِ أَنَّ بَعْضَ ٱلْمُلُوكِ قَصَدَ ٱلتَّفَرُّجَ عَلَى ٱلْمَجَانِينِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَأَى فِيهِمْ شَابًّا حَسَنَ ٱلْهَيْئَةِ نَظِيفَ ٱلصُّورَةِ يُرَى عَلَيْهِ آثَارُ ٱللُّطْفِ . وَتَلُوحُ عَلَيْهِ شَمَائِلُ ٱلْفِطْنَةِ . فَدَنَا مِنْهُ وَسَأَلَهُ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ عَنْ جَمِيعِهَا بِأَحْسَنِ جَوَابٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْهُ عَجَبًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَجْنُونَ قَالَ لِلْمَلِكِ : قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَبْتُكَ وَإِنِّي سَأَسْأَلُكَ سُؤَالًا وَاحِدًا . قَالَ : وَمَا هُوَ . قَالَ : مَتَى يَجِدُ ٱلنَّائِمُ لَذَّةَ ٱلنَّوْمِ . فَفَكَّرَ ٱلْمَلِكُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَجِدُ لَذَّةَ ٱلنَّوْمِ حَالَ نَوْمِهِ . فَقَالَ

ٱلْمَجْنُونُ : حَالَةَ ٱلنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ إِحْسَاسٌ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : قَبْلَ ٱلدُّخُولِ فِي ٱلنَّوْمِ . فَقَالَ ٱلْمَجْنُونُ : كَيْفَ تُوجَدُ لَذَّتُهُ قَبْلَ وُجُودِهِ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : بَعْدَ ٱلنَّوْمِ . فَقَالَ ٱلْمَجْنُونُ : تُوجَدُ لَذَّتُهُ وَقَدِ ٱنْقَضَى . فَتَحَيَّرَ ٱلْمَلِكُ وَزَادَ إِعْجَابُهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي إِنَّ هٰذَا لَا يَحْصُلُ مِنْ عُقَلَاءَ كَثِيرَةٍ فَأَوْلَى أَنْ يَكُونَ نَدِيمِي فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ وَأَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ تَخْتٌ بِإِزَاءِ شُبَّاكِ ٱلْمَجْنُونِ . ثُمَّ ٱسْتَدْعَى بِٱلشَّرَابِ فَحَضَرَ . فَتَنَاوَلَ ٱلْكَأْسَ وَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَ ٱلْمَجْنُونَ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْتَ شَرِبْتَ هٰذَا لِتَصِيرَ مِثْلِي فَأَنَا أَشْرَبُهُ لِأَصِيرَ مِثْلَ مَنْ . فَٱتَّعَظَ ٱلْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَرَمَى ٱلْقَدَحَ مِنْ يَدِهِ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ (للاتليدي)

الشاب السارق

٣١٨ سَرَقَ شَابٌّ سَرِقَةً فَأُتِيَ بِهِ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ فَتَقَدَّمَ لِتُقْطَعَ يَدُهُ فَأَنْشَدَ ٱلشَّابُّ يَقُولُ :

يَدِي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أُعِيذُهَا بِعَفْوِكَ أَنْ تَلْقَى نَكَالًا يَشِينُهَا
فَلَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا رَاحَةٌ بِهَا إِذَا مَا شِمَالٌ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

وَكَانَتْ أُمُّ ٱلشَّابِّ وَاقِفَةً عَلَى رَأْسِهِ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَلَدِي وَوَاحِدِي . نَاشَدْتُكَ ٱللهَ إِلَّا رَحِمْتَنِي وَهَدَّيْتَ لَوْعَتِي . وَجُدْتَ بِٱلْعَفْوِ عَمَّا ٱسْتَحَقَّ ٱلْعُقُوبَةَ . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : هٰذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ ٱللهِ تَعَالَى . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْ هٰذَا ٱلْحَدِّ ذَنْبًا مِنَ ٱلذُّنُوبِ ٱلَّتِي تَسْتَغْفِرُ مِنْهَا . فَرَقَّ لَهَا ٱلْمَأْمُونُ وَعَفَا عَنْهُ

المأمون والفقير

٣١٩ حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَأْمُونَ أَشْرَفَ يَوْمًا عَلَى قَصْرِهِ فَرَأَى رَجُلًا يَكْتُبُ بِفَحْمَةٍ عَلَى حَائِطِ قَصْرِهِ. فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ لِبَعْضِ خَدَمِهِ: ٱذْهَبْ إِلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ فَٱنْظُرْ مَا كَتَبَ وَأْتِنِي بِهِ. فَبَادَرَ ٱلْخَادِمُ إِلَى ٱلرَّجُلِ مُسْرِعًا وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَالَ: مَا كَتَبْتَ. فَإِذَا هُوَ قَدْ كَتَبَ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ:

يَا قَصْرُ جُمِّعَ فِيكَ ٱلشُّؤْمُ وَٱللُّومُ ... مَتَى يُعَشِّشُ فِي أَرْكَانِكَ ٱلْبُومُ
يَوْمًا يُعَشِّشُ فِيكَ ٱلْبُومُ مِنْ فَرَحِي ... أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنْعَاكَ مَرْغُومُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَادِمَ قَالَ لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: سَأَلْتُكَ بِٱللهِ لَا تَذْهَبْ بِي إِلَيْهِ. فَقَالَ ٱلْخَادِمُ: لَا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ. ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأُعْلِمَ بِمَا كَتَبَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ: وَيْلَكَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَوَاهُ قَصْرُكَ هٰذَا مِنْ خَزَائِنِ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْحُلِيِّ وَٱلْحُلَلِ وَٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَٱلْفُرُشِ وَٱلْأَوَانِي وَٱلْأَمْتِعَةِ وَٱلْجَوَارِي وَٱلْخَدَمِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ وَصْفِي. وَيَعْجِزُ عَنْهُ فَهْمِي. وَإِنِّي قَدْ مَرَرْتُ عَلَيْهِ ٱلْآنَ وَأَنَا فِي غَايَةٍ مِنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْفَاقَةِ. فَوَقَفْتُ مُفَكِّرًا فِي أَمْرِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هٰذَا ٱلْقَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ. وَأَنَا جَائِعٌ وَلَا فَائِدَةَ لِي فِيهِ. فَلَوْ كَانَ خَرَابًا وَمَرَرْتُ بِهِ لَمْ أَعْدَمْ رُخَامَةً أَوْ خَشَبَةً أَوْ مِسْمَارًا أَبِيعُهُ وَأَتَقَوَّتُ بِثَمَنِهِ. أَوَمَا عَلِمَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَعَاهُ ٱللهُ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ ٱمْرِئٍ ... نَصِيبٌ وَلَا حَظٌّ تَمَنَّى زَوَالَهَا

وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهُ غَيْرَ أَنَّـهُ   يُرَجِّي سِوَاهَا فَهُوَ يَهْوَى انْتِقَالَهَا

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ثُمَّ قَالَ: هِيَ لَكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَا دَامَ قَصْرُنَا عَامِراً بِأَهْلِهِ مَسْرُوراً بِدَوْلَتِهِ

وَأَنْشَدُوا فِي مَعْنَى ذَلِكَ:

إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِناً   فَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ مَاضٍ وَتَارِكُهْ

(اعلام الناس للاتليدي)

الادب يرفع الخامل

٣٢٠ رُوِيَ أَنَّ الْمَأْمُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ خَلِيفَةٌ أَعْلَمُ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ. وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمَانِ يَجْلِسُ فِيهِمَا لِمُنَاظَرَةِ الْعُلَمَاءِ. فَيَجْلِسُ الْمُنَاظِرُونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ بِحَضْرَتِهِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ مَعَهُمْ إِذْ دَخَلَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ رَثَّةٌ. فَجَلَسَ فِي آخِرِ النَّاسِ وَقَعَدَ مِنْ وَرَاءِ الْفُقَهَاءِ فِي مَكَانٍ مَجْهُولٍ. ثُمَّ ابْتَدَأُوا فِي الْكَلَامِ وَشَرَعُوا فِي مُعْضِلَاتِ الْمَسَائِلِ. وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُدِيرُونَ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ. فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ زِيَادَةً لَطِيفَةً أَوْ نُكْتَةً غَرِيبَةً ذَكَرَهَا. فَدَارَتِ الْمَسْأَلَةُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ. فَتَكَلَّمَ وَأَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنْ أَجْوِبَةِ الْفُقَهَاءِ كُلِّهِمْ. فَاسْتَحْسَنَ الْخَلِيفَةُ كَلَامَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى أَعْلَى مِنْهُ. فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنَ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ.

فَأَمَرَ ٱلْمَأْمُونُ أَنْ يُرْفَعَ إِلَى أَعْلَى مِنْ تِلْكَ ٱلرُّتْبَةِ. فَلَمَّا دَارَتِ ٱلْمَسْأَلَةُ ٱلثَّالِثَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ وَأَصْوَبَ مِنَ ٱلْجَوَابَيْنِ ٱلْأَوَّلَيْنِ. فَأَمَرَ ٱلْمَأْمُونُ أَنْ يَجْلِسَ قَرِيبًا مِنْهُ. فَلَمَّا ٱنْقَضَتِ ٱلْمُنَاظَرَةُ أَحْضَرُوا ٱلْمَاءَ وَغَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَحْضَرُوا ٱلطَّعَامَ فَأَكَلُوا. ثُمَّ نَهَضَ ٱلْفُقَهَاءُ فَخَرَجُوا وَمَنَعَ ٱلْمَأْمُونُ ذٰلِكَ ٱلشَّخْصَ مِنَ ٱلْخُرُوجِ مَعَهُمْ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ وَلَاطَفَهُ وَوَعَدَهُ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَٱلْإِنْعَامِ عَلَيْهِ. ثُمَّ تَهَيَّأَ مَجْلِسُ ٱلشَّرَابِ وَحَضَرَ ٱلنُّدَمَاءُ ٱلْمِلَاحُ وَدَارَتِ ٱلرَّاحُ. فَلَمَّا وَصَلَ ٱلدَّوْرُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ وَثَبَ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَالَ: إِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ تَكَلَّمْتُ كَلِمَةً وَاحِدَةً. قَالَ لَهُ: قُلْ مَا تَشَاءُ. فَقَالَ: قَدْ عَلِمَ ٱلرَّأْيُ ٱلْعَالِي زَادَهُ ٱللهُ عُلُوًّا أَنَّ ٱلْعَبْدَ كَانَ ٱلْيَوْمَ فِي هٰذَا ٱلْمَجْلِسِ ٱلشَّرِيفِ مِنْ مَجَاهِيلِ ٱلنَّاسِ وَوُضَعَاءِ ٱلْجُلَّاسِ. وَأَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ بِيَسِيرٍ مِنَ ٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي أَبْدَاهُ وَجَعَلَهُ مَرْفُوعًا عَلَى دَرَجَةِ غَيْرِهِ. وَبَلَغَ بِهِ ٱلْغَايَةَ ٱلَّتِي لَمْ تَسْمُ إِلَيْهَا هِمَّتُهُ. وَٱلْآنَ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذٰلِكَ ٱلْقَدْرِ ٱلْيَسِيرِ مِنَ ٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي أَعَزَّهُ بَعْدَ ٱلذِّلَّةِ وَكَثَّرَهُ بَعْدَ ٱلْقِلَّةِ. وَحَاشَا وَكَلَّا أَنْ يَحْسُدَهُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى هٰذَا ٱلْقَدْرِ ٱلَّذِي مَعَهُ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلنَّبَاهَةِ وَٱلْفَضْلِ. لِأَنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا شَرِبَ ٱلشَّرَابَ تَبَاعَدَ عَنْهُ ٱلْعَقْلُ وَقَرُبَ مِنْهُ ٱلْجَهْلُ وَسُلِبَ أَدَبُهُ. وَعَادَ إِلَى تِلْكَ ٱلدَّرَجَةِ ٱلْحَقِيرَةِ كَمَا كَانَ وَصَارَ فِي أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ حَقِيرًا مَجْهُولًا. فَأَرْجُو مِنَ ٱلرَّأْيِ ٱلْعَالِي أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ مِنْهُ هٰذِهِ ٱلْجَوْهَرَةَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَسِيَادَتِهِ وَحُسْنِ شِيمَتِهِ.

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمَأْمُونُ مِنْهُ ٱلْقَوْلَ مَدَحَهُ وَشَكَرَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي رُتْبَتِهِ وَوَقَّرَهُ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَأَعْطَاهُ ثِيَابًا فَاخِرَةً . وَكَانَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَرْفَعُهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلْفُقَهَاءِ حَتَّى صَارَ أَرْفَعَ مِنْهُمْ دَرَجَةً وَأَعْلَى مَرْتَبَةً (الف ليلة وليلة)

عدالة انوشروان في بناية الايوان

٣٢١ حُكِيَ أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكَ ٱلرُّومِ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى مَلِكِ فَارِسَ أَنُوشِرْوَانَ صَاحِبِ ٱلْإِيوَانِ . فَلَمَّا وَصَلَ وَرَأَى عَظَمَةَ ٱلْإِيوَانِ وَظَرَافَتَهُ وَعَظَمَةَ مَجْلِسِ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ وَٱلْمُلُوكَ فِي خِدْمَتِهِ مَيَّزَ ٱلْإِيوَانَ فَرَأَى فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ أَعْوِجَاجًا . فَسَأَلَ ٱلتَّرْجُمَانَ عَنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هُنَاكَ بَيْتًا لِعَجُوزٍ كَرِهَتْ بَيْعَهُ عِنْدَ عِمَارَةِ ٱلْإِيوَانِ . وَلَمْ يَرَ ٱلْمَلِكُ إِكْرَاهَهَا عَلَى ٱلْبَيْعِ فَأَبْقَى بَيْتَهَا فِي جَانِبِ ٱلْإِيوَانِ . فَذٰلِكَ مَا رَأَيْتَ وَسَأَلْتَ . فَقَالَ ٱلرُّومِيُّ : وَحَقِّ رَأْسِهِ إِنَّ هٰذَا ٱلْأَعْوِجَاجَ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْٱسْتِقَامَةِ وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ مَلِكُ ٱلزَّمَانِ لَمْ يُؤَرَّخْ فِيمَا مَضَى لِمَلِكٍ وَلَا يُؤَرَّخُ فِيمَا بَقِيَ لِمَلِكٍ . فَأَعْجَبَ كِسْرَى كَلَامَهُ وَرَدَّهُ مَسْرُورًا مَجْبُورًا (الابشيهي)

الغلام والثعلب

٣٢٢ كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ ٱلتُّجَّارِ وَلَدٌ نَجِيبٌ صَرَّفَهُ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ فِي ٱلتِّجَارَةِ بِبَلَدِهِ حَتَّى رَضِيَ بِخِبْرَتِهِ فِيهَا . فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَوِّدَهُ عَلَى ٱلْأَسْفَارِ فِي تِجَارَةِ ٱلْأَقْطَارِ . فَجَهَّزَهُ تَجْهِيزًا يَلِيقُ بِأَمْثَالِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَضَى ٱلْغُلَامُ . فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ نَزَلَ

ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ ٱلْمُرُوجِ . وَكَانَتِ ٱللَّيْلَةُ مُقْمِرَةً . فَقَامَ يَتَمَشَّى وَقَدْ مَضَى جُزْءٌ مِنَ ٱللَّيْلِ . فَبَصُرَ بِثَعْلَبٍ طَرِيحٍ وَقَدْ أَخَذَهُ ٱلْهَرَمُ وَٱلْإِعْيَاءُ وَضَعُفَ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ . فَوَقَفَ عِنْدَهُ وَأَخَذَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَيَقُولُ : كَيْفَ يُرْزَقُ هٰذَا ٱلْحَيَوَانُ ٱلْمِسْكِينُ وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّهُ يَمُوتُ جُوعًا . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذَا هُوَ بِأَسَدٍ مُقْبِلٍ قَدِ ٱفْتَرَسَ فَرِيسَةً فَجَاءَ حَتَّى قَرُبَ مِنَ ٱلثَّعْلَبِ . فَتَنَاوَلَ مِنْهَا حَتَّى شَبِعَ وَتَرَكَ بَقِيَّتَهَا وَمَضَى . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَحَامَلَ ٱلثَّعْلَبُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى مَا تَرَكَهُ ٱلْأَسَدُ . فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ وَٱلْغُلَامُ يَتَعَجَّبُ مِنْ صُنْعِ ٱللهِ فِي خَلْقِهِ . وَمَا سَاقَ لِهٰذَا ٱلْحَيَوَانِ ٱلْعَاجِزِ مِنْ رِزْقِهِ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِٱلْأَرْزَاقِ فَلِأَيِّ شَيْءٍ ٱحْتِمَالُ ٱلْمَشَاقِّ وَرُكُوبُ ٱلْأَسْفَارِ وَٱقْتِحَامُ ٱلْأَخْطَارِ . ثُمَّ ٱنْثَنَى رَاجِعًا إِلَى وَالِدِهِ فَأَخْبَرَهُ ٱلْخَبَرَ وَشَرَحَ لَهُ مَا ثَنَى عَزْمَهُ عَنِ ٱلسَّفَرِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ قَدْ أَخْطَأْتَ ٱلنَّظَرَ إِنَّمَا أَرَدْتُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَسَدًا تَأْوِي إِلَيْكَ ٱلثَّعَالِبُ ٱلْجِيَاعُ . لَا أَنْ تَكُونَ ثَعْلَبًا جَائِعًا تَنْتَظِرُ فَضْلَةَ ٱلسِّبَاعِ . فَقَبِلَ نَصِيحَةَ أَبِيهِ وَرَجَعَ لِمَا كَانَ فِيهِ

الثوب المبيع

٣٢٣ قَالَ ٱبْنُ ٱلْخُرَيْفِ : حَدَّثَنِي وَالِدِي قَالَ : أَعْطَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَسَبٍ ٱلدَّلَّالَ ثَوْبًا وَقُلْتُ : بِعْهُ لِي وَبَيِّنْ هٰذَا ٱلْعَيْبَ ٱلَّذِي فِيهِ . وَأَرَيْتُهُ خَرْقًا فِي ٱلثَّوْبِ . فَمَضَى وَجَاءَ فِي آخِرِ ٱلنَّهَارِ فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَنَهُ

وَقَالَ : بِعْتُهُ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ غَرِيبٍ بِهٰذِهِ ٱلدَّنَانِيرِ . قُلْتُ لَهُ : وَأَرَيْتَهُ ٱلْعَيْبَ وَأَعْلَمْتَهُ بِهِ . فَقَالَ : لَا وَإِنَّنِي نَسِيتُ ذٰلِكَ . فَقُلْتُ : لَا جَزَاكَ ٱللهُ خَيْرًا إِمْضِ مَعِي إِلَيْهِ . وَذَهَبْتُ مَعَهُ وَقَصَدْنَا مَكَانَهُ فَلَمْ نَجِدْهُ . فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ : إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ قَافِلَةِ ٱلْحُجَّاجِ . فَأَخَذْتُ صِفَةَ ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلدَّلَّالِ وَٱكْتَرَيْتُ دَابَّةً وَلَحِقْتُ ٱلْقَافِلَةَ . وَسَأَلْتُ عَنِ ٱلرَّجُلِ فَدُلِلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : وَٱلثَّوْبُ ٱلْفُلَانِيُّ ٱلَّذِي ٱشْتَرَيْتَهُ أَمْسِ مِنَ ٱلدَّلَّالِ فُلَانٍ بِكَذَا وَكَذَا فِيهِ عَيْبٌ فَهَاتِهِ وَخُذْ ذَهَبَكَ . فَقَامَ وَأَخْرَجَ ٱلثَّوْبَ وَطَافَ عَلَى ٱلْعَيْبِ حَتَّى وَجَدَهُ . فَلَمَّا وَجَدَهُ قَالَ : يَا شَيْخُ أَخْرِجْ ذَهَبِي حَتَّى أَرَاهُ وَكُنْتُ لَمَّا قَبَضْتُهُ لَمْ أُمَيِّزْهُ وَلَمْ أَنْتَقِدْهُ . فَأَخْرَجْتُهُ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : هٰذَا ذَهَبِي ٱنْتَقِدْهُ يَا شَيْخُ . فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا هُوَ مَغْشُوشٌ لَا يُسَاوِي شَيْئًا . فَأَخَذَهُ وَرَمَى بِهِ وَقَالَ لِي : قَدِ ٱشْتَرَيْتُ مِنْكَ هٰذَا ٱلثَّوْبَ عَلَى عَيْبِهِ بِهٰذَا ٱلذَّهَبِ . وَدَفَعَ إِلَيَّ بِمِقْدَارِ ذٰلِكَ ٱلذَّهَبِ ٱلْمَغْشُوشِ ذَهَبًا جَيِّدًا وَعُدْتُ بِهِ

كسرى انوشروان والمؤدّب

٣٢٤ رُوِيَ أَنَّ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ ٱلتَّأْدِيبِ يُعَلِّمُهُ حَتَّى فَاقَ فِي ٱلْعُلُومِ . فَضَرَبَهُ ٱلْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ . فَحَقَدَ أَنُوشِرْوَانُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وَلِيَ ٱلْمُلْكَ قَالَ لِلْمُعَلِّمِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْغَبُ فِي ٱلْعِلْمِ رَجَوْتُ

لَكَ ٱلْمُلْكُ بَعْدَ أَبِيكَ . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ ٱلظُّلْمِ لِئَلَّا تَظْلِمَ . فَقَالَ أَنُوشَرْوَانُ : زِهْ زِهْ وَرَفَعَ قَدْرَهُ (للابشيهي)

الهادي والخارجيّ

٣٢٥ ذَكَرَ صَاحِبُ ٱلسُّكَّرْدَانِ أَنَّ ٱلْهَادِيَ كَانَ يَوْمًا فِي بُسْتَانٍ يَتَنَزَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا سِلَاحَ مَعَهُ . وَبِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِٱلْبَابِ بَعْضَ ٱلْخَوَارِجِ لَهُ بَأْسٌ وَمَكَايِدُ وَقَدْ ظَفِرَ بِهِ بَعْضُ ٱلْقُوَّادِ . فَأَمَرَ ٱلْهَادِي بِإِدْخَالِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ قَدْ قَبَضَا عَلَى يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَبْصَرَ ٱلْخَارِجِيُّ ٱلْهَادِيَ جَذَبَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلرَّجُلَيْنِ وَٱخْتَطَفَ سَيْفَ أَحَدِهِمَا وَقَصَدَ ٱلْهَادِيَ . فَفَرَّ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ وَبَقِيَ وَحْدَهُ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى حِمَارِهِ . حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ ٱلْخَارِجِيُّ وَهَمَّ أَنْ يَعْلُوَهُ بِٱلسَّيْفِ أَوْمَأَ إِلَى وَرَاءِ ٱلْخَارِجِيِّ وَأَوْهَمَهُ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ وَقَالَ : يَا غُلَامُ ٱضْرِبْ عُنُقَهُ . فَظَنَّ ٱلْخَارِجِيُّ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ . فَٱلْتَفَتَ ٱلْخَارِجِيُّ فَنَزَلَ ٱلْهَادِي مُسْرِعًا عَنْ حِمَارِهِ فَقَبَضَ عَلَى عُنُقِ ٱلْخَارِجِيِّ وَذَبَحَهُ بِٱلسَّيْفِ ٱلَّذِي كَانَ مَعَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى ظَهْرِ حِمَارِهِ مِنْ فَوْرِهِ . وَٱلْخَدَمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَسَلَّلُونَ عَلَيْهِ وَقَدْ مُلِئُوا مِنْهُ حَيَاءً وَرُعْبًا . فَمَا عَاتَبَهُمْ وَلَا خَاطَبَهُمْ فِي ذٰلِكَ بِكَلِمَةٍ . وَلَمْ يُفَارِقِ ٱلسِّلَاحَ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ (اعلام الناس للاتليدي)

المنصور وابو عبد الله

٣٢٦ قَالَ ٱلْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ : عَلَيَّ بِجَعْفَرٍ . قَتَلَنِي ٱللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ أَبَا عَبْدِ

ٱللهِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ ثُمَّ قَرُبَ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: لَا سَلَامُ ٱللهِ عَلَيْكَ يَا عَدُوَّ ٱللهِ تَعْمَلُ عَلَيَّ ٱلْغَوَائِلَ فِي مُلْكِي. قَتَلَنِي ٱللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ. وَإِنَّ أَيُّوبَ ٱبْتُلِيَ فَصَبَرَ. وَإِنَّ يُوسُفَ ظُلِمَ فَغَفَرَ. وَأَنْتَ عَلَى أَثَرٍ مِنْهُمْ وَأَحَقُّ مَنْ تَأَسَّى بِهِمْ. فَنَكَسَ ٱلْمَنْصُورُ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: إِلَيَّ أَبَا عَبْدِ ٱللهِ فَأَنْتَ ٱلْقَرِيبُ ٱلْقَرَابَةِ. وَأَنْتَ ذُو ٱلرَّحِمِ ٱلْوَاشِجَةِ. وَٱلسَّلِيمُ ٱلنَّاحِيَةِ. ٱلْقَلِيلُ ٱلْغَائِلَةِ. ثُمَّ صَافَحَهُ بِيَمِينِهِ وَعَانَقَهُ بِشِمَالِهِ. وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَقْبَلَ يُسَائِلُهُ وَيُحَادِثُهُ. ثُمَّ قَالَ: عَجِّلُوا لِأَبِي عَبْدِ ٱللهِ إِذْنَهُ وَجَائِزَتَهُ وَكُسْوَتَهُ. فَلَمَّا خَرَجَ أَمْسَكَهُ ٱلرَّبِيعُ وَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُكَ قَدْ حَرَّكْتَ شَفَتَيْكَ فَٱنْجَلَى ٱلْأَمْرُ وَأَنَا خَادِمُ ٱلسُّلْطَانِ وَلَا غِنَى لِي عَنْهُ فَعَلِّمْنِي إِيَّاهُ. فَقَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: ٱللّٰهُمَّ ٱحْرُسْنِي بِعَيْنِكَ ٱلَّتِي لَا تَنَامُ. وَٱكْنُفْنِي بِحِفْظِكَ ٱلَّذِي لَا يُرَامُ. لَا أَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَائِي فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ قَلَّ عِنْدَهَا شُكْرِي فَلَمْ تَحْرِمْنِي. وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ٱبْتُلِيتُ بِهَا قَلَّ عِنْدَهَا صَبْرِي فَلَمْ تَخْذُلْنِي. ٱللّٰهُمَّ بِكَ أَدْرَأُ فِي نَحْرِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ (للشريشي)

القاضي والنصراني المحسن

٣٢٧ حُكِيَ أَنَّ فَقِيرًا جَاءَ إِلَى قَاضٍ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَقَالَ لَهُ: أَعَزَّ ٱللهُ ٱلْقَاضِيَ وَإِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ وَذُو عِيَالٍ وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِهٰذَا ٱلْيَوْمِ أَنْ تُعْطِيَنِي عَشَرَةَ أَمْنَانٍ لَحْمًا وَدِرْهَمَيْنِ لِأُشْبِعَ أَطْفَالِي فِي هٰذَا

ٱلْيَوْمِ وَلَكَ ٱلْجَزَاءُ عَلَى ٱللهِ. فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلظُّهْرِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلظُّهْرُ عَادَ إِلَيْهِ. فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلْعَصْرِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلْعَصْرُ عَادَ إِلَيْهِ وَأَوْلَادُهُ فِي مَنْزِلِهِ ذَابَتْ أَكْبَادُهُمْ مِنَ ٱلْجُوعِ فَوَعَدَهُ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ. فَعَادَ إِلَيْهِ عِنْدَ ٱلْغُرُوبِ. فَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ. فَرَجَعَ ٱلْفَقِيرُ مُنْكَسِرَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَ ٱلْعَيْنِ خَائِفًا مِنْ أَطْفَالِهِ كَيْفَ جَوَابُهُ لَهُمْ. فَمَرَّ وَهُوَ يَبْكِي بِنَصْرَانِيٍّ جَالِسٍ عَلَى بَابِهِ. فَرَآهُ بَاكِيًا فَقَالَ لَهُ: مَا بُكَاؤُكَ يَا هٰذَا. فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِي. فَقَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ بِاللهِ أَنْ أَعْلِمْنِي بِحَالِكَ. فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ مَعَ ٱلْقَاضِي. فَقَالَ لَهُ ٱلنَّصْرَانِيُّ: مَا هٰذَا ٱلْيَوْمُ عِنْدَكُمْ. فَقَالَ لَهُ: هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ. فَرَقَّ لَهُ ٱلنَّصْرَانِيُّ وَأَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ مِنَ ٱلْخُبْزِ وَٱللَّحْمِ وَأَعْطَاهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا فَوْقَ ٱلدِّرْهَمَيْنِ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ هٰذَا وَهُوَ لَكَ وَلِعِيَالِكَ عَلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ. فَذَهَبَ بِهِ ٱلْفَقِيرُ لِأَطْفَالِهِ فَرِحًا مَسْرُورًا. فَلَمَّا رَآهُ أَطْفَالُهُ فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا. ثُمَّ نَادَوْا بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمِ: ٱللّٰهُمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْنَا ٱلسُّرُورَ فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ ٱلْفَرَحَ عَاجِلًا. فَلَمَّا كَانَ ٱللَّيْلُ وَنَامَ ٱلْقَاضِي سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ: ٱرْفَعْ رَأْسَكَ. فَرَفَعَهُ وَإِذَا هُوَ يَنْظُرُ قَصْرَيْنِ مَبْنِيَّيْنِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ. فَقَالَ: إِلٰهِي لِمَنْ هٰذَانِ ٱلْقَصْرَانِ. فَأُجِيبَ إِنَّهُمَا كَانَا لَكَ لَوْ قَضَيْتَ حَاجَةَ ٱلْفَقِيرِ فَلَمَّا رَدَدْتَهُ صَارَا لِلنَّصْرَانِيِّ فُلَانٍ. فَٱنْتَبَهَ ٱلْقَاضِي مَرْعُوبًا يُنَادِي بِٱلْوَيْلِ وَٱلثُّبُورِ. ثُمَّ سَارَ إِلَى ٱلنَّصْرَانِيِّ وَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلْتَ ٱلْبَارِحَةَ مِنَ ٱلْخَيْرِ. فَقَالَ لَهُ: وَلِمَ ذَا سُؤَالُكَ. فَأَخْبَرَهُ بِمَا

رَأَى . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بِعْنِي هٰذَا ٱلْجَمِيلَ ٱلَّذِي فَعَلْتَهُ ٱلْبَارِحَةَ مَعَ ٱلْفَقِيرِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ ٱلنَّصْرَانِيُّ : إِنِّي لَا أَبِيعُ ذٰلِكَ بِمِلْءِ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا . فَرَحِمَ ٱللّٰهُ ثَرَاهُ وَجَعَلَ ٱلْجَنَّةَ مَثْوَاهُ (للقليوبي)

اجارة معن لرجل استغاث بهِ وكان المنصور قد اهدر دمهُ

٣٢٨ رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمَنْصُورَ أَهْدَرَ دَمَ رَجُلٍ كَانَ يَسْعَى بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ ٱلْخَوَارِجِ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي مُخْتَفِيًا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ وَقَالَ : هٰذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَبَيْنَمَا ٱلرَّجُلُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ إِذْ سَمِعَ وَقْعَ حَوَافِرِ ٱلْخَيْلِ . فَٱلْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَٱسْتَغَاثَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أَجِرْنِي أَجَارَكَ ٱللّٰهُ . فَٱلْتَفَتَ مَعْنٌ إِلَى ٱلرَّجُلِ ٱلْمُتَعَلِّقِ بِهِ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَهٰذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : دَعْهُ . وَقَالَ لِغُلَامِهِ : ٱنْزِلْ عَنْ دَابَّتِكَ وَٱحْمِلِ ٱلرَّجُلَ عَلَيْهَا . فَصَاحَ ٱلرَّجُلُ ٱلْمُتَعَلِّقُ بِهِ وَصَرَخَ وَٱسْتَجَارَ بِٱلنَّاسِ وَقَالَ : حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : ٱذْهَبْ فَقُلْ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ عِنْدِي . فَٱنْطَلَقَ ٱلرَّجُلُ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ فَأَخْبَرَهُ . فَأَمَرَ ٱلْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِ مَعْنٍ فِي ٱلسَّاعَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ ٱلْمَنْصُورِ إِلَى مَعْنٍ دَعَا جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُوذُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

أُقسِمُ عَلَيكُمْ بِأَنْ لَا يَصِلَ إِلَى هٰذَا الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا وَفِيكُمْ عَيْنٌ نَظَرَتْ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ أَتَتَجَرَّأُ عَلَيَّ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَنَعَمْ أَيْضًا . وَقَدِ اشْتَدَّ غَضَبُهُ . فَقَالَ مَعْنٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقَدَّمَ فِي دَوْلَتِكُمْ بَلَائِي وَحُسْنُ عَنَائِي . وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَمِي . أَفَمَا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا بِأَنْ يُوهَبَ لِي رَجُلٌ وَاحِدٌ اسْتَجَارَ بِي بَيْنَ النَّاسِ بِوَهْمِهِ أَنِّي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذٰلِكَ هُوَ . فَمُرْ بِمَا شِئْتَ هَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ : فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سَكَنَ مَا بِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَجَرْنَاكَهُ يَا مَعْنُ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْأَجْرَيْنِ فَيَأْمُرَ لَهُ بِصِلَةٍ فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صِلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ جِنَايَاتِ الرَّعِيَّةِ . وَإِنَّ ذَنْبَ الرَّجُلِ عَظِيمٌ فَأَجْزِلْ صِلَتَهُ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : عَجِّلْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ الْبِرِّ عَاجِلُهُ . فَأَمَرَ بِتَعْجِيلِهَا فَحَمَلَهَا وَانْصَرَفَ وَأَتَى مَنْزِلَهُ . وَقَالَ لِلرَّجُلِ : يَا رَجُلُ خُذْ صِلَتَكَ وَالْحَقْ بِأَهْلِكَ وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةَ الْخُلَفَاءِ فِي أُمُورِهِمْ بَعْدَ هٰذِهِ (للابشيهي)

ملك الفرس وصاحب المطبخ

٣٢٩ كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ عَظِيمَ الْمَمْلَكَةِ شَدِيدَ النِّقْمَةِ .

وَكَانَ لَهُ صَاحِبُ مَطْبَخٍ . فَلَمَّا قَرَّبَ إِلَيْـهِ طَعَامَهُ صَاحِبُ ٱلْمَطْبَخِ سَقَطَتْ نُقْطَـةٌ مِنَ ٱلطَّعَامِ عَلَى يَدَيْهِ . فَزَوَى لَهَا ٱلْمَلِكُ وَجْهَهُ وَعَلِمَ صَاحِبُ ٱلْمَطْبَخِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ . فَكَفَأَ ٱلصَّحْفَةَ عَلَى رَأْسِهِ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : عَلَيَّ بِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سُقُوطَ ٱلنُّقْطَةِ أَخْطَأَتْ بِهَا يَدُكَ . فَمَا عُذْرُكَ فِي ٱلثَّانِيَةِ . قَالَ : ٱسْتَحْيَيْتُ لِلْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ مِثْلِي فِي سِنِّي وَقَدِيمِ حُرْمَتِي فِي نُقْطَةٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَظِّمَ ذَنْبِي لِيَحْسُنَ بِهِ قَتْلِي وَلِئَـلَّا يَنْسُبَكَ ٱلنَّاسُ إِلَى ٱلظُّلْمِ وَٱلْجَوْرِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : إِنَّ لُطْفَ ٱلِاعْتِذَارِ يُنْجِيكَ مِنَ ٱلْقَتْلِ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ ٱللهِ (لابن عبد ربّه)

الرشيد والدمشقي

٣٣٠ رُفِعَ إِلَى هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ أَنَّ رَجُلًا بِدِمَشْقَ مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةَ عَظِيمُ ٱلْمَالِ كَثِيرُ ٱلْجَاهِ مُطَاعٌ فِي ٱلْبَلَدِ لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِيكُ يَرْكَبُونَ ٱلْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ ٱلسِّـلَاحَ وَيَغْزُونَ ٱلرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمْحٌ جَوَادٌ كَثِيرُ ٱلْبَذْلِ وَٱلضِّيَافَةِ وَأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ مِنْهُ . فَعَظُمَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلرَّشِيدِ . قَالَ مَنَارَةُ : وَكَانَ وُقُوفُ ٱلرَّشِيدِ عَلَى هٰذَا وَهُوَ بِٱلْكُوفَةِ فِي بَعْضِ حَجِّهِ فِي سَنَـةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ عَادَ مِنَ ٱلْمَوْسِمِ . وَقَدْ بَايَعَ لِلْأَمِينِ وَٱلْمَـأْمُونِ وَٱلْمُعْتَصِمِ أَوْلَادِهِ فَدَعَانِي وَهُوَ خَالٍ . وَقَالَ : إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرٍ يُهِمُّنِي وَقَدْ مَنَعَنِي ٱلنَّوْمَ فَٱنْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ . ثُمَّ قَصَّ عَلَيَّ خَبَرَ ٱلْأُمَوِيِّ وَقَالَ : ٱخْرُجِ ٱلسَّاعَةَ فَقَـدْ أَعْدَدْتُ لَكَ ٱلْخُيُولَ وَأَزَحْتُ عِلَّتَكَ فِي ٱلزَّادِ وَٱلنَّفَقَـةِ وَٱلْآلَةِ . وَتَضُمُّ إِلَيْكَ مِائَةَ

غُلَامٍ وَٱسْلُكِ ٱلْبَرِّيَّةَ وَهٰذَا كِتَابِي إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ وَهٰذِهِ قُيُودٌ فَٱبْدَأْ بِٱلرَّجُلِ فَإِنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ فَقَيِّدْهُ وَجِئْنِي بِهِ . وَإِنْ عَصَى فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ لِئَلَّا يَهْرُبَ . وَأَنْفِذِ ٱلْكِتَابَ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ لِيَكُونَ مُسَاعِدًا وَٱقْبِضَا عَلَيْهِ وَجِئْنِي بِهِ وَأَجَّلْتُكَ لِذَهَابِكَ سِتًّا وَلِإِيَابِكَ سِتًّا وَيَوْمًا لِمُقَامِكَ . وَهٰذَا مَحْمِلٌ تَجْعَلُهُ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ إِذَا قَيَّدْتَهُ وَتَقْعُدُ أَنْتَ فِي ٱلشِّقَّةِ ٱلْأُخْرَى . وَلَا تَكِلْ حِفْظَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ فِي ٱلثَّالِثَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ خُرُوجِكَ . فَإِذَا دَخَلْتَ دَارَهُ فَتَفَقَّدْهَا وَجَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَغِلْمَانِهِ وَقَدْرَ نِعْمَتِهِ وَٱلْحَالَ وَٱلْمَحَالَّ . وَٱحْفَظْ مَا يَقُولُهُ ٱلرَّجُلُ حَرْفًا بِحَرْفٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ مُنْذُ يَقَعُ طَرْفُكَ عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ يُشْكِلَ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ . ٱنْطَلِقْ . قَالَ مَنَارَةُ : فَوَدَّعْتُهُ وَٱنْطَلَقْتُ وَخَرَجْتُ فَرَكِبْتُ ٱلْإِبِلَ وَسِرْتُ أَطْوِي ٱلْمَنَازِلَ أَسِيرُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ فِي أَوَّلِ ٱللَّيْلَةِ ٱلسَّابِعَةِ وَأَبْوَابُ ٱلْبَلَدِ مُغْلَقَةٌ . فَكَرِهْتُ طُرُوقَهَا لَيْلًا فَبِتُّ بِظَاهِرِ ٱلْبَلَدِ إِلَى أَنْ فُتِحَ بَابُهَا مِنْ غَدٍ . فَدَخَلْتُ عَلَى هَيْئَتِي ثُمَّ أَتَيْتُ بَابَ ٱلرَّجُلِ وَعَلَيْهِ صَفٌّ عَظِيمٌ وَحَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَسْتَأْذِنْ وَدَخَلْتُ بِغَيْرِ إِذْنٍ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَوْمُ ذٰلِكَ سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ مَعِي عَنِّي . قَالَ : هٰذَا مَنَارَةُ رَسُولُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى صَاحِبِكُمْ . قَالَ : فَلَمَّا صِرْتُ فِي صَحْنِ ٱلدَّارِ نَزَلْتُ وَدَخَلْتُ مَجْلِسًا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْمًا جُلُوسًا فَظَنَنْتُ أَنَّ ٱلرَّجُلَ فِيهِمْ . فَقَامُوا وَرَحَّبُوا بِي . فَقُلْتُ : أَفِيكُمْ

فُلَانٌ . قَالُوا: لَا. نَحْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي الْحَمَّامِ . فَقُلْتُ: اسْتَعْجِلُوهُ . فَمَضَى بَعْضُهُمْ يَسْتَعْجِلُهُ وَأَنَا أَتَفَقَّدُ الدَّارَ وَالْأَحْوَالَ وَالْحَاشِيَةَ فَوَجَدْتُهَا مَاجَتْ بِأَهْلِهَا مَوْجًا كَثِيرًا . فَلَمْ أَزَلْ كَذَٰلِكَ حَتَّى خَرَجَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ أَطَالَ مُكْثَهُ . وَاسْتَرَبْتُ مِنْهُ وَاشْتَدَّ قَلَقِي وَخَوْفِي مِنْ أَنْ يَتَوَارَى إِلَى أَنْ رَأَيْتُ شَخْصًا بِزِيِّ الْحَمَّامِ يَمْشِي فِي صَحْنِ الدَّارِ وَحَوَالَيْهِ جَمَاعَةٌ كُهُولٌ وَأَحْدَاثٌ وَصِبْيَانٌ . وَهُمْ أَوْلَادُهُ وَغِلْمَانُهُ فَقُلْتُ : إِنَّهُ الرَّجُلُ . فَجَاءَ وَجَلَسَ وَسَلَّمَ عَلَيَّ سَلَامًا خَفِيفًا . وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِقَامَةِ أَمْرِ حَضْرَتِهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا وَجَبَ . وَمَا قَضَى كَلَامَهُ حَتَّى جَاؤُوا بِأَطْبَاقِ فَاكِهَةٍ فَقَالَ : تَقَدَّمْ يَا مَنَارَةُ وَكُلْ مَعَنَا . فَقُلْتُ : مَا لِي إِلَى ذَٰلِكَ مِنْ سَبِيلٍ . فَلَمْ يُعَاوِدْنِي فَأَكَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ . ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِمَائِدَةٍ حَسَنَةٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ . فَقَالَ: يَا مَنَارَةُ سَاعِدْنَا عَلَى الْأَكْلِ . لَا يَزِيدُنِي عَلَى أَنْ يَدْعُونِي بِاسْمِي كَمَا يَدْعُونِي الْخَلِيفَةُ . فَامْتَنَعْتُ عَلَيْهِ فَمَا عَاوَدَنِي . فَأَكَلَ وَمَنْ مَعَهُ وَكَانُوا تِسْعَةً مِنْ أَوْلَادِهِ . فَتَأَمَّلْتُ أَكْلَهُ فِي نَفْسِهِ فَوَجَدْتُهُ يَأْكُلُ أَكْلَ الْمُلُوكِ . وَوَجَدْتُ ذَٰلِكَ الْاِضْطِرَابَ الَّذِي كَانَ فِي دَارِهِ قَدْ سَكَنَ وَوَجَدْتُهُمْ لَا يَرْفَعُونَ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَدْ وُضِعَ عَلَى الْمَائِدَةِ إِلَّا أَتَاهُ غَيْرُهُ حَالًا أَعْظَمُ وَأَحْسَنُ مِنْهُ . وَقَدْ كَانَ غِلْمَانُهُ أَخَذُوا لَمَّا نَزَلْتُ إِلَى الدَّارِ مَالِي وَغِلْمَانِي وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارٍ أُخْرَى . فَمَا أَطَاقُوا مُمَانَعَتَهُمْ وَبَقِيتُ وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَمْسَةٌ أَوْ سِتَّةُ غِلْمَانٍ وُقُوفٍ عَلَى رَأْسِي .

فقلتُ في نفسي : هٰذا جبّارٌ عنيدٌ فإنِ امتنعَ مِنَ الشُّخُوصِ لَمْ أُطِقْ إشخاصهُ بنفسي ولا بمَنْ معي ولا حِفظهُ إلّا أنْ يلحقني أميرُ البلدِ . وجزعتُ جزعًا شديدًا ورابني منهُ استخفافُهُ وتهاونُهُ بأمري . يدعوني باسمي ولا يفكّرُ في امتناعي مِنَ الأكلِ . ولا يسألُ عمّا جئتُ بهِ ويأكلُ مطمئنًّا وأنا مفكّرٌ في ذٰلكَ . فلمّا فرغَ مِنْ أكلهِ وغسلَ يديهِ دعا بالبخورِ فتبخّرَ وقامَ إلى الصّلاةِ وصلّى الظّهرَ وأكثرَ مِنَ الدّعاءِ والابتهالِ . ورأيتُ صلاتهُ حسنةً . فلمّا انتقلَ مِنَ المحرابِ أقبلَ عليَّ وقالَ : ما أقدمكَ يا منارةُ . فأخرجتُ كتابَ أميرِ المؤمنينَ ودفعتهُ إليهِ ففضّهُ وقرأهُ . فلمّا استتمّ قراءتهُ دعا أولادهُ وحاشيتهُ فاجتمعَ منهمْ خلقٌ كثيرٌ . فلمْ أشكَّ أنّهُ يريدُ أنْ يوقعَ بي . فلمّا تكاملوا ابتدأَ فحلفَ أيمانًا غليظةً فيها الطّلاقُ والعتاقُ والحجُّ والصّدقةُ والوقفُ أنْ لا يجتمعَ اثنانِ في موضعٍ واحدٍ . وأمرهمْ أنْ ينصرفوا ويدخلوا منازلهمْ ولا يظهروا إلى أنْ يكشفَ لهمْ أمرٌ يعتمدونَ عليهِ وقالَ : هٰذا كتابُ أميرِ المؤمنينَ بالمضيِّ إليهِ ولستُ أقيمُ بعدَ نظري فيهِ ساعةً واحدةً . واستوصوا بمَنْ ورائي مِنَ الحريمِ خيرًا . وما لي حاجةٌ أنْ يصحبني أحدٌ . هاتِ قيودكَ يا منارةُ . فدعوتُ بها وكانتْ في سفطٍ ومدَّ يدهُ فقيّدتُهُ وأمرتُ غلماني بحملهِ حتّى صارَ في المحملِ وركبتُ في الشّقِّ الآخرِ وسرتُ مِنْ وقتي . ولمْ ألاقِ أميرَ البلدِ ولا غيرهُ . وسرتُ بالرّجلِ وليسَ معهُ أحدٌ إلى أنْ

صِرْنَا بِظَاهِرِ دِمَشْقَ. فَابْتَدَأَ يُحَدِّثُنِي بِانْبِسَاطٍ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنٍ فِي الْغُوطَةِ فَقَالَ لِي: أَتَرَى هٰذَا. قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ: إِنَّهُ لِي. وَفِيهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ كَيْتَ وَكَيْتَ. ثُمَّ انْتَهَى إِلَى آخَرَ فَقَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ انْتَهَى إِلَى مَزَارِعَ حِسَانٍ وَقُرًى فَقَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ: هٰذَا لِي. فَاشْتَدَّ غَيْظِي مِنْهُ. وَقُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهَمَّهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَنِ انْتَزَعَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَوَلَدِكَ وَأَخْرَجَكَ فَرِيدًا مُقَيَّدًا مَغْلُولًا مَا تَدْرِي إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ. وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ هٰذَا حَتَّى تَصِفُ ضِيَاعَكَ وَبَسَاتِينَكَ بَعْدَ أَنْ جِئْتُكَ. وَأَنْتَ لَا تُفَكِّرُ فِيمَا جِئْتُ بِهِ. وَأَنْتَ سَاكِنُ الْقَلْبِ قَلِيلُ التَّفَكُّرِ لَقَدْ كُنْتَ عِنْدِي شَيْخًا فَاضِلًا. فَقَالَ لِي مُجِيبًا: إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أَخْطَأَتْ فِرَاسَتِي فِيكَ. لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ كَامِلُ الْعَقْلِ وَأَنَّكَ مَا حَلَلْتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ هٰذَا الْمَحَلَّ إِلَّا لِمَا عَرَفُوكَ. فَإِذَا عَقْلُكَ وَكَلَامُكَ يُشْبِهُ كَلَامَ الْعَوَامِّ. وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ. أَمَّا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِيَّايَ إِلَى بَابِهِ عَلَى صُورَتِي هٰذِهِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِيَدِهِ نَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَخَافَهُ. وَبَعْدُ فَإِذَا عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي وَعَرَفَ سَلَامَتِي وَصَلَاحَ نَاحِيَتِي سَرَّحَنِي مُكَرَّمًا. فَإِنَّ الْحَسَدَةَ وَالْأَعْدَاءَ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِيَّ.

وتقوّلوا عليّ الأقاويل فلا يستحلّ دمي ويخرج من إيذائي وإزعاجي. ويردّني مكرّماً ويقيمني ببلاده معظّماً مبجّلاً . وإن كان قد سبق في علم الله عزّ وجلّ أنّه يبدو لي منه سوء وقد اقترب أجلي وكان سفك دمي على يده. فإنّي أحسن الظنّ بالله الذي خلق ورزق وأحيا وأمات. وإنّ الصبر والرضا والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة. وقد كنت أحسب أنّك تعرف هذا فإذن قد عرفت مبلغ فهمك. فإنّي لا أكلّمك بكلمة واحدة حتّى يفرّق بيننا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى. ثمّ أعرض عنّي فما سمعت منه لفظة غير التسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتّى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني قبل ستّة فراسخ من الكوفة يتجسّسون خبري. فحين رأوني رجعوا عنّي متقدّمين بالخبر إلى أمير المؤمنين. فانتهيت إلى الباب في آخر النهار فحططت رحلي. ودخلت على الرشيد وقبّلت الأرض بين يديه ووقفت. فقال: هات ما عندك يا منارة وإيّاك أن تغفل منه عن لفظة واحدة. فسقت الحديث من أوّله إلى آخره حتّى انتهيت إلى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور وما حدّثتني به نفسي من امتناعه. والغضب يظهر في وجه أمير المؤمنين ويتزايد. حتّى انتهيت إلى فراغ الأمور من الصلاة والتفاته إليّ وسؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب إليه ومبادرته إلى إحضار ولده وأهله وأصحابه وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد

وَصَرْفِهِ إِيَّاهُمْ وَمَدِّ رِجْلَيْهِ فَقَيَّدْتُهُ . ثُمَّ زَالَ وَجْهُ ٱلرَّشِيدِ يُسْفِرُ . فَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ إِلَى مَا خَاطَبَنِي بِهِ عِنْدَ تَوْبِيخِي لَهُ لَمَّا رَكِبْنَا فِي ٱلْمَحْمِلِ قَالَ : صَدَقَ وَٱللّٰهِ مَا هٰذَا ٱلرَّجُلُ إِلَّا مَحْسُودٌ عَلَى ٱلنِّعْمَةِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ . وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَزْعَجْنَاهُ وَآذَيْنَاهُ وَرَوَّعْنَا أَهْلَهُ . فَبَادِرْ بِنَزْعِ قُيُودِهِ وَأْتِنِي بِهِ . قَالَ : فَخَرَجْتُ وَنَزَعْتُ قُيُودَهُ وَأَدْخَلْتُهُ إِلَى ٱلرَّشِيدِ . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَآهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ ٱلْحَيَاةِ يَجُولُ فِي وَجْهِ ٱلرَّشِيدِ . فَدَنَا ٱلْأُمَوِيُّ وَسَلَّمَ بِٱلْخِلَافَةِ وَوَقَفَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَأَمَرَهُ بِٱلْجُلُوسِ . فَجَلَسَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ٱلرَّشِيدُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَلَغَنَا عَنْكَ فَضْلُ هَيْئَةٍ وَأُمُورٌ أَحْبَبْنَا مَعَهَا أَنْ نَرَاكَ وَنَسْمَعَ كَلَامَكَ وَنُحْسِنَ إِلَيْكَ فَٱذْكُرْ حَاجَتَكَ . فَأَجَابَ ٱلْأُمَوِيُّ جَوَابًا جَمِيلًا وَشَكَرَ وَدَعَا ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ . فَقَالَ : مَقْضِيَّةٌ فَمَا هِيَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رُدَّنِي إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي . قَالَ : نَفْعَلُ ذٰلِكَ . وَلٰكِنْ سَلْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَاشِكَ فَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا وَيَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هٰذَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَّالُكَ مُنْصِفُونَ وَقَدِ ٱسْتَغْنَيْتُ بِعَدْلِهِمْ عَنْ مَسْأَلَتِي . فَأُمُورِي مُسْتَقِيمَةٌ وَكَذٰلِكَ أَهْلُ بَلَدِي بِٱلْعَدْلِ ٱلشَّامِلِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : ٱنْصَرِفْ مَحْفُوظًا إِلَى بَلَدِكَ وَٱكْتُبْ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ إِنْ عَرَضَ لَكَ . فَوَدَّعَهُ ٱلْأُمَوِيُّ . فَلَمَّا وَلَّى خَارِجًا قَالَ ٱلرَّشِيدُ : يَا مَنَارَةُ ٱحْمِلْهُ مِنْ وَقْتِكَ وَسِرْ بِهِ رَاجِعًا كَمَا سَيَّرْتَهُ حَتَّى إِذَا وَصَلْتَ إِلَى مَجْلِسِهِ

ٱلَّذِي أَخَذْتَهُ مِنْهُ فَوَدَّعَهُ وَٱنْصَرَفَ . قَالَ مَنَارَةُ : فَمَا زِلْتُ مَعَهُ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى مَحَلِّهِ فَفَرِحَتْ بِهِ أَهْلُهُ وَأَعْطَانِي عَطَاءً جَزِيلًا وَٱنْصَرَفْتُ

(للاتليدي)

استقامة رجل اشتكي عليهِ ظلماً

٣٣١ نُقِلَ عَنِ ٱلرَّبِيعِ حَاجِبِ أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْضَرَ جَنَانًا وَلَا أَرْبَطَ جَأْشًا مِنْ رَجُلٍ رُفِعَ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ عَلَى أَنَّ عِنْدَهُ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا لِبَنِي أُمَيَّةَ . فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ وَدَخَلْتُ بِهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ : قَدْ رُفِعَ إِلَيْنَا خَبَرُ ٱلْوَدَائِعِ وَٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي عِنْدَكَ لِبَنِي أُمَيَّةَ فَأَخْرِجْهَا لَنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَوَارِثٌ أَنْتَ لِبَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَأَنْتَ لَهُمْ وَصِيٌّ . قَالَ : لَا . فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ : إِذًا فَمَا سَبَبُ سُؤَالِكَ عَمَّا فِي يَدِي مِنْ ذٰلِكَ . فَأَطْرَقَ ٱلْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ : إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ ظَلَمُوا ٱلْمُسْلِمِينَ فِي هٰذِهِ ٱلْأَمْوَالِ وَأَنَا وَكِيلُهُمْ فِي حَقِّهِمْ فَأُرِيدُ أَنْ آخُذَ أَمْوَالَهُمْ وَأَجْعَلَهَا فِي بَيْتِ مَالِهِمْ . فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَلْزَمُ فِي ذٰلِكَ إِقَامَةُ ٱلْبَيِّنَةِ ٱلْعَادِلَةِ عَلَى أَنَّ ٱلَّذِي فِي يَدِي هُوَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَنَّهُمْ خَانُوهُ وَظَلَمُوهُ وَٱغْتَصَبُوهُ مِنْ أَمْوَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ . فَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَ لَهُمْ أَمْوَالٌ غَيْرُ أَمْوَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ . فَعَادَ ٱلْمَنْصُورُ وَأَطْرَقَ إِلَى ٱلْأَرْضِ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ مَا وَجَبَ عَلَى ٱلرَّجُلِ عِنْدَنَا شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَنْصُورَ ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَبَشَّرَ بِهِ

مُبتَسِمًا فِي وَجهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَقْضِيَهَا لَكَ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِي أَنْ تُنْفِذَ كِتَابِي عَلَى ٱلْبَرِيدِ إِلَى أَهْلِي فِي ٱلشَّامِ لِيَسكُنُوا إِلَى سَلَامَتِي فَقَدْ رَاعَهُمْ إِشْخَاصِي مِنْ عِنْدِهِمْ . ثُمَّ أَسأَلُكَ حَاجَةً أُخرَى يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَا هِيَ . فَقَالَ : أُرِيدُ مِنْ كَرَمِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي عِنْدَهُ فَوَٱللهِ مَا عِنْدِي لِبَنِي أُمَيَّةَ شَيْءٌ . وَلَا فِي يَدِي مَالٌ وَلَا وَدِيعَةٌ وَلَا فِي مَعْرِفَتِي أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ أَحَدٍ شَيْئًا . وَلٰكِنِّي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَسَأَلْتَنِي رَأَيْتُ مَا قُلْتُهُ أَقْرَبَ إِلَى ٱلْخَلَاصِ وَٱلنَّجَاةِ . فَٱلْتَفَتَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمَنْصُورُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ ٱجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِهِ . قَالَ ٱلرَّبِيعُ : فَأَخَذْتُ ٱلرَّجُلَ وَجَمَعْتُهُ بِٱلَّذِي سَعَى بِهِ . فَحِينَ رَآهُ ٱلرَّجُلُ قَالَ : هٰذَا غُلَامِي ضَرَبَ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ مَالِي وَأَبَقَ بِهَا مِنِّي . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَنْصُورُ ذٰلِكَ هَدَّدَهُ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِتَعْذِيبِهِ . فَأَقَرَّ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْغُلَامُ بِصِدْقِ كَلَامِ ٱلرَّجُلِ وَأَنَّهُ غُلَامُهُ . وَأَنَّهُ أَخَذَ ٱلْمَالَ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ مَوْلَاهُ وَأَبَقَ بِهِ . وَسَعَى بِمَوْلَاهُ لِيَجْرِيَ عَلَيْهِ أَمْرُ ٱللهِ وَيَسْلَمَ هُوَ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي يَدِهِ . فَٱلْتَفَتَ ٱلْمَنْصُورُ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَقَالَ : نَسأَلُكَ ٱلصَّفْحَ عَنْهُ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ صَفَحْتُ عَنْ جُرْمِهِ وَأَبْرَأْتُ ذِمَّتَهُ مِنَ ٱلْمَالِ وَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ أُخرَى . فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ : مَا عَلَى مَا فَعَلْتَ مِنَ ٱلْكَرَمِ مَزِيدٌ . فَقَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هٰذَا حَقُّ كَلَامِكَ . ثُمَّ ٱسْتَأْذَنَ

وَٱنْصَرَفَ . وَكَانَ ٱلْمَنْصُورُ بَعْدَ ذٰلِكَ يَذْكُرُهُ يَتَعَجَّبُ وَيَقُولُ لِي : مَا رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ يَا رَبِيعُ (للاتليدي)

غيلان بن سلمة عند كسرى

٣٣٢ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُرِيدُونَ ٱلْعِرَاقَ بِتِجَارَةٍ . فَلَمَّا سَارُوا ثَلَاثًا جَمَعَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّا مِنْ مَسِيرِنَا هٰذَا لَعَلَى خَطَرٍ مَا قُدُومُنَا عَلَى مَلِكٍ جَبَّارٍ لَمْ يَأْذَنْ لَنَا فِي ٱلْقُدُومِ عَلَيْهِ وَلَيْسَتْ بِلَادُهُ لَنَا بِمَتْجَرٍ . وَلٰكِنْ أَيُّكُمْ يَذْهَبُ بِٱلْعِيرِ فَإِنْ أُصِيبَ فَنَحْنُ بُرَآءُ مِنْ دَمِهِ وَإِنْ غَنِمَ فَلَهُ نِصْفُ ٱلرِّبْحِ . فَقَالَ غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ : دَعُونِي إِذًا فَأَنَا لَهَا . فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ كِسْرَى تَخَلَّقَ وَلَبِسَ ثَوْبَيْنِ أَصْفَرَيْنِ . وَشَهَرَ أَمْرَهُ وَجَلَسَ بِبَابِ كِسْرَى حَتَّى أَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَبَيْنَهُمَا شُبَّاكٌ مِنْ ذَهَبٍ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ ٱلتَّرْجُمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ ٱلْمَلِكُ : مَا أَدْخَلَكَ بِلَادِي بِغَيْرِ إِذْنِي . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : لَسْتُ مِنْ أَهْلِ عَدَاوَةٍ لَكَ وَلَا أَتَيْتُكَ جَاسُوسًا لِضِدٍّ مِنْ أَضْدَادِكَ . وَإِنَّمَا جِئْتُ بِتِجَارَةٍ تَسْتَمْتِعُ بِهَا . فَإِنْ أَرَدْتَهَا فَهِيَ لَكَ . وَإِنْ لَمْ تُرِدْهَا وَأَذِنْتَ فِي بَيْعِهَا لِرَعِيَّتِكَ بِعْتُهَا . وَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ فِي ذٰلِكَ رَدَدْتُهَا . قَالَ : فَإِنَّهُ لَيَتَكَلَّمُ . وَإِذْ سَمِعَ صَوْتَ كِسْرَى سَجَدَ . فَقَالَ لَهُ ٱلتَّرْجُمَانُ : يَقُولُ لَكَ ٱلْمَلِكُ : لِمَ سَجَدْتَ . فَقَالَ : سَمِعْتُ صَوْتًا عَالِيًا حَيْثُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْلُوَ صَوْتُهُ إِجْلَالًا لِلْمَلِكِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يُقْدِمْ عَلَى رَفْعِ ٱلصَّوْتِ هُنَاكَ غَيْرُ ٱلْمَلِكِ فَسَجَدْتُ إِعْظَامًا لَهُ . قَالَ : فَٱسْتَحْسَنَ كِسْرَى مَا فَعَلَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِرْفَقَةٍ

تُوضَعُ تحتَهُ . فلمّا أُتِيَ بها رأى عليها صورةَ ٱلْمَلِكِ فوضعها على رأسِهِ فاستجهلَهُ كسرى واستحمقَهُ . وقالَ للترجمانِ : قُلْ لهُ : إنَّما بعثنا بهذهِ لتجلسَ عليها . قالَ : قد علمتُ ولكنِّي لمَّا أُتيتُ بها رأيتُ عليها صورةَ ٱلْمَلِكِ فلم يكنْ حقُّ صورتِهِ على مثلي أن يجلسَ عليها . ولكن كانَ حقُّها ٱلتَّعظيمَ فوضعتُها على رأسي لأنَّهُ أشرفُ أعضائي وأكرمُها عليَّ . فاستحسنَ فعلَهُ جدًّا . ثمَّ قالَ لهُ : ألكَ وَلَدٌ . قالَ : نعم . قالَ : فأيُّهم أحبُّ إليكَ . قالَ : ٱلصَّغيرُ حتَّى يكبَرَ . وٱلمريضُ حتَّى يبرأَ . وٱلغائبُ حتَّى يؤوبَ . فقالَ كسرى : زِهْ . ما أدخلكَ عليَّ ودلَّكَ على هذا ٱلقولِ وٱلفعلِ إلَّا حظُّكَ . فهذا فعلُ ٱلحكماءِ وكلامُهم وأنتَ من قومٍ جفاةٍ لا حكمةَ فيهم . فما غذاؤكَ . قالَ : خبزُ ٱلبُرِّ . قالَ : هذا ٱلعقلُ من ٱلبُرِّ لا من ٱللَّبنِ وٱلتَّمرِ . ثمَّ اشترى منهُ ٱلتِّجارةَ بأضعافِ ثمنها وكساهُ وبعثَ معهُ من ٱلفرسِ من بنى لهُ أُطُمًا بٱلطَّائفِ فكانَ أوَّلَ أُطُمٍ بُنِيَ بها (للاصبهاني)

المأمون وراثي البرامكة

٣٣٣ قالَ خادمُ ٱلمأمونِ : طلبني أميرُ ٱلمؤمنينَ ليلةً وقد مضى من ٱللَّيلِ ثلثُهُ . فقالَ لي : خُذْ معكَ فلانًا وفلانًا وسمَّاهما لي أحدُهما عليُّ ٱبنُ محمَّدٍ وٱلآخرُ دينارٌ ٱلخادمُ . وٱذهبْ مسرعًا لما أقولُ لكَ . فإنَّهُ بلغني أنَّ شيخًا يحضرُ ليلًا إلى آثارِ دورِ ٱلبرامكةِ وينشدُ شعرًا ويذكرُهم ذكرًا كثيرًا ويندبُهم ويبكي عليهم ثمَّ ينصرفُ . فٱمضِ أنتَ وعليٌّ

وَدِينَارٌ حَتَّى تَرِدُوا تِلْكَ ٱلْخَرَابَاتِ فَٱسْتَتِرُوا خَلْفَ بَعْضِ ٱلْجُدُرِ. فَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَبَكَى وَنَدَبَ وَأَنْشَدَ أَبْيَاتًا فَأْتُونِي بِهِ. قَالَ: فَأَخَذْنَاهُمَا وَمَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا ٱلْخَرَابَاتِ فَإِذَا نَحْنُ بِغُلَامٍ قَدْ أَتَى وَمَعَهُ بِسَاطٌ وَكُرْسِيٌّ حَدِيدٍ. وَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ وَلَهُ جَمَالٌ وَعَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَلُطْفٌ فَجَلَسَ عَلَى ٱلْكُرْسِيِّ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَنْتَحِبُ وَيَقُولُ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلسَّيْفَ جَنْدَلَ جَعْفَرًا ... وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى
بَكَيْتُ عَلَى ٱلدُّنْيَا وَزَادَ تَأَسُّفِي ... عَلَيْهِمْ وَقُلْتُ ٱلْآنَ لَا تَنْفَعُ ٱلدُّنْيَا

مَعَ أَبْيَاتٍ أَطَالَهَا. فَلَمَّا فَرَغَ قَبَضْنَا عَلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَفَزِعَ فَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُوصِيَ بِوَصِيَّةٍ فَإِنِّي لَا أُوقِنُ بَعْدَهَا بِحَيَاةٍ. ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ ٱلدَّكَاكِينِ وَٱسْتَفْتَحَ وَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا وَصِيَّةً وَسَلَّمَهَا إِلَى غُلَامِهِ. ثُمَّ سِرْنَا بِهِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ حِينَ رَآهُ: مَنْ أَنْتَ وَبِمَا ٱسْتَوْجَبَتْ مِنْكَ ٱلْبَرَامِكَةُ مَا تَفْعَلُهُ فِي خَرَائِبِ دُورِهِمْ. قَالَ ٱلشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِلْبَرَامِكَةِ أَيَادِيَ خَضِرَةً عِنْدِي أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُحَدِّثَكَ بِحَالِي مَعَهُمْ. قَالَ: قُلْ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنَا ٱلْمُنْذِرُ بْنُ ٱلْمُغِيرَةِ مِنْ أَوْلَادِ ٱلْمُلُوكِ. وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي نِعْمَتِي كَمَا تَزُولُ عَنِ ٱلرِّجَالِ. فَلَمَّا رَكِبَنِي ٱلدَّيْنُ وَٱحْتَجْتُ إِلَى بَيْعِ مَا عَلَى رَأْسِي وَرُؤُوسِ أَهْلِي وَبَيْتِي ٱلَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ أَشَارُوا عَلَيَّ بِٱلْخُرُوجِ إِلَى ٱلْبَرَامِكَةِ فَخَرَجْتُ مِنْ

دِمشق ومَعِي نَيِّفٌ وَثَلاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِي وَوُلْدِي وَلَيسَ مَعَنَا مَا يُبَاعُ وَلَا مَا يُوهَبُ . حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَنَزَلْنَا فِي بَعْضِ ٱلْمَسَاجِدِ . فَدَعَوْتُ بِبَعْضِ ثِيَابٍ كُنْتُ أَعْدَدْتُهَا لِأَسْتَتِرَ بِهَا فَلَبِسْتُهَا وَخَرَجْتُ وَتَرَكْتُهُمْ جِيَاعًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ . وَدَخَلْتُ شَوَارِعَ بَغْدَادَ سَائِلًا عَنِ ٱلْبَرَامِكَةِ . فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدٍ مُزَخْرَفٍ وَفِي جَانِبِهِ شَيْخٌ بِأَحْسَنِ زِيٍّ وَزِينَةٍ . وَعَلَى ٱلْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي ٱلْجَامِعِ جَمَاعَةٌ جُلُوسٌ . فَطَمِعْتُ فِي ٱلْقَوْمِ وَدَخَلْتُ ٱلْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَأَنَا أُقَدِّمُ رِجْلًا وَأُؤَخِّرُ أُخْرَى . وَٱلْعَرَقُ يَسِيلُ مِنِّي لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ صِنَاعَتِي . وَإِذَا ٱلْخَادِمُ قَدْ أَقْبَلَ وَدَعَا ٱلْقَوْمَ فَقَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ . فَدَخَلُوا دَارَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا يَحْيَى جَالِسٌ عَلَى دَكَّةٍ لَهُ وَسَطَ بُسْتَانٍ . فَسَلَّمْنَا وَهُوَ يَعُدُّنَا مِائَةً وَوَاحِدًا . وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشَرَةٌ مِنْ وُلْدِهِ . وَإِذَا بِمِائَةٍ وَٱثْنَا عَشَرَ خَادِمًا قَدْ أَقْبَلُوا وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ صِينِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى كُلِّ صِينِيَّةٍ أَلْفُ دِينَارٍ . فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا صِينِيَّةً . فَرَأَيْتُ ٱلْقَاضِيَ وَٱلْمَشَايِخَ يَضَعُونَ ٱلدَّنَانِيرَ فِي أَكْمَامِهِمْ وَيَجْعَلُونَ ٱلصَّوَانِيَ تَحْتَ آبَاطِهِمْ وَيَقُومُ ٱلْأَوَّلُ فَٱلْأَوَّلُ حَتَّى بَقِيتُ وَحْدِي لَا أَجْسُرُ عَلَى أَخْذِ ٱلصِّينِيَّةِ . فَغَمَزَنِي ٱلْخَادِمُ فَجَسَرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ ٱلذَّهَبَ فِي كُمِّي وَٱلصِّينِيَّةَ فِي يَدِي . وَقُمْتُ وَجَعَلْتُ أَتَلَفَّتُ إِلَى وَرَاءِي مَخَافَةَ أَنْ أُمْنَعَ مِنَ ٱلذَّهَابِ . فَوَصَلْتُ وَأَنَا كَذَلِكَ إِلَى صَحْنِ ٱلدَّارِ وَيَحْيَى يُلَاحِظُنِي . فَقَالَ لِلْخَادِمِ : ٱئْتِنِي بِهَذَا ٱلرَّجُلِ .

فَأَتَانِي . فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ تَتَلَفَّتُ يَمِيناً وَشِمَالاً . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي .
فَقَالَ لِلْخَادِمِ : ٱئْتِنِي بِوَلَدِي مُوسَى . فَأَتَاهُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ هٰذَا
رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَٱحْفَظْهُ بِنَفْسِكَ وَنِعْمَتِكَ . فَقَبَضَ مُوسَى
وَلَدُهُ عَلَى يَدِي وَأَدْخَلَنِي إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِهِ . فَأَكْرَمَنِي غَايَةَ ٱلإِكْرَامِ
وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي فِي أَلَذِّ عَيْشٍ وَأَتَمِّ سُرُورٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا
بِأَخِيهِ ٱلعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ : ٱلْوَزِيرُ أَمَرَنِي بِٱلعَطْفِ عَلَى هٰذَا ٱلْفَتَى وَقَدْ
عَلِمْتَ ٱشْتِغَالِي فِي بَيْتِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَٱقْبِضْهُ إِلَيْكَ وَأَكْرِمْهُ .
فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ ٱلإِكْرَامِ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ تَسَلَّمَنِي
أَخُوهُ أَحْمَدُ . ثُمَّ لَمْ أَزَلْ فِي أَيْدِي ٱلْقَوْمِ يَتَدَاوَلُونِي عَلَى مُدَّةِ عَشَرَةِ
أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ خَبَرَ عِيَالِي وَصِبْيَانِي أَفِي ٱلأَمْوَاتِ هُمْ أَمْ فِي ٱلأَحْيَاءِ .
فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَادِي عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْخَدَمِ .
فَقَالُوا : قُمْ فَٱخْرُجْ إِلَى عِيَالِكَ بِسَلَامٍ . فَقُلْتُ : وَاوَيْلَاهُ سُلِبْتُ
ٱلدَّنَانِيرَ وَٱلصِّينِيَّةَ وَأُخْرَجُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ . إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
فَرَفَعَ ٱلسِّتْرَ ٱلأَوَّلَ ثُمَّ ٱلثَّانِيَ ثُمَّ ٱلثَّالِثَ ثُمَّ ٱلرَّابِعَ . فَلَمَّا رَفَعَ ٱلْخَادِمُ
ٱلسِّتْرَ ٱلأَخِيرَ . قَالَ لِي : مَهْمَا كَانَ لَكَ مِنَ ٱلْحَوَائِجِ فَٱرْفَعْهَا إِلَيَّ .
فَإِنِّي مَأْمُورٌ بِقَضَاءِ جَمِيعِ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ . فَلَمَّا رَفَعَ ٱلسِّتْرَ ٱلأَخِيرَ رَأَيْتُ
حُجْرَةً كَٱلشَّمْسِ حُسْناً وَنُوراً . وَٱسْتَقْبَلَتْنِي مِنْهَا رَائِحَةُ ٱلنَّدِّ وَٱلْعُودِ
وَنَفَحَاتُ ٱلْمِسْكِ . وَإِذَا بِصِبْيَانِي وَعِيَالِي يَتَقَلَّبُونَ فِي ٱلْحَرِيرِ وَٱلدِّيبَاجِ
وَحَمَلَ إِلَيَّ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ . وَمَنْشُوراً بِضَيْعَتَيْنِ

وَتِلْكَ ٱلصِّينِيَّةَ ٱلَّتِي كُنْتُ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلدَّنَانِيرِ وَٱلْبَنَادِقِ . وَأَقَمْتُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَعَ ٱلْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ ٱلنَّاسُ أَمِنَ ٱلْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَلِيَّةُ وَنَزَلَ بِهِمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنَ ٱلرَّشِيدِ مَا نَزَلَ أَجْحَفَنِي عَمْرُو بْنُ مُسْعِدَةَ وَأَلْزَمَنِي فِي هَاتَيْنِ ٱلضَّيْعَتَيْنِ مِنَ ٱلْخَرَاجِ مَا لَا يَفِي دَخْلُهُمَا بِهِ . فَلَمَّا تَحَامَلَ عَلَيَّ ٱلدَّهْرُ كُنْتُ فِي آخِرِ ٱللَّيْلِ أَقْصِدُ خَرَابَاتِ دُورِهِمْ فَأَنْدُبُهُمْ وَأَذْكُرُ حُسْنَ صُنْعِهِمْ إِلَيَّ وَأَبْكِي عَلَى إِحْسَانِهِمْ . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : عَلَيَّ بِعَمْرِو بْنِ مُسْعِدَةَ . فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ قَالَ لَهُ : تَعْرِفُ هٰذَا ٱلرَّجُلَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هُوَ بَعْضُ صَنَائِعِ ٱلْبَرَامِكَةِ . قَالَ : كَمْ أَلْزَمْتَهُ فِي ضَيْعَتِهِ . قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : رُدَّ إِلَيْهِ كُلَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُ فِي مُدَّتِهِ وَأَفْرِغْهُمَا لَهُ لِيَكُونَا لَهُ وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ . قَالَ : فَعَلَا نَحِيبُ ٱلرَّجُلِ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَأْمُونُ كَثْرَةَ بُكَائِهِ قَالَ لَهُ : يَا هٰذَا قَدْ أَحْسَنَّا إِلَيْكَ فَمَا يُبْكِيكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَهٰذَا أَيْضًا مِنْ صَنِيعِ ٱلْبَرَامِكَةِ . لَوْ لَمْ آتِ خَرَابَاتِهِمْ فَأَبْكِيَهُمْ وَأَنْدُبَهُمْ حَتَّى اتَّصَلَ خَبَرِي إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ بِي مَا فَعَلَ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَصِلُ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ : فَرَأَيْتُ ٱلْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ حُزْنُهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي هٰذَا مِنْ صَنَائِعِ ٱلْبَرَامِكَةِ فَعَلَيْهِمْ فَأَبْكِ وَإِيَّاهُمْ فَاشْكُرْ وَلَهُمْ فَأَوْفِ وَلِإِحْسَانِهِمْ فَاذْكُرْ (للاتليدي)

أَلْبَابُ ٱلْعَاشِرُ
فِي ٱلْفُكَاهَاتِ

٣٣٤ قَرَعَ قَوْمٌ عَلَى ٱلْجَاحِظِ ٱلْبَابَ فَخَرَجَ صَبِيٌّ لَهُ. فَسَأَلُوهُ مَا يَصْنَعُ. فَقَالَ: هُوَذَا يَكْذِبُ عَلَى ٱللهِ. قِيلَ: كَيْفَ. قَالَ: نَظَرَ فِي ٱلْمِرْآةِ. فَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ صُورَتِي (لكمال الدين الحلبي)

٣٣٥ تَحَاكَمَ إِلَى أَبِي يُوسُفَ ٱلْقَاضِي ٱلرَّشِيدُ وَزُبَيْدَةُ فِي ٱلْفَالُوذَجِ وَٱللَّوْزِينَجِ أَيُّهُمَا أَطْيَبُ. فَقَالَ: أَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَى ٱلْغَائِبِ. فَأَمَرَ بِٱتِّخَاذِهِمَا وَتَقْدِيمِهِمَا إِلَيْهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْ هٰذَا مَرَّةً وَمِنْ ذَاكَ أُخْرَى حَتَّى نَصَّفَ ٱلْجَامَ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ أَعْدَلَ مِنْهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُسَجِّلَ لِأَحَدِهِمَا أَدْلَى ٱلْآخَرُ بِحُجَّتِهِ (للابشيهي)

العائد والمريض

٣٣٦ مَرِضَ صَدِيقٌ لِحَامِدِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ فَأَرَادَ أَنْ يُنْفِذَ إِلَيْهِ ٱبْنَهُ يَعُودُهُ. فَأَوْصَاهُ وَقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ فَٱجْلِسْ فِي أَرْفَعِ ٱلْمَوْضِعِ وَقُلْ لِلْمَرِيضِ: مَا تَشْكُو. فَإِذَا قَالَ: كَذَا وَكَذَا فَقُلْ: سَلِيمٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ. وَقُلْ لَهُ: مَا يَجِيئُكَ مِنَ ٱلْأَطِبَّاءِ. فَإِذَا قَالَ: فُلَانٌ. فَقُلْ: مُبَارَكٌ مَيْمُونٌ. وَقُلْ لَهُ: مَا غِذَاؤُكَ. فَإِذَا قَالَ: كَذَا وَكَذَا. فَقُلْ طَعَامٌ مَحْمُودٌ. فَذَهَبَ ٱلِٱبْنُ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْعَلِيلِ. وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنَارَةٌ فَجَلَسَ عَلَيْهَا لِٱرْتِفَاعِهَا. فَسَقَطَتْ عَلَى صَدْرِ ٱلْعَلِيلِ فَأَوْجَعَتْهُ. ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ

لِلعَلِيلِ : مَا تَشكُو . فقَالَ بِضَجْرَةٍ : أَشكُو عِلَّةَ ٱلمَوْتِ . فقَالَ : سَلِيمٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ . قَالَ : فَمَنْ يَجِيئُكَ مِنَ ٱلأَطِبَّاءِ . قَالَ : مَلَكُ ٱلمَوْتِ . قَالَ : مُبَارَكٌ مَيْمُونٌ . قَالَ : فَمَا غِذَاؤُكَ . فقَالَ : سُمُّ ٱلمَوْتِ . قَالَ : طَعَامٌ طَيِّبٌ مَحْمُودٌ (لكمال الدين الحلبي)

الطبخ للفضل

٣٣٧ مِنْ ظَرِيفِ مَا ٱتَّفَقَ لِأَبِي ٱلرَّقَعْمَقِ قَالَ : كَانَ لِي إِخْوَانٌ أَرْبَعَةٌ وَكُنْتُ أُنَادِمُهُمْ فِي أَيَّامِ ٱلأُسْتَاذِ كَافُورٍ . فَأَتَى إِلَيَّ رَسُولُهُمْ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ وَلَيْسَتْ لِي كُسْوَةٌ تُحَصِّنُنِي مِنَ ٱلبَرْدِ . فقَالَ ٱلرَّسُولُ : إِخْوَانُكَ يَقْرَأُونَ عَلَيْكَ ٱلسَّلَامَ وَيَقُولُونَ لَكَ : ٱصْطَبَحْنَا ٱليَوْمَ وَذَبَحْنَا شَاةً سَمِينَةً فَٱشْتَهِ مَا نَطْبُخُهُ لَكَ وَأْتِنَا عَاجِلًا . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ :

إِخْوَانُنَا قَصَدُوا ٱلصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَأَتَى رَسُولُهُمُ إِلَيَّ خَصِيصَا
قَالُوا ٱقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ ٱطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا

فَذَهَبَ ٱلرَّسُولُ إِلَيْهِمْ بِٱلرُّقْعَةِ . فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَادَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ خِلَعٍ وَأَرْبَعُ صُرَرٍ فِي كُلِّ صُرَّةٍ عَشَرَةُ دَنَانِيرَ فَلَبِسْتُ إِحْدَاهَا وَسِرْتُ إِلَيْهِمْ

٣٣٨ وَحُكِيَ أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ مَدَنِيٍّ سَكْرَانَ إِلَى بَعْضِ ٱلوُلَاةِ فَأَمَرَ بِإِقَامَةِ ٱلحَدِّ عَلَيْهِ . وَكَانَ ٱلرَّجُلُ طَوِيلًا وَٱلجَلَّادُ قَصِيرًا فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ضَرْبِهِ . فقَالَ ٱلجَلَّادُ تَقَاصَرْ لِينَالَكَ ٱلضَّرْبُ . فقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ إِلَى أَكْلِ ٱلفَالُوذَجِ تَدْعُونِي . وَلَقَدْ وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي أَطْوَلُ مِنْ عُوجِ

يَا سَيِّدِي نَظْمِي يُعَابُ بِنَثْرِكَا فَلِذَاكَ شِعْرِي لَا يُقَاسُ بِشِعْرِكَا
أَوْلَيْتَنِي فَضْلاً وَإِنِّي عَاجِزٌ مَا طَالَ عُمْرِي أَنْ أَقُومَ بِشُكْرِكَا
أَنَا فِي ضِيَافَتِكَ ٱلْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فَٱجْعَلْ حِمَارِي فِي ضِيَافَةِ مُهْرِكَا

فَضَحِكَ ٱلرَّجُلُ. وَقَالَ: مَا هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ مِنِّي. وَدَعَا بِعَلَفٍ لِلْحِمَارِ كَعَلَفِ ٱلْمُهْرِ فَقُدِّمَ إِلَيْهِ (لابن خلّكان)

٣٤٤ قِيلَ لِرَجُلٍ جَبَانٍ فِي بَعْضِ ٱلْوَقَائِعِ: تَقَدَّمْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَقَالُوا تَقَدَّمْ قُلْتُ لَسْتُ بِفَاعِلٍ أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تَحَطَّمَا
فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتْلَفْتُ وَاحِدًا وَلٰكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا رَاحَ أَعْقَمَا
وَلَوْ كَانَ مُبْتَاعًا لَدَى ٱلسُّوقِ مِثْلُهُ فَعَلْتُ وَلَمْ أَحْفِلْ بِأَنْ أَتَقَدَّمَا
فَأُوتِمُ أَوْلَادًا وَأُرْمِلُ نِسْوَةً فَكَيْفَ عَلَى هٰذَا تَرَوْنَ ٱلتَّقَدُّمَا

ابو دلامة في بيت الدجاج

٣٤٥ كَانَ ٱلْمَهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دُلَامَةَ سَاجًا فَأُخِذَ بِهِ وَهُوَ سَكْرَانُ. فَأُتِيَ بِهِ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ ٱلسَّاجِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُحْبَسَ فِي بَيْتِ ٱلدَّجَاجِ. فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ ٱللَّيْلِ وَصَحَا أَبُو دُلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى نَفْسَهُ بَيْنَ ٱلدَّجَاجِ صَاحَ: يَا صَاحِبَ ٱلْبَيْتِ فَٱسْتَجَابَ لَهُ ٱلسَّجَّانُ قَالَ: مَا لَكَ يَا عَدُوَّ ٱللّٰهِ. قَالَ: وَيْلَكَ مَنْ أَدْخَلَنِي مَعَ ٱلدَّجَاجِ. قَالَ: أَعْمَالُكَ ٱلْخَبِيثَةُ. أُتِيَ بِكَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ سَكْرَانُ. فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ سَاجِكَ وَحَبْسِكَ مَعَ ٱلدَّجَاجِ. قَالَ لَهُ: وَيْلَكَ أَرْقُبْ لِي سِرَاجًا وَجِئْنِي بِدَوَاةٍ وَوَرَقٍ. فَكَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ:

أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَدَتْكَ نَفْسِي عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أُقَادُ إِلَى ٱلسُّجُونِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ كَأَنِّي بَعْضُ عُمَّالِ ٱلْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَهَانَ ذَاكُمْ وَلَكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ ٱلدَّجَاجِ
دَجَاجَاتٌ يُطِيفُ بِهِنَّ دِيكٌ يُنَادِي بِٱلصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي بِأَنِّي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا لِخَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ ٱلشَّرِّ رَاجِي

ثُمَّ قَالَ أَوْصِلْهَا إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ ٱلسَّجَّانُ . فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ بِتَّ ٱللَّيْلَةَ أَبَا دُلَامَةَ . قَالَ : فِي بَيْتِ ٱلدَّجَاجِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ . قَالَ : كُنْتُ أُقَوْقِي مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ . فَضَحِكَ ٱلْمَهْدِيُّ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ جَزِيلَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ كُسْوَةً شَرِيفَةً

في أي الاثنين اغلب على الرجل الادب او الطبع

٣٤٦ قِيلَ إِنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَازِمٌ مُجَرَّبٌ فَكَانَ يَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَيَتَعَرَّفُ ٱلْيُمْنَ فِي مَشُورَتِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ فَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ مُسْتَبِدًّا بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَاكَ كَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ . فَقَالَ : كَانَ يَغْلَطُ فِيهِ وَسَأَمْتَحِنُهُ بِنَفْسِي . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهُمَا أَغْلَبُ عَلَى ٱلرَّجُلِ ٱلْأَدَبُ أَوِ ٱلطَّبِيعَةُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَزِيرُ : ٱلطَّبِيعَةُ أَغْلَبُ لِأَنَّهَا أَصْلٌ وَٱلْأَدَبُ فَرْعٌ . وَكُلُّ فَرْعٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ . فَدَعَا بِسُفْرَتِهِ فَلَمَّا وُضِعَتْ أَقْبَلَتْ سَنَانِيرُ

بِأَيْدِيهَا ٱلشَّمَعُ فَوَقَفَتْ حَوْلَ ٱلسُّفْرَةِ فَقَالَ لِلْوَزِيرِ : ٱعْتَبِرْ خَطَأَكَ وَضِعْفَ مَذْهَبِكَ مَتَى كَانَ أَبُو هٰذِهِ ٱلسَّنَانِيرِ شَمَّاعًا ٠ فَسَكَتَ عَنْهُ ٱلْوَزِيرُ ٠ وَقَالَ : أَمْهِلْنِي فِي ٱلْجَوَابِ إِلَى ٱللَّيْلَةِ ٱلْمُقْبِلَةِ ٠ فَقَالَ : ذٰلِكَ لَكَ ٠ فَخَرَجَ ٱلْوَزِيرُ فَدَعَا بِغُلَامٍ لَهُ فَقَالَ : ٱلْتَمِسْ لِي فَارًا وَٱرْبِطْهُ فِي خَيْطٍ وَجِئْنِي بِهِ ٠ فَأَتَاهُ بِهِ ٱلْغُلَامُ فَعَقَدَهُ فِي سَبَنِيَّتِهِ وَطَرَحَهُ فِي كُمِّهِ ٠ ثُمَّ رَاحَ مِنَ ٱلْغَدِ إِلَى ٱلْمَلِكِ فَلَمَّا حَضَرَتْ سُفْرَتُهُ أَقْبَلَتِ ٱلسَّنَانِيرُ بِٱلشَّمَعِ حَتَّى حَفَّتْ بِهَا فَحَلَّ ٱلْوَزِيرُ ٱلْفَارَ مِنْ سَبَنِيَّتِهِ ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيْهَا ٠ فَٱسْتَبَقَتِ ٱلسَّنَانِيرُ إِلَيْهِ وَرَمَتْ بِٱلشَّمَعِ حَتَّى كَادَ ٱلْبَيْتُ يَضْطَرِمُ نَارًا ٠ فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : كَيْفَ رَأَيْتَ غَلَبَةَ ٱلطَّبْعِ عَلَى ٱلْأَدَبِ وَرُجُوعَ ٱلْفَرْعِ إِلَى أَصْلِهِ ٠ قَالَ : صَدَقْتَ ٠ وَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ أَبُوهُ عَلَيْهِ مَعَهُ ٠ فَإِنَّمَا مَدَارُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى طَبْعِهِ وَٱلتَّكَلُّفُ مَذْمُومٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ (لابن عبد ربّه)

المستخبر عن وفاة ابيه

٣٤٧ بَيْنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ يَأْكُلُونَ عِنْدَهُ حِيتَانًا ٠ إِذِ ٱسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ أَشْعَبُ ٠ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنَّ مِنْ شَأْنِ أَشْعَبَ ٱلْبَسْطَ إِلَى أَجَلِّ ٱلطَّعَامِ ٠ فَٱجْعَلُوا كِبَارَ هٰذِهِ ٱلْحِيتَانِ فِي قَصْعَةٍ بِنَاحِيَةٍ وَيَأْكُلُ مَعَنَا ٱلصِّغَارَ ٠ فَفَعَلُوا وَأَذِنَ لَهُ ٠ فَقَالُوا لَهُ : كَيْفَ رَأْيُكَ فِي ٱلْحِيتَانِ ٠ فَقَالَ : إِنَّ لِي عَلَيْهَا لَحَرْدًا شَدِيدًا أَوْ حَنَقًا لِأَنَّ أَبِي مَاتَ فِي ٱلْبَحْرِ وَأَكَلَتْهُ ٱلْحِيتَانُ ٠ قَالُوا لَهُ : فَدُونَكَ خُذْ بِثَأْرِ أَبِيكَ ٠ فَجَلَسَ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى حُوتٍ مِنْهَا صَغِيرٍ ٠ ثُمَّ وَضَعَهُ عِنْدَ أُذُنِهِ وَقَدْ نَظَرَ إِلَى

ٱلقَصعَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلحِيتَانُ فِي زَاوِيَةِ ٱلمَجلِسِ فَقَالَ : أَتَدرُونَ مَا يَقُولُ لِي هٰذَا ٱلحُوتُ . قَالُوا : لَا . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَحضُرْ مَوتَ أَبِي . وَلَا أَدرَكَهُ لِأَنَّ سِنَّهُ يَصغُرُ عَن ذٰلِكَ . وَلٰكِن قَالَ لِي : عَلَيكَ بِتِلكَ ٱلكِبَارِ ٱلَّتِي فِي زَاوِيَةِ ٱلبَيتِ فَهِيَ أَدرَكَت أَبَاكَ وَأَكَلَتهُ

المحب الايجاز

٣٤٨ اصطَحَبَ نَحوِيٌّ وَرَجُلٌ فِي سَفَرٍ . فَمَرِضَ ٱلنَّحوِيُّ . وَأَرَادَ ٱلرَّجُلُ أَن يَرجِعَ إِلَى بَلَدِهِ . فَأَرَادَ ٱلنَّحوِيُّ أَن يُحَمِّلَهُ رِسَالَةً إِلَى أَهلِهِ فَقَالَ لَهُ : قُلْ لِأَهلِي . لَقَدْ أَصَابَهُ صُدَاعٌ فِي رَأسِهِ . وَبُلِيَ بِوَجَعِ أَضرَاسِهِ . وَوَقَعَتِ ٱلخُمَاءَةُ فِي أَنفَاسِهِ . وَقَد فَتَرَت يَدَاهُ . وَتَوَرَّمَت رِجلَاهُ . وَشَخَصَت عَينَاهُ . وَٱنحَلَّت رُكبَتَاهُ . وَأَصَابَهُ وَجَعٌ فِي ظَهرِهِ . وَضَرَبَانٌ فِي صَدرِهِ . وَهُزَالٌ فِي طِحَالِهِ . وَتَقَطُّعٌ فِي أَوصَالِهِ . وَخَفَقَانٌ فِي قَلبِهِ . وَأَلَمٌ فِي صُلبِهِ وَمَاءٌ فِي عَينَيهِ . وَرِيحٌ فِي سَاقَيهِ . وَٱرتِخَاءٌ فِي حَنَكِهِ . وَنَبَضَانٌ فِي صُدغَيهِ . وَسُكُونٌ فِي نَبضِهِ مِن تَوَاتُرِ غَشَيَانِهِ وَسَكتَةٌ فِي لِسَانِهِ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : يَا سَيِّدِي ٱلشَّيخُ أَنَا أَكرَهُ أَن أُطِيلَ ٱلكَلَامَ وَلٰكِن أَقُولُ لَهُم : مَاتَ وَٱلسَّلَامُ

البقرة الغارقة

٣٤٩ حُكِيَ فِي ٱلإِحيَاءِ أَنَّ شَخصًا كَانَ لَهُ بَقَرَةٌ وَكَانَ يَشُوبُ لَبَنَهَا بِٱلمَاءِ وَيَبِيعُهُ . فَجَاءَ ٱلسَّيلُ فِي بَعضِ ٱلأَودِيَةِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ تَرعَى فَمَرَّ عَلَيهَا فَغَرَّقَهَا . فَجَلَسَ صَاحِبُهَا يَندُبُهَا . فَقَالَ لَهُ بَعضُ بَنِيهِ : يَا أَبَتِ لَا

مُلُوكُهَا ورَعِيَّتُهَا كَذٰلِكَ حَتَّى تَنَصَّرَ قُسْطَنْطِينُ وَحَمَلَهُمْ عَلَى دِينِ ٱلنَّصَارَى فَتَنَصَّرُوا عَلَى آخِرِهِمْ . وَمِنْ أُمَمِ ٱلنَّصَارَى (ٱلْأَرْمَنُ) كَانُوا بِأَرْمِينِيَةَ . وَقَاعِدَةُ مَمْلَكَتِهَا خِلَاطُ . وَلَمَّا مَلَكْنَاهَا صَارُوا فِيهَا رَعِيَّةً . ثُمَّ تَغَلَّبُوا وَمَلَكُوا مِنَّا طَرَسُوسَ وَٱلْمَصِيصَةَ وَبِلَادَ سِيسَ مَدِينَةً بِقَلْعَةٍ حَصِينَةٍ هِيَ كُرْسِيُّ مُلْكِهِمْ فِي زَمَانِنَا هٰذَا . وَمِنْهَا (ٱلْكَرَجُ) بِلَادُهُمْ مُجَاوِرَةٌ لِبِلَادِ خِلَاطَ إِلَى ٱلْخَلِيجِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيِّ وَإِلَى نَحْوِ ٱلشَّمَالِ . وَلَهُمْ جِبَالٌ مَنِيعَةٌ وَقِلَاعٌ حَصِينَةٌ . وَٱلْغَالِبُ عَلَيْهِمِ ٱلنَّصْرَانِيَّةُ . يَلِي مُلْكَهُمُ ٱلرِّجَالُ وَٱلنِّسَاءُ بِٱلْوِرَاثَةِ . وَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي صُلْحِ ٱلتَّتَارِ ٱلْيَوْمَ . وَمِنْهَا (ٱلْجَرْكَسُ) عَلَى شَرْقِيِّ بَحْرِ نِيطِشَ فِي شَظَفٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ غَالِبُهُمْ نَصَارَى . وَمِنْهَا (ٱلرُّوسُ) لَهُمْ جَزَائِرُ فِي بَحْرِ نِيطِشَ وَبَحْرِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَهُمْ بِلَادٌ شِمَالِيَّ ٱلْبَحْرِ . وَمِنْهَا (ٱلْبُلْغَارُ) نِسْبَةً إِلَى مَدِينَةٍ يَسْكُنُونَهَا شِمَالِيَّ نِيطِشَ كَانَ غَالِبُهُمْ نَصَارَى فَأَسْلَمَ بَعْضُهُمْ . وَمِنْهَا (ٱلْأَلْمَانُ) أَكْبَرُ أُمَمِ ٱلنَّصَارَى غَرْبِيَّ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى ٱلشَّمَالِ جُنُودُهُمْ كَثِيرَةٌ . قَصَدَ مَلِكُهُمْ فِي مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلَةٍ صَلَاحَ ٱلدِّينِ بْنَ أَيُّوبَ فَهَلَكَ هُوَ وَغَالِبُ عَسْكَرِهِ فِي ٱلطَّرِيقِ . وَمِنْهَا (ٱلْبِرْجَانُ) أُمَّةٌ بَلْ أُمَمٌ طَاغِيَةٌ مُثَلِّثُونَ . بِلَادُهُمْ مُتَوَغِّلَةٌ فِي ٱلشَّمَالِ . سِيَرُهُمْ مُنْقَطِعَةٌ لِبُعْدِهِمْ عَنَّا وَجَفَاءِ طِبَاعِهِمْ . وَمِنْهَا (ٱلْفِرَنْجُ) أُمَمٌ أَصْلُ بِلَادِهِمْ فَرَنْجَةُ وَيُقَالُ فَرَنْسَةُ جِوَارَ جَزِيرَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ شِمَالِيَّهَا يُقَالُ لِمَلِكِهِمُ ٱلْفَرَنْسِيسُ . قَصَدَ دِيَارَ مِصْرَ وَأَخَذَ دِمْيَاطَ . ثُمَّ أَسَرَهُ ٱلْمُسْلِمُونَ

وَٱسْتَنْقَذُوا دِمْيَاطَ مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِ ٱلْمَلِكِ صَالِحٍ أَيُّوبَ بْنِ ٱلْكَامِلِ . وَقَدْ غَلَبَ ٱلْفَرَنْجُ عَلَى مُعْظَمِ ٱلْأَنْدَلُسِ . وَلَهُمْ فِي بَحْرِ ٱلرُّومِ جَزَائِرُ مَشْهُورَةٌ مِثْلُ صِقِلِّيَةَ وَقُبْرُسَ وَأَقْرِيطِشَ . وَمِنْهُمْ (ٱلْجَنَوِيَّةُ) نِسْبَةً إِلَى جَنَوَةَ مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ . وَبِلَادُهُمْ كَبِيرَةٌ غَرْبِيَّ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى بَحْرِ ٱلرُّومِ . وَمِنْهُمْ (ٱلْبَنَادِقَةُ) مَدِينَتُهُمُ ٱلْبُنْدُقِيَّةُ عَلَى خَلِيجٍ مِنْ بَحْرِ ٱلرُّومِ تَمْتَدُّ نَحْوَ سَبْعِمِائَةِ مِيلٍ فِي جِهَةِ ٱلشِّمَالِ وَٱلْغَرْبِ . وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ جَنَوَةَ فِي ٱلْبَرِّ . بَيْنَهُمَا ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ (لابن الوردي)

ذكر امم الهنود وتقاسيمهم وعوائدهم

٣٨٠ أُمَمُ ٱلْهِنْدِ فِرَقٌ مِنْهُمْ (ٱلْبَاسَوِيَّةُ) . زَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ رَسُولًا مَلَكًا رُوحَانِيًّا نَزَلَ بِصُورَةِ ٱلْبَشَرِ أَمَرَهُمْ بِتَعْظِيمِ ٱلنَّارِ وَٱلتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِٱلطِّيبِ وَٱلذَّبَائِحِ . وَنَهَاهُمْ عَنِ ٱلْقَتْلِ وَٱلذَّبْحِ لِغَيْرِ ٱلنَّارِ . وَسَنَّ لَهُمْ أَنْ يَتَوَشَّحُوا بِخَيْطٍ يَعْقِدُونَهُ مِنْ مَنَاكِبِهِمِ ٱلْأَيَامِنِ إِلَى تَحْتِ شَمَائِلِهِمْ . وَعَظَّمَ ٱلْبَقَرَ وَأَمَرَ بِٱلسُّجُودِ لَهَا حَيْثُ رَأَوْهَا . وَمِنْهُمْ (ٱلْبَهُودِيَّةُ) يَقُولُونَ : ٱلْأَشْيَاءُ كُلُّهَا صُنْعُ ٱلْخَالِقِ فَلَا يَعَافُونَ شَيْئًا . وَيَتَقَلَّدُونَ بِعِظَامِ ٱلنَّاسِ وَيَمْسَحُونَ رُؤُوسَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ بِٱلرَّمَادِ . وَمِنْهُمْ (عَبَدَةُ ٱلشَّمْسِ وَعَبَدَةُ ٱلْقَمَرِ) . وَمِنْهُمْ (عَبَدَةُ ٱلْأَصْنَامِ) وَهُمْ مُعْظَمُهُمْ لِكُلِّ طَائِفَةٍ صَنَمٌ . وَأَشْكَالُ ٱلْأَصْنَامِ مُخْتَلِفَةٌ . وَمِنْهُمْ (عُبَّادُ ٱلْمَاءِ ٱلْجَلْهَكِينِيَّةُ) . يَزْعُمُونَ أَنَّ ٱلْمَاءَ مَلَكٌ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ . إِذَا أَرَادَ ٱلرَّجُلُ عِبَادَةَ ٱلْمَاءِ تَجَرَّدَ وَدَخَلَ ٱلْمَاءَ إِلَى وَسَطِهِ .

وَيُقِيمُ سَاعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَمَعَهُ رَيَاحِينُ يُقَطِّعُهَا صِغَارًا وَيُلْقِيهَا فِيهِ. وَهُوَ يُسَبِّحُ وَيَقْرَأُ. وَإِذَا أَرَادَ الِانْصِرَافَ حَرَّكَ الْمَاءَ بِيَدِهِ. ثُمَّ نَقَّطَ مِنْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَسَجَدَ وَانْصَرَفَ. وَمِنْهُمْ (عُبَّادُ النَّارِ الْأَكْنُوطِرِيَّةُ). عِبَادَتُهُمْ أَنْ يَحْفِرُوا أُخْدُودًا مُرَبَّعًا وَيُؤَجِّجُوا بِهِ النَّارَ ثُمَّ لَا يَدَعُونَ طَعَامًا لَذِيذًا وَلَا ثَوْبًا فَاخِرًا وَلَا شَرَابًا لَطِيفًا وَلَا عِطْرًا فَائِحًا وَلَا جَوْهَرًا نَفِيسًا إِلَّا طَرَحُوهُ فِي تِلْكَ النَّارِ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا. وَحَرَّمُوا إِلْقَاءَ النُّفُوسِ فِيهَا خِلَافًا لِطَائِفَةٍ أُخْرَى. وَمِنْهُمْ (الْبَرَاهِمَةُ) أَصْحَابُ فِكْرَةٍ وَعِلْمٍ بِالْفَلَكِ وَالنُّجُومِ. تُخَالِفُ طَرِيقَتُهُمْ مُنَجِّمِي الرُّومِ وَالْعَجَمِ. لِأَنَّ أَكْثَرَ أَحْكَامِهِمْ بِاتِّصَالَاتِ الثَّوَابِتِ دُونَ السَّيَّارَاتِ. يُعَظِّمُونَ أَمْرَ الْفِكْرِ وَيَقُولُونَ: هُوَ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمَحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ. وَيَجْتَهِدُونَ فِي صَرْفِ الْفِكْرِ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ لِيَتَجَرَّدَ الْفِكْرُ عَنْ هٰذَا الْعَالَمِ وَيَتَجَلَّى لَهُ ذٰلِكَ الْعَالَمُ. فَرُبَّمَا يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ (للشهرستاني)

٣٨١ وَمِنْ عَوَائِدِ أُمَمِ الْهِنْدِ إِقَامَةُ عِيدٍ كَبِيرٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ. فَيَخْرُجُ أَهْلُ الْبَلَدِ جَمِيعًا مِنْ شَيْخٍ وَشَابٍّ وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ إِلَى صَحْرَاءَ خَارِجَ الْبَلَدِ فِيهَا حَجَرٌ كَبِيرٌ مَنْصُوبٌ. فَيُنَادِي مُنَادِي الْمَلِكِ لَا يَصْعَدْ عَلَى هٰذَا الْحَجَرِ إِلَّا مَنْ حَضَرَ الْعِيدَ السَّابِقَ قَبْلَ هٰذَا. فَرُبَّمَا جَاءَ الشَّيْخُ الْهَرِمُ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَعَمِيَ بَصَرُهُ أَوِ الْعَجُوزُ الشَّوْهَاءُ وَهِيَ تَرْتَعِضُ مِنَ الْكِبَرِ. فَيَصْعَدَانِ عَلَى ذٰلِكَ الْحَجَرِ أَوْ أَحَدُهُمَا وَرُبَّمَا لَا يَجِيءُ أَحَدٌ وَيَكُونُ قَدْ فَنِيَ ذٰلِكَ الْقَرْنُ بِأَسْرِهِ. فَمَنْ صَعِدَ عَلَى ذٰلِكَ

ٱلْحَجَرِ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتٍ : قَدْ حَضَرْتُ ٱلْعِيدَ ٱلسَّابِقَ وَأَنَا طِفْلٌ صَغِيرٌ وَكَانَ مَلِكُنَا فُلَانًا وَوَزِيرُنَا فُلَانًا . ثُمَّ يَصِفُ ٱلْأُمَّةَ ٱلسَّابِقَةَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْقَرْنِ كَيْفَ طَحَنَهُمُ ٱلْمَوْتُ وَأَهْلَكَهُمُ ٱلْبَلَاءُ وَصَارُوا تَحْتَ ٱلثَّرَى . ثُمَّ يَقُومُ خَطِيبُهُمْ فَيَعِظُ ٱلنَّاسَ وَيُذَكِّرُهُمْ بِٱلْمَوْتِ وَغُرُورِ ٱلدُّنْيَا وَتَقَلُّبِهَا بِأَهْلِهَا . فَيَكْثُرُ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلْبُكَاءُ وَذِكْرُ ٱلْمَوْتِ وَٱلتَّأَسُّفُ عَلَى صُدُورِ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْغَفْلَةِ عَنْ ذَهَابِ ٱلْعُمْرِ . ثُمَّ يَتُوبُونَ وَيُكْثِرُونَ ٱلصَّدَقَاتِ وَيَخْرُجُونَ مِنَ ٱلتَّبِعَاتِ (لبهاء الدين العاملي)

٣٨٢ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ فِي مَمْلَكَةِ بَلْهَرَا وَغَيْرِهِ مِنْ مُلُوكِ ٱلْهِنْدِ مَنْ يُحْرِقُ نَفْسَهُ بِٱلنَّارِ . وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِمْ بِٱلتَّنَاسُخِ وَتَمَكُّنِهِ فِي قُلُوبِهِمْ وَزَوَالِ ٱلشَّكِّ فِيهِ عَنْهُمْ . وَفِي مُلُوكِهِمْ مَنْ إِذَا قَعَدَ لِلْمُلْكِ طُبِخَ لَهُ أَرُزٌّ ثُمَّ وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى وَرَقِ ٱلْمَوْزِ . وَيَنْتَدِبُ مِنْ أَصْحَابِهِ ٱلثَّلَاثُمِائَةِ وَٱلْأَرْبَعُمِائَةِ بِٱخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ لَا بِإِكْرَاهٍ مِنَ ٱلْمَلِكِ لَهُمْ . فَيُعْطِيهِمِ ٱلْمَلِكُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْأَرُزِّ بَعْدَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ . وَيَتَقَرَّبُ رَجُلٌ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَيَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا فَيَأْكُلُهُ . فَيَلْزَمُ كُلَّ مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذَا ٱلْأَرُزِّ إِذَا مَاتَ ٱلْمَلِكُ أَوْ قُتِلَ أَنْ يُحْرِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِٱلنَّارِ عَنْ آخِرِهِمْ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ . لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ . وَإِذَا عَزَمَ ٱلرَّجُلُ عَلَى إِحْرَاقِ نَفْسِهِ صَارَ إِلَى بَابِ ٱلْمَلِكِ فَٱسْتَأْذَنَ . ثُمَّ دَارَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَقَدْ أُجِّجَتْ لَهُ ٱلنَّارُ فِي حَطَبٍ جَزْلٍ كَثِيرٍ . عَلَيْهَا رِجَالٌ يَقُومُونَ بِإِيقَادِهَا حَتَّى تَصِيرَ كَٱلْعَقِيقِ حَرَارَةً وَٱلْتِهَابًا . ثُمَّ يَعْدُو

وَبَيْنَ يَدَيْهِ ٱلصُّنُوجُ دَائِرًا فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَقَدِ ٱحْتَوَشَهُ أَهْلُهُ وَذَوُو قَرَابَتِهِ. وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلًا مِنَ ٱلرَّيْحَانِ يَمْلَأُهُ جَمْرًا وَيَصُبُّ عَلَيْهِ ٱلسَّنْدَرُوسَ وَهُوَ مَعَ ٱلنَّارِ كَٱلنَّفْطِ. وَيَمْشِي وَهَامَتُهُ تَحْتَرِقُ وَرَوَائِحُ لَحْمِ رَأْسِهِ تَفُوحُ وَهُوَ لَا يَتَغَيَّرُ فِي مِشْيَتِهِ. وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ جَزَعٌ حَتَّى يَأْتِيَ ٱلنَّارَ فَيَثِبَ فِيهَا فَيَصِيرَ رَمَادًا. فَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ أَرَادَ دُخُولَ ٱلنَّارِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا أَخَذَ ٱلْخَنْجَرَ فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِ فُؤَادِهِ فَشَقَّهُ بِيَدِهِ. ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ ٱلْيُسْرَى فَقَبَضَ عَلَى كَبِدِهِ فَجَذَبَ مِنْهَا مَا تَهَيَّأَ لَهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ. ثُمَّ قَطَعَ بِٱلْخَنْجَرِ مِنْهَا قِطْعَةً فَدَفَعَهَا إِلَى أَخِيهِ ٱسْتِهَانَةً بِٱلْمَوْتِ. وَصَبَرَ عَلَى ٱلْأَلَمِ ثُمَّ زَجَّ بِنَفْسِهِ فِي ٱلنَّارِ إِلَى لَعْنَةِ ٱللهِ. وَمِنْ عَوَائِدِهِمِ ٱلْقِمَارُ بِٱلدِّيَكَةِ وَٱلنَّرْدِ وَٱلدِّيَكَةُ عِنْدَهُمْ عَظِيمَةُ ٱلْأَجْسَامِ وَافِرَةُ ٱلصَّيَاصِي. يَسْتَعْمِلُونَ لَهَا مِنَ ٱلْخَنَاجِرِ ٱلصِّغَارِ ٱلْمُرْهَفَةِ مَا يُشَدُّ عَلَى صَيَاصِيهَا ثُمَّ تُرْسَلُ. وَقِمَارُهُمْ فِي ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْأَرَضِينَ وَٱلنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ. فَيَبْلُغُ ٱلدِّيكُ ٱلْغَالِبُ جُمْلَةً مِنَ ٱلذَّهَبِ (مروج الذهب للمسعودي)

نبذة من عوائد السودان

٣٨٣ إِنَّ عَاصِمَةَ مُلْكِ ٱلسُّودَانِ تُسَمَّى بِٱلْغَابَةِ وَيَكْتَنِفُهَا ٱلْحَدَائِقُ وَٱلْمَسَاكِنُ وَبِنَاءُ بُيُوتِهِمْ بِٱلْحِجَارَةِ وَخَشَبِ ٱلسَّنْطِ. وَلِلْمَلِكِ قَصْرٌ وَقِبَابٌ وَقَدْ أَحَاطَ بِذٰلِكَ كُلِّهِ حَائِطٌ كَٱلسُّورِ. وَحَوْلَ مَدِينَةِ ٱلْمَلِكِ غَابَاتٌ وَشَعْرَاءُ يَسْكُنُ فِيهَا سَحَرَتُهُمْ وَهُمُ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ دِينَهُمْ. وَفِيهَا

دكاكيرهم وقبور ملوكهم . ولتلك الغابات حرس ولا يمكن أحداً دخولها ولا معرفة ما فيها . وهناك سجون الملك فإذا سجن فيها أحداً انقطع عن الناس خبره . وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه . ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولي عهده . ويلبس سائر الناس ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر أحوالهم . وهم أجمع يحلقون لحاهم . وملكهم يتحلى بحلي النساء في العنق والذراعين . ويجعل على رأسه الطراطير المذهبة عليها عمائم القطن الرفيعة . وهو يجلس للناس والمظالم في قبة . ويكون حوالي القبة عشرة أفراس بثياب مذهبة . ووراء الملك عشرة من الغلمان يحملون الحجف والسيوف المحلاة بالذهب . وعن يمينه أولاد ملوك بلده قد ضفروا على رؤوسهم الذهب وعليهم الثياب الرفيعة . ووالي المدينة بين يدي الملك جالس في الأرض وحواليه الوزراء . وعلى باب القبة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه . في أعناقها سواجير الذهب والفضة يكون في الساجور عدد رمانات ذهب وفضة . وهم ينذرون بجلوسه بطبل وهو خشبة طويلة منقورة فيجتمع الناس . فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له . وديانتهم المجوسية وعبادة الدكاكير وإذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره . ثم أتوا به

عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلِ ٱلْفُرُشِ وَٱلْوِطَاءِ فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ ٱلْقُبَّةِ . وَوَضَعُوا مَعَهُ حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَآنِيَتَهُ ٱلَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ . وَأَدْخَلُوا فِيهَا ٱلْأَطْعِمَةَ وَٱلْأَشْرِبَةَ وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رِجَالًا مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ . وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِم بَابَ ٱلْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ ٱلْقُبَّةِ ٱلْحُصُرَ وَٱلْأَمْتِعَةَ . ثُمَّ ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ فَرَدَمُوا فَوْقَهَا بِٱلتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَٱلْجَبَلِ ٱلضَّخْمِ . ثُمَّ يُخَنْدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى ذٰلِكَ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَهُمْ يَذْبَحُونَ لِمَوْتَاهُمُ ٱلذَّبَائِحَ وَيُقَرِّبُونَ لَهُمُ ٱلْخُمُورَ

(المسالك والممالك للبكري)

فائدة فيما خُصَّت بهِ كل بلدةٍ

٣٨٤ يُقَالُ : أَفَاعِي سِجِسْتَانَ . وَثَعَابِينُ مِصْرَ . وَذُبَابُ تَلِّ قَافِلٍ . وَأَوزُّ غِيلَةَ . وَيُقَالُ : بُرُودُ ٱلْيَمَنِ . وَقُبَاطِيُّ مِصْرَ . وَدِيبَاجُ ٱلرُّومِ . وَخَزُّ ٱلسُّوسِ . وَحَرِيرُ ٱلصِّينِ . وَمِلْحُ مَرْوَ . وَأَكْسِيَةُ فَارِسَ . وَحُلَلُ أَصْبَهَانَ . وَسِقْلَاطُونِيُّ بَغْدَادَ . وَعَمَائِمُ ٱلْأُبُلَّةِ . وَيُقَالُ : سِنْجَابُ خِرْخِيزَ . وَسَمُّورُ بُلْغَارَ . وَثَعَالِبُ ٱلْخَزَرِ . وَفَنَكُ كَاشْغَرَ . وَحَوَاصِلُ هَرَاةَ . وَقَاقُمُ ٱلتَّغَزْغُزِ . وَيُقَالُ : عِتَاقُ ٱلْبَادِيَةِ . وَنَجَائِبُ ٱلْحِجَازِ . وَحَمِيرُ مِصْرَ . وَبَرَاذِينُ طَخَارِسْتَانَ . وَبِغَالُ بَرْذَعَةَ . وَيُقَالُ : سُكَّرُ ٱلْأَهْوَازِ . وَعَسَلُ أَصْفَهَانَ . وَقَصَبُ مِصْرَ . وَدِبْسُ أَرَّجَانَ . وَرُطَبُ ٱلْعِرَاقِ . وَعُنَّابُ جُرْجَانَ . وَتَمْرُ كِرْمَانَ . وَإِجَّاصُ بُسْتَ . وَسَفَرْجَلُ نَيْسَابُورَ . وَتُفَّاحُ ٱلشَّامِ . وَمِشْمِشُ طُوسَ . وَكُمَّثْرَى نَهَاوَنْدَ . وَنَارَنْجُ ٱلْبَصْرَةِ . وَفُشُوشُ

هَرَاةَ . وَأُتْرُجُّ طَبَرِسْتَانَ . وَتِينُ حُلْوَانَ . وَعِنَبُ بَغْدَادَ . وَمَوْزُ ٱلْيَمَنِ . وَوَرْدُ جُورَ . وَنَيْلُوفَرُ شَرْوَانَ . وَزَعْفَرَانُ قُمَّ . وَتَمْرُ حِنَّاءِ مَكَّةَ . وَيُقَالُ: طَوَاعِينُ ٱلشَّامِ . وَطُحَالُ ٱلْبَحْرَيْنِ . وَحُمَّى خَيْبَرَ . وَدَمَامِلُ ٱلْجَزِيرَةِ . وَعِرْقُ مَكَّةَ . وَوَبَاءُ مِصْرَ . وَبِرْسَامُ ٱلْعِرَاقِ . وَقُرُوحُ بَلْخَ . وَٱلنَّارُ ٱلْفَارِسِيَّةُ . وَيُقَالُ : شِتَاءُ أَرْمِيَةَ . وَمَصِيفُ مِصْرَ . وَصَوَاعِقُ تِهَامَةَ . وَزَلْزَالُ ٱلدَّيْبُلِ . وَيُقَالُ: شُقْرَةُ ٱلرُّومِ . وَسَوَادُ ٱلزَّنْجِ . وَغِلَظُ ٱلتُّرْكِ . وَجَفَاءُ ٱلْخُتَّلِ . وَدَمَامَةُ ٱلصِّينِ . وَلَطَافَةُ بَغْدَادَ . وَقِصَرُ يَأْجُوجَ . وَطُولُ مَأْجُوجَ . وَذَكَاءُ مِصْرَ . وَبَلَادَةُ ٱلشَّامِ . وَحَمَاقَةُ ٱلْحَبَشِ . وَيُقَالُ: رُطَبُ تُوتَ . وَرُمَّانُ بَابَهَ . وَمَوْزُ هَتُورَ . وَسَمَكُ كِيهَكَ . وَلَبَنُ بَرْمَهَاتَ . وَنَبِقُ بَشَنْسَ (*) (الكنز المدفون)

(*) ومن قبيل تفرُّد البلاد تفرُّد الناس . قال الصفَديُّ : جماعة رُزِقوا السعادة في اشياء لم يأتِ بعدهم مَن نالها مثلهم . عليٌّ بن أَبي طالب في القضاء . ابو عُبَيدة في الأَمانة . ابو ذَرٍّ في صدق اللهجة . أُبَيُّ بن كعب في القرآن . زيد بن ثابت في الفرائض . ابن عبَّاس في تفسير القرآن . الحَسَن البصريّ في التذكير . وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ في القِصص . ابن سيرين في التعبير . نافع في القِراءَة . ابو حنيفة في الفِقه قياسًا . ابن اسحاق في المَغازي . مُقاتل في التأويل . ابن الكلبيّ الصغير في النسَب . ابو الحسن المدائني في الأَخبار . محمَّد بن جرير الطبريّ في علوم الأَثر . الخليل في العَروض . الفُضيَل بن عياضٍ في العِبادة . مالك بن أَنَس في العلم . الشافعي في فِقه الحديث . أَبو عُبَيدة في الغريب . عليّ بن المديني في عِلَل الحديث . يحيى بن مَعين في الرجال . أَحمد بن حنبَل في السُنَّة . البخاريّ في نقد الحديث الصحيح . أَلجُنَيد في التصوُّف . محمَّد بن نصر المَرْوَزي في الاختلاف . الجُبَّائي في الاعتزال . الأَشعريّ في الكلام . ابو القاسم الطبراني في العوالي . عبد الرزَّاق في ارتحال الناس اليهِ . ابن مَندَه في سعَة الرِحلة . أَبو بكر الخطيب في سرعة الخطابة . سِيبَوَيه في النحو . أَبو الحَسَن البكريّ في الكذِب . أياس في التفرُّس . عبد الحميد في الكِتابة . أَبو مُسْلِم الخُرَاسانيُّ في علوّ الهمَّة والحزم . المَوصليّ النديم في الغناء . أَبو الفَرَج

العقعق السارق

٣٨٥ حَدَّثَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ لِي وَأَنَا صَبِيٌّ عَقْعَقٌ قَدْ رَبَّيْتُهُ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ سَمِعَهُ. فَسَرَقَ خَاتَمَ يَاقُوتٍ كَانَ أَبِي وَضَعَهُ عَلَى حَجَرٍ لِيَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَجِدْهُ. فَطَلَبَهُ وَضَرَبَ غُلَامَهُ ٱلَّذِي كَانَ وَاقِفًا فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ. فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي دَارِنَا إِذْ أَبْصَرْتُ ٱلْعَقْعَقَ قَدْ نَبَشَ تُرَابًا. فَأَخْرَجَ ٱلْخَاتَمَ مِنْهُ وَلَعِبَ بِهِ طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ فِيهِ وَدَفَنَهُ. فَأَخَذْتُهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَى أَبِي فَسُرَّ بِذٰلِكَ وَقَالَ يَهْجُو ٱلْعَقْعَقَ:

الأَصبهانيّ صاحب الأَغانيّ في المحاضرة . أبو مَعشَر في النجوم . الرازيّ في الطِبّ . الفضل بن يحيى في الجُود . جعفر بن يحيى في التوقيع . ابن زيدون في سَعَة العبارة . ابن القرّية في البلاغة . الجاحظ في الأَدب والبيان . الحريريّ في المقامات . البديع الهَمَذانيّ في الحِفظ . ابو نواس في المطايبات والهزل . ابن حجّاج في سخف الأَلفاظ . المتنبي في الحِكَم والأَمثال شِعرًا . ألزّمخشريّ في تعاطي العربيّة . ألدَسَنيّ في الجَدَل . جريرٌ في الهجاء الخبيث . حمَّاد الراوية في شعر العرب . معاوية في الحلم . المأمون في حُبّ العَفو . عمرو بن العاص في الدَّهاء . الوليد في شرب الخمر . ابو موسى الأَشعريّ في سلامة الباطن . عِطاء السلِميّ في الخوف من الله . ابن البوَّاب في الكتابة . القاضي الفاضل في الترسُّل . العِماد الكاتب في الجِناس . ابن الجَوزيّ في الوعظ . أشعَب في الطمع . ابو نصر الفارابي في نقل كلام القُدَماء ومعرفتِهِ وتفسيرِهِ . حُنَين بن اسحاق في ترجمة اليونانيّ الى العربي . ثابت بن قرّة في تهذيب ما نُقِل من الرياضي الى العربيّ . ابن سِينا في الفلسفة وعلوم الأَوائل . الإمام فخر الدين في الاطّلاع على العلوم . السيف الآمدي في التحقيق . النصير الطُوسيّ في المجسطي . ابن الهيثم في الرياضيّ . نجم الدين الكاتبيّ في المنطق . ابو العلا المَعَريّ في الاطّلاع على اللغة . أبو العَيناء في الأَجوِبة المُسكِتة . مزيد في البخل القاضي احمد بن ابي دؤاد في المروءة وحسن التقاضي . ابن المعتزّ في التشبيه . ابن الرومي في النظير . الصوليّ في الشطرنج . ابو محمَّد الغزَّالي في الجمع بين المنقول والمعقول . ابو الوليد بن رشد في تخليص كتب الاقدمين الفلسفيَّة والطبيَّة . محيي الدين بن عربيّ في التصوُّف (لبهاء الدين)

إِذَا بَارَكَ ٱللهُ فِي طَائِرٍ   فَلَا بَارَكَ ٱللهُ فِي ٱلْعَقْعَقِ
طَوِيلُ ٱلذُّنَابَى قَصِيرُ ٱلْجَنَاحِ   مَتَى مَا يَجِدْ غَفْلَةً يَسْرِقِ
يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ   كَأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زِئْبَقِ

(الاغاني)

قصة اصحاب الكهف (٢٥١)

٣٨٦ كَانَ لِلرُّومِ مَلِكٌ ٱسْمُهُ دِقْيَانُوسُ (دِسْيوس) وَكَانَ يَعْبُدُ ٱلْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُ لِلطَّوَاغِيتِ. وَكَانَ يَنْزِلُ قُرَى ٱلرُّومِ وَلَا يَتْرُكُ فِيهَا أَحَدًا مُؤْمِنًا إِلَّا فَتَنَهُ حَتَّى يَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ. فَنَزَلَ يَوْمًا مَدِينَةَ أَصْحَابِ ٱلْكَهْفِ وَهِيَ أَفْسُوسُ وَكَانَ فِيهَا بَقَايَا عَلَى دِينِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ يَعْبُدُونَ ٱللهَ. فَهَرَبَ مِنْهُ أَهْلُ ٱلْإِيمَانِ. وَكَانَ حِينَ قَدِمَ ٱلْمَدِينَةَ ٱتَّخَذَ شُرْطَةً مِنَ ٱلْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِهَا يَتَتَبَّعُونَ أَهْلَ ٱلْإِيمَانِ فِي أَمَاكِنِهِمْ. فَمَنْ وَقَعَ بِهِ ٱلْمَلِكُ خَيَّرَهُ بَيْنَ ٱلْقَتْلِ وَعِبَادَةِ ٱلْأَصْنَامِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْغَبُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْبَى فَيُقْتَلُ. ثُمَّ أَمَرَ بِأَجْسَادِهِمْ أَنْ تُعَلَّقَ عَلَى سُورِ ٱلْمَدِينَةِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ

فَٱتَّفَقَ أَنَّ سَبْعَةَ فِتْيَانٍ مِنْ أَوْلَادِ ٱلْبَطَارِقَةِ مِنْ أَشْرَافِ ٱلْقَوْمِ خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ لِيَنْظُرُوا إِلَى ٱلْمُعَذَّبِينَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ. فَفَتَحَ ٱللهُ أَبْصَارَهُمْ فَكَانُوا يَرَوْنَ ٱلرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ هَبَطَتْ إِلَيْهِ ٱلْمَلَائِكَةُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَعَرَجُوا بِرُوحِهِ فَآمَنُوا. فَتَضَرَّعُوا إِلَى ٱللهِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. أَللّٰهُمَّ ٱكْشِفْ عَنْ عِبَادِكَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةَ وَٱدْفَعِ ٱلْبَلَاءَ وَٱلْغَمَّ عَنْ

ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِكَ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَٰلِكَ إِذْ أَدْرَكَهُمُ ٱلشُّرْطَةُ وَكَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي مُصَلًّى لَهُمْ فَوَجَدُوهُمْ سَجَدُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فَلَمَّا عَثَرَ عَلَيْهِمِ ٱلْمَلِكُ قَالَ لَهُمْ: مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا آلِهَتَنَا فَاخْتَارُوا إِمَّا أَنْ تَذْبَحُوا لِآلِهَتِنَا وَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَكُمْ. فَقَالَ مَكْسَلْمِينَا وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ: إِنَّ لَنَا إِلٰهًا مَلَأَتِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ عَظَمَتُهُ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا. أَمَّا ٱلطَّوَاغِيتُ وَعِبَادَتُهَا فَلَنْ نَعْبُدَهَا أَبَدًا فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. فَلَمَّا قَالَ ذَٰلِكَ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ فَنُزِعَ مِنْهُمُ ٱلْمَلْبُوسُ ٱلَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ لُبُوسِ عُظَمَائِهِمْ وَقَالَ: إِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَإِنِّي سَأُؤَخِّرُكُمْ وَأَفْرُغُ لَكُمْ وَأُنْجِزُكُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ. وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُعَجِّلَ ذَٰلِكَ إِلَّا أَنِّي أَرَاكُمْ شَبَابًا حَدِيثَةً أَسْنَانُكُمْ. فَلَا أُحِبُّ أَنْ أُهْلِكَكُمْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلًا تَتَذَاكَرُونَ فِيهِ وَتُرَاجِعُونَ عُقُولَكُمْ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَأُخْرِجُوا مِنْ عِنْدِهِ. وَٱنْطَلَقَ دِقْيَانُوسُ إِلَى مَدِينَةٍ سِوَى مَدِينَتِهِمْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ

فَلَمَّا عَلِمَ ٱلْفِتْيَةُ أَنَّ دِقْيَانُوسَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِمِ ٱئْتَمَرُوا أَنْ يَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَتَصَدَّقُوا مِنْهَا ثُمَّ يَتَزَوَّدُوا بِمَا بَقِيَ. ثُمَّ يَنْطَلِقُوا إِلَى كَهْفٍ قَرِيبٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ فَيَمْكُثُونَ فِيهِ وَيَعْبُدُونَ ٱللهَ تَعَالَى. حَتَّى إِذَا جَاءَ دِقْيَانُوسُ أَتَوْهُ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهِمْ مَا شَاءَ. فَلَمَّا جَنَّهُمُ ٱللَّيْلُ خَرَجُوا إِلَى ٱلْجَبَلِ وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُمْ إِلَى فَتًى مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ تَمْلِيخَا. فَكَانَ يَبْتَاعُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ. وَكَانَ

مِنْ أَجْمَلِهِمْ وَأَجْلَدِهِمْ . وَكَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ لَبِسَ ثِيَابَ ٱلْمَسَاكِينِ وَٱشْتَرَى طَعَامَهُمْ وَتَجَسَّسَ لَهُمُ ٱلْأَخْبَارَ . فَلَبِثُوا كَذٰلِكَ زَمَانًا . ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ ٱلْمَلِكَ يَتَطَلَّبُهُمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدَارَسُونَ إِذْ ضَرَبَ ٱللهُ عَلَى آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ . فَوَقَفَ ٱلْمَلِكُ عَلَى أَمْرِهِمْ فَأَلْقَى إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِٱلْكَهْفِ فَيُسَدَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا جُوعًا وَعَطَشًا . وَقَدْ تَوَفَّى ٱللهُ أَرْوَاحَهُمْ وَفَاةَ ٱلنَّوْمِ . ثُمَّ عَمَدَ رَجُلَانِ مُؤْمِنَانِ كَانَا فِي بَيْتِ ٱلْمَلِكِ فَكَتَبَا شَأْنَ ٱلْفِتْيَةِ وَأَسْمَاءَهُمْ وَأَنْسَابَهُمْ فِي رَقِيمٍ . وَجَعَلَاهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَاهُ فِي ٱلْبُنْيَانِ . وَنَامُوا ثَلَاثَمِائَةَ سَنَةٍ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا وَٱفْتَقَدَهُمُ ٱلْمَلِكُ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَلَكَ أَهْلَ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ تَاوَذُوسِيُوسُ . وَتَحَزَّبَ ٱلنَّاسُ فِي مُلْكِهِ أَحْزَابًا فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلسَّاعَةَ حَقٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَذِّبُ . فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا لَمَّا رَأَى أَهْلَ ٱلْبَاطِلِ يَزِيدُونَ وَيَظْهَرُونَ عَلَى أَهْلِ ٱلْحَقِّ . وَيَقُولُونَ : لَا حَيَاةَ إِلَّا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا . وَإِنَّمَا تُبْعَثُ ٱلْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ ٱلْأَجْسَادُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّحْمَانَ ٱلرَّحِيمَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ ٱلْفِتْيَةَ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ شَأْنَهُمْ . وَيَجْعَلَهُمْ آيَةً لِيَعْلَمُوا بِهَا أَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا . فَأَلْقَى ٱللهُ فِي نَفْسِ رَجُلٍ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ حَظِيرَةً لِغَنَمِهِ . فَٱسْتَأْجَرَ عَامِلَيْنِ فَجَعَلَا يَنْزِعَانِ تِلْكَ ٱلْأَحْجَارَ وَيَبْنِيَانِ بِهَا تِلْكَ ٱلْحَظِيرَةَ . حَتَّى فَرَغَ مَا عَلَى فَمِ ٱلْكَهْفِ . فَلَمَّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ

ٱلْبَابَ أَذِنَ ٱللهُ ذُو ٱلْقُدْرَةِ وَٱلْعَظَمَةِ وَٱلسُّلْطَانِ مُحْيِي ٱلْمَوْتَى أَنْ يَقُومَ ٱلْفِتْيَةُ • فَجَلَسُوا فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرَةً وُجُوهُهُمْ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ • فَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ • حَتَّى كَأَنَّمَا ٱسْتَيْقَظُوا مِنْ سَاعَتِهِمِ ٱلَّتِي كَانُوا يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا إِذَا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمِ ٱلَّتِي يَبِيتُونَ فِيهَا • ثُمَّ قَامُوا إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَصَلَّوْا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لَا يُرَى فِي وُجُوهِهِمْ وَلَا فِي أَبْشَارِهِمْ وَلَا أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ يَكْرَهُونَهُ • إِنَّمَا هُمْ كَهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا • وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَلِكَهُمْ دِقْيَانُوسَ ٱلْجَبَّارَ فِي طَلَبِهِمْ • فَلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ قَالَ لَهُمْ مَكْسَلْمِينَا : يَا إِخْوَتَاهُ ٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُو ٱللهِ فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِذَا دَعَاكُمْ غَدًا • ثُمَّ قَالَ لِتَمْلِيخَا : ٱنْطَلِقْ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْمَعْ مَا يَقُولُهُ ٱلنَّاسُ فِي شَأْنِنَا • فَتَلَطَّفْ وَلَا تُشْعِرَنَّ بِنَا أَحَدًا وَٱبْتَعْ لَنَا طَعَامًا وَأْتِنَا بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَالَنَا ٱلْجُوعُ • فَأَخَذَ تَمْلِيخَا ٱلثِّيَابَ ٱلَّتِي كَانَ يَتَنَكَّرُ فِيهَا وَأَخَذَ وَرِقًا مِنْ نَفَقَتِهِمِ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعَهُمُ ٱلَّتِي ضُرِبَتْ بِطَابَعِ دِقْيَانُوسَ • فَٱنْطَلَقَ تَمْلِيخَا خَارِجًا فَلَمَّا مَرَّ بِبَابِ ٱلْكَهْفِ رَأَى ٱلْحِجَارَةَ مَنْزُوعَةً عَنْ بَابِ ٱلْكَهْفِ، فَعَجِبَ مِنْهَا ثُمَّ مَرَّ فَلَمْ يُبَالِ بِهَا • حَتَّى أَتَى بَابَ ٱلْمَدِينَةِ مُسْتَخْفِيًا يَصُدُّ عَنِ ٱلطَّرِيقِ تَخَوُّفًا مِنْ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فَيَعْرِفَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ ٱلْجَبَّارِ • وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ دِقْيَانُوسَ وَأَهْلَهُ قَدْ هَلَكُوا قَبْلَ ذٰلِكَ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ • فَلَمَّا رَأَى تَمْلِيخَا بَابَ ٱلْمَدِينَةِ رَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى فَوْقَ ظَهْرِ ٱلْبَابِ عَلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ ٱلْإِيمَانِ • فَلَمَّا رَآهَا عَجِبَ وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْتَخْفِيًا • فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا مِمَّنْ يَعْرِفُهُ •

ثُمَّ تَرَكَ ذٰلِكَ ٱلْبَابَ وَتَحَوَّلَ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِهَا فَرَأَى مِثْلَ ذٰلِكَ. فَجَعَلَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّ ٱلْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِٱلَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا. وَرَأَى نَاساً كَثِيرِينَ مُحْدَثِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذٰلِكَ. فَجَعَلَ يَمْشِي وَيَتَعَجَّبُ مِنْهُمْ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيْرَانُ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ٱلْبَابِ ٱلَّذِي أَتَى مِنْهُ. فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيَّلُ وَيَقُولُ: يَالَيْتَ شِعْرِي أَمَا هٰذِهِ عَشِيَّةَ أَمْسِ كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ يُخْفُونَ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَةَ وَيَسْتَخْفُونَ بِهَا. فَأَمَّا ٱلْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ لَعَلِّي حَالِمٌ. ثُمَّ يَرَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ فَأَخَذَ كِسَاءَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ

ثُمَّ دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَمْشِي بَيْنَ ظَهْرَانَيْ سُوقِهَا فَيَسْمَعُ نَاساً كَثِيرِينَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ. ثُمَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ. فَزَادَهُ عَجَباً وَرَأَى كَأَنَّهُ حَيْرَانُ. فَقَامَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى جِدَارٍ مِنْ جُدْرَانِ ٱلْمَدِينَةِ وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: مَا أَدْرِي مَا هٰذَا أَمَّا عَشِيَّةَ أَمْسِ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ إِنْسَانٌ يَذْكُرُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ إِلَّا قُتِلَ. وَأَمَّا ٱلْغَدَاةَ فَأَسْمَعُ كُلَّ إِنْسَانٍ يَذْكُرُ أَمْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَلَا يَخَافُ. ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ هٰذِهِ لَيْسَتِ ٱلْمَدِينَةَ ٱلَّتِي أَعْرِفُهَا أَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِهَا وَلَا أَعْرِفُ أَحَداً مِنْهُمْ. مَا أَعْلَمُ مَدِينَةً أَقْرَبَ مِنْ مَدِينَتِنَا ثُمَّ قَامَ كَٱلْحَيْرَانِ لَا يَتَوَجَّهُ وَجْهاً. ثُمَّ لَقِيَ فَتًى مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ. فَقَالَ: يَافَتَى مَا ٱسْمُ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ. فَقَالَ: أَفْسُوسُ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ بِي مَسّاً أَوْ أَمْراً أَذْهَبَ عَقْلِي. ثُمَّ إِنَّهُ أَفَاقَ فَقَالَ: لَوْ عَجَّلْتُ ٱلْخُرُوجَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُفْطَنَ بِي لَكَانَ

أَكْيَسَ بِي . فَدَنَا مِنَ ٱلَّذِينَ يَبِيعُونَ ٱلطَّعَامَ فَأَخْرَجَ ٱلْوَرَقَ ٱلَّتِي كَانَتْ
مَعَهُ فَأَعْطَاهَا رَجُلاً مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ ٱللهِ بِعْنِي بِهٰذِهِ ٱلْوَرَقِ طَعَامًا .
فَأَخَذَهَا ٱلرَّجُلُ وَنَظَرَ إِلَى ضَرْبِ ٱلْوَرَقِ وَنَقْشِهَا وَعَجِبَ مِنْهَا . ثُمَّ
طَرَحَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَارَحُونَهَا بَيْنَهُمْ
مِنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ
وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ قَدْ أَصَابَ كَنْزًا خَبِيئًا فِي ٱلْأَرْضِ
مُنْذُ زَمَانٍ وَدَهْرٍ طَوِيلٍ . فَلَمَّا رَآهُمْ يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ فَرِقَ فَرَقًا
شَدِيدًا وَحَزِنَ حُزْنًا عَظِيمًا . وَجَعَلَ يَرْتَعِدُ وَيَظُنُّ أَنَّهُمْ فَطِنُوا بِهِ
وَعَرَفُوهُ . وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ . وَجَعَلَ أُنَاسٌ
آخَرُونَ يَأْتُونَهُ فَيَتَعَرَّفُونَهُ . فَقَالَ لَهُمْ : وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْفَرَقِ ٱقْضُوا لِي
حَاجَتِي فَقَدْ أَخَذْتُمْ وَرِقِي وَإِلَّا فَأَمْسِكُوا طَعَامَكُمْ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . فَقَالُوا
لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا فَتَى وَمَا شَأْنُكَ . إِنَّكَ لَقَدْ وَجَدْتَ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ
ٱلْأَوَّلِينَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُخْفِيَهُ عَنَّا فَٱنْطَلِقْ مَعَنَا وَشَارِكْنَا فِيهِ يَخِفَّ
عَلَيْكَ مَا وَجَدْتَ . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ نَأْتِ بِكَ ٱلسُّلْطَانَ فَنُسَلِّمَكَ إِلَيْهِ
فَيَقْتُلَكَ . فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ عَجِبَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : قَدْ وَقَعْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
أَحْذَرُ مِنْهُ . ثُمَّ قَالُوا : يَا فَتَى إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْتُمَ شَيْئًا وَجَدْتَهُ وَلَا
تَظُنَّ فِي نَفْسِكَ أَنْ سَنَخْفِي عَلَيْكَ . فَجَعَلَ تَمْلِيخَا لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ وَمَا
يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَفَرِقَ حَتَّى مَا يُحِيرُ إِلَيْهِمْ جَوَابًا . فَلَمَّا رَأَوْهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَخَذُوا
كِسَاءَهُ فَطَوَّقُوهُ فِي عُنُقِهِ . ثُمَّ جَعَلُوا يَقُودُونَهُ فِي سِكَكِ ٱلْمَدِينَةِ مُكَبَّلًا

حَتَّى سَمِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ فِيهَا. فَقِيلَ: أُخِذَ رَجُلٌ عِنْدَهُ كَنْزٌ. وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ: مَا هٰذَا الْفَتَى مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَا رَأَيْنَاهُ فِيهَا قَطُّ وَمَا نَعْرِفُهُ. فَجَعَلَ تَمْلِيخَا مَا يَدْرِي مَا يَقُولُ لَهُمْ مَعَ مَا سَمِعَ مِنْهُمْ. فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَرِقَ وَسَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ. وَلَوْ قَالَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُصَدَّقْ. وَكَانَ مُسْتَيْقِنًا أَنَّ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ بِالْمَدِينَةِ. وَأَنَّ حَسَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِهَا وَأَنَّهُمْ سَيَأْتُونَهُ إِذَا سَمِعُوا. وَقَدِ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ عَشِيَّةَ أَمْسِ كَانَ يَعْرِفُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا

فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ كَالْحَيْرَانِ يَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ إِمَّا أَبُوهُ أَوْ بَعْضُ إِخْوَتِهِ فَيُخَلِّصُهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِذِ اخْتَطَفُوهُ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى رَئِيسَيِ الْمَدِينَةِ وَمُدَبِّرَيْهَا اللَّذَيْنِ يُدَبِّرَانِ أَمْرَهَا. وَهُمَا رَجُلَانِ صَالِحَانِ اسْمُ أَحَدِهِمَا أَرْمُوسُ وَالْآخَرِ إِصْطَفُوسُ. فَلَمَّا انْطُلِقَ بِهِ إِلَيْهِمَا ظَنَّ تَمْلِيخَا أَنَّمَا يُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ الْجَبَّارِ مَلِكِهِمِ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ. فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَجَعَلَ النَّاسُ يَسْخَرُونَ بِهِ كَمَا يَسْخَرُونَ مِنَ الْمَجْنُونِ وَالْحَيْرَانِ. وَجَعَلَ تَمْلِيخَا يَبْكِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِلٰهَ السَّمَاءِ وَإِلٰهَ الْأَرْضِ أَفْرِغْ عَلَيَّ الْيَوْمَ صَبْرًا وَأَوْلِجْ مَعِي رُوحًا مِنْكَ تُؤَيِّدُنِي بِهِ عِنْدَ هٰذَا الْجَبَّارِ. وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: فُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي يَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا لَقِيتُ وَأَيْنَ يُذْهَبُ بِي. فَلَوْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ فَيَأْتُونِي فَنَقُومَ جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْ هٰذَا الْجَبَّارِ. فَإِنَّا كُنَّا

رافقنا لنكونَنَّ معًا لا نكفرُ بِٱللهِ ولا نعبدُ ٱلطَّوَاغِيتَ مِنْ دُونِ ٱللهِ عزَّ وَجلَّ . فُرِّقَ بيني وبينَهم فلمْ أرَهُمْ ولمْ يروني . وقد كنَّا توافقْنا أنْ لا نفترقَ في حياةٍ ولا موتٍ أبدًا . يا ليتَ شِعري ما هُوَ فاعِلٌ بي أقاتِلي أمْ لا

ثُمَّ ٱنتُهِيَ بِهِ إلى ٱلرَّجُلَيْنِ ٱلصَّالِحَيْنِ أرْمُوسَ وَإصطفُوسَ فلمَّا رأى تمليخا أنَّه لمْ يُذهَبْ بِهِ إلى دقيانوسَ أفاقَ وسكنَ عنهُ ٱلبُكاءُ فأخذَ أرموسُ وإصطفوسُ ٱلوَرِقَ فنظرا إليها وعجبا منها . ثُمَّ قالَ لهُ أحدُهما : أينَ ٱلكنزُ ٱلذي وجدتَهُ يا فتى . فهٰذا ٱلوَرِقُ يشهدُ عليكَ أنَّكَ قدْ وجدتَ كنزًا . فقالَ لهُ تمليخا : ما وجدتُ كنزًا ولكنْ هٰذا ٱلوَرِقُ ورقُ آبائي ونقشُ هٰذهِ ٱلمدينةِ وضربُها . ولٰكنِّي ما أدري ما أقولُ لكمْ . قالَ أحدُهما : مَنْ أنتَ . فقالَ لهُ تمليخا : أمَّا ما أرى فإنِّي كنتُ أرى أنِّي مِنْ أهلِ هٰذهِ ٱلمدينةِ . فقالوا لهُ : مَنْ أبوكَ ومَنْ يعرفُكَ بها . فأنبأهُمْ بٱسمِ أبيهِ فلمْ يجدُوا أحدًا يعرفُهُ ولا أباهُ . فقالَ لهُ أحدُهما : أنتَ رجلٌ كذَّابٌ لا تُخبِرُ بٱلحقِّ . فلمْ يدرِ تمليخا ما يقولُ لهمْ غيرَ أنَّهُ نكسَ رأسَهُ إلى ٱلأرضِ . فقالَ بعضُ مَنْ حولَهُ : هٰذا ٱلرَّجلُ مجنونٌ . وقالَ بعضُهمْ : ليسَ بمجنونٍ ولٰكنَّهُ يُحمِّقُ نفسَهُ عمدًا لكيْ يُفلِتَ منكمْ . فقالَ لهُ أحدُهما ونظرَ إليهِ نظرًا شديدًا : أتظنُّ أنَّا نُرسِلُكَ ونُصدِّقُكَ أنَّ هٰذا مالُ أبيكَ . ونقشُ هٰذهِ ٱلوَرِقِ وضربُها أكثرُ مِنْ ثلاثِمائةِ سنةٍ . وأنتَ غلامٌ شابٌّ تظنُّ أنَّكَ تأفِكُنا وتسخرُ

بِنَا وَنَحْنُ نُشَطُ كَمَا تَرَى . وَحَوْلَكَ سَرَاةُ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَوُلَاةُ أَمْرِهَا
وَخَزَائِنُ هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ بِأَيْدِينَا . وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ هٰذَا ٱلضَّرْبِ دِرْهَمٌ
وَلَا دِينَارٌ . وَإِنِّي لَأَظُنُّنِي سَآمُرُ بِكَ فَتُضْرَبُ وَتُعَذَّبُ عَذَابًا شَدِيدًا
ثُمَّ أُوثِقُكَ حَتَّى تُقِرَّ بِهٰذَا ٱلْكَنْزِ ٱلَّذِي وَجَدْتَ . فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذٰلِكَ قَالَ
لَهُ تَمْلِيخَا : أَنْبِئُونِي عَنْ شَيْءٍ أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ فَإِنْ فَعَلْتُمْ صَدَقْتُكُمْ مَا
عِنْدِي . قَالُوا : سَلْ لَا نَكْتُمْكَ شَيْئًا . قَالَ : فَمَا فَعَلَ ٱلْمَلِكُ دِقْيَانُوسُ .
فَقَالُوا لَهُ : لَيْسَ نَعْرِفُ ٱلْيَوْمَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ مَلِكًا يُسَمَّى دِقْيَانُوسَ .
وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَلِكًا قَدْ هَلَكَ مُنْذُ زَمَانٍ وَدَهْرٍ طَوِيلٍ وَقَدْ هَلَكَتْ بَعْدَهُ
قُرُونٌ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُمْ تَمْلِيخَا : فَوَٱللهِ مَا يُصَدِّقُنِي أَحَدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ بِمَا
أَقُولُ . لَقَدْ كُنَّا فِتْيَةَ ٱلْمَلِكِ وَإِنَّهُ أَكْرَهَنَا عَلَى عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ وَٱلذَّبْحِ
لِلطَّوَاغِيتِ . فَهَرَبْنَا مِنْهُ عَشِيَّةَ أَمْسِ فَنِمْنَا . فَلَمَّا ٱنْتَبَهْنَا خَرَجْتُ
لِأَشْتَرِيَ لِأَصْحَابِي طَعَامًا وَأَتَجَسَّسَ لَهُمُ ٱلْأَخْبَارَ فَإِذَا أَنَا كَمَا تَرَوْنَ .
فَٱنْطَلِقُوا مَعِي إِلَى ٱلْكَهْفِ ٱلَّذِي فِي جَبَلِ مَنْخَلُوسَ أُرِكُمْ أَصْحَابِي .
فَلَمَّا سَمِعَ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ مَا يَقُولُ تَمْلِيخَا قَالَا : يَا قَوْمُ لَعَلَّ هٰذِهِ
آيَةٌ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا ٱللهُ لَكُمْ عَلَى يَدَيْ هٰذَا ٱلْفَتَى .
فَٱنْطَلِقُوا بِنَا مَعَهُ يُرِنَا أَصْحَابَهُ كَمَا قَالَ . فَٱنْطَلَقَ مَعَهُ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ
وَٱنْطَلَقَ مَعَهُمَا أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ نَحْوَ أَصْحَابِ ٱلْكَهْفِ
لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ

وَلَمَّا رَأَى ٱلْفِتْيَةُ أَصْحَابُ ٱلْكَهْفِ تَمْلِيخَا قَدِ ٱحْتَبَسَ عَنْهُمْ بِطَعَامِهِمْ

وَشَرَابِهِمْ عَنِ ٱلْقَدَرِ ٱلَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِيهِ ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أُخِذَ وَذُهِبَ بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ ٱلَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَظُنُّونَ ذٰلِكَ وَيَتَخَوَّفُونَهُ إِذْ سَمِعُوا ٱلْأَصْوَاتَ وَجَلَبَةَ ٱلْخَيْلِ مُصْعِدَةً نَحْوَهُمْ . فَظَنُّوا أَنَّهُمْ رُسُلُ ٱلْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ لِيُؤْتَى بِهِمْ . فَقَامُوا حِينَ سَمِعُوا ذٰلِكَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَقَالُوا : ٱنْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَخِينَا تَمْلِيخَا فَإِنَّهُ ٱلْآنَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ يَنْتَظِرُ مَتَى نَأْتِيهِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَقُولُونَ ذٰلِكَ وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ ٱلْكَهْفِ فَلَمْ يَرَوْا إِلَّا أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ وُقُوفًا عَلَى بَابِ ٱلْكَهْفِ وَقَدْ سَبَقَهُمْ تَمْلِيخَا . فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَبْكِي فَلَمَّا رَأَوْهُ يَبْكِي بَكَوْا مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِخَبَرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْأَلَةَ . فَعَرَفُوا عِنْدَ ذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَى ذٰلِكَ ٱلزَّمَانَ كُلَّهُ . وَإِنَّمَا أُوقِظُوا لِيَكُونُوا آيَةً لِلنَّاسِ وَتَصْدِيقًا لِلْبَعْثِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَثَرِ تَمْلِيخَا أَرْمُوسُ فَرَأَى تَابُوتًا مِنْ نُحَاسٍ مَخْتُومًا بِخَاتَمٍ مِنْ فِضَّةٍ . فَقَامَ بِبَابِ ٱلْكَهْفِ وَدَعَا رِجَالًا مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَفَتَحَ ٱلتَّابُوتَ عِنْدَهُمْ . فَوَجَدُوا فِيهِ لَوْحَيْنِ مِنْ رَصَاصٍ مَكْتُوبًا فِيهِمَا إِنَّ مَكْسَلْمِينَا وَتَمْلِيخَا وَمَرْطُوكُشَ وَنَوَالِسَ وَسَانِيُوسَ وَبَطْنِيُوسَ وَكَشْفُوطَطَ (*) كَانُوا فِتْيَةً هَرَبُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ

(*) وقد ضبط مؤرخو الكنيسة اسماءهم كذا مكسيميانوس ومكوس ومرتينيانوس وديونيسيوس ويوحنا وسرابيون وقسطنطينوس

ٱلْجَبَّارِ مَخَافَةَ أَنْ يَفْتِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَدَخَلُوا فِي هٰذَا ٱلْكَهْفِ . فَلَمَّا أُخْبِرَ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِهٰذَا ٱلْكَهْفِ فَسُدَّ عَلَيْهِمْ بِٱلْحِجَارَةِ . وَإِنَّا كَتَبْنَا شَأْنَهُمْ وَخَبَرَهُمْ لِيَعْلَمَ مَنْ بَعْدَهُمْ إِنْ عَثَرَ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا قَرَؤُوهُ عَجِبُوا وَحَمِدُوا ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ ٱلَّذِي أَرَاهُمْ آيَةَ ٱلْبَعْثِ فِيهِمْ . ثُمَّ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِحَمْدِ ٱللهِ وَتَسْبِيحِهِ . ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى ٱلْفِتْيَةِ ٱلْكَهْفَ فَوَجَدُوهُمْ جُلُوسًا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ وَوُجُوهُهُمْ مُشْرِقَةٌ وَلَمْ تَبْلَ ثِيَابُهُمْ . فَخَرَّ أَرْمُوسُ وَأَصْحَابُهُ سُجَّدًا لِلّٰهِ تَعَالَى وَحَمِدُوا ٱللهَ ٱلَّذِي أَرَاهُمْ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ . ثُمَّ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَنْبَأَهُمُ ٱلْفِتْيَةُ عَنِ ٱلَّذِي لَقُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ ٱلْجَبَّارِ . ثُمَّ إِنَّ أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ بَعَثُوا بَرِيدًا إِلَى مَلِكِهِمِ ٱلصَّالِحِ تَاوَدُوسِيُوسَ أَنْ عَجِّلْ لَعَلَّكَ تَنْظُرُ إِلَى آيَةٍ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ تَعَالَى جَعَلَهَا ٱللهُ آيَةً عَلَى مُلْكِكَ . وَجَعَلَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ لِيَكُونَ ذٰلِكَ نُورًا وَضِيَاءً وَتَصْدِيقًا بِٱلْبَعْثِ . فَٱعْجَلْ عَلَى فِتْيَةٍ بَعَثَهُمُ ٱللهُ وَكَانَ قَدْ تَوَفَّاهُمْ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا أَتَى ٱلْمَلِكَ ٱلْخَبَرُ قَامَ مِنَ ٱلسُّدَّةِ ٱلَّتِي كَانَ عَلَيْهَا وَذَهَبَ عَنْهُ هَمُّهُ . وَقَالَ : أَحْمَدُ ٱللهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ رَبَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْبُدُكَ وَأُسَبِّحُ لَكَ . تَطَوَّلْتَ عَلَيَّ وَرَحِمْتَنِي بِرَحْمَتِكَ فَلَمْ تُطْفِئِ ٱلنُّورَ ٱلَّذِي كُنْتَ جَعَلْتَهُ لِآبَائِي

فَلَمَّا أُنْبِئَ بِهِ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ رَكِبُوا إِلَيْهِ وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى صَعِدُوا نَحْوَ ٱلْكَهْفِ وَأَتَوْهُ فَلَمَّا رَأَى ٱلْفِتْيَةُ تَاوَدُوسِيُوسَ فَرِحُوا بِهِ وَخَرُّوا سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ . وَقَامَ تَاوَدُوسِيُوسُ قُدَّامَهُمْ ثُمَّ ٱعْتَنَقَهُمْ وَبَكَى .

وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى ٱلْأَرْضِ يُسَبِّحُونَ ٱللّٰهَ تَعَالَى وَيَحْمَدُونَهُ. ثُمَّ قَالَ ٱلْفِتْيَةُ لِتَاوَدُوسِيُوسَ: نَسْتَوْدِعُكَ ٱللّٰهَ وَنَقْرَأُ عَلَيْكَ ٱلسَّلَامَ حَفِظَكَ ٱللّٰهُ وَمَدَّ مُلْكَكَ وَنُعِيذُكَ بِٱللّٰهِ مِنْ شَرِّ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ. فَبَيْنَمَا ٱلْمَلِكُ قَائِمٌ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَنَامُوا وَتَوَفَّى ٱللّٰهُ أَرْوَاحَهُمْ. وَقَامَ ٱلْمَلِكُ فَجَعَلَ ثِيَابَهُ عَلَيْهِمْ. وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَابُوتٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامَ أَتَوْهُ فِي ٱلْمَنَامِ وَقَالُوا: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ وَلٰكِنَّا خُلِقْنَا مِنَ ٱلتُّرَابِ وَإِلَى ٱلتُّرَابِ نَصِيرُ. فَٱتْرُكْنَا كَمَا كُنَّا فِي ٱلْكَهْفِ عَلَى ٱلتُّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا ٱللّٰهُ. فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ حِينَئِذٍ بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ فَجُعِلُوا فِيهِ. وَحَجَبَهُمُ ٱللّٰهُ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ بِٱلرُّعْبِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ. وَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ فَجُعِلَ عَلَى بَابِ ٱلْكَهْفِ مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ. وَجَعَلَ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا (للدميري)

ٱلْبَابُ ٱلثَّانِي عَشَرَ
فِي ٱلْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٨٧ أَلسَّفَرُ أَحَدُ أَسْبَابِ ٱلْمَعَاشِ ٱلَّتِي بِهَا قِوَامُهُ وَنِظَامُهُ لِأَنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى لَمْ يَجْمَعْ مَنَافِعَ ٱلدُّنْيَا فِي أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَهَا وَأَحْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ. وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ صَاحِبَهَا يَرَى مِنْ عَجَائِبِ ٱلْأَمْصَارِ، وَبَدَائِعِ ٱلْأَقْطَارِ.

وَمحَاسِنِ ٱلآثَارِ. مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا. وَيُفِيدُهُ فَهْمًا. بِقُدْرَةِ ٱللهِ وَحِكْمَتِهِ. وَيَدْعُوهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ. وَيُسْمِعُ ٱلْعَجَائِبَ. وَيُكْسِبُ ٱلتَّجَارِبَ. وَيَفْتَحُ ٱلْمَذَاهِبَ. وَيَجْلِبُ ٱلْمَكَاسِبَ. وَيَشُدُّ ٱلأَبْدَانَ. وَيُنَشِّطُ ٱلْكَسْلَانَ. وَيُسَلِّي ٱلأَحْزَانَ. وَيَطْرُدُ ٱلأَسْقَامَ. وَيُشَهِّي ٱلطَّعَامَ. وَيَحُطُّ سَوْرَةَ ٱلْكِبْرِ. وَيَبْعَثُ عَلَى طَلَبِ ٱلذِّكْرِ. وَقَالَ حَاتِمُ طَيِّءٍ:

إِذَا لَزِمَ ٱلنَّاسُ ٱلْبُيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عُمَاةً عَنِ ٱلأَخْبَارِ خُرْقَ ٱلْمَكَاسِبِ

٣٨٨ وَفِي ٱلْمَنْهَجِ: مِنْ آثَرَ ٱلسَّفَرَ عَلَى ٱلْقُعُودِ. فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَعُودَ مُورِقَ ٱلْعُودِ. وَرُبَّمَا أَسْفَرَ ٱلسَّفَرُ عَنِ ٱلظَّفَرِ. وَتَعَذَّرَ فِي ٱلْوَطَنِ قَضَاءُ ٱلْوَطَرِ. وَتَقُولُ ٱلْعَامَّةُ: كَلْبٌ جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ (لِلْمَقْدِسِيِّ)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

تَغَرَّبْ عَنِ ٱلأَوْطَانِ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى وَسَافِرْ فَفِي ٱلأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَٱكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ
فَإِنْ قِيلَ فِي ٱلأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ وَقَطْعُ ٱلْفَيَافِي وَٱرْتِكَابُ ٱلشَّدَائِدِ
فَمَوْتُ ٱلْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ مُقَامِهِ بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

٣٨٩ قَالَ ٱلْمَأْمُونُ: لَا شَيْءَ أَلَذُّ مِنَ ٱلسَّفَرِ فِي كِفَايَةٍ لِأَنَّكَ تَحُلُّ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَحَلَّةٍ لَمْ تَحُلَّهَا وَتُعَاشِرُ قَوْمًا لَمْ تُعَاشِرْهُمْ. وَفِي كِتَابِ ٱلْهِنْدِ: مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ. قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ ٱلْعَيْشِ فِي دَعَةٍ مِنْ أَنْ تُبَدِّلَ أَوْطَانًا بِأَوْطَانِ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ

وقَالَ أَيْضاً:

بِلَادُ ٱللهِ وَاسِعَةٌ فَضَاءٌ ... وَرِزْقُ ٱللهِ فِي ٱلدُّنْيَا فَسِيحُ
فَقُلْ لِلقَاعِدِينَ عَلَى هَوَانٍ ... إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ أَرْضٌ فَسِيحُوا

قَالَ غَيْرُهُ:

أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ ٱلزَّمَانِ ... مُقَامُ حُرٍّ عَلَى هَوَانِ
فَٱسْتَرْزِقِ ٱللهَ وَٱسْتَعِنْهُ ... فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانِ
وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ ... فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانِ

قَالَ آخَرُ:

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ
وَٱنْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ ٱلْعَيْشِ فِي ٱلنَّصَبِ
مَا فِي ٱلْمُقَامِ لِذِي لُبٍّ وَذِي أَدَبٍ
مَعَزَّةٌ فَٱتْرُكِ ٱلْأَوْطَانَ وَٱغْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ ٱلْمَاءِ يُفْسِدُهُ
فَإِنْ جَرَى طَابَ أَوْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَٱلْبَدْرُ لَوْلَا أُفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ
إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ
وَٱلْأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ ٱلْغَابِ مَا قَنَصَتْ
وَٱلسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ ٱلْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَٱلتِّبْرُ كَٱلتُّرْبِ مُلْقًى فِي أَمَاكِنِهِ

وَٱلْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ ٱلْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ
وَإِنْ أَقَامَ فَلَا يَعْلُو إِلَى رُتَبِ

٣٩٠ أَوْصَى بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ وَقَدْ أَرَادَ سَفَرًا فَقَالَ: إِنَّكَ تَدْخُلُ بَلَدًا لَا تَعْرِفُهُ وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ فَتَمَسَّكْ بِوَصِيَّتِي تَنْفُقْ بِهَا فِيهِ. عَلَيْكَ بِنَظَافَةِ ٱلْبِزَّةِ فَإِنَّهَا تُنْبِئُ عَنِ ٱلنَّشْءِ فِي ٱلنِّعْمَةِ. وَٱلْأَدَبِ ٱلْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُ ٱلْمَحَبَّةَ. وَلْيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ. وَٱلْزَمِ ٱلْحَيَاءَ وَٱلْأَنَفَةَ فَإِنَّكَ إِنِ ٱسْتَحْيَيْتَ مِنَ ٱلْفَظَاظَةِ ٱجْتَنَبْتَ ٱلْخَسَاسَةَ. وَإِنْ أَنِفْتَ عَنِ ٱلْغَلَبَةِ لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ. قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ:

لَئِنْ تَنَقَّلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارِ وَصِرْتُ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارِ
فَٱلْحُرُّ حُرٌّ عَزِيزُ ٱلنَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى وَٱلشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ

٣٩١ أَوْصَتْ أَعْرَابِيَّةٌ ٱبْنَهَا فِي سَفَرٍ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ تُجَاوِرُ ٱلْغُرَبَاءَ. وَتَرْحَلُ عَنِ ٱلْأَصْدِقَاءِ. وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ ٱلْأَعْدَاءِ. فَخَالِطِ ٱلنَّاسَ بِجَمِيلِ ٱلْبِشْرِ. وَٱتَّقِ ٱللّٰهَ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ وَٱلسِّرِّ. وَمَثِّلْ بِنَفْسِكَ مِثَالَ مَا ٱسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَٱعْمَلْ بِهِ. وَمَا ٱسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَٱجْتَنِبْهُ. فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ (للقيرواني)

ذمّ السفر

٣٩٢ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: ٱلْغَرِيبُ كَٱلْغَرْسِ ٱلَّذِي زَايَلَ أَرْضَهُ

وَفَقَدَ شُرْبَهُ فَهُوَ ذَاوٍ لَا يُزْهِرُ . وَذَابِلٌ لَا يُثْمِرُ . وَيُقَالُ : ٱلْغَرِيبُ كَٱلْوَحْشِ ٱلنَّائِي عَنْ وَطَنِهِ فَهُوَ لِكُلِّ رَامٍ رَمِيَّةٌ وَلِكُلِّ سَبُعٍ فَرِيسَةٌ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْغَرِيبُ كَٱلْيَتِيمِ ٱلْفَطِيمِ ٱلَّذِي ثُكِلَ أَبَوَيْهِ فَلَا أُمَّ تَرْأَمُهُ وَلَا أَبَ يَرْأَفُ بِهِ . وَيُقَالُ : عُسْرُكَ فِي بَلَدِكَ خَيْرٌ مِنْ يُسْرِكَ فِي غُرْبَتِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ فِي ٱلتَّغَرُّبِ ذِلَّةٌ ... فَتَجَرَّعِي كَأْسَ ٱلْأَذَى وَهَوَانِ
وَإِذَا نَزَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ دَارِهِمْ ... فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ ٱلْأَوْطَانِ

قَالَ ٱلطَّرِيفِيُّ :

أَرَى وَطَنِي كَعُشٍّ لِي وَكِنٍّ ... أُسَافِرُ عَنْهُ فِي طَلَبِ ٱلْمَعَاشِ
وَلَوْلَا أَنَّ كَسْبَ ٱلْقُوتِ فَرْضٌ ... لَمَا بَرِحَ ٱلْفِرَاخُ مِنَ ٱلْعِشَاشِ

(لِلْمَقْدِسِي)

سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية (١٣٣٤)

٣٩٣ رَغِبَتِ ٱلْخَاتُونُ بَيَلُونُ ٱبْنَةُ مَلِكِ ٱلرُّومِ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ أُوزْبَكَ زَوْجِهَا أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا . فَسَافَرْنَا فِي ٱلْعَاشِرِ مِنْ شَوَّالٍ فِي صُحْبَةِ ٱلْخَاتُونِ بَيَلُونَ وَتَحْتَ حُرْمَتِهَا . وَرَحَلَ ٱلسُّلْطَانُ فِي تَشْيِيعِهَا مَرْحَلَةً وَرَجَعَ هُوَ وَٱلْمَلِكَةُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ . وَسَافَرَ سَائِرُ ٱلْخَوَاتِينِ فِي صُحْبَتِهَا مَرْحَلَةً ثَانِيَةً ثُمَّ رَجَعْنَ . وَسَافَرَ صُحْبَتَهَا ٱلْأَمِيرُ بَيْدَرَةُ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ عَسْكَرِهِ . وَكَانَ عَسْكَرُ ٱلْخَاتُونِ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ . مِنْهُمْ خُدَّامُهَا مِنَ ٱلْمَمَالِيكِ وَٱلرُّومِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَٱلْبَاقُونَ مِنَ ٱلتُّرْكِ .

وَكَانَ معها مِنَ ٱلْجَوَارِي نَحْوُ مِائَتَيْنِ . أَكْثَرُهُنَّ رُومِيَّاتٌ وَكَانَ لَهَا مِنَ ٱلْعَرَبَاتِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ عَرَبَةٍ وَنَحْوُ أَلْفَيْ فَرَسٍ لِجَرِّهَا وَلِلرُّكُوبِ . وَكَانَ مَعَهَا مِنَ ٱلْفِتْيَانِ ٱلرُّومِيِّينَ عَشَرَةٌ وَمِنَ ٱلْهِنْدِيِّينَ مِثْلُهُمْ وَقَائِدُهُمُ ٱلْأَكْبَرُ يُسَمَّى بِسُنْبُلَ ٱلْهِنْدِيِّ وَقَائِدُ ٱلرُّومِيِّينَ يُسَمَّى بِمِيخَائِيلَ . وَيَقُولُ لَهُ ٱلْأَتْرَاكُ لُؤْلُؤًا . وَهُوَ مِنَ ٱلشُّجْعَانِ ٱلْكِبَارِ . وَتَرَكَتْ أَكْثَرَ جَوَارِيهَا وَأَثْقَالِهَا بِمَحَلَّةِ ٱلسُّلْطَانِ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَوَجَّهَتْ بِرَسْمِ ٱلزِّيَارَةِ . وَتَوَجَّهْنَا إِلَى مَدِينَةِ أُكَكَ وَهِيَ مَدِينَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ حَسَنَةُ ٱلْعِمَارَةِ كَثِيرَةُ ٱلْخَيْرَاتِ شَدِيدَةُ ٱلْبَرْدِ . وَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ جِبَالُ ٱلرُّوسِ . وَهُمْ شُقْرُ ٱلشُّعُورِ زُرْقُ ٱلْعُيُونِ قِبَاحُ ٱلصُّوَرِ أَهْلُ غَدْرٍ وَعِنْدَهُمْ مَعَادِنُ ٱلْفِضَّةِ وَمِنْ بِلَادِهِمْ يُؤْتَى بِسَبَائِكِ ٱلْفِضَّةِ ٱلَّتِي بِهَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فِي هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ وَوَزْنُ ٱلسَّبِيكَةِ مِنْهَا خَمْسُ أَوَاقٍ

ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ عَشْرٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى مَدِينَةِ سُرْدَاقَ وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَمَرْسَاهَا مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمَرَاسِي وَأَحْسَنِهَا . وَبِخَارِجِهَا ٱلْبَسَاتِينُ وَٱلْمِيَاهُ وَيَنْزِلُهَا ٱلتُّرْكُ وَطَائِفَةٌ مِنَ ٱلرُّومِ تَحْتَ ذِمَّتِهِمْ . وَهُمْ أَهْلُ ٱلصَّنَائِعِ وَأَكْثَرُ بُيُوتِهَا خَشَبٌ . وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ كَبِيرَةً فَخَرِبَ مُعْظَمُهَا بِسَبَبِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ ٱلرُّومِ وَٱلتُّرْكِ . وَكَانَتِ ٱلضِّيَافَةُ تُحْمَلُ إِلَى ٱلْخَاتُونِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ مِنَ ٱلْخَيْلِ وَٱلْغَنَمِ وَٱلْبَقَرِ وَأَلْبَانِ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ . وَٱلسَّفَرُ فِي هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ مُضْحًى وَمُعَشًّى . وَكُلُّ أَمِيرٍ بِتِلْكَ ٱلْبِلَادِ يَصْحَبُ ٱلْخَاتُونَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى آخِرِ حَدِّ بِلَادِهِ

تَعْظِيمًا لَهَا لَا خَوْفًا عَلَيْهَا. لِأَنَّ تِلْكَ ٱلْبِلَادَ آمِنَةٌ. ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى ٱلْبَلْدَةِ ٱلْمَعْرُوفَةِ بِإِسْمِ سَلْطُوق وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوَّلِ عِمَالَةِ ٱلرُّومِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا فِي بَرِّيَّةٍ غَيْرِ مَعْمُورَةٍ. مِنْهَا ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لَا مَاءَ بِهَا يُتَزَوَّدُ لَهَا ٱلْمَاءُ وَيُحْمَلُ فِي ٱلرَّوَايَا وَٱلْقِرَبِ عَلَى ٱلْعَرَبَاتِ. وَكَانَ دُخُولُنَا إِلَيْهَا فِي أَيَّامِ ٱلْبَرْدِ فِي مُنْتَصَفِ ذِي ٱلْقَعْدَةِ فَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ ٱلْمَاءِ. وَرَحَلْنَا فِي هٰذِهِ ٱلْبَرِّيَّةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا مُضْحًى وَمُمْشًى. وَمَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا

ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى حِصْنِ مَهْتُولِي وَهُوَ أَوَّلُ عِمَالَةِ ٱلرُّومِ. وَكَانَتِ ٱلرُّومُ قَدْ سَمِعَتْ بِقُدُومِ هٰذِهِ ٱلْخَاتُونِ عَلَى بِلَادِهَا فَوَصَلَهَا إِلَى هٰذَا ٱلْحِصْنِ كَفَالِي نِقُولَه ٱلرُّومِيُّ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ وَضِيَافَةٍ عَظِيمَةٍ. وَجَاءَتِ ٱلْخَوَاتِينُ مِنْ دَارِ أَبِيهَا مَلِكِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. وَبَيْنَ مَهْتُولِي وَٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَسِيرَةُ ٱثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا إِلَى ٱلْخَلِيجِ وَسِتَّةٌ مِنْهُ إِلَى ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَا يُسَافَرُ مِنْ هٰذَا ٱلْحِصْنِ إِلَّا بِٱلْخَيْلِ وَٱلْبِغَالِ. وَتُتْرَكُ ٱلْعَرَبَاتُ بِهِ لِأَجْلِ ٱلْوَعْرِ وَٱلْجِبَالِ. وَجَاءَ كَفَالِي ٱلْمَذْكُورُ بِبِغَالٍ كَثِيرَةٍ وَبَعَثَتْ إِلَيَّ ٱلْخَاتُونُ بِسِتَّةٍ مِنْهَا. وَأَوْصَتْ أَمِيرَ ذٰلِكَ ٱلْحِصْنِ بِمَنْ تَرَكْتُهُ مِنْ أَصْحَابِي وَغِلْمَانِي مَعَ ٱلْعَرَبَاتِ وَٱلْأَثْقَالِ فَأَمَرَ لَهُمْ بِدَارٍ. وَرَجَعَ ٱلْأَمِيرُ بَيْدَرَةُ بِعَسَاكِرِهِ وَلَمْ يُسَافِرْ مَعَ ٱلْخَاتُونِ إِلَّا نَاسُهَا. ثُمَّ وَصَلْنَا حِصْنَ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَهُوَ بِسَفْحِ جَبَلٍ عَلَى نَهْرٍ زَخَّارٍ يُقَالُ لَهُ إِصْطَفِيلِي. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هٰذَا ٱلْحِصْنِ إِلَّا آثَارُهُ وَبِخَارِجِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ. ثُمَّ سِرْنَا يَوْمَيْنِ وَوَصَلْنَا إِلَى ٱلْخَلِيجِ.

وَعَلَى سَاحِلِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ فَوَجَدْنَا فِيهِ ٱلْمَدَّ . فَأَقَمْنَا حَتَّى كَانَ ٱلْجَزْرُ . وَخُضْنَاهُ وَعَرْضُهُ نَحْوُ مِيلَيْنِ . وَمَشَيْنَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ فِي رِمَالٍ . وَوَصَلْنَا ٱلْخَلِيجَ ٱلثَّانِيَ فَخُضْنَاهُ وَعَرْضُهُ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . ثُمَّ مَشَيْنَا نَحْوَ مِيلَيْنِ فِي حِجَارَةٍ وَرَمْلٍ وَوَصَلْنَا ٱلْخَلِيجَ ٱلثَّالِثَ وَقَدِ ٱبْتَدَأَ ٱلْمَدُّ . فَتَعِبْنَا فِيهِ وَعَرْضُهُ مِيلٌ وَاحِدٌ . فَعَرْضُ ٱلْخَلِيجِ كُلِّهِ مَائِيِّهِ وَيَابِسِهِ ٱثْنَا عَشَرَ مِيلًا . وَتَصِيرُ مَاءً كُلُّهَا فِي أَيَّامِ ٱلْمَطَرِ فَلَا تُخَاضُ إِلَّا فِي ٱلْقَوَارِبِ . وَعَلَى سَاحِلِ هٰذَا ٱلْخَلِيجِ ٱلثَّالِثِ مَدِينَةُ ٱلْفَنِيكَةِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ لٰكِنَّهَا حَسَنَةٌ مَانِعَةٌ . وَكَنَائِسُهَا وَدِيَارُهَا حِسَانٌ وَٱلْأَنْهَارُ تَخْرُقُهَا وَٱلْبَسَاتِينُ تَحُفُّهَا وَيُدَّخَرُ بِهَا ٱلْعِنَبُ وَٱلْإِجَّاصُ وَٱلتُّفَّاحُ وَٱلسَّفَرْجَلُ مِنَ ٱلسَّنَةِ إِلَى ٱلْأُخْرَى . وَأَقَمْنَا بِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ ثَلَاثًا وَٱلْخَاتُونُ فِي قَصْرٍ لِأَبِيهَا هُنَالِكَ . ثُمَّ قَدِمَ أَخُوهَا شَقِيقُهَا وَٱسْمُهُ كِفَالِي قَرَاسُ فِي خَمْسَةِ آلَافِ فَارِسٍ شَاكِينَ فِي ٱلسِّلَاحِ . وَلَمَّا أَرَادُوا لِقَاءَ ٱلْخَاتُونِ رَكِبَ أَخُوهَا ٱلْمَذْكُورُ فَرَسًا أَشْهَبَ وَلَبِسَ ثِيَابًا بِيضًا وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ مُظَلَّلًا مُكَلَّلًا بِٱلْجَوَاهِرِ . وَجَعَلَ عَلَى يَمِينِهِ خَمْسَةً مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَهُمْ لَابِسِينَ ٱلْبَيَاضَ أَيْضًا . وَعَلَيْهِمْ مِظَلَّاتٌ مُزَرْكَشَةٌ بِٱلذَّهَبِ . وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِائَةً مِنَ ٱلْمُشَاةِ وَمِائَةَ فَارِسٍ قَدْ أَسْبَغُوا ٱلدُّرُوعَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَخَيْلِهِمْ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فَرَسًا مُسْرَجًا مُدَرَّعًا عَلَيْهِ شِكَّةُ فَارِسٍ مِنَ ٱلْبَيْضَةِ ٱلْمُجَوْهَرَةِ وَٱلدِّرْعِ وَٱلْقَوْسِ وَٱلسَّيْفِ . وَبِيَدِهِ رُمْحٌ فِي طَرَفِ رَأْسِهِ رَايَةٌ . وَأَكْثَرُ تِلْكَ ٱلرِّمَاحِ مَكْسُوَّةٌ بِصَفَائِحِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ .

وَتِلْكَ ٱلْخَيْلُ ٱلْمَقُودَةُ هِيَ مَرَاكِبُ ٱبْنِ ٱلسُّلْطَانِ وَقَسَّمَ فُرْسَانَهُ عَلَى أَفْوَاجٍ كُلُّ فَوْجٍ فِيهِ مِائَتَا فَارِسٍ . وَلَهُمْ أَمِيرٌ قَدْ قَدَّمَ أَمَامَهُ عَشَرَةً مِنَ ٱلْفُرْسَانِ شَاكِّينَ فِي ٱلسِّلَاحِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فَرَسًا . وَخَلْفَهُ عَشَرَةٌ مِنَ ٱلْعَلَامَاتِ مُلَوَّنَةٌ بِأَيْدِي عَشَرَةٍ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ . وَعَشَرَةُ أَطْبَالٍ يَتَقَلَّدُهَا عَشَرَةٌ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ . وَمَعَهُمْ سِتَّةٌ يَضْرِبُونَ ٱلْأَبْوَاقَ وَٱلْأَنْفَارَ وَٱلصُّرْنَايَاتِ وَهِيَ ٱلْغَيْطَاتُ . وَرَكِبَتِ ٱلْخَاتُونُ فِي مَمَالِيكِهَا وَجَوَارِيهَا وَفِتْيَانِهَا وَخُدَّامِهَا . وَهُمْ نَحْوُ خَمْسِمِائَةٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ ٱلْحَرِيرِ ٱلْمُزَرْكَشَةُ بِٱلذَّهَبِ ٱلْمُرَصَّعَةُ . وَعَلَى ٱلْخَاتُونِ حُلَّةٌ يُقَالُ لَهَا ٱلنَّسِيجُ مُرَصَّعَةٌ بِٱلْجَوْهَرِ . وَعَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مُرَصَّعٌ وَفَرَسُهَا مُجَلَّلٌ بِجُلِّ حَرِيرٍ مُزَرْكَشٍ بِٱلذَّهَبِ . وَفِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ خَلَاخِلُ ٱلذَّهَبِ وَفِي عُنُقِهِ قَلَائِدُ مُرَصَّعَةٌ . وَعَظْمُ ٱلسَّرْجِ مَكْسُوٌّ ذَهَبًا مُكَلَّلٌ جَوْهَرًا . وَكَانَ ٱلْتِقَاؤُهُمَا فِي بَسِيطٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنَ ٱلْبَلَدِ . وَتَرَجَّلَ لَهَا أَخُوهَا لِأَنَّهُ أَصْغَرُ سِنًّا مِنْهَا وَقَبَّلَ رِكَابَهَا وَقَبَّلَتْ رَأْسَهُ . وَتَرَجَّلَ ٱلْأُمَرَاءُ وَأَوْلَادُ ٱلْمُلُوكِ وَقَبَّلُوا جَمِيعًا رِكَابَهَا وَٱنْصَرَفَتْ مَعَ أَخِيهَا . وَفِي غَدِ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ لَا أُثْبِتُ ٱلْآنَ ٱسْمَهَا ذَاتِ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ نَزَلْنَا بِخَارِجِهَا . وَوَصَلَ أَخُو ٱلْخَاتُونِ وَلِيُّ ٱلْعَهْدِ فِي تَرْتِيبٍ عَظِيمٍ وَعَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ مُدَرَّعٍ . وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ وَعَنْ يَمِينِهِ نَحْوُ عِشْرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُهُمْ . وَقَدْ رَتَّبَ فُرْسَانَهُ عَلَى تَرْتِيبِ أَخِيهِ سَوَاءً إِلَّا أَنَّ ٱلْحَفْلَ أَعْظَمُ وَٱلْجَمْعَ أَكْثَرُ .

وَتَلَاقَتْ مَعَهُ أُخْتُهُ فِي مِثْلِ زِيِّهَا ٱلْأَوَّلِ وَتَرَجَّلَا جَمِيعًا . وَأُوتِيَ بِخِبَاءِ حَرِيرٍ فَدَخَلَا فِيهِ . وَنَزَلْنَا عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ مِنَ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ خَرَجَ أَهْلُهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَصِبْيَانٍ رُكْبَانًا وَمُشَاةً فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَأَجْمَلِ لِبَاسٍ وَضُرِبَتْ عِنْدَ ٱلصُّبْحِ ٱلْأَطْبَالُ وَٱلْأَبْوَاقُ وَٱلْأَنْفَارُ وَرَكِبَتِ ٱلْعَسَاكِرُ . وَخَرَجَ ٱلسُّلْطَانُ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هٰذِهِ ٱلْخَاتُونِ وَأَرْبَابُ ٱلدَّوْلَةِ وَٱلْخَوَاصُّ . وَعَلَى رَأْسِ ٱلْمَلِكِ رِوَاقٌ يَحْمِلُهُ جُمْلَةٌ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ وَرِجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ عِصِيٌّ طِوَالٌ فِي أَعْلَى كُلِّ عَصًا شِبْهُ كُرَةٍ مِنْ جِلْدٍ يَرْفَعُونَ بِهَا ٱلرِّوَاقَ . وَفِي وَسَطِ ٱلرِّوَاقِ مِثْلُ ٱلْقُبَّةِ يَرْفَعُهَا ٱلْفُرْسَانُ بِٱلْعِصِيِّ . وَلَمَّا أَقْبَلَ ٱلسُّلْطَانُ ٱخْتَلَطَتِ ٱلْعَسَاكِرُ وَكَثُرَ ٱلْعَجَاجُ . وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱلدُّخُولِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَزِمْتُ أَثْقَالَ ٱلْخَاتُونِ وَأَصْحَابِهَا خَوْفًا عَلَى نَفْسِي . وَذُكِرَ لِي أَنَّهَا لَمَّا قَرُبَتْ مِنْ أَبَوَيْهَا تَرَجَّلَتْ وَقَبَّلَتِ ٱلْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا . ثُمَّ قَبَّلَتْ حَافِرَيْ فَرَسَيْهِمَا . وَفَعَلَ كِبَارُ أَصْحَابِهَا مِثْلَ فِعْلِهَا فِي ذٰلِكَ . وَكَانَ دُخُولُنَا عِنْدَ ٱلزَّوَالِ أَوْ بَعْدَهُ إِلَى ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ٱلْعُظْمَى . وَقَدْ ضَرَبُوا نَوَاقِيسَهُمْ حَتَّى ٱرْتَجَّتِ ٱلْآفَاقُ لِٱخْتِلَاطِ أَصْوَاتِهَا . وَلَمَّا وَصَلْنَا ٱلْبَابَ ٱلْأَوَّلَ مِنْ أَبْوَابِ قَصْرِ ٱلْمَلِكِ وَجَدْنَا بِهِ نَحْوَ مِائَةِ رَجُلٍ مَعَهُمْ قَائِدٌ لَهُمْ فَوْقَ دُكَّانَةٍ وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : سَرَاكِنُو سَرَاكِنُو . وَمَعْنَاهُ ٱلْمُسْلِمُونَ وَمَنَعُونَا مِنَ ٱلدُّخُولِ . فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُ ٱلْخَاتُونِ : إِنَّهُمْ مِنْ جِهَتِنَا . فَقَالُوا : لَا يَدْخُلُونَ إِلَّا بِٱلْإِذْنِ . فَأَقَمْنَا بِٱلْبَابِ وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ

ٱلْخَاتُونِ فَبَعَثَ مَنْ أَعْلَمَهَا بِذٰلِكَ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ وَالِدِهَا. فَذَكَرَتْ لَهُ شَأْنَنَا فَأَمَرَ بِدُخُولِنَا وَعَيَّنَ لَنَا دَارًا بِقُرْبَةٍ مِنْ دَارِ ٱلْخَاتُونِ. وَكَتَبَ لَنَا أَمْرًا بِأَنْ لَا نُعْتَرَضَ حَيْثُ نَذْهَبُ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَنُودِيَ بِذٰلِكَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ. وَأَقَمْنَا بِٱلدَّارِ ثَلَاثًا تَبْعَثُ إِلَيْنَا ٱلضِّيَافَةَ مِنَ ٱلْغَنَمِ وَٱلْفَاكِهَةِ وَٱلدَّرَاهِمَ وَٱلْفُرُشَ وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ دَخَلْنَا عَلَى ٱلسُّلْطَانِ

٣٩٤ (ذِكْرُ سُلْطَانِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ) وَٱسْمُهُ تَكْفُورُ ٱبْنُ ٱلسُّلْطَانِ جِرْجِيسَ وَأَبُوهُ ٱلسُّلْطَانُ جِرْجِيسُ بِقَيْدِ ٱلْحَيَاةِ لٰكِنَّهُ تَزَهَّدَ وَتَرَهَّبَ وَٱنْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ فِي ٱلْكَنَائِسِ وَتَرَكَ ٱلْمُلْكَ لِوَلَدِهِ وَسَنَذْكُرُهُ. وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ مِنْ وُصُولِنَا إِلَى ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ بَعَثَتْ إِلَيَّ ٱلْخَاتُونُ ٱلْفَتَى سُنْبُلَ ٱلْهِنْدِيَّ وَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي إِلَى ٱلْقَصْرِ فَجُزْنَا أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ فِي كُلِّ بَابٍ سَقَائِفُ بِهَا رِجَالٌ وَأَسْلِحَتُهُمْ وَقَائِدُهُمْ عَلَى دُكَّانَةٍ مَفْرُوشَةٍ. فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى ٱلْبَابِ ٱلْخَامِسِ تَرَكَنِي ٱلْفَتَى سُنْبُلُ وَدَخَلَ ثُمَّ أَتَى وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ ٱلْفِتْيَانِ ٱلرُّومِيِّينَ فَفَتَّشُونِي لِئَلَّا يَكُونَ مَعِي سِكِّينٌ وَقَالَ لِي ٱلْقَائِدُ: تِلْكَ عَادَةٌ لَهُمْ لَا بُدَّ مِنْ تَفْتِيشِ كُلِّ مَنْ يَدْخُلُ عَلَى ٱلْمَلِكِ مِنْ خَاصٍّ أَوْ عَامٍّ غَرِيبٍ أَوْ بَلَدِيٍّ وَكَذٰلِكَ ٱلْفِعْلُ بِأَرْضِ ٱلْهِنْدِ. ثُمَّ لَمَّا فَتَّشُونِي قَامَ ٱلْمُوَكَّلُ بِٱلْبَابِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَفَتَحَ ٱلْبَابَ وَأَحَاطَ بِي أَرْبَعَةٌ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَمْسَكَ ٱثْنَانِ بِكُمَّيَّ وَٱثْنَانِ مِنْ وَرَائِي فَدَخَلُوا بِي إِلَى مَشْوَرٍ كَبِيرٍ. حِيطَانُهُ بِٱلْفُسَيْفِسَاءِ قَدْ نُقِشَ فِيهَا صُوَرُ ٱلْمَخْلُوقَاتِ ثُمَّ ٱلْحَيَوَانَاتِ وَٱلْجَمَادِ. وَفِي وَسَطِهِ سَاقِيَةُ مَاءٍ

وَمِنْ جِهَتَيْهَا ٱلْأَشْجَارُ. وَٱلنَّاسُ وَاقِفُونَ يَمِينًا وَيَسَارًا سُكُوتًا لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. وَفِي وَسَطِ ٱلْمَشْوَرِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وُقُوفٌ أَسْلَمَنِي أُولٰئِكَ ٱلْأَرْبَعَةُ إِلَيْهِمْ. فَأَمْسَكُوا بِثِيَابِي كَمَا فَعَلَ ٱلْآخَرُونَ وَأَشَارَ إِلَيَّهِمْ رَجُلٌ فَتَقَدَّمُوا بِي وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَهُودِيًّا. فَقَالَ لِي بِٱلْعَرَبِيِّ: لَا تَخَفْ فَهٰكَذَا عَادَتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِٱلْوَارِدِ. وَأَنَا ٱلتَّرْجُمَانُ وَأَصْلِي مِنْ بِلَادِ ٱلشَّامِ. فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ أُسَلِّمُ. فَقَالَ: قُلِ: ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى قُبَّةٍ عَظِيمَةٍ وَٱلسُّلْطَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هٰذِهِ ٱلْخَاتُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَسْفَلَ ٱلسَّرِيرِ ٱلْخَاتُونُ وَإِخْوَتُهَا. وَعَنْ يَمِينِهِ سِتَّةُ رِجَالٍ وَعَنْ يَسَارِهِ أَرْبَعَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ بِٱلسِّلَاحِ فَأَشَارَ إِلَيَّ قَبْلَ ٱلسَّلَامِ وَٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ بِٱلْجُلُوسِ هُنَيَّةً لِيَسْكُنَ رَوْعِي. فَفَعَلْتُ ذٰلِكَ ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ ٱجْلِسْ فَلَمْ أَفْعَلْ وَسَأَلَنِي عَنْ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَعَنِ ٱلصَّخْرَةِ ٱلْمُقَدَّسَةِ وَعَنِ ٱلْقُمَامَةِ وَعَنْ مَهْدِ عِيسَى وَعَنْ بَيْتِ لَحْمَ وَعَنْ مَدِينَةِ ٱلْخَلِيلِ. ثُمَّ عَنْ دِمَشْقَ وَمِصْرَ وَٱلْعِرَاقِ وَبِلَادِ ٱلرُّومِ فَأَجَبْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَٱلْيَهُودِيُّ يُتَرْجِمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَعْجَبَهُ كَلَامِي وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ: أَكْرِمُوا هٰذَا ٱلرَّجُلَ وَأَمِّنُوهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً وَأَمَرَ لِي بِفَرَسٍ مُسْرَجٍ مُلْجَمٍ وَمِظَلَّةٍ مِنَ ٱلَّتِي يَجْعَلُهَا ٱلْمَلِكُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهِيَ عَلَامَةُ ٱلْأَمَانِ. وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعَيِّنَ مَنْ يَرْكَبُ مَعِي بِٱلْمَدِينَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى أُشَاهِدَ عَجَائِبَهَا وَغَرَائِبَهَا وَأَذْكُرَهَا فِي بِلَادِي. فَعَيَّنَ لِي ذٰلِكَ. وَمِنَ ٱلْعَوَائِدِ عِنْدَهُمْ أَنَّ ٱلَّذِي

يَلْبَسُ خِلْعَةَ ٱلْمَلِكِ وَيَرْكَبُ فَرَسَهُ يُطَافُ بِهِ بِٱلْأَبْوَاقِ وَٱلْأَنْفَارِ وَٱلْأَطْبَالِ لِيَرَاهُ ٱلنَّاسُ لِئَلَّا يُؤْذُوهُ. فَطَافُوا بِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ

٣٩٥ (ذِكْرُ ٱلْمَدِينَةِ). وَهِيَ مُتَنَاهِيَةٌ فِي ٱلْكِبَرِ مُنْقَسِمَةٌ بِقِسْمَيْنِ بَيْنَهُمَا نَهْرٌ عَظِيمٌ فِيهِ ٱلْمَدُّ وَٱلْجَزْرُ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ قَنْطَرَةٌ مَبْنِيَّةٌ فَخَرِبَتْ وَهُوَ ٱلْآنَ يُعْبَرُ فِي ٱلْقَوَارِبِ. وَٱسْمُ هٰذَا ٱلنَّهْرِ أَبْسُمِي. وَأَحَدُ ٱلْقِسْمَيْنِ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ يُسَمَّى أَصْطَنْبُولَ وَهُوَ بِٱلْعُدْوَةِ ٱلشَّرْقِيَّةِ مِنَ ٱلنَّهْرِ. وَفِيهِ سُكْنَى ٱلسُّلْطَانِ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ ٱلنَّاسِ. وَأَسْوَاقُهُ وَشَوَارِعُهُ مَفْرُوشَةٌ بِٱلصِّفَاحِ مُتَّسِعَةٌ. وَأَهْلُ كُلِّ صِنَاعَةٍ عَلَى حِدَةٍ لَا يُشَارِكُهُمْ سِوَاهُمْ. وَعَلَى كُلِّ سُوقٍ أَبْوَابٌ تُسَدُّ عَلَيْهِ بِٱللَّيْلِ وَأَكْثَرُ ٱلصُّنَّاعِ وَٱلْبَاعَةِ بِهَا ٱلنِّسَاءُ. وَٱلْمَدِينَةُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ دَاخِلٍ فِي ٱلْبَحْرِ نَحْوَ تِسْعَةِ أَمْيَالٍ وَعَرْضُهُ مِثْلُ ذٰلِكَ أَوْ أَكْثَرُ. وَفِي أَعْلَاهُ قُلْعَةٌ صَغِيرَةٌ وَقَصْرُ ٱلسُّلْطَانِ. وَٱلسُّورُ يُحِيطُ بِهٰذَا ٱلْجَبَلِ وَهُوَ مَانِعٌ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ ٱلْبَحْرِ. وَفِيهِ نَحْوُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَرْيَةً عَامِرَةً. وَٱلْكَنِيسَةُ ٱلْعُظْمَى هِيَ فِي وَسَطِ هٰذَا ٱلْقِسْمِ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ. وَأَمَّا ٱلْقِسْمُ ٱلثَّانِي مِنْهَا فَيُسَمَّى ٱلْغَلَطَةَ وَهُوَ بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْغَرْبِيَّةِ مِنَ ٱلنَّهْرِ شَبِيهٌ بِرِبَاطِ ٱلْفَتْحِ فِي قُرْبِهِ مِنَ ٱلنَّهْرِ. وَهٰذَا ٱلْقِسْمُ خَاصٌّ بِنَصَارَى ٱلْإِفْرَنْجِ يَسْكُنُونَهُ. وَهُمْ أَصْنَافٌ فَمِنْهُمُ ٱلْجَنَوِيُّونَ وَٱلْبَنَادِقَةُ وَأَهْلُ رُومَةَ وَأَهْلُ إِفْرَنْسَةَ وَحُكْمُهُمْ إِلَى مَلِكِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يُقَدِّمُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَرْتَضُونَهُ وَيُسَمُّونَهُ ٱلْقُمْصَ. وَعَلَيْهِمْ وَظِيفَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ لِمَلِكِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

وربما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يصلح بينهم الباب . وجميعهم أهل تجارة . ومرساهم من أعظم المراسي رأيت به نحو مائة جفن من القراقر وسواها من السفن الكبار . وأما الصغار فلا تحصى كثرة . وأسواق هذا القسم حسنة يشقها نهر صغير قذر

٣٩٦ (ذكر الكنيسة العظمى) وإنما نذكر خارجها وأما داخلها فلم أشاهده . وهي تسمى عندهم أيا صوفيا . وهي من أعظم كنائس الروم وعليها سور يطيف بها فكأنها مدينة . وأبوابها ثلاثة عشر بابا . ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد دخلته مع والد الملك . وهو شبه مشور مسطح بالرخام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة . لها حائطان مرتفعان نحو ذراع مصنوعان بالرخام المجزع المنقوش بأحسن صنعة . والأشجار منتظمة عن جهتي الساقية . ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور معرش من الخشب مرتفع عليه دوالي العنب وفي أسفله الياسمين والرياحين . وخارج باب هذا المشور قبة خشب كبيرة فيها طبلات خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب . وعن يمين القبة مصاطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضاتهم وكتاب دواوينهم . وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد إليها على درج خشب . وفيها كرسي كبير مطبق بالملف يجلس فوقه قاضيهم . وعن يسار القبة التي على باب هذا المشور سوق العطارين . والساقية التي ذكرناها تنقسم

قسمين أحدهما يمرّ بسوق العطّارين والآخر يمرّ بالسوق حيث القضاة والكتّاب. وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدّامها الذين يقمّون طرقها ويوقدون سرجها ويغلقون أبوابها. ولا يدعون أحدًا يدخلها حتّى يسجد للصليب الأعظم عندهم الذي يزعمون أنّه بقيّة من الخشبة التي صلب عليها عيسى. وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذهب طولها نحو عشرة أذرع. وقد عرضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتّى صارت صليبًا. وهذا الباب مصفّح بصفائح الفضّة والذهب وحلقتاه من الذهب الخالص وذكر لي أنّ عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسّيسين ينتهي إلى مئات. وأنّ بعضهم من ذرّيّة الحواريّين وأنّ بداخلها كنيسة مختصّة بالنساء. ومن عادة الملك وأرباب دولته أن يأتوا كلّ يوم صباحًا إلى زيارة هذه الكنيسة

٣٩٧ (ذكر المانستارات بقسطنطينيّة) والمانستار عندهم شبه الزاوية عند المسلمين. وهذه المانستارات بها كثيرة فمنها مانستار عمّره الملك جرجيس. ومنها مانستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل إليها وهما في داخل بستان يشقّهما نهر ماء وأحدهما للرجال والآخر للنساء وفي كلّ واحد منهما كنيسة ويدور بهما البيوت للمتعبّدين والمتعبّدات وقد حبس على كلّ واحد منهما أحباس لكسوة المتعبّدين ونفقتهم. ومنها مانستاران عن يسار الداخل إلى الكنيسة العظمى على مثل هذين الآخرين ويطيف بهما

بُيُوتٌ . وَأَحَدُهُمَا يَسْكُنُهُ الْعُمْيَانُ وَالثَّانِي يَسْكُنُهُ الشُّيُوخُ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخِدْمَةَ مِمَّنْ بَلَغَ السِّتِّينَ أَوْ نَحْوَهَا . وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كُسْوَتُهُ وَنَفَقَتُهُ مِنْ أَوْقَافٍ مُعَيَّنَةٍ لِذَلِكَ . وَفِي دَاخِلِ كُلِّ مَانِسْتَارٍ مِنْهَا دُوَيْرَةٌ لِتَعَبُّدِ الْمَلِكِ الَّذِي بَنَاهُ وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ إِذَا بَلَغَ السِّتِّينَ أَوِ السَّبْعِينَ بَنَى مَانِسْتَارًا وَلَبِسَ الْمُسُوحَ وَهِيَ ثِيَابُ الشَّعْرِ وَقَلَّدَ وَلَدَهُ الْمُلْكَ وَاشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ حَتَّى يَمُوتَ . وَهُمْ يَحْتَفِلُونَ فِي بِنَاءِ هَذِهِ الْمَانِسْتَارَاتِ وَيَعْمَلُونَ بِالرُّخَامِ وَالْفُسَيْفِسَاءِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ . وَدَخَلْتُ مَعَ الرُّومِيِّ الَّذِي عَيَّنَهُ الْمَلِكُ لِلرُّكُوبِ مَعِي إِلَى مَانِسْتَارٍ يَشُقُّهُ نَهْرٌ وَفِيهِ كَنِيسَةٌ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَبْكَارِ عَلَيْهِنَّ الْمُسُوحُ وَرُؤُوسُهُنَّ مَحْلُوقَةٌ فِيهَا قَلَانِيسُ اللِّبْدِ وَعَلَيْهِنَّ أَثَرُ الْعِبَادَةِ . وَقَالَ لِي الرُّومِيُّ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْبَنَاتِ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِخِدْمَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ . وَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَى كَنَائِسَ فِيهَا الرُّهْبَانُ يَكُونُ فِي الْكَنِيسَةِ مِنْهَا مِائَةُ رَجُلٍ وَأَكْثَرُ وَأَقَلُّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُتَعَبِّدُونَ وَقِسِّيسُونَ وَكَنَائِسُهَا لَا تُحْصَى كَثْرَةً . وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَغَيْرِهِ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يَجْعَلُونَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الْمَظَلَّاتِ الْكِبَارَ شِتَاءً وَصَيْفًا . وَالنِّسَاءُ لَهُنَّ عَمَائِمُ كِبَارٌ

٣٩٨ (ذِكْرُ الْمَلِكِ الْمُتَرَهِّبِ جِرْجِيسَ) وَهَذَا الْمَلِكُ وَلَّى الْمُلْكَ لِابْنِهِ وَانْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ وَبَنَى مَانِسْتَارًا كَمَا ذَكَرْنَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاحِلِهَا . وَكُنْتُ يَوْمًا مَعَ الرُّومِيِّ الْمُعَيَّنِ لِلرُّكُوبِ مَعِي فَإِذَا بِهَذَا الْمَلِكِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ . وَعَلَيْهِ الْمُسُوحُ وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةُ لِبْدٍ وَلَهُ لِحْيَةٌ بَيْضَاءُ طَوِيلَةٌ

وَوَجْهٌ حَسَنٌ عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّهْبَانِ وَبِيَدِهِ عُكَّازٌ وَفِي عُنُقِهِ سُبْحَةٌ . فَلَمَّا رَآهُ الرُّومِيُّ نَزَلَ وَقَالَ لِي : انْزِلْ فَهٰذَا وَالِدُ الْمَلِكِ فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ الرُّومِيُّ سَأَلَهُ عَنِّي . ثُمَّ وَقَفَ وَبَعَثَ عَنِّي فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ لِذٰلِكَ الرُّومِيِّ وَكَانَ يَعْرِفُ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ : قُلْ لِهٰذَا السَّرَاكِنُو يَعْنِي الْمُسْلِمَ أَنَا أُصَافِحُ الْيَدَ الَّتِي دَخَلَتْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَالرِّجْلَ الَّتِي مَشَتْ دَاخِلَ الصَّخْرَةِ وَالْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى الَّتِي تُسَمَّى قُمَامَةَ وَبَيْتَ لَحْمٍ وَجَعَلَ يَدَهُ عَلَى قَدَمَيَّ وَمَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ فَعَجِبْتُ مِنْ اعْتِقَادِهِمْ فِيمَنْ دَخَلَ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي وَمَشَيْتُ مَعَهُ فَسَأَلَنِي عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَنْ فِيهِ مِنَ النَّصَارَى وَأَطَالَ السُّؤَالَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَى حَرَمِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ آنِفًا . وَلَمَّا قَارَبَ الْبَابَ الْأَعْظَمَ خَرَجَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَهُوَ مِنْ كِبَارِهِمْ فِي الرَّهْبَانِيَّةِ . وَلَمَّا رَآهُمْ أَرْسَلَ يَدِي فَقُلْتُ لَهُ أُرِيدُ الدُّخُولَ مَعَكَ إِلَى الْكَنِيسَةِ . فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ لَا بُدَّ لِدَاخِلِهَا مِنَ السُّجُودِ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ فَإِنَّ هٰذَا مِمَّا سَنَّتْهُ الْأَوَائِلُ وَلَا يُمْكِنُ خِلَافُهُ فَتَرَكْتُهُ وَدَخَلَ وَحْدَهُ وَلَمْ أَرَهُ بَعْدَهَا . وَلَمَّا ظَهَرَ لِمَنْ كَانَ فِي صُحْبَةِ الْخَاتُونِ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَنَّهَا رَاغِبَةٌ فِي الْمُقَامِ مَعَ أَبِيهَا طَلَبُوا مِنْهَا الْإِذْنَ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِنَتْ لَهُمْ . وَأَعْطَتْهُمْ عَطَاءً جَزِيلًا وَأَجْزَلَتْ عَلَيَّ الْعَطَاءَ وَأَوْصَتْ بِي أَحَدَ أُمَرَائِهَا فَوَدَّعْتُهَا وَانْصَرَفْتُ . فَكَانَ مُدَّةُ مُقَامِي عِنْدَهُمْ شَهْرًا وَسِتَّةَ أَيَّامٍ (تحفة النظّار في عجائب الاسفار)

اَلْبَابُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ
فِي عَجَائِبِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ

في سكان السماوات وهم الملائكة

٣٩٩ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ جَوَاهِرُ مُقَدَّسَةٌ عَنْ ظُلْمَةِ ٱلشَّهْوَةِ وَكُدُورَةِ ٱلْغَضَبِ. لَا يَعْصُونَ ٱللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. طَعَامُهُمُ ٱلتَّسْبِيحُ وَشَرَابُهُمُ ٱلتَّقْدِيسُ. وَأُنْسُهُمْ بِذِكْرِ ٱللهِ تَعَالَى. وَفَرَحُهُمْ بِعِبَادَتِهِ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي فَضَاءِ ٱلْأَفْلَاكِ وَسَعَةِ ٱلسَّمَاوَاتِ خَلَائِقُ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِحِكْمَةِ ٱلْبَارِي تَعَالَى تَرْكُهَا فَارِغَةً خَاوِيَةً مَعَ شَرَفِ جَوْهَرِهَا. وَإِنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ قَعْرَ ٱلْبِحَارِ ٱلْمَالِحَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ فَارِغًا حَتَّى خَلَقَ فِيهِ أَجْنَاسَ ٱلْحَيَوَانَاتِ وَغَيْرَهَا. وَلَمْ يَتْرُكْ جَوَّ ٱلْهَوَاءِ ٱلرَّقِيقِ حَتَّى خَلَقَ لَهُ أَنْوَاعَ ٱلطَّيْرِ تَسْبَحُ فِيهِ كَمَا تَسْبَحُ ٱلسَّمَكُ فِي ٱلْمَاءِ. وَلَمْ يَتْرُكِ ٱلْبَرَارِيَّ ٱلْيَابِسَةَ وَٱلْآجَامَ ٱلْوَحِلَةَ وَٱلْجِبَالَ ٱلرَّاسِيَةَ ٱلصُّلْبَةَ حَتَّى خَلَقَ فِيهَا أَجْنَاسَ ٱلسِّبَاعِ وَٱلْوُحُوشِ. وَلَمْ يَتْرُكْ ظُلُمَاتِ ٱلتُّرَابِ حَتَّى خَلَقَ فِيهِ أَجْنَاسَ ٱلْهَوَامِّ وَٱلْحَشَرَاتِ

وَٱلْمَلَائِكَةُ أَصْنَافٌ مِنْهُمُ ٱلْكَرُوبِيُّونَ وَهُمُ ٱلْعَاكِفُونَ فِي حَضْرَةِ ٱلْقُدْسِ لَا ٱلْتِفَاتَ لَهُمْ إِلَى غَيْرِ ٱللهِ تَعَالَى لِٱسْتِغْرَاقِهِمْ بِجَمَالِ ٱلْحَضْرَةِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ وَجَلَالِهَا يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلسَّبْعِ مُدَاوِمُونَ عَلَى ٱلتَّسْبِيحِ وَٱلتَّهْلِيلِ فِي ٱلْقِيَامِ وَٱلْقُعُودِ

وَٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمِنْهُمُ ٱلْمُعَقِّبَاتُ. وَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِٱلْبَرَكَاتِ وَيَصْعَدُونَ بِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ وَأَعْمَالِهِمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ. وَمِنْهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْمُوَكَّلُونَ بِٱلْكَائِنَاتِ هُمْ مَلَائِكَةٌ شَأْنُهُمْ إِصْلَاحُ ٱلْكَائِنَاتِ وَدَفْعُ ٱلْفَسَادِ عَنْهَا. وَقَدْ وُكِّلَ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مَا شَاءَ ٱللهُ

في حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها

٤٠٠ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ ٱلْعُنْصُرَ هُوَ ٱلْأَصْلُ فِي ٱلْمَوْضُوعَاتِ وَٱلْمُرَادُ مِنْهُ ٱلْأَجْسَامُ ٱلَّتِي دُونَ فَلَكِ ٱلْقَمَرِ. وَتِلْكَ ٱلْأَجْسَامُ أُمَّهَاتٌ وَٱلْمُوَلَّدَاتُ ٱلْمَعَادِنُ وَٱلنَّبَاتُ وَٱلْحَيَوَانُ وَيُقَالُ لِلْأُمَّهَاتِ ٱلْأَرْكَانُ. وَٱلْأَرْكَانُ أَرْبَعَةٌ ٱلنَّارُ وَٱلْهَوَاءُ وَٱلْمَاءُ وَٱلْأَرْضُ. فَٱلنَّارُ حَارَّةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا ٱلطَّبِيعِيُّ تَحْتَ ٱلْفَلَكِ وَفَوْقَ ٱلْهَوَاءِ. وَٱلْمَاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ مَوْضِعُهُ ٱلطَّبِيعِيُّ تَحْتَ ٱلْهَوَاءِ وَفَوْقَ ٱلْأَرْضِ. وَٱلْأَرْضُ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا ٱلطَّبِيعِيُّ ٱلْوَسَطُ

فصل في فوائد الجبال وعجائبها

٤٠١ أَمَّا فَائِدَتُهَا ٱلْعُظْمَى فَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَمْ تَكُنِ ٱلْجِبَالُ لَكَانَ وَجْهُ ٱلْأَرْضِ مُسْتَدِيرًا أَمْلَسَ. وَكَانَتْ مِيَاهُ ٱلْبِحَارِ تُغَطِّيهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَتُحِيطُ بِهَا إِحَاطَةَ كُرَةِ ٱلْهَوَاءِ بِٱلْمَاءِ فَتَبْطُلُ ٱلْحِكْمَةُ ٱلْمُودَعَةُ فِي ٱلْمَعَادِنِ وَٱلنَّبَاتِ وَٱلْحَيَوَانِ. فَٱقْتَضَتِ ٱلْحِكْمَةُ ٱلْإِلٰهِيَّةُ وُجُودَ ٱلْجِبَالِ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ ٱلْحِكْمَةِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ ٱلْجِبَالَ سَبَبٌ لِوُجُودِ ٱلْمَاءِ ٱلْعَذْبِ ٱلسَّائِحِ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ

اَلنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَذٰلِكَ لِأَنَّ سَبَبَ هٰذَا الْمَاءِ إِنَّمَا هُوَ انْعِقَادُ الْبُخَارِ فِي الْجَوِّ أَعْنِي السَّحَابَ . وَالْجِبَالُ الشَّامِخَةُ الطِّوَالُ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَجَنُوبًا وَشِمَالًا تَمْنَعُ الرِّيَاحَ أَنْ تَسُوقَ الْبُخَارَ بَلْ تَجْعَلُهَا مُنْحَصِرَةً بَيْنَهَا حَتَّى يَلْحَقَهَا الْبَرْدُ فَتَصِيرَ مَطَرًا وَثَلْجًا . فَلَوْ فُرِضَتِ الْجِبَالُ مُرْتَفِعَةً عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ لَكَانَتِ الْأَرْضُ كُرَةً لَا غَوْرَ فِيهَا وَلَا نُتُوءَ فَالْبُخَارُ الْمُرْتَفِعُ لَا يَبْقَى فِي الْجَوِّ مُنْحَصِرًا إِلَى وَقْتِ يَضْرِبُهُ الْبَرْدُ بَلْ يَتَخَلَّلُ وَيَسْتَحِيلُ هَوَاءً فَلَا يَجْرِي الْمَاءُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا قَدْرَ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْمَطَرِ ثُمَّ تُنَشِّفُهُ الْأَرْضُ . فَكَانَ يَعْرِضُ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ النَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ يَعْدَمُ الْمَاءَ فِي الصَّيْفِ كَمَا فِي الْبَوَادِي الْبَعِيدَةِ . فَاقْتَضَى التَّدْبِيرُ الْإِلٰهِيُّ وُجُودَ الْجِبَالِ لِتَحْصُرَ الْبُخَارَ الْمُرْتَفِعَ مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَغْوَارِهَا وَتَمْنَعَهُ مِنَ السَّيَلَانِ وَتَمْنَعَ الرِّيَاحَ أَنْ تَسُوقَهُ

المعدنيّات

٤٠٢ أَلْمَعَادِنُ لَا تَكَادُ تُحْصَى لٰكِنْ مِنْهَا مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ وَمِنْهَا مَا لَا يَعْرِفُونَهُ وَهِيَ مَقْسُومَةٌ إِلَى مَا يَذُوبُ وَإِلَى مَا لَا يَذُوبُ . وَالَّذِي اشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْمَعَادِنِ سَبْعَةٌ وَهِيَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ وَالْحَدِيدُ وَالْقَصْدِيرُ وَالْأُسْرُبُ وَالْخَارَصِينِيُّ

٤٠٣ (أَلذَّهَبُ) . طَبْعُهُ حَارٌّ لَطِيفٌ لَا يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ لِأَنَّ النَّارَ لَا تَقْدِرُ عَلَى تَفْرِيقِ أَجْزَائِهِ (*) . وَلَا يَبْلَى فِي التُّرَابِ وَلَا يَصْدَأُ عَلَى طُولِ

(*) ذهب الاقدمون الى ان الاحتراق متوقف على افتراق الاجزاء وقد اتّفق المحدّثون

ٱلزَّمَانِ . وَهُوَ لَيِّنٌ أَصفَرُ بَرَّاقٌ طَيِّبُ ٱلرَّائِحَةِ ثَقِيلٌ رَزِينٌ . فَصُفْرَةُ لَوْنِهِ مِنْ نَارِيَّتِهِ . وَلِينُهُ مِنْ دُهْنِيَّتِهِ . وَبَرِيقُهُ مِنْ صَفَاءِ مَائِيَّتِهِ . وَثِقَلُهُ مِنْ تُرَابِيَّتِهِ . وَهُوَ أَشْرَفُ نِعْمَةِ ٱللهِ عَلَى عِبَادِهِ إِذْ بِهِ قِوَامُ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا وَنِظَامُ أَحْوَالِ ٱلْخَلْقِ لِٱضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِمْ . فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُحْتَاجٌ إِلَى أَعْيَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَسَائِرِ حَاجَاتِهِ . وَلَعَلَّهُ يَمْلِكُ مَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ كَمَنْ يَمْلِكُ ٱلثِّيَابَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى ٱلْبُرِّ . وَلَعَلَّ صَاحِبَ ٱلْبُرِّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ٱلثِّيَابِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَوَسِّطٍ يَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ . فَخَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلدَّرَاهِمَ وَٱلدَّنَانِيرَ مُتَوَسِّطَيْنِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ حَتَّى يُبْذَلَانِ فِي مُقَابَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبْذَلُ فِي مُقَابَلَتِهِمَا كُلُّ شَيْءٍ . وَهُمَا كَٱلْقَاضِيَيْنِ بَيْنَ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ يَقْضِيَانِ حَوَائِجَ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُمَا

٤٠٤ (أَلْحَدِيدُ) . جِسْمٌ (بَسِيطٌ) كَدِرُ ٱلْمَادَّةِ أَسْوَدُ ٱللَّوْنِ . وَهُوَ أَكْثَرُ فَائِدَةً مِنْ سَائِرِ ٱلْفِلِزَّاتِ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ ثَمَنًا . فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ . فَٱلْبَأْسُ فِي ٱلنُّصُولِ ٱلْمُتَّخَذَةِ مِنْهُ . وَٱلْمَنَافِعُ فِي ٱلْآلَاتِ وَٱلْأَدَوَاتِ حَتَّى قِيلَ : مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَلِلْحَدِيدِ فِيهَا فِي أَدَوَاتِهَا مَدْخَلٌ

الشجر

٤٠٥ (أَلشَّجَرُ) . هُوَ كُلُّ مَا لَهُ سَاقٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ . وَٱلْأَشْجَارُ ٱلْعِظَامُ بِمَثَابَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْعِظَامِ وَٱلنُّجُومُ بِمَثَابَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلصِّغَارِ . وَٱلْأَشْجَارُ

على أن الاحتراق انما يحصل بتركب الاكسجين في العالم مع المادَّة أو مع جزء منها

ٱلعِظَامُ لَا ثَمَرَ لَهَا كَالسَّاجِ وَالدُّلْبِ وَالعَرْعَرِ (*) لِأَنَّ ٱلْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ إِلَى نَفْسِ ٱلشَّجَرَةِ . وَلَا كَذٰلِكَ ٱلْأَشْجَارُ ٱلْمُثْمِرَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ وَٱلثَّمَرَةِ . وَقَدْ يُشَارِكُ ٱلنَّبَاتُ ٱلْحَيَوَانَ فِي أَمْرِ ٱلتَّغْذِيَةِ . فَإِنَّ ٱلْغِذَاءَ كَمَا يَسْرِي فِي بَدَنِ ٱلْحَيَوَانِ حَتَّى لَا تَبْقَى شَعْرَةٌ إِلَّا وَأَخَذَتْ مِنْهَا قِسْطَهَا فَكَذٰلِكَ ٱلْمَاءُ ٱلَّذِي صُبَّ فِي أَسْفَلِ ٱلشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ يَعْلُو إِلَى ٱلْأَغْصَانِ فِي دَاخِلِ تَجَاوِيفِ ٱلْأَشْجَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُنْشَرَ فِي جَمِيعِ أَوْرَاقِ ٱلْأَشْجَارِ وَفِي جَمِيعِ أَطْرَافِ ٱلْأَوْرَاقِ وَيُغَذِّي كُلَّ جُزْءٍ مِنْ كُلِّ وَرَقَةٍ وَيَجْرِي مِنْ تَجَاوِيفِ عُرُوقٍ شَعْرِيَّةٍ صِغَارٍ تُرَى فِي أَصْلِ ٱلْوَرَقِ وَكَأَنَّ ٱلْعِرْقَ ٱلْكَبِيرَ نَهْرٌ . وَمَا يَتَشَعَّبُ عَنْهُ جَدَاوِلُ فِي جَمِيعِ عَرْضِ ٱلْوَرَقِ فَيَصِلُ ٱلْمَاءُ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ ٱلْوَرَقَةِ . وَكَذٰلِكَ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ ٱلْفَوَاكِهِ (*) . وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ ٱلْبَارِي تَعَالَى خَلْقُ ٱلْأَوْرَاقِ عَلَى ٱلْأَشْجَارِ زِينَةً لَهَا وَوِقَايَةً لِثِمَارِهَا مِنْ نِكَايَةِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْهَوَاءِ . ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَفِعَةً عَنِ ٱلثِّمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضَ ٱلتَّفَرُّقِ لَا مُتَكَاثِفَةً عَلَيْهَا وَلَا بَعِيدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ ٱلثِّمَارُ مِنَ ٱلنَّسِيمِ تَارَةً وَمِنَ ٱلشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى . وَلَوْ تَكَاثَفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَنَعَتْهَا إِصَابَةَ ٱلنَّسِيمِ وَشُعَاعَ ٱلشَّمْسِ لَبَقِيَتْ عَلَى فَجَاجَتِهَا غَلِيظَةَ ٱلْجِلْدِ قَلِيلَةَ ٱلْمَائِيَّةِ . وَإِذَا

(*) يرد قول لعروي ان الجوز والنارجيل يثمران وكلاهما من الاشجار العظام والصحيح ان ثمر الاشجار العظام اصغر من ثمر الاشجار الصغار

(*) كان قدماء الطبيعيين يظنون ان الشجرة لا تغتذي الّا باصلها وفروعها وانما غذاؤها يكون ايضاً باوراقها التي هي فيها بمنزلة المسامّ في الجسد

سَقَطَ عنها بعضُ الْوَرَقِ أصابَتْها الشَّمسُ وأَحرقتها كما ترى في الرُّمَّانَةِ الَّتي احترق منها أحدُ الجوانبِ . ثُمَّ إذا فرغتِ الثَّمرةُ تناثرتِ الأوراقُ حتَّى لا تجذب مائيَّةَ الشَّجرةِ فتضعفَ قوَّتها (للقزويني)

٤٠٦ (أَلْبَلَسَانُ) . لا يُوجدُ اليومَ منهُ إلَّا بمصرَ بعينِ شمسٍ في موضعٍ مُحاطٍ عليهِ مُحتفظٍ بهِ مساحتهُ نحوُ سبعةِ أفدنةٍ . وارتفاعُ شجرتهِ نحوُ ذراعٍ وأكثرُ من ذلك وعليها قشرانِ الأعلى أحمرُ خفيفٌ والأسفلُ أخضرُ ثخينٌ . وإذا مُضِغَ ظهر في الفمِ منهُ دُهنيَّةٌ ورائحةٌ عطرةٌ . وورقهُ شبيهٌ بورقِ السَّذابِ ويُجتنى دهنهُ عند طلوعِ الشِّعرى بأن تُشدخَ السُّوقُ بعدَ ما يُحتُّ عنها جميعُ ورقها . وشدخُها يكونُ بحجرةٍ تُتَّخذُ مُحدَّدةً ويفتقرُ شدخُها إلى صناعةٍ بحيثُ يُقطعُ القشرُ الأعلى ويُشقُّ الأسفلُ شقًّا لا ينفذهُ إلى الخشبِ . فإنْ نفذَ إلى الخشبِ لم يخرجْ منهُ شيءٌ . فإذا شدخهُ كما وصفنا أمهلهُ ريثما يسيلُ لثاهُ على العودِ فيجمعهُ بإصبعهِ مسحًا إلى قرنٍ . فإذا امتلأَ صبَّهُ في قناني زجاجٍ ولا يزالُ كذلك حتَّى ينتهي جناهُ وينقطعَ لثاهُ . وكلَّما كثرَ النَّدى في الجوِّ كان لثاهُ أكثرَ وأغزرَ . وفي الجدبِ وقلَّةِ النَّدى يكونُ اللَّثا أنزرَ . ثُمَّ تُؤخذُ القناني فتُدفنُ إلى القيظِ وحمارَّةِ الحرِّ وتُخرجُ من الدَّفنِ وتُجعلُ في الشَّمسِ . ثُمَّ تُتفقَّدُ كلَّ يومٍ فيوجدُ الدُّهنُ وقد طفا فوقَ رطوبةٍ مائيَّةٍ وأثفالٍ أرضيَّةٍ فيُقطفُ الدُّهنُ . ثُمَّ تُعادُ إلى الشَّمسِ . ولا يزالُ يُشمِّسُها ويقطفُ دهنَها حتَّى لا يبقى

فيها دُهْنٌ . فيؤخذ ذٰلِكَ ٱلدُّهْنُ ويطبخه قَيّمه . ثُمَّ يرفعه إِلَى خزانة ٱلْمَلِكِ وَمِقْدَارُ ٱلدُّهْنِ ٱلْخَالِصِ مِنَ ٱلثَّنَا بِٱلتَّرْوِيقِ نَحْوُ عشرِ ٱلْجُمْلَةِ

٤٠٧ (ٱلْجُمَّيْزُ) . كَأَنَّهُ تِينٌ بَرِّيٌّ وَتَخْرُجُ ثَمَرَتُهُ فِي ٱلْخَشَبِ لَا تَحْتَ ٱلْوَرَقِ . وَيُخَلِّفُ فِي ٱلسَّنَةِ سَبْعَةَ بُطُونٍ . وَيُؤْكَلُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَيَحْمِلُ وِقْرًا عَظِيمًا . وَقَبْلَ أَنْ يُجْنَى بِأَيَّامٍ يَصْعَدُ رَجُلٌ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ وَمَعَهُ حَدِيدَةٌ يَسِمُ بِهَا حَبَّةً حَبَّةً مِنَ ٱلثَّمَرَةِ فَيَجْرِي مِنْهَا لَبَنٌ أَبْيَضُ . ثُمَّ يَسْوَدُّ ٱلْمَوْضِعُ وَتَحْلُو ٱلثَّمَرَةُ بِذٰلِكَ ٱلْفِعْلِ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ شَدِيدُ ٱلْحَلَاوَةِ أَحْلَى مِنَ ٱلتِّينِ لٰكِنَّهُ لَا يَنْفَكُّ فِي آخِرِ مَضْغِهِ مِنْ طَعْمِ خَشَبِيَّةٍ مَا . وَشَجَرَتُهُ كَبِيرَةٌ كَشَجَرَةِ ٱلْجَوْزِ ٱلْعَاتِيَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهِ وَغُصْنِهِ إِذَا فُصِدَتْ لَبَنٌ أَبْيَضُ إِذَا طُلِيَ عَلَى ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبَغَهُ وَأَحْمَرَ . وَخَشَبُهُ تُعْمَرُ بِهِ ٱلْمَسَاكِنُ وَتُتَّخَذُ مِنْهُ ٱلْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنَ ٱلْآلَاتِ ٱلْجَافِيَةِ . وَلَهُ بَقَاءٌ عَلَى ٱلدَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى ٱلْمَاءِ وَٱلشَّمْسِ . وَقَلَّمَا يَتَأَكَّلُ هٰذَا مَعَ أَنَّهُ خَشَبٌ خَفِيفٌ قَلِيلُ ٱللُّدُونَةِ . وَيُتَّخَذُ مِنْ ثَمَرَتِهِ خَلٌّ حَاذِقٌ وَنَبِيذٌ حَادٌّ (من كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف)

٤٠٨ (ٱلْعَنْبَةُ) . وَهِيَ شَجَرَةٌ تُشْبِهُ أَشْجَارَ ٱلنَّارَنْجِ إِلَّا أَنَّهَا أَعْظَمُ أَجْرَامًا وَأَكْثَرُ أَوْرَاقًا . وَظِلُّهَا أَكْثَرُ ٱلظِّلَالِ غَيْرَ أَنَّهُ ثَقِيلٌ فَمَنْ نَامَ تَحْتَهُ وُعِكَ . وَثَمَرُهَا عَلَى قَدَرِ ٱلْإِجَّاصِ ٱلْكَبِيرِ . فَإِذَا كَانَ أَخْضَرَ قَبْلَ تَمَامِ نُضْجِهِ أَخَذُوا مَا سَقَطَ مِنْهُ وَجَعَلُوا عَلَيْهِ ٱلْمِلْحَ وَصَيَّرُوهُ كَمَا يُصَيَّرُ ٱللِّيمُ وَٱللَّيْمُونُ بِبِلَادِنَا وَكَذٰلِكَ يُصَيِّرُونَ أَيْضًا ٱلزَّنْجَبِيلَ ٱلْأَخْضَرَ وَعَنَاقِيدَ

ٱلْفُلْفُلِ وَيَأْكُلُونَ ذٰلِكَ مَعَ ٱلطَّعَامِ يَأْخُذُونَ بِأَثَرِ كُلِّ لُقْمَةٍ يَسِيرًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَمْلُوحَاتِ. فَإِذَا نَضِجَتِ ٱلْعَنْبَةُ فِي أَوَانِ ٱلْخَرِيفِ ٱصْفَرَّتْ حَبَّاتُهَا فَأَكَلُوهَا كَٱلتُّفَّاحِ. فَبَعْضُهُمْ يَقْطَعُهَا بِٱلسِّكِّينِ وَبَعْضُهُمْ يَمُصُّهَا مَصًّا. وَهِيَ حُلْوَةٌ يُمَازِجُ حَلَاوَتَهَا يَسِيرُ حُمُوضَةٍ وَلَهَا نَوَاةٌ كَبِيرَةٌ يَزْرَعُونَهَا فَتَنْبُتُ مِنْهَا ٱلْأَشْجَارُ كَمَا تُزْرَعُ نَوَى ٱلنَّارَنْجِ وَغَيْرِهَا (لابن بطوطة)

٤٠٩ (ٱلْمَوْزُ). مَعَادِنُهُ عُمَانُ. وَتَنْبُتُ ٱلْمَوْزَةُ نَبَاتَ ٱلْبَرْدِيَّةِ لَهَا عُنْقَرَةٌ غَلِيظَةٌ وَوَرَقَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ نَحْوَ ثَلَاثِ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ. لَيْسَتْ بِمُنْخَرِطَةٍ عَلَى نَبَاتِ ٱلسَّعَفِ لٰكِنْ شِبْهُ ٱلْمُرَبَّعَةِ. وَتَرْتَفِعُ ٱلْمَوْزَةُ قَامَةً بَاسِطَةً. وَلَا تَزَالُ فِرَاخُهَا تَنْبُتُ حَوْلَهَا وَاحِدَةً أَصْغَرَ مِنَ ٱلْأُخْرَى. فَإِذَا أَجْرَتْ وَذٰلِكَ إِدْرَاكُ مَوْزِهَا قُطِعَتِ ٱلْأُمُّ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْلِهَا وَتُؤْخَذُ قِنْوُهَا. وَيَطْلُعُ أَكْبَرُ فِرَاخِهَا فَيَصِيرُ هُوَ ٱلْأُمَّ وَتَبْقَى ٱلْبَوَاقِي فِرَاخًا لَهَا وَلَا تَزَالُ عَلَى هٰذَا أَبَدَ ٱلدَّهْرِ. وَلِذٰلِكَ قَالَ أَشْعَبُ لِٱبْنِهِ فِيمَا يَرْوِي عَنْهُ ٱلْأَصْمَعِيُّ: يَا بُنَيَّ لِمَ لَا تَكُونُ مِثْلِي. فَقَالَ: أَنَا مِثْلُ ٱلْمَوْزَةِ لَا تَصْلُحُ حَتَّى تَمُوتَ أُمُّهَا (لابي حنيفة الدينوري)

٤١٠ (ٱلْفُلْفُلُ). شَجَرَةُ ٱلْفُلْفُلِ شَبِيهَةٌ بِدَوَالِي ٱلْعِنَبِ وَأَهْلُ ٱلْهِنْدِ يَغْرِسُونَهَا إِزَاءَ ٱلنَّارَجِيلِ. فَتَصْعَدُ فِيهَا كَصُعُودِ ٱلدَّوَالِي إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا عُسْلُوجٌ وَهُوَ ٱلْغَزْلُ كَمَا لِلدَّوَالِي. وَأَوْرَاقُ شَجَرِهِ تُشْبِهُ أَوْرَاقَ ٱلْخَيْلِ. وَبَعْضُهَا يُشْبِهُ أَوْرَاقَ ٱلْعُلَّيْقِ. وَيُثْمِرُ عَنَاقِيدَ صِغَارًا حَبُّهَا كَحَبِّ أَبِي قِنْيَنَةٍ إِذَا كَانَتْ خُضْرًا. وَإِذَا كَانَ أَوَانُ ٱلْخَرِيفِ قَطَفُوهُ وَفَرَشُوهُ عَلَى ٱلْحُصْرِ

فِي ٱلشَّمسِ كَمَا يُصنَعُ بِٱلْعِنَبِ عِنْدَ تَزْبِيبِـهِ . وَلَا يَزَالُونَ يُقَلِّبُونَهُ حَتَّى يَسْتَحْكِمَ يَبسُهُ وَيَسْوَدَّ . ثُمَّ يَبِيعُونَهُ مِنَ ٱلتُّجَّارِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُه بِمَدِينَـةِ قَالِقُوطَ يُصَبُّ لِلْكَيْلِ كَٱلذُّرَةِ بِبِلَادِنَا (لابن بطوطة)

النجوم

٤١١ (أَلنُّجُومُ) كُلُّ نَبْتٍ لَيسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ كَٱلزُّرُوعِ وَٱلْبُقُولِ وَٱلرَّيَاحِينِ وَٱلْحَشَائِشِ ٱلْبَرِّيَّةِ . وَقَدْ أَجرَى ٱللهُ عَادَتَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَنَّهُ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَيُجْرِي يَابِسَ أَنْهَارِهَا وَيَنْشُرُ رُفَاتَ نَبَاتِهَا حَتَّى تَرَى مِنَ ٱلْأَوْرَاقِ مُخْضَرَّةً . وَمِنَ ٱلْأَزْهَارِ مُحْمَرَّةً وَمُصْفَرَّةً . لِيَستَدِلَّ بِهِ ذُو ٱلطَّبْعِ ٱلسَّلِيمِ . وَٱلْفَهْمِ ٱلْمُسْتَقِيمِ . عَلَى إِحْيَاءِ ٱلْأَمْوَاتِ . وَإِعَادَةِ ٱلْعِظَامِ ٱلرُّفَاتِ

وَمِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْعَجِيبَةِ ٱلْقُوَّةُ ٱلَّتِي خَلَقَهَا ٱللهُ تَعَالَى فِي نَفْسِ ٱلْحَبِّ فَإِنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ فِي بَطْنِ ٱلْأَرْضِ جَذَبَتْ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ ٱلْقُوَّةِ ٱلرُّطُوبَةَ ٱلَّتِي تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ لَهَا غِذَاءً مِنْ نَفْسِ ٱلْأَرْضِ مِمَّا حَوَالَيْهَا . كَشُعْلَةِ نَارِ ٱلسِّرَاجِ فَإِنَّهَا تَجْذِبُ ٱلرُّطُوبَةَ ٱلَّتِي فِي ٱلسِّرَاجِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةٍ خَلَقَهَا ٱللهُ تَعَالَى فِيهَا . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ ٱلرُّطُوبَةَ إِذَا حَصَلَتْ فِي نَفْسِ ٱلْحَبِّ صَارَتْ غِذَاءً لَهَا وَتَعْمَلُ فِيهَا ٱلْقُوَى ٱلطَّبِيعِيَّةُ حَتَّى تَبْلُغَ كَمَالَهَا . وَٱلنُّجُومُ فِي جِنْسِ ٱلنَّبَاتِ كَٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلصِّغَارِ فِي جِنْسِ ٱلْحَيَوَانِ وَٱلْأَشْجَارُ ٱلْكِبَارُ كَٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْكِبَارِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ ٱلْبَرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلَّتِي لَا عَظْمَ لَهَا شَيْءٌ كَذٰلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ ٱلنَّبَاتِ شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ خَشَبٌ صُلْبٌ .

وَأَمَّا ٱلْحَيَوَانَاتُ ٱلْكِبَارُ فَإِنَّهَا تَصْبِرُ عَلَى ٱلْبَرْدِ وَكَذٰلِكَ ٱلْأَشْجَارُ . ثُمَّ إِنَّ عُقُولَ ٱلْعُقَلَاءِ مُتَحَيِّرَةٌ فِي أَمْرِ ٱلْحَشَائِشِ وَعَجَائِبِهَا . وَأَفْهَامُ ٱلْأَذْكِيَاءِ قَاصِرَةٌ عَنْ ضَبْطِ خَوَاصِّهَا وَفَوَائِدِهَا . وَكَيْفَ لَا مَعَ مَا يُشَاهَدُ مِنْ تَنَوُّعِ صُوَرِ قُضْبَانِهَا وَٱخْتِلَافِ أَشْكَالِ أَوْرَاقِهَا وَعَجِيبِ أَلْوَانِ أَزْهَارِهَا وَتَنَوُّعِ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا . كَٱلْحُمْرَةِ مَثَلًا فَإِنَّهَا قَدْ تَكُونُ أُرْجُوَانِيَّةً كَمَا تَرَى فِي ٱلسُّوسَنِ . وَقَدْ تَكُونُ مُشْبَعَةً جِدًّا كَمَا تَرَى فِي شَقَائِقِ ٱلنُّعْمَانِ . وَقَدْ تَكُونُ نَارِيَّةً كَٱلْأَذَرْيُونِ . وَقَدْ تَكُونُ خَفِيفَةً كَٱلْوَرْدِ هٰكَذَا حَالُ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا . ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَائِحِهَا وَمُخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ ٱشْتِرَاكِ ٱلْكُلِّ فِي ٱلطِّيبِ . ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا . فَإِنَّ لِكُلِّ حَبٍّ وَوَرَقٍ وَزَهْرٍ وَعِرْقٍ شَكْلًا وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَائِحَةً وَخَاصِّيَّةً بَلْ خَاصِّيَّاتٌ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا ٱللّٰهُ . وَٱلَّتِي عَرَفَهَا ٱلْإِنْسَانُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ (للقزويني)

٤١٢ (ٱلْبَامِيَةُ) . وَهِيَ ثَمَرٌ بِقَدْرِ إِبْهَامِ ٱلْيَدِ كَأَنَّهُ جِرَاءُ ٱلْقِثَّاءِ شَدِيدُ ٱلْخُضْرَةِ إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ زِئْبِرًا مُشَوَّكًا وَهُوَ مُخَمَّسُ ٱلشَّكْلِ يُحِيطُ بِهِ خَمْسَةُ أَضْلَاعٍ فَإِذَا شُقَّ ٱنْشَقَّ عَنْ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ بَيْنَهَا حَوَاجِزُ . وَفِي تِلْكَ ٱلْأَبْيَاتِ حَبٌّ مُصْطَفٌّ مُسْتَدِيرٌ أَبْيَضُ أَصْغَرُ مِنَ ٱللُّوبِيَاءِ هَشٌّ يَضْرِبُ إِلَى ٱلْحَلَاوَةِ . وَفِيهِ ٱللُّعَابِيَّةُ كَثِيرَةٌ . يَطْبُخُ أَهْلُ مِصْرَ بِهِ ٱللَّحْمَ بِأَنْ يُقَطَّعَ مَعَ قُشُورِهِ صِغَارًا وَيَكُونُ طَعَامًا لَا بَأْسَ بِهِ . ٱلْغَالِبُ عَلَى طَبْعِهِ ٱلْحَرَارَةُ وَٱلرُّطُوبَةُ وَلَا يَظْهَرُ فِي طَبِيخِهِ قَبْضٌ بَلْ لُزُوجَةٌ

٤١٣ (ٱلْقُلْقَاسُ) . هُوَ أُصُولٌ بِقَدْرِ ٱلْخِيَارِ . وَمِنْهُ صِغَارٌ كَٱلْأَصَابِعِ

يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ خَفِيفَةٍ يُقَشَّرُ ثُمَّ يُشَقَّقُ عَلَى مِثْلِ ٱلسَّلْجَمِ. وَهُوَ كَثِيفٌ مُكْتَنِزٌ يُشَابِهُ ٱلْمَوْزَ ٱلْأَخْضَرَ ٱلْفَجَّ فِي طَعْمِهِ. وَفِيهِ قَبْضٌ يَسِيرٌ مَعَ حَرَافَةٍ قَوِيَّةٍ وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى حَرَارَتِهِ وَيَبْسِهِ. فَإِذَا سُلِقَ زَالَتْ حَرَافَتُهُ جُمْلَةً وَحَدَثَ لَهُ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْقَبْضِ ٱلْيَسِيرِ لُزُوجَةٌ مُغَرِّيَةٌ كَانَتْ فِيهِ بِٱلْقُوَّةِ. إِلَّا أَنَّ حَرَافَتَهُ كَانَتْ تُخْفِيهَا وَتَسْتُرُهَا وَلِذٰلِكَ صَارَ غِذَاؤُهُ غَلِيظًا بَطِيءَ ٱلْهَضْمِ ثَقِيلًا فِي ٱلْمَعِدَةِ. إِلَّا أَنَّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلْقَبْضِ وَٱلْعُفُوصَةِ صَارَ قَوِيًّا لِلْمَعِدَةِ (لعبد اللطيف)

جنس الحيوان

٤١٤ أَلْحَيَوَانُ مَا فِيهِ حَيَاةٌ. قَالَ ٱلْجَاحِظُ: ٱلْحَيَوَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ. شَيْءٌ يَمْشِي وَشَيْءٌ يَطِيرُ وَشَيْءٌ يَعُومُ وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَطِيرُ يَمْشِي وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَمْشِي يَطِيرُ. فَأَمَّا ٱلنَّوْعُ ٱلَّذِي يَمْشِي فَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. نَاسٌ وَبَهَائِمُ وَسِبَاعٌ. وَٱلطَّيْرُ كُلُّهُ سَبُعٌ وَبَهِيمَةٌ وَهَمَجٌ. وَٱلْخَشَاشُ مَا لَطُفَ جِرْمُهُ وَصَغُرَ جِسْمُهُ وَكَانَ عَدِيمَ ٱلسِّلَاحِ. وَٱلْهَمَجُ لَيْسَ مِنَ ٱلطُّيُورِ وَلٰكِنَّهُ يَطِيرُ. وَهُوَ فِيمَا يَطِيرُ كَٱلْحَشَرَاتِ فِيمَا يَمْشِي. وَٱلسَّبُعُ مِنَ ٱلطَّيْرِ مَا أَكَلَ ٱللَّحْمَ خَالِصًا. وَٱلْبَهِيمَةُ مَا أَكَلَ ٱلْحَبَّ خَالِصًا. وَٱلْمُشْتَرَكُ كَٱلْعُصْفُورِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذِي مِخْلَبٍ وَلَا مِنْسَرٍ وَهُوَ يَلْقُطُ ٱلْحَبَّ وَمَعَ ذٰلِكَ يَصِيدُ ٱلنَّمْلَ وَيَصِيدُ ٱلْجَرَادَ وَيَأْكُلُ ٱللَّحْمَ وَلَا يَزُقُّ فِرَاخَهُ كَمَا يَزُقُّ ٱلْحَمَامُ فَهُوَ مُشْتَرَكُ ٱلطَّبِيعَةِ. وَأَشْبَاهُ ٱلْعَصَافِيرِ مِنَ ٱلْمُشْتَرَكِ كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَا طَارَ بِجَنَاحَيْنِ مِنَ

ٱلطَّيْرِ فَقَدْ يَطِيرُ ٱلْجِعْلَانُ وَٱلذُّبَابُ وَٱلزَّنَابِيرُ وَٱلْجَرَادُ وَٱلنَّمْلُ وَٱلْفَرَاشُ وَٱلْبَعُوضُ وَٱلْأَرَضَةُ وَغَيْرُ ذٰلِكَ وَلَا تُسَمَّى طُيُورًا (للدميري)

الانسان

٤١٥ (إِنْسَانٌ) . قَالَ ٱلْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْمَالِكِيُّ ٱلْإِمَامُ ٱلْعَلَّامَةُ : لَيْسَ لِلّٰهِ تَعَالَى خَلْقٌ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ . فَإِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى خَلَقَهُ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُدَبِّرًا حَكِيمًا وَهٰذِهِ صِفَاتُ ٱلرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا . قَالَ تَعَالَى : لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَهُوَ ٱعْتِدَالُهُ وَتَسْوِيَةُ أَعْضَائِهِ لِأَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ مُنْكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ وَخَلَقَهُ سَوِيًّا . وَلَهُ لِسَانٌ ذَلِقٌ يَنْطِقُ بِهِ وَيَدٌ وَأَصَابِعُ يَقْبِضُ بِهَا . مُؤَدَّبًا بِٱلْأَمْرِ مُهَذَّبًا بِٱلتَّمْيِيزِ . يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ وَمَشْرُوبَهُ بِيَدِهِ . وَٱفْتَتَحَ ٱبْنُ بَخْتِيشُوعَ ٱلطَّبِيبُ ٱلنَّصْرَانِيُّ كِتَابَهُ فِي ٱلْحَيَوَانِ بِٱلْإِنْسَانِ وَقَالَ : إِنَّهُ أَعْدَلُ ٱلْحَيَوَانِ مِزَاجًا وَأَكْمَلُهُ أَفْعَالًا وَأَلْطَفُهُ حِسًّا وَأَنْفَذُهُ رَأْيًا . فَهُوَ كَٱلْمَلِكِ ٱلْمُسَلَّطِ ٱلْقَاهِرِ لِسَائِرِ ٱلْخَلِيقَةِ وَٱلْآمِرِ لَهَا . وَذٰلِكَ بِمَا وَهَبَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ ٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي بِهِ يُمَيِّزُ عَلَى كُلِّ ٱلْحَيَوَانِ ٱلْبَهِيمِيِّ فَهُوَ بِٱلْحَقِيقَةِ مَلِكُ ٱلْعَالَمِ . وَلِذٰلِكَ سَمَّاهُ قَوْمٌ مِنَ ٱلْأَقْدَمِينَ ٱلْعَالَمَ ٱلْأَصْغَرَ

النَّعم

٤١٦ أَلنَّعَمُ وَهِيَ تَشْمَلُ ٱلْإِبِلَ وَٱلْبَقَرَ وَٱلْغَنَمَ وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلْفَائِدَةِ سَهْلَةُ ٱلْاِنْقِيَادِ . لَيْسَ لَهَا شَرَاسَةُ ٱلدَّوَابِّ وَلَا نَفْرَةُ ٱلسِّبَاعِ . وَلِشِدَّةِ حَاجَةِ ٱلنَّاسِ إِلَيْهَا لَمْ يَخْلُقِ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهَا سِلَاحًا شَدِيدًا كَأَنْيَابِ

ٱلسِّبَاعِ وَبَرَاثِنِهَا وَأَنْيَابِ ٱلْحَشَرَاتِ وَإِبَرِهَا. وَجَعَلَ فِي شَأْنِهَا ٱلثَّبَاتَ وَٱلصَّبْرَ عَلَى ٱلتَّعَبِ وَٱلْجُوعِ وَٱلْعَطَشِ. وَخَلَقَهَا ذَلُولًا تُقَادُ بِٱلْأَيْدِي فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ. وَجَعَلَ ٱللهُ قَرْنَهَا سِلَاحًا لِتَأْمَنَ بِهِ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ. وَلَمَّا كَانَ مَأْكَلُهَا ٱلْحَشِيشَ ٱقْتَضَتِ ٱلْحِكْمَةُ ٱلْإِلٰهِيَّةُ أَنْ تَجْعَلَ لَهَا أَفْوَاهًا وَاسِعَةً وَأَسْنَانًا حِدَادًا وَأَضْرَاسًا صِلَابًا لِتَطْحَنَ بِهَا ٱلْحَبَّ وَٱلنَّوَى

٤١٧ (أَلْجَامُوسُ). هُوَ حَيَوَانٌ عِنْدَهُ شَجَاعَةٌ وَشِدَّةٌ وَبَأْسٌ. وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ أَجْزَعُ خَلْقِ ٱللهِ يَفْرَقُ مِنْ عَضِّ بَعُوضَةٍ وَيَهْرُبُ مِنْهَا إِلَى ٱلْمَاءِ. وَٱلْأَسَدُ يَخَافُهُ. وَهُوَ مَعَ شِدَّتِهِ وَغِلَظِهِ ذَكِيٌّ. وَيُقَالُ إِنَّهُ لَا يَنَامُ أَصْلًا لِكَثْرَةِ حِرَاسَتِهِ لِنَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ. وَإِذَا ٱجْتَمَعَ ضَرَبَ دَائِرَةً وَتَجْعَلُ رُؤُوسَهَا خَارِجَ ٱلدَّائِرَةِ وَأَذْنَابَهَا إِلَى دَاخِلِهَا وَٱلرُّعَاةُ وَأَوْلَادُهَا مِنْ دَاخِلٍ. فَتَكُونُ ٱلدَّائِرَةُ كَأَنَّهَا مَدِينَةٌ مُسَوَّرَةٌ مِنْ صَيَاصِيهَا. وَٱلذَّكَرُ مِنْهَا يُنَاطِحُ ذَكَرًا آخَرَ. فَإِذَا غَلَبَ أَحَدُهُمَا دَخَلَ أَجَمَةً فَيُقِيمُ فِيهَا حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ قَوِيَ فَيَخْرُجُ. وَيَطْلُبُ ذٰلِكَ ٱلْفَحْلَ ٱلَّذِي غَلَبَهُ فَيُنَاطِحُهُ حَتَّى يَغْلِبَهُ وَيَطْرُدَهُ. وَهُوَ يَتَغَمَّسُ فِي ٱلْمَاءِ غَالِبًا إِلَى خُرْطُومِهِ. وَٱلْجَامُوسُ يَقْتُلُ ٱلتِّمْسَاحَ مَعَ عِظَمِ بَدَنِهِ وَهَوْلِ جُثَّتِهِ. يَمْشِي إِلَى ٱلْأَسَدِ رَخِيَّ ٱلْبَالِ ثَابِتَ ٱلْجَنَانِ رَابِطَ ٱلْجَاشِ. وَلَيْسَ فِي قَرْنِهِ حِدَّةٌ كَمَا فِي قَرْنِ ٱلْبَقَرِ فَضْلًا عَنْ حِدَّةِ أَطْرَافِ مَخَالِبِ ٱلْأَسَدِ وَأَنْيَابِهِ (للدميري)

٤١٨ (بَقَرٌ). حَيَوَانٌ كَثِيرُ ٱلْمَنْفَعَةِ شَدِيدُ ٱلْقُوَّةِ خَلَقَهُ ٱللهُ ذَلُولًا مُنْقَادًا لِلنَّاسِ. وَإِنَّمَا لَمْ يُخْلَقْ لَهُ سِلَاحٌ شَدِيدٌ مِثْلُ ٱلسِّبَاعِ وَغَيْرِهَا لِأَنَّهُ

فِي رِعَايَةِ ٱلإِنْسَانِ. فَٱلإِنْسَانُ يَدْفَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ بِخِلَافِ ٱلسِّبَاعِ. وَلِأَنَّ حَاجَةَ ٱلإِنْسَانِ إِلَيْهِ مَاسَّةٌ فَلَوْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ شَدِيدٌ صَعُبَ ضَبْطُهُ. وَٱلْبَقَرُ ٱلأَجَمُّ يَعْلَمُ أَنَّ سِلَاحَهُ فِي رَأْسِهِ فَيَسْتَعْمِلُ مَحَلَّ ٱلْقَرْنِ كَمَا تَرَى مِنَ ٱلْعَجَاجِيلِ قَبْلَ نَبَاتِ ٱلْقَرْنِ تَنْطَحُ بِرُؤُوسِهَا. وَذٰلِكَ لِمَعْنًى خُلِقَ لِطَبِيعَتِهَا فَيَعْمَلُ ذٰلِكَ بِٱلطَّبْعِ. وَلَمْ يُخْلَقْ لِلْبَقَرِ ٱلثَّنَايَا ٱلْفَوْقَانِيَّةُ فَيَقْلَعُ ٱلْحَشِيشَ بِٱلسُّفْلَانِيَّةِ (لِلقزويني)

٤١٩ (ظَبْيُ ٱلْمِسْكِ). هُوَ كَسَائِرِ ٱلظِّبَاءِ عِنْدَنَا فِي ٱلْقَدِّ وَٱللَّوْنِ وَدِقَّةِ ٱلْقَوَائِمِ وَٱفْتِرَاقِ ٱلأَظْلَافِ وَٱنْتِصَابِ ٱلْقُرُونِ وَٱنْعِطَافِهَا. وَلَهَا نَابَانِ دَقِيقَانِ أَبْيَضَانِ فِي ٱلْفَكَّيْنِ قَائِمَانِ فِي وَجْهِ ٱلظَّبْيِ. طُولُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْدَارُ فِتْرٍ وَدُونَهُ عَلَى هَيْئَةِ نَابِ ٱلْفِيلِ فَهُوَ ٱلْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ ٱلظِّبَاءِ. وَأَجْوَدُ ٱلْمِسْكِ كُلِّهِ مَا حَكَّهُ ٱلظَّبْيُ عَلَى أَحْجَارِ ٱلْجِبَالِ إِذْ كَانَ مَادَّةً تَصِيرُ فِي سُرَّتِهِ وَيَجْتَمِعُ دَمًا عَبِيطًا كَٱجْتِمَاعِ ٱلدَّمِ فِيمَا يَعْرِضُ مِنَ ٱلدَّمَامِلِ. فَإِذَا أَدْرَكَ حَكَّهُ وَأَضْجَرَهُ فَيَفْزَعُ إِلَى ٱلْحِجَارَةِ حَتَّى يَخْرِقَهُ فَيَسِيلُ مَا فِيهِ فَإِذَا خَرَجَ عَنْهُ جَفَّ وَٱنْدَمَلَ وَعَادَتِ ٱلْمَادَّةُ تَجْتَمِعُ فِيهِ كَمِنْ ذِي قَبْلٍ. وَبِٱلتُّبَّتِ رِجَالٌ يَخْرُجُونَ فِي طَلَبِ هٰذَا وَلَهُمْ بِهِ مَعْرِفَةٌ. فَإِذَا وَجَدُوهُ ٱلْتَقَطُوهُ وَجَمَعُوهُ وَأَوْدَعُوهُ ٱلنَّوَافِجَ وَحُمِلَ إِلَى مُلُوكِهِمْ. وَهُوَ نِهَايَةُ ٱلْمِسْكِ إِذْ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ عَلَى حَيَوَانِهِ. وَصَارَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ ٱلْمِسْكِ كَفَضْلِ مَا يُدْرِكُ مِنَ ٱلثِّمَارِ فِي شَجَرِهِ عَلَى سَائِرِ مَا يُنْزَعُ مِنْهُ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ (لِلمسعودي)

٤٢٠ (فَرَسٌ). مِنْ أَحْسَنِ ٱلْحَيَوَانَاتِ بَعْدَ ٱلْإِنْسَانِ صُورَةً وَأَشَدِّ ٱلدَّوَابِّ عَدْوًا وَذَكَاءً. وَلَهُ خِصَالٌ حَمِيدَةٌ وَأَخْلَاقٌ مَرْضِيَّةٌ. مِنْ ذٰلِكَ حُسْنُ صُورَتِهِ وَتَنَاسُبُ أَجْزَائِهِ وَأَعْضَائِهِ وَصَفَاءُ لَوْنِهِ وَسُرْعَةُ عَدْوِهِ وَحُسْنُ طَاعَتِهِ لِفَارِسِهِ كَيْفَ صَرَفَهُ ٱنْقَادَ لَهُ. وَمِنْهَا مَا يَلْعَبُ ٱلْفَارِسُ عَلَى ظَهْرِهِ بِٱلْكُرَةِ فَلَا يَحْتَاجُ ٱلرَّاكِبُ أَنْ يَصْرِفَهُ بَلْ عَيْنُهُ إِلَى ٱلْكُرَةِ كُلَّمَا رَأَى ٱلْكُرَةَ يَعْدُو خَلْفَهَا. وَمِنَ ٱلْفَرَسِ مَا يَعْرِفُ صَاحِبَهُ فَلَا يُمَكِّنُ غَيْرَهُ مِنْ رُكُوبِهِ. وَمِنَ ٱلْخَيْلِ مَا يَلْحَقُ ٱلظَّبْيَ حَتَّى يَضْرِبَ رَاكِبُهُ ٱلظَّبْيَ بِٱلسَّيْفِ

السباع

٤٢١ (إِبْنُ آوَى). جَمْعُهُ بَنَاتُ آوَى وَسُمِّيَ ٱبْنَ آوَى لِأَنَّهُ يَأْوِي إِلَى عُوَاءِ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَلَا يَعْوِي إِلَّا لَيْلًا. وَذٰلِكَ إِذَا ٱسْتَوْحَشَ وَبَقِيَ وَحْدَهُ. وَصِيَاحُهُ يُشْبِهُ صِيَاحَ ٱلصِّبْيَانِ. وَهُوَ طَوِيلُ ٱلْمَخَالِبِ وَٱلْأَظْفَارِ يَعْدُو عَلَى غَيْرِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا يَصِيدُ مِنَ ٱلطُّيُورِ وَغَيْرِهَا. وَخَوْفُ ٱلدَّجَاجِ مِنْهُ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهَا مِنَ ٱلثَّعْلَبِ لِأَنَّهُ إِذَا مَرَّ تَحْتَهَا وَهِيَ عَلَى ٱلشَّجَرَةِ أَوِ ٱلْجِدَارِ تَسَاقَطَتْ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدًا كَثِيرًا. وَٱبْنُ آوَى يُفْسِدُ ٱلْكُرُومَ وَٱلثِّمَارَ وَإِذَا أَرَادَ صَيْدَ طَيْرِ ٱلْمَاءِ جَمَعَ حُزْمَةً مِنَ ٱلْحَشِيشِ وَيَرْمِيهَا فِي ٱلْمَاءِ وَيَتْرُكُهَا حَتَّى يَسْتَأْنِسَ ٱلطَّيْرُ بِهَا وَيَقَعَ عَلَيْهَا. فَإِذَا رَأَى ٱسْتِئْنَاسَ ٱلطَّيْرِ بِهَا جَعَلَ يَمْشِي خَلْفَهَا وَيَصْطَادُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ

٤٢٢ (أَلْخِنْزِيرُ). حَيَوَانٌ سَمِجُ ٱلشَّكْلِ صَعْبٌ لَهُ نَابَانِ كَنَابَيِ

ٱلفيــلِ يَضرِبُ بِهِمَا • ورَأْسُهُ كَرَأْسِ ٱلجَامُوسِ • وَلَهُ ظِلْفٌ كَمَا لِلبَقَرِ يَلطَخُ بَدَنَهُ بِٱلطِّـينِ وَٱلأَشيَاءِ ٱللَّزِجَةِ حَتَّى يَصيرَ جِلدُهُ كَٱلجَوشَنِ لَا تَعمَلُ فِيهِ أَنيَابُ ٱلخَنَازِيرِ عِندَ ٱلخُصُومَةِ • وَهُوَ أَنسَلُ ٱلحَيَوَانَاتِ لِأَنَّهَا تَضَعُ عِشرِينَ خِنَّوصًا • فَٱلخِنزِيرُ يَأْكُلُ ٱلحَيَّةَ أَكلًا ذَرِيعًا وَسَمُّ ٱلحَيَّةِ لَا يَعمَلُ فِي ٱلخِنزِيرِ • وَهُوَ أَروَغُ مِنَ ٱلثَّعلَبِ • يَهرُبُ مِنَ ٱلفَارِسِ حَتَّى يَطمَعَ فِيهِ ٱلفَارِسُ وَيَعدُو خَلفَهُ وَيَتعَبَ ثُمَّ يَكُرُّ عَلَيهِ وَيَضرِبُ ٱلفَرَسَ أَوِ ٱلفَارِسَ ضَربَةً شَدِيدَةً بِنَابِهِ فَيَقتُلُهُ (للقزويني)

٤٢٣ (ٱلذِّئبُ) • حَيَوَانٌ كَثِيرُ ٱلخُبثِ ذُو غَارَاتٍ وَخُصُومَاتٍ وَمُكَابَرَةٍ وَخَتلٍ شَدِيدٍ • وَقَلَّمَا يُخطِئُ فِي وَثبَتِـهِ • وَعِندَ ٱجتِمَاعِهَا لَا يَنفَرِدُ أَحَدٌ مِنهَا إِذْ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفسِهِ مِنهَا • وَإِذَا أَصَابَ أَحَدَهَا جِرحَةٌ أَو ضَربَةٌ عَلِمَت أَنَّهُ ضَعِيفٌ ٱجتَمَعَت وَأَكَلَتهُ • وَإِذَا نَامَتِ ٱلذِّئَابُ وَاجَهَ بَعضُهَا بَعضًا وَلَا يَنَامُ خَلفَهُ حَتَّى يَنظُرَ أَحَدُهُمَا إِلَى ٱلآخَرِ وَقِيلَ إِنَّهُ يَنَامُ بِإِحدَى عَينَـيهِ وَيَفتَحُ ٱلأُخرَى • قَالَ حُمَيدٌ ٱلهِلَالِيُّ :

يَنَامُ بِإِحدَى مُقلَتَيهِ وَيَتَّقِي ٱلـمَنَايَا بِأُخرَى فَهُوَ يَقظَانُ هَاجِعُ

وَإِذَا عَجَزَ عَن غَلَبَةِ مَن يُقَاوِمُهُ يَعوِي حَتَّى يَأْتِيَ مَا يَسمَعُ عُوَاءَهُ مِنَ ٱلذِّئَابِ يُعَاوِنُهُ • وَإِذَا مَرِضَ ٱنفَرَدَ عَنِ ٱلذِّئَابِ وَيَعلَمُ أَنَّهَا إِن أَحَسَّت بِمَرَضِهِ أَكَلَتهُ • وَفِيهِ مِن قُوَّةِ حَاسَّةِ ٱلشَّمِّ أَنَّهُ يُدرِكُ ٱلمَشمُومَ مِن فَرسَخٍ • وَأَكثَرُ مَا يَتَعَرَّضُ لِلغَنَمِ فِي ٱلصُّبحِ وَإِنَّمَا يَتَوَقَّعُ فَترَةَ ٱلكَلبِ وَنَومَهُ وَكَلَالَهُ لِأَنَّهُ يَظَلُّ طُولَ لَيـلِهِ حَارِسًا مُتَيَقِّظًا • وَمِن غَرِيبِ

أَمْرِهِ أَنَّهُ إِذَا كَدَّهُ ٱلْجُوعُ عَوَى فَتَجْتَمِعُ لَهُ ٱلذِّئَابُ وَيَقِفُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَمَنْ وَلَّى مِنْهَا وَثَبَ إِلَيْهِ ٱلْبَاقُونَ وَأَكَلُوهُ . وَإِذَا عَرَضَ لِلْإِنْسَانِ وَخَافَ ٱلْعَجْزَ عَنْهُ عَوَى عُوَاءَ ٱسْتِغَاثَةٍ فَتَسْمَعُهُ ٱلذِّئَابُ فَتُقْبِلُ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ إِقْبَالًا وَاحِدًا وَهُمْ سَوَاءٌ فِي ٱلْحِرْصِ عَلَى أَكْلِهِ . فَإِنْ أَدْمَى ٱلْإِنْسَانُ وَاحِدًا مِنْهَا وَثَبَ ٱلْبَاقُونَ عَلَى ٱلْمُدْمَى فَمَزَّقُوهُ وَتَرَكُوا ٱلْإِنْسَانَ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ يُعَاتِبُ صَدِيقًا مَالَ عَنْهُ :

وَكُنْتَ كَذِئْبِ ٱلسُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا ... بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى ٱلدَّمِ

٤٢٤ (أَلسِّنَّوْرُ) . حَيَوَانٌ أَلُوفٌ مُتَمَلِّقٌ خَلَقَهُ ٱللهُ تَعَالَى لِدَفْعِ ٱلْفَأْرِ . وَهُوَ يُحِبُّ ٱلنَّظَافَةَ فَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِلُعَابِهِ . وَإِذَا تَلَطَّخَ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِهِ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يُنَظِّفَهُ . وَإِذَا أَلِفَ ٱلسِّنَّوْرُ مَنْزِلًا مَنَعَ غَيْرَهُ مِنَ ٱلسَّنَانِيرِ ٱلدُّخُولَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَنْزِلِ وَحَارَبَهُ أَشَدَّ مُحَارَبَةٍ وَهُوَ مِنْ جِنْسِهِ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّ أَرْبَابَهُ رُبَّمَا ٱسْتَحْسَنُوهُ وَقَدَّمُوهُ عَلَيْهِ أَوْ شَارَكُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي ٱلْمَطْعَمِ وَإِنْ أَخَذَ شَيْئًا مِمَّا يَخْزُنُهُ أَصْحَابُ ٱلْمَنْزِلِ عَنْهُ هَرَبَ عِلْمًا مِنْهُ بِمَا يَنَالُهُ مِنْهُمْ مِنَ ٱلضَّرْبِ . وَإِذَا طَرَدُوهُ تَمَلَّقَهُمْ وَتَمَسَّحَ بِهِمْ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ يُخَلِّصُهُ ٱلتَّمَلُّقُ وَيَحْصُلُ لَهُ ٱلْعَفْوُ وَٱلْإِحْسَانُ . وَإِذَا مَرَّ ٱلْفَأْرُ عَلَى ٱلسَّقْفِ ٱسْتَلْقَى وَيُحَرِّكُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لِيَرَاهُ ٱلْفَأْرُ فَيَسْقُطَ مِنَ ٱلسَّقْفِ فَزَعًا . وَإِذَا صَادَ شَيْئًا مِنَ ٱلْفَأْرِ يَلْعَبُ بِهَا زَمَانًا فَرُبَّمَا يُخَلِّيهَا حَتَّى تُمْعِنَ فِي ٱلْهَرَبِ وَظَنَّتْ أَنَّهَا نَجَتْ . ثُمَّ يَثِبُ عَلَيْهَا وَيَأْخُذُهَا . فَلَا يَزَالُ يَخْدَعُهَا بِٱلسَّلَامَةِ وَيُورِثُهَا ٱلْحَسْرَةَ وَٱلْأَسَفَ وَيَلْتَذُّ بِتَعْذِيبِهَا ثُمَّ

يَأْكُلُهَا . وَٱلسِّنَّوْرُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ . أَهْلِيٌّ وَوَحْشِيٌّ وَسِنَّوْرُ ٱلزَّبَادِ . وَكُلٌّ مِنَ ٱلْأَهْلِيِّ وَٱلْوَحْشِيِّ لَهُ نَفْسٌ غَضُوبَةٌ وَيَفْتَرِسُ وَيَأْكُلُ ٱللَّحْمَ ٱلْحَيَّ . وَأَمَّا سِنَّوْرُ ٱلزَّبَادِ فَهُوَ كَٱلسِّنَّوْرِ ٱلْأَهْلِيِّ لٰكِنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ ذَنَبًا وَأَكْبَرُ جُثَّةً وَوَبَرُهُ إِلَى ٱلسَّوَادِ أَمْيَلُ وَرُبَّمَا كَانَ أَنْمَرَ . وَيُجْلَبُ مِنْ بِلَادِ ٱلْهِنْدِ وَٱلسِّنْدِ . وَٱلزَّبَادُ فِيهِ شَبِيهٌ بِٱلْوَسَخِ ٱلْأَسْوَدِ ٱللَّزِجِ وَهُوَ ذَفِرُ ٱلرَّائِحَةِ يُخَالِطُهُ طِيبٌ كَطِيبِ ٱلْمِسْكِ (للدميري)

٤٢٥ (ٱلنَّمِرُ) . ضَرْبٌ مِنَ ٱلسِّبَاعِ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ ٱلْأَسَدِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْغَرُ مِنْهُ . وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَسَطْوَةٍ صَادِقَةٍ وَوَثَبَاتٍ شَدِيدَةٍ وَهُوَ أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْحَيَوَانَاتِ . وَهُوَ ذُو وَشْيٍ وَأَلْوَانٍ حَسَنَةٍ لَا يَرْدَعُهُ سَطْوَةُ أَحَدٍ وَلَا يَنْصَرِفُ عَنِ ٱلْعَسْكَرِ ٱلدَّهْمِ . وَخُلُقُهُ فِي غَايَةِ ٱلضِّيقِ لَا يَسْتَأْنِسُ ٱلْبَتَّةَ وَعِنْدَهُ كِبْرٌ وَعُجْبٌ بِنَفْسِهِ إِذَا شَبِعَ نَامَ أَيَّامًا فَإِذَا ٱنْتَبَهَ جَائِعًا خَرْخَرَ شَدِيدًا يَعْرِفُ مَا حَوْلَهُ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ أَنَّهُ يُرِيدُ ٱلصَّيْدَ . وَٱلنَّمِرُ يَتَعَرَّضُ لِكُلِّ حَيَوَانٍ رَآهُ فِي جُوعِهِ وَشِبْعِهِ بِخِلَافِ ٱلْأَسَدِ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَرَّضُ لِلْحَيَوَانِ إِلَّا عِنْدَ جُوعِهِ

الطيور

٤٢٦ (أَبُو بَرَاقِشَ) . طَائِرٌ حَسَنُ ٱلصُّورَةِ طَوِيلُ ٱلرَّقَبَةِ وَٱلرِّجْلَيْنِ أَحْمَرُ ٱلْمِنْقَارِ فِي حَجْمِ ٱللَّقْلَقِ . يَتَلَوَّنُ كُلَّ سَاعَةٍ بِلَوْنٍ آخَرَ مِنْ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَأَخْضَرَ يُضْرَبُ بِهِ ٱلْمَثَلُ فِي ٱلتَّنَقُّلِ وَٱلتَّحَوُّلِ . قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

كَأَبِي بَرَاقِشَ كُلَّ يَوْمٍ لَوْنُهُ يَتَقَلَّبُ

وَعَلَى لَوْنِ هٰذَا ٱلطَّائِرِ نُسِجَتْ ثِيَابٌ تُسَمَّى أَبَا قَلَمُونَ تُجْلَبُ مِنَ ٱلرُّومِ. وَعَجَبُ هٰذَا ٱلطَّائِرِ فِي لَوْنِهِ وَشَكْلِهِ (للقزويني)

٤٢٧ (أَلدِّيكُ) . أَكْثَرُ ٱلطُّيُورِ عُجْبًا بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَبْلَهُ ٱلطَّبِيعَةِ وَعَلَامَتُهُ حُمْرَةُ ٱلْعُرْفِ وَغِلَظُ ٱلرَّقَبَةِ وَضِيقُ ٱلْعَيْنِ وَسَوَادُهَا وَحِدَّةُ ٱلْمَخَالِبِ وَرَفْعُ ٱلصَّوْتِ . وَأَعْظَمُ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ مَعْرِفَةُ ٱلْأَوْقَاتِ ٱللَّيْلِيَّةِ . فَيُقَسِّطُ أَصْوَاتَهُ عَلَيْهَا تَقْسِيطًا لَا يَكَادُ يُغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا سَوَاءٌ طَالَ أَوْ قَصُرَ . وَيُوَالِي صِيَاحَهُ قَبْلَ ٱلْفَجْرِ وَبَعْدَهُ فَسُبْحَانَ مَنْ هَدَاهُ لِذٰلِكَ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ يَصِفُ دِيكًا :

بَشَّرَ بِٱلصُّبْحِ طَائِرٌ هَتَفَا هَاجَ مِنَ ٱللَّيْلِ بَعْدَ مَا ٱنْتَصَفَا
مُذَكِّرٌ بِٱلصَّبَاحِ صَاحَ بِنَا كَخَاطِبٍ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَفَا
صَفَّقَ إِمَّا ٱرْتِيَاحَهُ لِسَنَا ٱلْفَجْرِ وَإِمَّا عَلَى ٱلدُّجَا أَسَفَا

٤٢٨ (أَلصَّقْرُ) . أَحَدُ أَنْوَاعِ ٱلْجَوَارِحِ ٱلْأَرْبَعَةِ وَهِيَ ٱلصَّقْرُ وَٱلشَّاهِينُ وَٱلْعُقَابُ وَٱلْبَازِي وَتُنْعَتُ أَيْضًا بِٱلسِّبَاعِ . وَهُوَ أَصْبَرُ عَنِ ٱلشِّدَّةِ وَأَحْمَلُ لِغَلِيظِ ٱلْغِذَاءِ وَٱلْأَذَى وَأَحْسَنُ إِلْفًا وَأَشَدُّ إِقْدَامًا عَلَى جُلَّةِ ٱلطَّيْرِ مِنَ ٱلْكُرْكِيِّ وَغَيْرِهِ . وَصَيْدُهُ أَعْجَبُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْجَوَارِحِ فَإِذَا أُرْسِلَ صَقْرَانِ عَلَى ظَبْيَةٍ أَوْ بَقَرٍ وَحْشٍ يَنْزِلُ أَحَدُهُمَا عَلَى رَأْسِهِ وَيَضْرِبُ بِجَنَاحِهِ عَيْنَيْهِ ثُمَّ يَقُومُ وَيَنْزِلُ ٱلْآخَرُ وَيَفْعَلُ مِثْلَ ذٰلِكَ وَيَشْغَلَانِهِ عَنِ ٱلْمَشْيِ حَتَّى يُدْرِكَهُ مَنْ يَبْطُشُ بِهِ . وَمِنَ ٱلْعَجَبِ أَنَّ ٱلصَّقْرَ مَعَ صِغَرِ جُثَّتِهِ يَثِبُ عَلَى ٱلْكُرْكِيِّ مَعَ ضَخَامَتِهِ (للدميري)

٤٢٩ (أَلْقُبَّرَةُ) . أَلطَّائِرُ ذُو ٱلْأَصْوَاتِ ٱلْمُطْرِبَةِ وَٱلنَّغَمَاتِ ٱللَّذِيذَةِ عَلَى رَأْسِهِ قُنْزُعَةٌ شَبِيهَةٌ بِمَا لِلطَّاوُوسِ . وَهُوَ شَدِيدُ ٱلِٱحْتِيَاطِ إِذَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ يَنْظُرُ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَوَرَاءَهُ . وَمَعَ كَثْرَةِ ٱحْتِيَاطِهِ كَثِيرُ ٱلْوُقُوعِ فِي ٱلْفَخِّ يَتَّخِذُ عُشًّا عَجِيبًا لَهُ تَأْلِيفٌ مُعْجِبٌ . وَهُوَ أَنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَعْوَادٍ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْكَرْمِ أَوْ شَجَرَةٍ مِثْلِهَا عَرِيضَةِ ٱلْأَوْرَاقِ . وَيَأْتِي بِحَشِيشٍ فِي غَايَةِ ٱللَّطَافَةِ وَيَنْسِجُ بَيْنَ تِلْكَ ٱلْأَعْوَادِ سُلَيْلَةً لَطِيفَةً عَجِيبَةَ ٱلتَّأْلِيفِ لَا يُمْكِنُ لِلْبَشَرِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا . وَيَدَعُ ٱلْبَيْضَةَ فِيهَا وَتَكُونُ ٱلسُّلَيْلَةُ مُسْتَتِرَةً بِأَوْرَاقِ ٱلشَّجَرِ لَا يَرَاهَا شَيْءٌ مِنْ جَوَارِحِ ٱلطَّيْرِ . حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ: كَانَ طَرَفَةُ مَعَ عَمِّهِ فِي سَفَرٍ وَهُوَ ٱبْنُ سَبْعِ سِنِينَ فَنَزَلُوا عَلَى مَاءٍ فَذَهَبَ طَرَفَةُ بِفَخٍّ لَهُ إِلَى مَكَانٍ فَنَصَبَهُ لِلْقَنَابِرِ وَبَقِيَ عَامَّةَ يَوْمِهِ لَمْ يَصِدْ شَيْئًا . ثُمَّ حَمَلَ فَخَّهُ وَعَادَ إِلَى عَمِّهِ فَرَحَلُوا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَرَأَى ٱلْقَنَابِرَ يَلْقُطْنَ مَا نَثَرَ لَهُنَّ مِنَ ٱلْحَبِّ فَقَالَ:

يَا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ ... خَلَا لَكِ ٱلْجَوُّ فَبِيضِي وَٱصْفِرِي
قَدْ رُفِعَ ٱلْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي ... وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي
قَدْ ذَهَبَ ٱلصَّيَّادُ عَنْكِ فَٱبْشِرِي ... لَا بُدَّ مِنْ أَخْذِكِ يَوْمًا فَٱحْذَرِي

الهوامّ والحشرات

٤٣٠ (حَيَّةٌ) . إِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ ٱلْحَيَوَانَاتِ خِلْقَةً وَأَشَدِّهَا بَأْسًا وَأَقَلِّهَا غِذَاءً وَأَطْوَلِهَا عُمْرًا . قَالُوا لَيْسَ فِي حَيَوَانَاتِ ٱلْبَرِّ شَيْءٌ يَقْتُلُ نَهْشُهُ أَسْرَعَ مِنَ ٱلْحَيَّةِ وَلَا شَيْءَ يَغْتَذِي بِٱلتُّرَابِ غَيْرُهَا . وَمِنْ عَجَائِبِ ٱلْحَيَّةِ

أَنَّهَا إِذَا عَرَفَتْ أَنَّهَا مَقْتُولَةٌ أَحْرَزَتْ رَأْسَهَا بِبَدَنِهَا وَجَعَلَتْ بَدَنَهَا وِقَايَةً لِرَأْسِهَا وَلَا تَزَالُ تَنْطَوِي لِئَلَّا تَقَعَ الضَّرْبَةُ عَلَى رَأْسِهَا مِلَاكِ الْحَيَاةِ . وَلَيْسَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْحَيَّةِ إِلَّا وَجِسْمُ الْحَيَّةِ أَقْوَى مِنْهُ . وَلِذٰلِكَ إِذَا أَدْخَلَتْ صَدْرَهَا فِي جُحْرٍ أَوْ صَدْعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ إِخْرَاجَهَا مِنْهُ وَرُبَّمَا تَقَطَّعَتْ وَلَا تَخْرُجُ . وَلَيْسَ لَهَا قَوَائِمُ وَلَا أَظْفَارٌ تَتَشَبَّثُ بِهَا وَإِنَّمَا قَوِيَ ظَهْرُهَا هٰذِهِ الْقُوَّةَ لِكَثْرَةِ أَضْلَاعِهَا فَإِنَّ لَهَا ثَلَاثِينَ ضِلَعًا . وَإِذَا مَشَتْ عَلَى بَطْنِهَا فَتَتَدَافَعُ أَجْزَاؤُهَا وَتَسْعَى بِذٰلِكَ الدَّفْعِ الشَّدِيدِ . وَلِسَانُهَا مَشْقُوقٌ فَيَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لَهَا لِسَانَيْنِ . وَتُوصَفُ بِالنَّهَمِ وَالشَّرَهِ لِأَنَّهَا تَبْتَلِعُ الْفِرَاخَ مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ كَمَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ . وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا ابْتَلَعَتْ شَيْئًا لَهُ عَظْمٌ أَتَتْ شَجَرَةً أَوْ نَحْوَهَا فَتَلْتَوِي عَلَيْهَا الْتِوَاءً شَدِيدًا حَتَّى يَتَكَسَّرَ ذٰلِكَ فِي جَوْفِهَا . وَالْحَيَّةُ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي تَكْثُرُ أَصْنَافُهَا فِي الصِّغَرِ وَالْكِبَرِ وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ وَالْهَرَبِ مِنْهُمْ . فَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا وَطِئَهُ وَاطِئٌ وَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا آذَاهُ النَّاسُ مَرَّةً . وَمِنْهَا الْأَسْوَدُ الَّذِي يَحْقِدُ وَيَتَكَمَّنُ حَتَّى يُدْرِكَ طَالِبَهُ . وَشَرُّ الْحَيَّاتِ الْأَفَاعِي وَمَسَاكِنُهَا الرِّمَالُ وَالْأَفْعَى حَيَّةٌ رَقْشَاءُ دَقِيقَةُ الْعُنُقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَالْبَقَرُ الْوَحْشِيُّ يَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيعًا وَهِيَ أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْإِنْسَانِ . قَالَ الْجَاحِظُ : الْأَفْعَاءُ تَظْهَرُ الصَّيْفَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ وَهَجُ ظَاهِرِ الْأَرْضِ فَتَأْتِي قَارِعَةَ الطَّرِيقِ وَتَسْتَدِيرُ كَأَنَّهَا رَحًا وَيَلْصَقُ بَدَنُهَا بِالْأَرْضِ وَيَشْخَصُ رَأْسُهَا مُتَعَرِّضَةً لِأَنْ يَطَأَ

إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ لِتَنْهَشَهُ وَسُمُّهَا مَوْتٌ سَرِيعٌ

٤٣١ (أَلسِّنْجَابُ). حَيَوَانٌ عَلَى حَدِّ ٱلْيَرْبُوعِ. أَكْبَرُ مِنَ ٱلْفَأْرِ وَشَعْرُهُ فِي غَايَةِ ٱلنُّعُومَةِ يُتَّخَذُ مِنْ جِلْدِهِ ٱلْفِرَاءُ يَلْبَسُهُ ٱلْمُتَنَعِّمُونَ. وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْحِيَلِ إِذَا أَبْصَرَ ٱلْإِنْسَانَ صَعِدَ ٱلْعَالِيَةَ وَفِيهَا يَأْوِي وَمِنْهَا يَأْكُلُ. وَهُوَ كَثِيرٌ بِبِلَادِ ٱلصَّقَالِبَةِ وَٱلتُّرْكِ وَمِزَاجُهُ حَارٌّ رَطْبٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ عَنْ حَرَكَةِ ٱلْإِنْسَانِ. وَأَحْسَنُ جُلُودِهِ ٱلْأَزْرَقُ ٱلْأَمْلَسُ

٤٣٢ (عَقْرَبٌ). أَخْبَثُ ٱلْحَشَرَاتِ. تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَرْجُلٍ وَعَيْنُهَا عَلَى بَطْنِهَا. وَإِذَا لَدَغَتْ هَرَبَتْ فِي ٱلْحَالِ. وَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا أَوَّلَ ٱللَّيْلِ تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ جَمَادٍ وَرُبَّمَا ضَرَبَتِ ٱلْحَجَرَ وَٱلْمَدَرَ. وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذٰلِكَ:

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَقْرَبًا ... وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَنَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّهَا صَخْرَةٌ ... وَطَبْعُكِ مِنْ طَبْعِهَا أَلْيَنَا
فَقَالَتْ صَدَقْتَ وَلٰكِنَّنِي ... أُرِيدُ أُعَرِّفُهَا مَنْ أَنَا

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهَا أَنَّهَا لَا تَضْرِبُ ٱلْمَيْتَ وَلَا ٱلنَّائِمَ حَتَّى يَتَحَرَّكَ بِشَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذٰلِكَ تَضْرِبُهُ. وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا لَسَعَتِ ٱلْإِنْسَانَ فَرَّتْ فِرَارَ مُسِيءٍ يَخْشَى ٱلْعِقَابَ (للدميري)

٤٣٣ (قُنْفُذٌ). أَلْحَيَوَانُ ٱلَّذِي سِلَاحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ ٱلشَّوْكُ ٱلَّذِي عَلَيْهِ وَيَقْبَعُ بِحَيْثُ لَا يَتَبَيَّنُ مِنْ أَطْرَافِهِ شَيْءٌ. وَيَسْتَطِيبُ ٱلْهَوَاءَ وَيَتَّخِذُ لِمَسْكَنِهِ بَابَيْنِ أَحَدُهُمَا مُسْتَقْبِلُ ٱلشِّمَالِ وَٱلْآخَرُ مُسْتَقْبِلُ ٱلْجَنُوبِ.

وَيُعادِي الحَيَّةَ فإنْ ظَفِرَ بِقفاها أكلها بأسهلِ طريقٍ وإنْ ظَفِرَ بذنبها عضّ ذنبها ويقبعُ. ويُعطِي الحيّةَ ظهرهُ فالحيّةُ تضربُ نفسها على شوكه حتّى تهلك. ويصعدُ الكرمَ ويرمي حبّاتِ العناقيدِ إلى الأرضِ ثمّ يتمرّغُ في الحبّاتِ ليدخلَ شوكهُ في الحبّاتِ ويحملها إلى أولادِهِ. ومنها صنفٌ يقالُ لهُ الدُّلدُلُ وهو أكبرُ جسمًا من القنفذِ وأطولُ شوكًا. نسبتهُ إلى القنفذِ كنسبةِ الجاموسِ إلى البقرِ قالوا إذا أرادَ أنْ يرمي بشوكِهِ حيوانًا أو جمادًا أو عدوًّا يرميهِ كرمي النشّابِ ولا يُخطِئُ. فتمرُّ الشوكةُ كمرّ النشّابِ المسدّدِ وتثبتُ فيهِ

٤٣٤ (نمل). حيوانٌ حريصٌ على جمعِ الغذاءِ وهو عظيمُ الحيلةِ في طلبِ الرّزقِ فإذا وجدَ شيئًا أنذرَ الباقينَ ليأتوا إليهِ. ويُقالُ إنّما يفعلُ ذلكَ منها رؤساؤُها. ومن طبعِهِ أنّهُ يحتكرُ قوتَهُ من زمنِ الصّيفِ لزمنِ الشّتاءِ. ولهُ في الاحتكارِ من الحِيَلِ ما إنّهُ إذا احتكرَ ما يخافُ إنباتَهُ قسمهُ نصفينِ ما خلا الكسبرةَ فإنّهُ يقسمها أرباعًا لما ألهم من أنّ كلّ نصفٍ منها ينبتُ وإذا خافَ العفنَ على الحبِّ أخرجهُ إلى ظاهرِ الأرضِ ونشرَهُ وإذا أحسّتْ بالغيمِ ردّتهُ إلى مكانها خوفًا من المطرِ. فإنِ ابتلّ شيءٌ منها تبسطهُ يومَ الصّحوِ في الشمسِ. ومن عجائبهِ اتّخاذهُ القريةَ تحتَ الأرضِ وفيها منازلُ ودهاليزُ وغرفٌ وطبقاتٌ منعطفاتٌ يملأها حبوبًا وذخائرَ للشتاءِ. وتجعلُ بعضَ بيوتها منخفضًا لينصبَّ إليهِ الماءُ وبعضها مرتفعًا للحبِّ. ومنها أيضًا أنّهُ مع لطافةِ

شخصه وخفة وزنه له شم ليس لشيء من الحيوان مثل ذلك. فإذا وقع شيء من يد الإنسان في موضع لا ترى فيه شيئاً من النمل فلا يلبث أن يقبل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشيء. ويشم رائحة الشيء الذي لو وضعته على أنفك ما وجدت له رائحة (للقزويني)

السمك

٤٣٥ ألسمك من خلق الماء وهو أنواع كثيرة ومنه كبار. وما لا يدركه الطرف لصغره وكل يأوي الماء ويستنشقه كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة. والسمك يستنشق بأصداغه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء. وإنما استغنى عن الهواء في إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأنه من عالم الماء ونحن من عالم الأرض. وصغار السمك تحترس من كباره ولذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذي لا يحمل الكبير. وهو شديد الحركة لأن قوته المحركة للإرادة تجري في مسلك واحد لا ينقسم في عضو خاص. وهذا بعينه موجود في الحيات. ومن جملة أنواعه السقنقور والدلفين والخرشفلا والتمساح. ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات وغير ذلك

٤٣٦ (ألدلفين). دابة من البحر تنجي الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين به على السباحة. وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر

ٱلْمِلْحِ لِأَنَّهُ يَقْذِفُ بِهِ ٱلْبَحْرُ إِلَى ٱلنِّيلِ . وَصِفَتُهُ كَصِفَةِ ٱلزِّقِّ ٱلْمَنْفُوخِ وَلَهُ رَأْسٌ صَغِيرٌ جِدًّا وَلَيْسَ فِي دَوَابِّ ٱلْبَحْرِ مَالَهُ رِئَةٌ سِوَاهُ فَلِذٰلِكَ يُسْمَعُ مِنْهُ ٱلنَّفْخُ وَٱلنَّفَسُ . وَهُوَ إِذَا ظَفِرَ بِٱلْغَرِيقِ كَانَ أَقْوَى ٱلْأَسْبَابِ فِي نَجَاتِهِ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْفَعُهُ إِلَى ٱلْبَرِّ حَتَّى يُنَجِّيَهُ . وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ٱلسَّمَكَ . وَرُبَّمَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ كَأَنَّهُ مَيْتٌ وَهُوَ يَلِدُ وَيُرْضِعُ وَأَوْلَادُهُ تَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ وَلَا يَلِدُ إِلَّا فِي ٱلصَّيْفِ . وَمِنْ طَبْعِهِ ٱلْأُنْسُ بِٱلنَّاسِ وَإِذَا صِيدَ جَاءَتْ دَلَافِينُ كَثِيرَةٌ لِقِتَالِ صَائِدِهِ . وَإِذَا لَبِثَ فِي ٱلْعُمْقِ حِينًا حَبَسَ نَفَسَهُ . ثُمَّ صَعِدَ مُسْرِعًا مِثْلَ ٱلسَّهْمِ لِطَلَبِ ٱلنَّفَسِ فَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَفِينَةٌ وَثَبَ وَثْبَةً ارْتَفَعَ بِهَا ٱلسَّفِينَةَ (للدميري)

أَلْبَابُ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ
فِي ٱلتَّارِيخِ

ذكر دولة الكلدانيين (من ١٩٠٠ الى ٥٣٨ قبل المسيح)

٤٣٧ أَلْكَلْدَانِيُّونَ أُمَّةٌ قَدِيمَةُ ٱلرِّئَاسَةِ نَبِيهَةُ ٱلْمُلُوكِ . كَانَ مِنْهُمُ ٱلنَّمَارِدَةُ ٱلْجَبَابِرَةُ ٱلَّذِينَ كَانَ أَوَّلُهُمْ نُمْرُودَ مِنْ بَنِي حَامٍ بَانِي ٱلْمِجْدَلِ . وَكَانَ مِنْ وُلْدِ نُمْرُودَ بُخْتَنَصَّرُ ٱلَّذِي غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَسَبَى بَقِيَّتَهُمْ . وَغَزَا مِصْرَ وَٱفْتَتَحَهَا وَدَوَّخَ كَثِيرًا مِنَ ٱلْبِلَادِ (٦٠٦) . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ بِبَابِلَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمِ ٱلْفُرْسُ

وَغَلَبُوهُمْ عَلَى مَمْلَكَتِهِمْ وَأَبَادُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ فَدَرَسَتْ أَخْبَارُهُمْ وَطُمِسَتْ آثَارُهُمْ (٥٣٨). وَكَانَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِأَرْصَادِ الْكَوَاكِبِ وَتَحَقُّقٌ بِعِلْمِ أَسْرَارِ الْفَلَكِ وَمَعْرِفَةٌ مَشْهُورَةٌ بِطَبَائِعِ النُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا . وَهُمْ نَهَجُوا لِأَهْلِ الشِّقِّ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَعْمُورِ الْأَرْضِ الطَّرِيقَ إِلَى تَدْبِيرِ الْهَيَاكِلِ لِإِظْهَارِ طَبَائِعِ الْكَوَاكِبِ بِضُرُوبِ التَّدَابِيرِ الْمَخْصُوصَةِ بِهَا. وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ مَذَاهِبِ الْكَلْدَانِيِّينَ فِي حَرَكَاتِ النُّجُومِ وَلَا مِنْ أَرْصَادِهِمْ غَيْرُ الْأَرْصَادِ الَّتِي نَقَلَهَا عَنْهُمْ بَطْلَيْمُوسُ فِي كِتَابِ الْمِجِسْطِي

ذكر الفرس ودولهم ومن اشتهر من ملوكهم

٤٣٨ أَمَّا الْفُرْسُ فَأَهْلُ الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالْعِزِّ الْبَاذِخِ وَأَوْسَطُ الْأُمَمِ دَارًا وَأَشْرَفُهُمْ إِقْلِيمًا وَأَسْوَسُهُمْ مُلُوكًا تَجْمَعُهُمْ وَتَدْفَعُ ظَالِمَهُمْ عَنْ مَظْلُومِهِمْ. وَتَحْمِلُهُمْ مِنَ الْأُمُورِ عَلَى مَا فِيهِ حَظُّهُمْ . عَلَى اتِّصَالٍ وَدَوَامٍ . وَأَحْسَنِ الْتِئَامٍ وَانْتِظَامٍ . وَخَوَاصُّ الْفُرْسِ عِنَايَةٌ بَالِغَةٌ بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ وَمَعْرِفَةٌ ثَاقِبَةٌ بِأَحْكَامِ النُّجُومِ . وَكَانَتْ لَهُمْ أَرْصَادٌ قَدِيمَةٌ وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ : أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ بَعْدَ الطُّوفَانِ كَيُومَرْتُ مِنْ بَنِي سَامٍ . وَكَانَ يَنْزِلُ فَارِسَ وَاتَّخَذَ الْآلَاتِ لِإِصْلَاحِ الطُّرُقِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ وَذَبْحِ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَقَتْلِ السِّبَاعِ . وَمَا زَالَ الْمُلْكُ فِي وُلْدِهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ دَارَا الَّذِي غَزَاهُ الْإِسْكَنْدَرُ وَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ (٣٣٣). ثُمَّ مَلَكَتِ الدَّوْلَةُ الْأَشْكَانِيَّةُ وَأَوَّلُهُمْ أَشَكُ (٢٦٦ قبل المسيح) وَتُسَمَّى خُلَفَاؤُهُ بِالشَّاهِيَةِ . وَدَامَ الْمُلْكُ فِيهِمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَتِ الْمَمْلَكَةُ

ٱلسَّاسَانِيَّةُ (٢٢٦ للمسيح) أَوَّلُهُمْ أَزْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ مِنْ بَنِي كُشْتَاسَابَ فَأَحْسَنَ ٱلسِّيرَةَ وَبَسَطَ ٱلْعَدْلَ (لابي الفرج)

٤٣٩ وَٱشْتَهَرَ فِي ٱلدَّوْلَةِ ٱلسَّاسَانِيَّةِ (سَابُورُ بْنُ أَزْدَشِيرَ ٢٤١ ـ ٢٧٢) وَكَانَ جَمِيلَ ٱلصُّورَةِ حَازِمًا شَخَصَ إِلَى نَصِيبِينَ فَمَلَكَهَا عَنْوَةً . فَقَتَلَ وَسَبَى وَٱفْتَتَحَ مِنَ ٱلشَّامِ مُدُنًا وَأَسَرَ وَالَارِيَانُسَ وَحَمَلَهُ إِلَى جُنْدَيْسَابُورَ وَيُقَالُ جَدَعَ أَنْفَهُ بَلْ قَتَلَهُ . وَيُقَالُ فِي زَمَانِهِ ٱسْتُخْرِجَتِ ٱلْعُودُ وَهِيَ ٱلْمَلْهَاةُ ٱلَّتِي يُغَنَّى بِهَا . وَمِنْهُمْ (بَهْرَامُ بْنُ هُرْمُزَ ٢٧٦) وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا وَأَحْسَنَ ٱلسِّيرَةَ وَٱقْتَدَى بِآبَائِهِ وَكَانَ مَانِي صَاحِبُ ٱلْقَوْلِ بِٱلنُّورِ وَٱلظُّلْمَةِ فِي أَيَّامِهِ فَجَمَعَ بَهْرَامُ ٱلْعُلَمَاءَ لِٱمْتِحَانِهِ فَأَشَارُوا بِكُفْرِهِ فَقَتَلَهُ . وَمِنْهُمْ (سَابُورُ بْنُ هُرْمُزَ ٣١٠ ـ ٣٨٠) . وَظَهَرَ مِنْهُ نَجَابَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ صِبَاهُ وَلَمَّا بَلَغَ مِنَ ٱلْعُمْرِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ٱنْتَخَبَ فُرْسَانَ عَسْكَرِهِ عِدَّةً وَسَارَ بِهِمْ إِلَى ٱلْعَرَبِ وَقَتَلَ مَنْ وَجَدَهُ مِنْهُمْ . وَكَانَ يَنْزِعُ أَكْتَافَ ٱلْأَسْرَى فَسُمِّيَ سَابُورَ ذَا ٱلْأَكْتَافِ . وَلَمْ يَنْزِلْ بِمَاءٍ لِلْعَرَبِ إِلَّا وَغَوَّرَهُ وَلَا بِئْرٍ إِلَّا وَطَمَّهَا ثُمَّ عَطَفَ عَلَى بِلَادِ ٱلرُّومِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَسَبَى حَتَّى هَادَنَهُ قُسْطَنْطِينُ . وَٱسْتَمَرَّ عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَ قُسْطَنْطِينُ وَبَنُوهُ . ثُمَّ مَلَكَ عَلَى ٱلرُّومِ يُلْيَانُسُ وَٱرْتَدَّ إِلَى عِبَادَةِ ٱلْأَصْنَامِ وَقَتَلَ ٱلنَّصَارَى وَأَخْرَبَ ٱلْكَنَائِسَ وَأَحْرَقَ ٱلْإِنْجِيلَ . وَسَارَ إِلَى قِتَالِ سَابُورَ فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ غَرْبٌ فِي فُؤَادِهِ فَقَتَلَهُ (٣٦٣) . وَٱنْتَظَمَ ٱلصُّلْحُ وَٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ ٱلْفُرْسِ وَٱلرُّومِ . وَمِنْهُمْ (أَنُوشِرْوَانُ ٥٣١) هٰذَا

قَوِيَ بَعْدَ ضُعْفِهِ بِإِدَامَةِ ٱلنَّظَرِ وَهَجْرِ ٱلْمَلَاذِّ وَتَرْكِ ٱللَّهْوِ . وَقَوَّى جُنْدَهُ بِٱلْأَسْلِحَةِ وَٱلْكُرَاعِ وَعَمَّرَ ٱلْبِلَادَ وَرَدَّ إِلَى مُلْكِهِ كَثِيرًا مِنَ ٱلْأَطْرَافِ ٱلَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهَا ٱلْأُمَمُ بِعِلَلٍ وَأَسْبَابٍ شَتَّى مِنْهَا ٱلسِّنْدُ وَطَخَارِسْتَانُ وَدُورِسْتَانُ وَغَيْرُهَا وَبَنَى ٱلْمَعَاقِلَ وَٱلْحُصُونَ . وَمِنْهُمْ هُرْمُزُ بْنُ أَنُوشِرْوَانَ (٥٧٩) وَكَانَ عَادِلًا يَأْخُذُ لِلْأَدْنَى مِنَ ٱلشَّرِيفِ وَبَالَغَ فِي ذٰلِكَ حَتَّى أَبْغَضَهُ خَوَاصُّهُ وَأَقَامَ ٱلْحَقَّ عَلَى بَنِيهِ وَمُحِبِّيهِ وَأَفْرَطَ فِي ٱلْعَدْلِ . ثُمَّ تَوَارَثَ بَنُوهُ ٱلْمُلْكَ إِلَى أَنْ مَلَكَ يَزْدَجِرْدُ بْنُ شَهْرَيَارَ ٱلْعَادِلِ وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ . فَلَمَّا مَلَكَ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْهِ ٱلدَّوْلَةُ وَتَفَاقَمَتْ أُمُورُهَا وَطَلَعَتْ أَعْلَامُ ٱلْإِسْلَامِ بِٱلنُّصْرَةِ (٦٤١) (لابي الفداء)

نظر في دولة اليونانيين وفلاسفتهم (من ٨٨٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٠ أَمَّا ٱلْيُونَانِيُّونَ فَكَانُوا أُمَّةً عَظِيمَةَ ٱلْقَدْرِ فِي ٱلْأُمَمِ . طَائِرَةَ ٱلذِّكْرِ فِي ٱلْآفَاقِ فَخْمَةَ ٱلْمُلُوكِ . مِنْهُمُ ٱلْإِسْكَنْدَرُ بْنُ فِيلِبُّوسَ ٱلْمَقْدُونِيُّ (٣٣٦) ٱلَّذِي أَجْمَعَ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ طُرًّا عَلَى ٱلطَّاعَةِ لِسُلْطَانِهِ . وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ مُلُوكِ ٱلْيُونَانِيِّينَ ٱلْبَطَالِسَةُ (٣٠١ ـ ٣٠) دَامَتْ لَهُمُ ٱلْمَمَالِكُ وَذَلَّتْ لَهُمُ ٱلرِّقَابُ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا إِلَى أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمِ ٱلرُّومُ . وَكَانَتْ بِلَادُ ٱلْيُونَانِيِّينَ فِي ٱلرُّبْعِ ٱلْغَرْبِيِّ ٱلشَّمَالِيِّ مِنَ ٱلْأَرْضِ . وَٱلْقِسْمُ ٱلْأَعْظَمُ مِنْهَا فِي حَيِّزِ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْقِسْمُ ٱلْأَصْغَرُ مِنْهَا فِي حَيِّزِ ٱلْمَغْرِبِ . وَلُغَةُ ٱلْيُونَانِيِّينَ أَوْسَعُ ٱللُّغَاتِ وَأَجَلُّهَا . وَكَانَتْ عَامَّةُ ٱلْيُونَانِيِّينَ صَابِئَةً مُعَظِّمَةً لِلْكَوَاكِبِ دَائِنَةً بِعِبَادَةِ ٱلْأَصْنَامِ . وَٱلْفَلَاسِفَةُ

مِنْهُمْ مِنْ أَرْفَعِ ٱلنَّاسِ طَبَقَةً وَأَجَلِّ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ مَنْزِلَةً لِمَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلِاعْتِنَاءِ بِفُنُونِ ٱلْحِكْمَةِ وَمَعَارِفِ ٱلسِّيَاسَاتِ ٱلْمَنْزِلِيَّةِ (لابي الفرج)

٤٤١ وَجَمِيعُ ٱلْعُلُومِ ٱلْعَقْلِيَّةِ مَأْخُوذَةٌ عَنِ ٱلْيُونَانِيِّينَ مِثْلُ ٱلْعُلُومِ ٱلْمَنْطِقِيَّةِ وَٱلطَّبِيعِيَّةِ وَٱلْإِلٰهِيَّةِ وَٱلرِّيَاضِيَّةِ. وَٱلْعِلْمُ ٱلرِّيَاضِيُّ مُشْتَمِلٌ عَلَى عِلْمِ ٱلْهَيْئَةِ وَٱلْهَنْدَسَةِ وَٱلْحِسَابِ وَٱللُّحُونِ وَٱلْإِيقَاعِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ. وَكَانَ ٱلْعَالِمُ بِهٰذِهِ ٱلْعُلُومِ يُسَمَّى فَيْلَسُوفًا وَتَفْسِيرُهُ مُحِبُّ ٱلْحِكْمَةِ. وَمِنْ فَلَاسِفَتِهِمْ (ثَالِيسُ ٱلْمَلَطِيُّ ٦٣٩). (وَفِيثَاغُورُسُ ٤٨٠) مِنْ كِبَارِ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْفَلَكِيِّينَ. كَانَ يَقُولُ: مَا سَمِعْتُ شَيْئًا أَلَذَّ مِنْ حَرَكَاتِ ٱلْأَفْلَاكِ وَلَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَبْهَى مِنْ صُورَتِهَا. وَمِنْهُمْ بُقْرَاطُ ٱلْحَكِيمُ ٱلطَّبِيبُ ٱلْمَشْهُورُ. وَمِنْهُمْ (سُقْرَاطُ ٤٧٠) وَكَانَ حَكِيمًا فَاضِلًا زَاهِدًا ٱشْتَغَلَ بِٱلرِّيَاضَةِ وَأَعْرَضَ عَنْ مَلَاذِّ ٱلدُّنْيَا. وَنَهَى ٱلنَّاسَ عَنْ عِبَادَةِ ٱلْأَصْنَامِ فَثَارَتْ عَلَيْهِ ٱلْعَامَّةُ وَأَلْجَأُوا مَلِكَهُمْ إِلَى قَتْلِهِ فَحَبَسَهُ ثُمَّ سَقَاهُ سُمًّا فَمَاتَ. وَمِنْهُمْ (أَفْلَاطُونُ ٱلْإِلٰهِيُّ ٤٣٠) وَكَانَ تِلْمِيذًا لِسُقْرَاطَ. وَلَمَّا ٱغْتِيلَ سُقْرَاطُ بِٱلسُّمِّ قَامَ أَفْلَاطُونُ مَقَامَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ. وَمِنْهُمْ أَرِسْطَاطَالِيسُ (٣٨٤) وَكَانَ تِلْمِيذًا لِأَفْلَاطُونَ وَلَمَّا صَارَ عُمْرُ أَرِسْطُو ٱلْمَذْكُورِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً أَسْلَمَهُ أَبُوهُ إِلَى أَفْلَاطُونَ فَمَكَثَ عِنْدَهُ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ صَارَ حَكِيمًا مُبَرِّزًا يُشْتَغَلُ عَلَيْهِ. وَمِنْ جُمْلَةِ تَلَامِذَةِ أَرِسْطُو ٱلْمَلِكُ إِسْكَنْدَرُ ٱلَّذِي مَلَكَ غَالِبَ ٱلْمَعْمُورِ مِنَ ٱلْغَرْبِ إِلَى ٱلشَّرْقِ وَأَقَامَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ يَتَعَلَّمُ عَلَى أَرِسْطُو خَمْسَ سِنِينَ وَبَلَغَ فِيهَا

أَحْسَنَ ٱلْمَبَالِغِ وَنَالَ مِنَ ٱلْفَلْسَفَةِ مَا لَمْ يَنَلْ سَائِرُ تَلَامِيذِ أَرِسْطُو. وَمِنْهُمْ أُقْلِيدُسْ (٣٢٠) صَاحِبُ كِتَابِ ٱلْإِسْتِقْصَّاتِ ٱلْمُسَمَّى بِٱسْمِهِ وَكَانَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ ٱلْيُونَانِ ٱلْبَطَالِسَةِ. فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَرِسْطُو بِبَعِيدٍ. وَأَمَّا بَطْلِيمُوسُ وَجَالِينُوسُ فَإِنَّ زَمَانَهُمَا مُتَأَخِّرٌ عَنْ زَمَنِ ٱلْيُونَانِ وَكَانَا فِي زَمَنِ ٱلرُّومِ وَقَدْ أَدْرَكَ جَالِينُوسُ زَمَنَ بَطْلِيمُوسَ وَبَطْلِيمُوسُ هُوَ ٱلْمُصَنِّفُ ٱلْمِجِسْطِي. وَمِنْهُمْ فُرْفُورِيُوسُ (٢٦٠ للمسيح) وَكَانَ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ صُورَ عَلَى ٱلْبَحْرِ ٱلرُّومِيِّ بِٱلشَّامِ وَكَانَ بَعْدَ زَمَنِ جَالِينُوسَ. وَكَانَ عَالِمًا بِكَلَامِ أَرِسْطُو وَقَدْ فَسَّرَ كُتُبَهُ لَمَّا شَكَا إِلَيْهِ ٱلنَّاسُ غُمُوضَهَا وَعَجْزَهُمْ عَنْ فَهْمِ كَلَامِهِ (لابن الاثير)

ملك اسكندر ذي القرنين (من ٣٣٦ الى ٣٢٣)

٤٤٢ وَمِنْ جُمْلَةِ مُلُوكِ ٱلْيُونَانِيِّينَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ بْنُ فِيلِيفُوسَ ٱلْمَقْدُونِيِّ ٱلَّذِي أَجْمَعَ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ طُرًّا عَلَى ٱلطَّاعَةِ لِسُلْطَانِهِ وَمَلَكَ سِتَّ سِنِينَ بَعْدَ قَتْلِهِ دَارِيُوشَ. وَكَانَ قَدْ مَلَكَ قَبْلَ ذٰلِكَ سِتًّا أُخْرَى وَفَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً حَتَّى بَلَغَ مُلْكُهُ إِلَى أَقْصَى ٱلْهِنْدِ وَأَوَائِلِ حُدُودِ ٱلصِّينِ وَسُمِّيَ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ لِبُلُوغِهِ قَرْنَيِ ٱلشَّمْسِ وَهُمَا ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ. وَقَتَلَ خَمْسَةً وَثَلَاثِينَ مَلِكًا وَبَنَى ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَدِينَةً مِنْهَا ٱثْنَتَانِ فِي بَلَدِ خُرَاسَانَ وَهُمَا هَرَاةُ وَمَرْوُ وَوَاحِدَةٌ فِي بَلَدِ ٱلسُّغْدِ وَهِيَ سَمَرْقَنْدُ. وَأُخْرَى فِي بَلَدِ ٱلْقِبْطِ وَهِيَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ. وَفِي عَوْدَتِهِ مِنَ ٱلْهِنْدِ وَوُصُولِهِ إِلَى بَابِلَ مَاتَ مَسْمُومًا وَوُضِعَ فِي تَابُوتِ ذَهَبٍ وَحُمِلَ عَلَى أَكْتَافِ ٱلْمُلُوكِ

وَٱلْأَشْرَافِ إِلَى إِسْكَنْدَرِيَّةِ ٱلْقِبْطِ وَدُفِنَ بِهَا. وَبَعْدَ مَوْتِ إِسْكَنْدَرَ تَقَاسَمَ ٱلْمَمَالِكَ أَرْبَعَةٌ مِنْ عَبِيدِهِ وَهُمْ بَطْلِيُوسُ بْنُ لَاغُوسَ وَأَرِيذَاوُسُ وَأَنْطِيُوخُوسُ وَسَلُوقُوسُ (لابي الفرج)

ذكر الرومانيين ومبادي دولتهم الى زمان المسيح (من ٧٥٤ الى ٥١٠ قبل المسيح)

٤٤٣ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةُ مِنْ أَشْهَرِ أُمَمِ ٱلْعَالَمِ وَمَوَاطِنُهُمْ مِنَ ٱلنَّاحِيَةِ ٱلْغَرْبِيَّةِ مِنْ خَلِيجِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى بِلَادِ ٱلْإِفْرَنْجَةِ فِيمَا بَيْنَ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ وَٱلْبَحْرِ ٱلرُّومِيِّ مِنْ شَمَالِيِّهِ. وَكَانَ مَقَرُّ مُلُوكِهِمْ رُومَةَ ٱلْكُبْرَى قَبْلَ غَلَبَتِهِمْ عَلَى ٱلْيُونَانِ. وَكَانَ ٱلرُّومُ يَدِينُونَ بِدِينِ ٱلصَّابِئِينَ وَلَهُمْ أَصْنَامٌ عَلَى أَسْمَاءِ ٱلْكَوَاكِبِ ٱلسَّبْعَةِ يَعْبُدُونَهَا. وَكَانَ مَبْدَأُ أَمْرِهِمْ أَنَّ بُرُقَاشَ مَلِكَ ٱللَّطِينِيِّينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَجَازَ ٱلْمُلْكَ إِلَى حَافِدَيْهِ وَهُمَا رُومُلُسُ وَرَامَاشُ وَٱشْتَقَّ رُومُلُسُ ٱسْمَ رُومَةَ مِنِ ٱسْمِهِ (٧٥٤). وَكَانَتْ مِنْ أَحْفَلِ مُدُنِ ٱلْعَالَمِ لَمْ تَزَلْ دَارَ مَمْلَكَةِ ٱللَّطِينِيِّينَ وَٱلْقَيَاصِرَةِ حَتَّى أَصْبَحَهُمُ ٱلْإِسْلَامُ وَهِيَ فِي مُلْكِهِمْ. ثُمَّ بَعْدَ ٱبْتِنَاءِ رُومَةَ وَثَبَ رُومُلُسُ عَلَى أَخِيهِ فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ بَعْدَ قَتْلِهِ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَحْدَهُ وَٱتَّخَذَ رُومُلُسُ بِرُومَةَ مَلْعَبًا عَجِيبًا. وَعُدَّ بَعْدَ رُومُلُسَ خَمْسَةٌ مِنَ ٱلْمُلُوكِ (والصحيح ستة) ٱغْتَصَبَ ٱبْنُ آخِرِهِمْ رَجُلًا فِي زَوْجِهِ فَقَتَلَتْ نَفْسَهَا. فَسَئِمَ ٱللَّطِينِيُّونَ وِلَايَةَ ٱلْمُلُوكِ وَأَجْمَعُوا أَنْ لَا يُوَلُّوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا وَقَدَّمُوا شُيُوخًا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يُدَبِّرُونَ مُلْكَهُمْ. وَصَارَ هٰكَذَا أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَ ٱلْوُزَرَاءِ (٥١٠). وَكَانَ لِلرُّومِ حُرُوبٌ مَعَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُجَاوِرَةِ لَهُمْ مِنْ كُلِّ

جِهَةٍ فَأَجَازُوا إِلَى أَفْرِيقِيَةَ فَمَلَكُوهَا وَخَرَّبُوا قَرْطَاجَنَّةَ ثُمَّ مَلَكُوا جَزِيرَةَ صِقِلِّيَةَ (٢٤١) ثُمَّ جَزِيرَةَ ٱلْأَنْدَلُسِ (٢٠٢) ثُمَّ حَارَبُوا ٱلْيُونَانِيِّينَ (١٤٦) ثُمَّ حَارَبُوا ٱلْفُرْسَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَٱسْتَوْلَوْا عَلَى ٱلشَّامِ (٦٤) وَمِصْرَ (٣٠)

الخبر عن تخريب قرطاجنة (من ٢٦٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٤ كَانَ بِنَاءُ قَرْطَاجَنَّةَ قَبْلَ بِنَاءِ رُومَةَ بِٱثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً (والصحيح بمائةٍ وثلاث سنين) عَلَى يَدَيْ دِيدُنَ. وَكَانَ بِهَا أَمِيرٌ يُسَمَّى مَلْكُونَ وَهُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ إِلَى ٱلْإِسْكَنْدَرِ بِطَاعَتِهِ عِنْدَ ٱسْتِيلَائِهِ عَلَى طَرْسُوسَ. ثُمَّ صَارَ مُلْكُ أَفْرِيقِيَةَ إِلَى أَمِلْقَارَ مِنْ مُلُوكِهِمْ فَٱفْتَتَحَ صِقِلِّيَةَ وَهَاجَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلرُّومَانِيِّينَ بِسَبَبِ أَهْلِ سَرْدَانِيَةَ. ثُمَّ وَقَعَتِ ٱلسِّلْمُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ وَلَّى بِقَرْطَاجَنَّةَ أَمِلْقَارُ ٱبْنَهُ أَنِّيبَلَ فَأَجَازَ إِلَى بِلَادِ ٱلْإِفْرَنْجِ وَغَلَبَهُمْ عَلَى بِلَادِهِمْ وَزَحَفَ إِلَيْهِ قُوَّادُ رُومَةَ فَوَالَى عَلَيْهِمِ ٱلْهَزَائِمَ وَبَعَثَ أَخَاهُ أَشْدَرُبَالَ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فَمَلَكَهَا وَخَالَفَهُ قُوَّادُ ٱلرُّومَانِيِّينَ إِلَى أَفْرِيقِيَةَ بَعْدَ أَنْ مَلَكُوا مِنْ حُصُونِ صِقِلِّيَةَ أَرْبَعِينَ أَوْ نَحْوَهَا ثُمَّ أَجَازُوا إِلَى أَفْرِيقِيَةَ فَمَلَكُوهَا وَقَتَلُوا خَلِيفَةَ أَنِّيبَلَ فِيهَا وَٱفْتَتَحُوا مَدِينَةَ جَرْدَا. وَخَرَجَ آخَرُونَ مِنْ قُوَّادِ رُومَةَ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فَهَزَمُوا أَشْدَرُبَالَ وَٱتَّبَعُوهُ إِلَى أَنْ قَتَلُوهُ (٢٠٧). وَفَرَّ أَخُوهُ أَنِّيبَلُ عَنْ بِلَادِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ إِجَازَتِهِ إِلَيْهِمْ وَبَعْدَ أَنْ حَاصَرُوا رُومَةَ وَأَثْخَنَ فِي نَوَاحِيهَا. فَلَحِقَ بِأَفْرِيقِيَةَ وَلَقِيَهُ قُوَّادُ أَهْلِ رُومَةَ ٱلَّذِينَ أَجَازُوا إِلَى أَفْرِيقِيَةَ فَهَزَمُوهُ. وَحَاصَرُوهُ بِقَرْطَاجَنَّةَ حَتَّى سَأَلَ ٱلصُّلْحَ

عَلَى أَنْ يَغْرَمَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافِ قِنْطَارٍ مِنَ ٱلْفِضَّةِ فَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ وَسَكَنَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ ظَاهَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنِيبَلُ صَاحِبُ أَفْرِيقِيَةَ مُلُوكَ ٱلسِّرْيَانِيِّينَ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ رُومَةَ فَهَلَكَ فِي حَرْبِهِمْ مَسْمُومًا (١٨٣) وَبَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَ أَهْلُ رُومَةَ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُرُوبِ رَجَعُوا إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فَمَلَكُوهَا ثُمَّ أَجَازُوا ٱلْبَحْرَ إِلَى قَرْطَاجَنَّةَ فَفَتَحُوهَا وَقَتَلُوا مَلِكَهَا وَخَرَّبُوهَا (١٤٦)   (لابن خلدون)

حال اللطينيين الى وفاة اوغسطس (من ١٤٦ قبل المسيح الى ١٤ بعد المسيح)

٤٤٥ وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ هٰؤُلَاءِ ٱللَّطِينِيِّينَ رَاجِعًا إِلَى ٱلْوُزَرَاءِ مُنْذُ سَبْعِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ عَهْدِ رُومَةَ تَقْتَرِعُ ٱلْوُزَرَاءُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَخْرُجُ قَائِدٌ مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا تُوجِبُهُ ٱلْقُرْعَةُ فَيُحَارِبُونَ أُمَمَ ٱلطَّوَائِفِ وَيَفْتَحُونَ ٱلْمَمَالِكَ . حَتَّى إِذَا هَلَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ وَٱفْتَرَقَ أَمْرُ ٱلْيُونَانِيِّينَ وَفَشِلَتْ رِيحُهُمْ وَقَعَتْ فِتْنَةُ هٰؤُلَاءِ ٱللَّطِينِيِّينَ مَعَ أَهْلِ أَفْرِيقِيَةَ وَٱسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا . وَمَلَكُوا ٱلْأَنْدَلُسَ وَمَلَكُوا ٱلشَّامَ وَأَرْضَ ٱلْحِجَازِ وَقَهَرُوا ٱلْعَرَبَ بِٱلْحِجَازِ . وَٱفْتَتَحُوا بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ وَأَسَرُوا مَلِكَهَا يَوْمَئِذٍ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَهُوَ أَرِسْطَابُولُسُ ثَامِنُ مُلُوكِ بَنِي حَشْمُنَايَ وَغَرَّبُوهُ إِلَى رُومَةَ . إِلَى أَنْ خَرَجَ يُولُشُ قَيْصَرُ وَمَعْنَاهُ شُقَّ عَنْهُ لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَلِدَهُ فَشَقُّوا بَطْنَهَا وَأَخْرَجُوهُ فَلُقِّبَ قَيْصَرَ وَصَارَ لَقَبًا لِمُلُوكِ ٱلرُّومِ . فَسَارَ إِلَى جِهَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَحَارَبَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ ٱلْإِفْرَنْجِ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِرِطَانِيَةَ وَإِشْبُونَةَ وَرَجَعَ إِلَى رُومَةَ . وَٱسْتَخْلَفَ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ

أُكْتَبْيَانُ ٱبْنَ أَخِيهِ وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ . وَكَانَ لِلشُّيُوخِ نَائِبٌ بِنَاحِيَةِ ٱلشَّرْقِ يُقَالُ لَهُ فُنْفِيُوسُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ ذٰلِكَ زَحَفَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ يُولْشُ فَهَزَمَهُ (٤٨) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رُومَةَ وَشَعَرَ ٱلْوُزَرَاءُ أَنَّهُ يَرُومُ ٱلِاسْتِبْدَادَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُ (٤٤) . فَزَحَفَ أُكْتَبْيَانُ ٱبْنُ أَخِيهِ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ بِثَارِهِ وَمَلَكَ بِرُومَةَ (٤٢) . ثُمَّ عَصَى أَنْطُونِيُوسُ عَلَى أَغَسْطُسَ وَٱنْهَزَمَ إِلَى مِصْرَ بِسَبَبِ عِشْقِهِ قَلَاوُفَطْرَا . فَخَرَجَ أَغَسْطُسُ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ مِنْ رُومَةَ بِعَسَاكِرَ عَظِيمَةٍ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَسَارَ إِلَى ٱلدِّيَارِ ٱلْمِصْرِيَّةِ وَأَسَرَ وَلَدَيْ قَلَاوُفَطْرَا ٱلْمُسَمَّى أَحَدُهُمَا شَمْسًا وَٱلْآخَرُ قَمَرًا وَقَتَلَهُمَا . وَلَمَّا سَمِعَ أَنْطُونِيُوسُ وَقَلَاوُفَطْرَا بِقَتْلِ ٱلْوَلَدَيْنِ وَكَانَا مُحَاصَرَيْنِ فِي بَعْضِ ٱلْحُصُونِ شَرِبَا سُمًّا وَمَاتَا (٣٠) . وَلَمَّا مَلَكَ أَغَسْطُسُ دِيَارَ مِصْرَ وَٱلشَّامِ دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَحْتَ طَاعَتِهِ كَمَا كَانُوا تَحْتَ طَاعَةِ ٱلْبَطَالِسَةِ فَوَلَّى أَغَسْطُسُ بِبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ عَلَى ٱلْيَهُودِ وَالِيًا مِنْهُمْ وَكَانَ يُلَقَّبُ بِهِيرُودُسَ . وَفِي أَيَّامِ أَغَسْطُسَ وُلِدَ ٱلْمَسِيحُ لِٱثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِنْ مُلْكِهِ (لابن العميد)

دولة القياصرة بني اغسطس (١٤ — ٦٩)

٤٤٦ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِ أَغَسْطُسَ طِبَارِيُوشُ قَيْصَرُ وَكَانَ جَائِرًا وَٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلنَّوَاحِي . وَعَلَى عَهْدِهِ كَانَ شَأْنُ ٱلْمَسِيحِ وَبَغْيُ ٱلْيَهُودِ عَلَيْهِ وَأَقَامَ ٱلْحَوَارِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ وَٱلْيَهُودُ يَحْبِسُونَهُمْ وَيَضْطَهِدُونَهُمْ . ثُمَّ ٱفْتَرَقُوا فِي ٱلْآفَاقِ لِإِقَامَةِ ٱلدِّينِ وَحَمْلِ ٱلْأُمَمِ عَلَى عِبَادَةِ ٱللهِ . وَمَاتَ طِبَارِيُوشُ

لِثَلاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ (٣٧). ثُمَّ مَلَكَ غَايُس قَيْصَرُ (٣٧ ـ ٤١) وَأَمَرَ أَنْ تُنْصَبَ الْأَصْنَامُ فِي مَحَارِيبِ الْيَهُودِ وَوَثَبَ عَلَيْهِ بَعْضُ قُوَّادِهِ فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ قْلُودِيُوشُ (٤١ ـ ٥٤) وَوَقَعَتْ فِي أَيَّامِهِ شِدَّةٌ عَلَى النَّصَارَى وَقُتِلَ يَعْقُوبُ أَخُو يُوحَنَّا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ وَحُبِسَ شَمْعُونُ الصَّفَا. ثُمَّ خَلَصَ وَسَارَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ وَأَقَامَ بِهَا وَدَعَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ. ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى رُومَةَ وَدَبَّرَهَا وَنَصَبَ فِيهَا الْأَسَاقِفَةَ. وَتَنَصَّرَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ فَعَضَدَتِ النَّصَارَى. وَلَقِيَ الَّذِينَ بِالْقُدْسِ شَدَائِدَ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ يَعْقُوبُ أَخُو يُوحَنَّا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فَثَارَ الْيَهُودُ عَلَى مَنْ كَانَ بِالْمَقْدِسِ مِنَ النَّصَارَى وَقَتَلُوا أُسْقُفَهُمْ وَهَدَمُوا الْبِيعَةَ. وَأَخَذُوا الصَّلِيبَ وَالْخَشَبَتَيْنِ وَدَفَنُوهَا إِلَى أَنِ اسْتَخْرَجَتْهَا هِيلَانَةُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ. وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِ قْلُودِيُوشَ ابْنُهُ نِيرُونُ وَهُوَ خَامِسُ الْقَيَاصِرَةِ وَكَانَ غَشُومًا فَاسِقًا وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ سِيمُونُ السَّاحِرُ بِرُومَةَ. وَبَلَغَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ رُومَةَ أَخَذُوا بِدِينِ الْمَسِيحِ فَنَكَّرَ ذَلِكَ وَقَتَلَهُمْ حَيْثُ وُجِدُوا. وَقَتَلَ بُطْرُسَ مِنْ بَعْدِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مَضَتْ لِبُطْرُسَ فِي كُرْسِيِّهَا وَهُوَ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ وَرَسُولُ الْمَسِيحِ إِلَى رُومَةَ (٦٦). وَقُتِلَ مَرْقُسُ الْإِنْجِيلِيُّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ لِثِنْتَي عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِ نِيرُونَ وَبَعَثَ نِيرُونُ قَائِدَهُ إِسْبَاشِيَانُوسَ وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْيَهُودِ وَخَرَابِ الْقُدْسِ. ثُمَّ إِنَّ نِيرُونَ قَيْصَرَ انْتَقَضَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. فَرَجَعَ أَهْلُ أَرْمِينِيَةَ إِلَى طَاعَةِ الْفُرْسِ وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ أَهْلُ بِرِطَانِيَةَ

مِنْ أَرْضِ ٱلْجَوْفِ . فَبَعَثَ شُوَاطِيَانُس فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي ٱلْعَسَاكِرِ وَغَلَبَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ . ثُمَّ ثَارَ بِنِيرُونَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ فَقَتَلُوهُ (٦٨) وَمَلَّكُوا غَلْبَانَ فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ أَشْهُرًا وَقَتَلُوهُ غِيلَةً وَقَدَّمُوا عِوَضَهُ أُتُونَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ خَلَعُوهُ وَمَلَّكُوا بَطَّالِسَ وَكَانَ رَدِيَّ ٱلسِّيرَةِ . وَبَلَغَ إِسْبَاشِيَانُوسَ مَوْتُ نِيرُونَ بَيْنَمَا هُوَ فِي حِصَارِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِٱلِانْصِرَافِ إِلَى رُومَةَ وَبَشَّرَهُ يُوسُفُ بْنُ كَرْبُونَ وَكَانَ أَسِيرًا عِنْدَهُ بِٱلْمُلْكِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى رُومَةَ وَخَلَّفَ ٱبْنَهُ طِيطُشَ عَلَى حِصَارِ ٱلْقُدْسِ . وَٱنْقَطَعَ مُلْكُ آلِ يُولِسَ قَيْصَرَ لِمِائَةٍ وَسِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ مَبْدَإِ دَوْلَتِهِمْ وَٱسْتَقَامَ مُلْكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ ٱلرُّومِ وَتَسَمَّى قَيْصَرَ كَمَا كَانَ قَبْلُ (٦٩) (لابن خلدون)

دولة فلابيوس اسباشيانوس وبنيه الفلابيين (٦٩ — ٩٦)

٤٤٧ وَمَلَكَ إِسْبَاشِيَانُوسُ عَشْرَ سِنِينَ وَهُوَ بَنَى قُوقُلُسَ أَيْ مَنَارَةَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ طُولُهَا مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ خُطْوَةً . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِهِ ٱفْتَتَحَ طِيطُشُ ٱبْنُهُ مَدِينَةَ أُورَشَلِيمَ وَقَتَلَ فِيهَا زُهَاءَ سِتِّينَ أَلْفَ نَفْسٍ وَسَبَى نَيِّفًا وَمِائَةَ أَلْفِ نَفْسٍ وَمَاتَ فِيهَا مِنَ ٱلْجُوعِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَٱلْبَاقُونَ تَشَتَّتُوا فِي ٱلْبِلَادِ وَدَعْثَرَهَا وَأَخْرَبَ هَيْكَلَهَا . وَتَمَّتْ نُبُوءَةُ يَعْقُوبَ حَيْثُ قَالَ : لَنْ تُفْقَدَ هِرَاوَةُ ٱلْمُلْكِ مِنْ يَهُوذَا وَلَا ٱلْمُنْذِرُ أَيِ ٱلنَّبِيُّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ مَنْ لَهُ ٱلْغَلَبَةُ وَإِيَّاهُ تَتَوَقَّعُ ٱلشُّعُوبُ . وَتَمَّ أَيْضًا مَا أَنْذَرَ بِهِ ٱلْمُخَلِّصُ مُخَاطِبًا لِأُورَشَلِيمَ : أَنَّهُ سَيَأْتِي أَيَّامٌ تُحِيطُ

بِكِ أَعْدَاؤُكِ وَيَكْبِسُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ. وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ صَلْبِ ٱلْمَسِيحِ (٧٠)

وَذَكَرَ يُوسِيفُوسُ ٱلْعِبْرِيُّ أَنَّهُ ظَهَرَ قَبْلَ خَرَابِ أُورَشَلِيمَ عَلَامَاتٌ فَظِيعَةٌ وَذٰلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فَوْقَ ٱلْمَدِينَةِ نَجْمٌ طَوِيلٌ كَثِيفٌ مِنْ نَارٍ يَلْمَعُ. وَأَبْوَابُ ٱلنُّحَاسِ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَى بَابِ ٱلْهَيْكَلِ وَلَمْ تَكُنْ تُغْلَقُ وَتُفْتَحُ دُونَ ٱجْتِمَاعِ عِشْرِينَ رَجُلًا وُجِدَتْ نِصْفَ ٱللَّيْلِ مَفْتُوحَةً مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ. وَكَانُوا عَامَّةَ ٱلسَّنَةِ يَسْمَعُونَ فِي ٱلْهَيْكَلِ أَصْوَاتًا مُخْتَلِفَةً تَقُولُ: إِنَّا سَنَنْتَقِلُ مِنْ هُنَا

وَلَمَّا مَلَكَ طِيطُسُ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ رَجَعَ ٱلنَّصَارَى ٱلَّذِينَ كَانُوا عَبَرُوا إِلَى ٱلْأُرْدُنِّ فَبَنَوْا كَنِيسَةً بِٱلْمَقْدِسِ وَسَكَنُوا وَكَانَ ٱلْأُسْقُفُ فِيهِمْ شِمْعَانَ بْنَ كَلَاوُفَا وَهُوَ ٱلثَّانِي مِنْ أَسَاقِفَةِ ٱلْمَقْدِسِ. ثُمَّ هَلَكَ إِسْبَاسِيَانُوسُ لِتِسْعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَمَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ طِيطُسُ قَيْصَرُ سَنَتَيْنِ وَكَانَ مُتَفَنِّنًا فِي ٱلْعُلُومِ مُلْتَزِمًا لِلْخَيْرِ عَارِفًا بِٱللِّسَانِ ٱلْغَرِيقِيِّ وَٱللَّطِينِيِّ وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ لِمُلْكِهِ ٱنْشَقَّ جَبَلٌ بِٱلرُّومِ وَخَرَجَ مِنْهُ شُهُبُ نَارٍ أَحْرَقَتْ مُدُنًا كَثِيرَةً وَوَقَعَ بِرُومَةَ حَرِيقٌ كَثِيرٌ. ثُمَّ مَلَكَ دُومِيطِيَانُوسُ قَيْصَرُ (٨١ـ٩٦) وَنَفَى مِنْ رُومَةَ ٱلْمُنَجِّمِينَ وَأَصْحَابَ ٱلزَّجْرِ وَٱلْفَأْلِ وَٱلْعِيَافَةِ وَٱلطِّيَرَةِ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُغْرَسَ بِرُومَةَ كَرْمٌ ٱلْبَتَّةَ. ثُمَّ ٱضْطَهَدَ ٱلنَّصَارَى ٱضْطِهَادًا شَدِيدًا وَمَعَ هٰذَا كَانَ ٱلنَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱلْمَسِيحِ أَفْوَاجًا وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ تَمَسُّكًا أَشَدَّ

وَٱخْتَارَ فَطْرُوفِيلُسُ ٱتِّبَاعَ ٱلنَّصَارَى بِٱلسِّيرَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَتَرْكَ ٱلدُّنْيَا وَمَلَاذِّهَا يُفِيدُهُمُ ٱلْأَيْدَ بِٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ • وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ عُرِفَ أَفُولُونِيُسُ ٱلطَّلْسَمَاطِيقِيُّ وَكَانَ يُضَادُّ ٱلتَّلَامِيذَ بِأَفَاعِيلِهِ ٱلْمُخَالِفَةِ لِأَفَاعِيلِ ٱلْمَسِيحِ وَيَقُولُ: ٱلْوَيْلُ لِي إِنْ سَبَقَنِي ٱبْنُ مَرْيَمَ • وَنَفَى دُومِيطْيَانُوسُ يُوحَنَّا ٱلْإِنْجِيلِيَّ إِلَى بَعْضِ ٱلْجَزَائِرِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ دِيُونُوسِيُوسُ أُسْقُفُ أَثِينَا كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ: لَا يَعْتَرِيَنَّكَ ٱلضَّجَرُ وَٱلْمَلَلُ فَإِنَّهُ لَا يَطُولُ سِجْنُكَ فَٱللّٰهُ يَعْمَلُ لَكَ ٱلْخَلَاصَ فَأَلْهِمْ نَفْسَكَ بِٱلصَّبْرِ • وَبَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ دُومِيطْيَانُوسُ قَيْصَرُ عَلَى بِسَاطَةٍ فِي مَجْلِسِهِ

دولة الانطونيين (٩٦ — ١٩٣)

٤٤٨ وَمَلَكَ بَعْدَهُ نَرْوَاسُ وَأَحْسَنَ ٱلسِّيرَةَ وَأَمَرَ بِرَدِّ مَنْ كَانَ مَنْفِيًّا مِنَ ٱلنَّصَارَى وَخَلَّاهُمْ وَدِينَهُمْ وَرَجَعَ يُوحَنَّا ٱلْإِنْجِيلِيُّ إِلَى أَفَسُسَ بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَعَهِدَ بِٱلْمُلْكِ إِلَى طْرِيَانُسَ مِنْ عُظَمَاءِ قُوَّادِهِ فَوَلِيَ بَعْدَهُ (٩٨) وَتَسَمَّى قَيْصَرَ وَقَتَلَ شِمْعَانَ بْنَ كَلَاوُفَا أُسْقُفَ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ • وَأَغْنَاطِيُوسُ بَطْرَكُ أَنْطَاكِيَةَ رُمِيَ لِلسِّبَاعِ (١٠٧) • وَتَتَبَّعَ أَئِمَّتَهُمْ بِٱلْقَتْلِ وَٱسْتَعْبَدَ عَامَّتَهُمْ وَفِيلِينُوسُ صَاحِبُ ٱلشُّرَطِ لَمَّا عَجَزَ مِنْ قَتْلِ ٱلنَّصَارَى لِكَثْرَتِهِمْ طَالَعَ قَيْصَرَ أَنَّ أَهْلَ هٰذَا ٱلْمَذْهَبِ عَامِلُونَ بِجَمِيعِ سُنَنِ ٱلْفَلَاسِفَةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يُكْرِمُونَ ٱلْأَصْنَامَ • فَأَمَرَ قَيْصَرُ أَنْ لَا يُجَدَّ فِي أَذَاهُمْ إِلَّا إِذَا وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَفَوَّهُ بِسَبِّ ٱلْآلِهَةِ فَلْيُدَنْ •

ثمّ خرج على طريانوس خارجيٌّ ببابل فهلك في حروبه

٤٤٩ ثمّ ولي من بعده أذريانوس (١١٧) وفي الرابعة من ملكه بطل الملك من الرها وتداولتها القضاة من الروم. وبنى أذريانوس بمدينة أثينا بيتًا ورتّب فيه جماعة من الحكماء لمدارسة العلوم. وبلغ أذريانوس أنّ اليهود يرومون الانتقاض وأنّهم ملّكوا عليهم رجلًا يقال له ابن الكوكب أضلّ اليهود مدّعيًا أنّه نزل من السماء كالكوكب فيخلّصهم من عبوديّة الروم. فبعث إليهم العساكر وتتبّعهم بالقتل وخرّب المدينة حتّى عادت صحراء. وأمر أن لا يسكنها يهوديٌّ وأسكن اليونان بيت المقدس. وكان هذا الخراب لخمس وستّين سنة من خراب طيطش الذي هو الجلوة الكبرى. وامتلأ القدس من اليونان. وكانت النصارى يتردّدون إلى موضع القبر والصليب. فمنعهم اليونان من الصلاة وبنوا هنالك هيكلًا على اسم الزهرة (لابي الفرج)

وخلف أذريانوس طيطوس أنطونيانس قيصر المسمّى بارًّا وأبا البلد (١٣٨) وأزال عن النصارى الاضطهاد وأباح للناس أن يتديّنوا بأيّ دين شاؤوا. وفي هذا الزمان نبع في البيعة من المخالفين شخص اسمه والنطيانوس. وكان يقول إنّ المسيح أنزل معه جسدًا من السماء واجتازه بمريم كاجتياز الماء بالميزاب أي لم يأخذ منها شيئًا. وظهر رجل يسمّى مرقيون. وقال إنّ الآلهة ثلاثة عادلٌ وصالحٌ وشريرٌ ولمّا رأى الصالح العالم قد انجذب إلى جهة الشرير أرسل ابنه ليدعو

ٱلنَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ أَبِيهِ ٱلصَّالِحِ فَأَتَى وَنَسَخَ ٱلتَّوْرَاةَ ٱلْمُتَضَمِّنَةَ سُنَّةَ ٱلْعَدْلِ بِٱلْإِنْجِيلِ ٱلَّذِي هُوَ مُتَضَمِّنٌ سُنَّـةَ ٱلْفَضْلِ . فَلَمَّا أَظْهَرَ مَرْقِيُونُ هٰذِهِ ٱلْخُزَعْبِلَةَ وَعَظَتْهُ ٱلْأَسَاقِفَةُ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ خُزَعْبِلَتِهِ وَتَمَادَى فِي أَبَاطِيلِهِ فَنَفَاهُ ٱلْجَمَاعَةُ وَصَارَ لُعْنَةً (لابي الفرج)

٤٥٠ لَمَّا هَلَكَ أَنْطُونِيُوسُ لِثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِـهِ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ مَرْقُوسُ أُورَالِسُ (١٦١) . وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ أَهْلِ فَارِسَ وَبَعْدَ أَنْ غَلَبُوا عَلَى أَرْمِينِيَةَ وَسُورِيَةَ مِنْ مَمَالِكِهِ فَدَفَعَهُمْ عَنْهُمَا وَغَلَبَهُمْ فِي حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ . وَأَصَابَ ٱلْأَرْضَ عَلَى عَهْدِهِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ وَقَحَطَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَسْقَى لَهُمُ ٱلنَّصَارَى فَأُمْطِرُوا وَٱرْتَفَعَ ٱلْوَبَاءُ وَٱلْقَحْطُ بَعْدَ أَنْ كَانَ ٱشْتَـدَّ عَلَى ٱلنَّصَارَى (والصحيح أنَّ ذلك وقع في بعض حروب اوريليوس) وَمَعَ كُلِّ هٰذَا قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَهِيَ ٱلشِّدَّةُ ٱلرَّابِعَـةُ مِنْ بَعْدِ نِيرُونَ . وَوَلِيَ مَكَانَهُ قُومُذُوسُ ٱبْنُهُ وَمَاتَ مُخْتَنِقًا (١٨٠ـ١٩٢) . وَفِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ ظَهَرَ فِي بِلَادِ آسِيَا مُنْطَانُسُ ٱلْقَائِلُ عَنْ نَفْسِـهِ إِنَّهُ ٱلْفَارَقْلِيطُ ٱلَّذِي وَعَدَ ٱلْمَسِيحُ أَنْ يُوَجِّهَهُ إِلَى ٱلْعَالَمِ (لابن خلدون)

دولة القياصرة السوريين (١٩٢ — ٢٣٥)

٤٥١ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ فَرْطِينَخُوسُ وَمُلْكُهُ بِٱتِّفَاقِ ٱلْمُؤَرِّخِينَ شَهْرَانِ وَقَتَـلَهُ بَعْضُ قُوَّادِهِ . ثُمَّ وَلِيَ سُوِرْيَانُوسُ (١٩٣ـ٢١٢) وَٱشْتَدَّ عَلَى ٱلنَّصَارَى ٱلشِّدَّةَ ٱلْخَامِسَةَ وَفَتَكَ فِيهِمْ . وَٱعْتَسَفَهُمْ بِٱلسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ وَٱلْأَكْلِ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ . ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ غَزْوِهِ ٱلصَّقَالِبَةَ . وَفِي أَيَّامِهِ بَحَثَ

ٱلْأَسَاقِفَةُ عَنْ أَمْرِ ٱلْفِصْحِ وَأَصْلَحُوا رَأْسَ ٱلصَّوْمِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ أَنْطُونِيُسُ (كَرَكَلَّا) فَقُتِلَ لِسِتِّ سِنِينَ لِمُلْكِهِ مَا بَيْنَ حَرَّانَ وَٱلرُّهَا . (٢١٨) ثُمَّ مَلَكَ أَلِيُوغَالِي أَرْبَعَ سِنِينَ . ثُمَّ مَقْرِينُ وَقَتَلَهُ قُوَّادُ رُومَةَ لِسَنَةٍ مِنْ مُلْكِهِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱلْإِسْكَنْدَرُوسُ (٢٢٢ ـ ٢٣٥) وَكَانَتْ أُمُّهُ مَامَا نَصْرَانِيَّةً وَكَانَتِ ٱلنَّصَارَى مَعَهُ فِي سَعَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ مِنْ مُلْكِ هٰذَا ٱلْإِسْكَنْدَرُوسِ قَيْصَرَ ٱبْتَدَأَتْ مَمْلَكَةُ ٱلْفُرْسِ ٱلْأَخِيرَةُ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِبَيْتِ سَاسَانَ ثُمَّ ثَارَ أَهْلُ رُومَةَ عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ

الحكم الفوضوي (٢٣٥ — ٢٦٨)

٤٥٢ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ مَخْشِمْيَانُ (٢٣٥) وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ ٱلْمُلْكِ وَإِنَّمَا وَلَّوْهُ لِأَجْلِ حَرْبِ ٱلْإِفْرِنْجِ . وَٱشْتَدَّ عَلَى ٱلنَّصَارَى ٱلشِّدَّةُ ٱلسَّادِسَةُ مِنْ بَعْدِ نِيرُونَ . وَقُتِلَ سَرْجِيُوسَ فِي سَلَمْيَةَ وَبَاخُوسَ ٱلشَّهِيدَيْنِ فِي بَالِسَ عَلَى ٱلْفُرَاتِ وَقُوفِرْيَانُسَ ٱلْأُسْقُفَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ هَلَكَ مَخْشِمْيَانُ وَمَلَكَ بَعْدَهُ غُرْدِيَانُوسُ قَيْصَرُ (٢٣٨) وَطَالَتْ حُرُوبُهُ مَعَ ٱلْفُرْسِ وَكَانَ ظَافِرًا عَلَيْهِمْ وَقَتَلَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى نَهْرِ ٱلْفُرَاتِ . ثُمَّ مَلَكَ فِيلِفُوشُ قَيْصَرُ سِتَّ سِنِينَ وَآمَنَ بِٱلْمَسِيحِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ ٱلرُّومِ فَأَحْسَنَ إِلَى ٱلنَّصَارَى ثُمَّ رَامَ ٱلِٱجْتِمَاعَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ ٱلْأُسْقُفُ : لَا يُمْكِنُكَ ٱلدُّخُولُ إِلَى ٱلْبِيعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ عَنِ ٱلْمَحَارِمِ وَتَقْتَصِرَ عَلَى زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ ذَوَاتِ ٱلْقُرْبَى . فَكَانَ يَحْضُرُ وَقْتَ ٱلصَّلَاةِ وَيَقِفُ خَارِجَ ٱلْبِيعَةِ مَعَ ٱلَّذِينَ أَلِفُوا ٱلدِّينَ وَلَمْ يَكْمُلُوا فِيهِ بَعْدُ .

وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ لِمُلْكِهِ ظَهَرَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْبِدَعِ قَائِلِينَ إِنَّ مَنْ كَفَرَ بِلِسَانِهِ وَأَضْمَرَ ٱلْإِيمَانَ بِقَلْبِهِ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ . وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ بَدَأَتْ أَعْمَالُ ٱلرُّهْبَانِ عَلَى يَدَيْ أَنْطُونِيُوسَ وَفُولِيَ ٱلْمِصْرِيَّيْنِ . وَهُمَا أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ لُبْسَ ٱلصُّوفِ وَٱلتَّخَلِّيَ فِي ٱلْبَرَارِي . ثُمَّ مَلَكَ ذُوقِيُوسُ قَيْصَرُ (٢٤٩) وَلِبُغْضِهِ فِيلِبُّوسَ قَيْصَرَ ٱلْمُحْسِنَ إِلَى ٱلنَّصَارَى عَادَاهُمْ وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ جِدًّا وَهِيَ ٱلشِّدَّةُ ٱلسَّابِعَةُ . فَكَفَرَ كَثِيرُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ قُتِلَ فَقَدَّمُوا ٱلتَّوْبَةَ . وَكَانَ نَابَاطِسُ ٱلْقِسِّيسُ لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ قَائِلًا : إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ أَخْطَأَ فَزَيَّفَ ٱلْأَسَاقِفَةُ تَعْلِيمَهُ . وَفِي زَمَانِ ذُوقِيُوسَ كَانَ ٱلْفِتْيَةُ أَصْحَابُ ٱلْكَهْفِ فَأَلْقَى ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ سُبَاتًا إِلَى يَوْمِ ٱنْتِبَاهِهِمْ مِنْ رُقَادِهِمْ فِي أَيَّامِ تَاوُدُوسِيُوسَ . وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ ٱلْقُوطُ مِنْ بِلَادِهِمْ وَتَغَلَّبُوا عَلَى بِلَادِ ٱلْغَرِيقِيِّينَ ثُمَّ وَلِيَ وَالِرِيَانُوسُ وَكَانَ يَعْبُدُ ٱلْأَصْنَامَ وَلَقِيَ ٱلنَّصَارَى مِنْهُ شِدَّةً . ثُمَّ سَارَ فِي عَسَاكِرِ ٱلرُّومِ لِغَزْوِ ٱلْفُرْسِ فَٱنْهَزَمَ وَحُمِلَ أَسِيرًا إِلَى كِسْرَى بَهْرَامَ فَقَتَلَهُ . فَوَلِيَ ٱبْنُهُ غَلِينُوسُ (٢٦٠) وَوَقَعَ فِي أَيَّامِهِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ فِي رُومَةَ فَرَفَعَ طَلَبَهُ عَنِ ٱلنَّصَارَى بِسَبَبِهِ

دولة القياصرة الإلّيريين الى قسطنطين الملك (٢٦٨ — ٣٠٧)

٤٥٣ ثُمَّ مَلَكَ أَقْلُودِيُسُ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ (٢٦٨) وَفِي مُلْكِهِ قَدِمَ بُولُسُ ٱلشَّمْشَاطِيُّ وَكَانَ يَقُولُ بِٱلْوَحْدَانِيَّةِ وَيَجْحَدُ ٱلْكَلِمَةَ بِٱلرُّوحِ وَأَنَّهُ لَمْ يُولَدْ مِنْ عَذْرَاءَ وَذَكَرَ أُوسَابِيُوسُ ٱلْمُؤَرِّخُ عَنْ هٰذَا بُولُسَ أَنَّهُ ٱسْتَعَانَ بِٱمْرَأَةٍ يَهُودِيَّةٍ ٱسْمُهَا زَيْنَبُ رَأَّسَهَا قَيْصَرُ عَلَى ٱلشَّامِ . وَكَانَتْ تَسْتَحْسِنُ

عِلْمَهُ وَكَلَامَهُ وَفَوَّضَتْ إِلَيْهِ بَطْرَكِيَّةَ أَنطَاكِيَةَ . فَأَجْتَمَعَ الْأَسَاقِفَةُ وَرَدُّوا مَقَالَتَهُ وَحَرَمُوهُ وَأَتْبَاعَهُ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أُورِيلِيَانُسُ (٢٧٠ ـ ٢٧٥) وَحَارَبَ الْقُوطَ فَظَفِرَ بِهِمْ وَجَدَّدَ بِنَاءَ رُومَةَ . وَاشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى تَاسِعَةً بَعْدَ نِيرُونَ . وَهَمَّ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ وَفِي هٰذَا الزَّمَانِ عُرِفَ مَانِي الثَّنَوِيُّ هٰذَا كَانَ يُظْهِرُ النَّصْرَانِيَّةَ ثُمَّ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ وَسَمَّى نَفْسَهُ مَسِيحًا . وَكَانَ يَقُولُ بِعِلْمِ الثَّنَوِيَّةِ . وَهُوَ أَنَّ لِلْعَالَمِ إِلٰهَيْنِ أَحَدُهُمَا خَيْرٌ وَهُوَ مَعْدِنُ النُّورِ وَالْآخَرُ شَرٌّ وَهُوَ مَعْدِنُ الظُّلْمَةِ . فَقَتَلَهُ سَابُورُ وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَحَشَاهُ تِبْنًا وَصَلَبَهُ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي الدَّعَاوِيَ الْعَظِيمَةَ وَعَجَزَ عَنْ إِبْرَاءِ ٱبْنِهِ مِنْ مَرَضٍ عَرَضَ لَهُ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أُورِلِيَانُسَ قَارُوشُ ثُمَّ فُرُوفُشُ وَقُتِلَ بِسِرْمِينَ ثُمَّ قَارُوشُ وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِمُلْكِهِ قُتِلَ قُزْمَا وَدَمْيَانِي الشَّهِيدَانِ ثُمَّ أَبْرَقُ فَاسْتَظْلَمَهُ وَمَاتَ. ثُمَّ اسْتَبَدَّ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ بِالْمُلْكِ (٢٨٤ ـ ٣٠٥) وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْمُلْكِ مَخْشِمْيَانَ وَكَانَ مُقِيمًا بِرُومَةَ . وَلِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِهِ عَصَى عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ رُومَةَ وَغَلَبَهُمْ وَأَنْكَى فِيهِمْ . وَانْتَقَضَ عَلَى دِيُوقْلَاسِيَانُوسَ أَهْلُ مَمَالِكِهِ وَثَارَ الثُّوَّارُ بِبِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأَفْرِيقِيَةَ . فَدَفَعَ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ إِلَى هٰذِهِ الْحُرُوبِ كُلِّهَا مَخْشِمْيَانَ هِرْكُولِيسَ وَصَيَّرَهُ قَيْصَرًا . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ مَخْشِمْيَانُ صِهْرَهُ قُسْطَنْطِشَ فَمَضَى إِلَى الْأَلْمَانِيِّينَ فِي نَاحِيَةِ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ فَظَفِرَ بِهِمْ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ . ثُمَّ أَمَرَ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ بِغَلْقِ كَنَائِسِ

ٱلنَّصَارَى بِإِغْرَاءِ مَخْشِمْيَانَ وَكَانَ أَشَدَّ كُفْرًا مِنْهُ . وَلَقِيَ ٱلنَّصَارَى مِنْهُمَا شِدَّةً وَقُتِلَ مَارِي جِرْجِسُ وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ أَبْنَاءِ ٱلْبَطَارِقَةِ . وَفِي عَاشِرَةِ مُلْكِهِ قَدِمَ مَارِي بُطْرُسُ بَطْرَكًا بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ . ثُمَّ قَامَ بَعْدَ مَوْتِهِ تِلْمِيذُهُ إِسْكَنْدَرُوسُ وَكَانَ كَبِيرُ تَلَامِذَتِهِ آرِيُوشُ كَثِيرَ ٱلْمُخَالَفَةِ لَهُ . وَفِي أَيَّامِ دِيُوقْلَاسِيَانُوسَ رَأَى قُسْطَنْطِشُ هِيلَانَةَ وَكَانَتْ تَنَصَّرَتْ عَلَى يَدِ أُسْقُفِ ٱلرُّهَا فَأَعْجَبَتْهُ وَتَزَوَّجَهَا . وَوَلَدَتْ لَهُ قُسْطَنْطِينَ فَأَجْمَعَ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ عَلَى قَتْلِهِ فَهَرَبَ إِلَى ٱلرُّهَا . ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ مَوْتِ دِيُوقْلَاسِيَانُوسَ فَوَجَدَ أَبَاهُ قُسْطَنْطِشَ قَدْ مَلَكَ عَلَى ٱلرُّومِ فَتَسَلَّمَ ٱلْمُلْكَ مِنْ يَدِهِ (لابن العميد)

ملك قسطنطين (٣٠٦–٣٣٧)

٤٥٤ ثُمَّ ٱسْتَعَدَّ قُسْطَنْطِينُوسُ لِغَزْوِ مَكْسَنْطِيسَ بْنِ مَخْشِمْيَانَ لِأَنَّهُ عَصَى وَلَمْ يُبَايِعْهُ وَغَلَبَ عَلَى رُومَةَ . وَكَانَ قُسْطَنْطِينُوسُ يَتَفَكَّرُ إِلَى أَيِّ ٱلْآلِهَةِ يُلْجِئُ أَمْرَهُ فِي هٰذَا ٱلْغَزْوِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي هٰذَا ٱلْفِكْرِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ نِصْفَ ٱلنَّهَارِ فَرَأَى رُؤْيَةَ ٱلصَّلِيبِ فِي ٱلسَّمَاءِ مِثَالَ ٱلنُّورِ وَكَانَ فِيهِ مَكْتُوبٌ : أَنْ بِهٰذَا ٱلشَّكْلِ تَغْلِبُ . فَصَاغَ لَهُ صَلِيبًا مِنْ ذَهَبٍ وَكَانَ يَرْفَعُهُ فِي حُرُوبِهِ عَلَى رَأْسِ ٱلرُّمْحِ . ثُمَّ إِنَّهُ غَزَا رُومَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ مَكْسَنْطِيسُ وَوَقَعَ فِي نَهْرٍ فَٱخْتَنَقَ . فَٱفْتَتَحَ قُسْطَنْطِينُوسُ مَدِينَةَ رُومَةَ وَٱعْتَمَدَ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ بِرُومَةَ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَعَبَدَةِ ٱلْأَصْنَامِ زُهَاءَ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ نَفْسٍ خَلَا ٱلنِّسَاءِ وَٱلصِّبْيَانِ (٣١٢) . ثُمَّ حَصَلَ لِقُسْطَنْطِينُوسَ بَرَصٌ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ خَدَمُ ٱلْأَصْنَامِ أَنْ يَذْبَحَ أَطْفَالَ

ٱلْمَدِينَةِ وَيَغْتَسِلَ بِدِمَائِهِمْ فَيَبْرَأَ مِنْ مَرَضِهِ • فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْأَطْفَالِ لِيَذْبَحَهُمْ فَصَارَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ فَأَحْجَمَ عَنْ قَتْلِهِمْ • وَفِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ رَأَى فِي مَنَامِهِ بُطْرُسَ وَبُولُسَ يَقُولَانِ لَهُ : وَجِّهْ إِلَى سِلْوِسْطُرُسَ أُسْقُفِ رُومَةَ فَجِيءْ بِهِ فَهُوَ يُبْرِئُ مَرَضَكَ • فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجَّهَ فِي طَلَبِهِ فَأَتَوْهُ بِهِ فَوَعَظَ ٱلْمَلِكَ وَأَوْضَحَ لَهُ سِرَّ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ فَتَعَمَّدَ وَذَهَبَ مَرَضُهُ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ كَنَائِسِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَهْدُومَةِ (٣١٣) • وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ لِمُلْكِهِ أَمَرَ فَبُنِيَ لِبُوزَنْطِيَا سُورٌ فَزَادَ فِي سَاحَتِهَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ وَسَمَّاهَا قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَنَقَلَ ٱلْمُلْكَ إِلَيْهَا (لابي الفرج)

٤٥٥ ثُمَّ شَخَصَتْ هِيلَانَةُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ لِزِيَارَةِ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ • فَسَأَلَتْ عَنْ مَوْضِعِ ٱلصَّلِيبِ فَأَخْبَرَهَا مَقَارِيُوسُ ٱلْأُسْقُفُ أَنَّ ٱلْيَهُودَ أَهَالُوا عَلَيْهِ ٱلتُّرَابَ وَٱلزِّبْلَ • ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَتْ ثَلَاثَةً مِنَ ٱلْخَشَبِ وَسَأَلَتْ أَيَّتُهَا خَشَبَةُ ٱلْمَسِيحِ • فَقَالَ لَهَا ٱلْأُسْقُفُ : عَلَامَتُهَا أَنَّ ٱلْمَيْتَ يَحْيَا بِمَسِيسِهَا فَصَدَّقَتْ ذٰلِكَ بِتَجْرِبَتِهَا • وَٱتَّخَذَ ٱلنَّصَارَى ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ عِيدًا لِوُجُودِ ٱلصَّلِيبِ • وَبَنَتْ عَلَى ٱلْمَوْضِعِ كَنِيسَةَ ٱلْقُمَامَةِ وَأَمَرَتْ مَقَارِيُوسَ ٱلْأُسْقُفَ بِبِنَاءِ ٱلْكَنَائِسِ (رواهُ ابن خلدون عن ابن الراهب)

مجمع نيقية (٣٢٥)

٤٥٦ وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ كَانَ بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِسْكَنْدَرُوسُ ٱلْبَطْرَكُ وَكَانَ لِعَهْدِهِ آرْيُوشُ • وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى حُدُوثِ ٱلِٱبْنِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ ٱلْخَلْقَ بِتَفْوِيضِ ٱلْآبِ إِلَيْهِ فِي ذٰلِكَ • فَمَنَعَهُ إِسْكَنْدَرُوسُ

ٱلدُّخُولَ إِلَى ٱلْكَنِيسَـةِ وَأَعْلَمَ أَنَّ إِيمَانَهُ فَاسِدٌ . وَكَتَبَ بِذٰلِكَ إِلَى سَائِرِ ٱلْأَسَاقِفَةِ وَٱلْبَطَارِكَةِ فِي ٱلنَّوَاحِي وَفَعَلَ ذٰلِكَ بِأَسْقُفَيْنِ آخَرَيْنِ عَلَى مِثْـلِ رَأْيِ آرِيُوشَ . فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى قُسْطَنْطِينَ وَأَحْضَرَهُمْ جَمِيعًا لِتِسْعَ عَشْرَةَ مِنْ دَوْلَتِـهِ وَتَنَاظَرُوا . وَلَمَّا قَالَ آرِيُوشُ إِنَّ ٱلِٱبْنَ حَادِثٌ وَإِنَّ ٱلْآبَ فَوَّضَ إِلَيْهِ بِٱلْخَلْقِ . وَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرُوسُ ٱلْخَلْقُ ٱسْتَحَقَّ ٱلْأُلُوهِيَّةَ فَٱسْتَحْسَنَ قُسْطَنْطِينُ قَوْلَهُ وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُشِيدَ بِكُفْرِ آرِيُوشَ . وَطَلَبَ ٱلْإِسْكَنْدَرُوسُ ٱجْتِمَاعَ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ لِتَحْرِيرِ ٱلْمُعْتَقَدِ ٱلْإِيمَانِيِّ . فَجَمَعَهُمْ قُسْطَنْطِينُ وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ أُسْقُفًا وَذٰلِكَ فِي مَدِينَةِ نِيقِيَةَ فَسُمِّيَ ٱلْمُجْتَمَعُ مُجْتَمَعَ نِيقِيَـةَ . وَكَانَ رَئِيسَهُمُ ٱلْإِسْكَنْدَرُوسُ بَطْرَكُ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَمَقَارِيُوسُ أُسْقُفُ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ . وَبَعَثَ سُلْطُوسُ (سلوسطروس) بَطْرَكُ رُومَـةَ بِقِسِّيسٍ حَضَرَ مَعَهُمْ لِذٰلِكَ نِيَابَةً عَنْهُ . فَتَفَاوَضُوا وَتَنَاظَرُوا وَٱتَّفَقُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ . فَصَارَ قُسْطَنْطِينُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَأَعْطَى سَيْفَـهُ وَخَاتَمَهُ وَبَارَكُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا لَهُ قَوَانِينَ ٱلدِّينِ وَٱلْمُلْكِ . وَنَفَى آرِيُوشَ . وَكَتَبُوا ٱلْعَقِيدَةَ ٱلَّتِي ٱتَّفَقَ عَلَيْهَا أَهْلُ ذٰلِكَ ٱلْمَجْمَعِ (لابن خلدون)

قسطنطين في مجمع نيقية

وَكَانَ فِي هٰذَا ٱلْمَجْمَعِ أُسْقُفٌ يَرَى رَأْيَ نَابَاطِيسَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: لِمَ لَا تُوَافِقُ ٱلْجُمْهُورَ فِي قُبُولِ مَنْ تَابَ عَنْ مَعَاصِيهِ مُنِيبًا إِلَى ٱللهِ . فَأَجَابَهُ ٱلْأُسْقُفُ: إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ فَرَطَتْ مِنْهُ كَبِيرَةٌ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ

وَٱلعِمَادِ بِدَلِيلِ قَوْلِ فُولُوسَ ٱلرَّسُولِ حَيْثُ يَقُولُ: لَا يَسْتَطِيعُ ٱلَّذِينَ ذَاقُوا كَلِمَةَ ٱللهِ أَنْ يَدَّنَّسُوا بِٱلْخَطِيئَةِ لِيَطْهُرُوا بِٱلتَّوْبَةِ ثَانِيَةً. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ هَازِئًا بِهِ: إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ فَٱنْصِبْ لَكَ سُلَّمًا لِتَرْقَى فِيهِ وَحْدَكَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ. وَنَهَضَ بَعْضُ ٱلْأَسَاقِفَةِ فَرَفَعَ إِلَى ٱلْمَلِكِ كِتَابًا فِيهِ سِعَايَةٌ بِبَعْضِ ٱلْأَسَاقِفَةِ. فَلَمَّا قَرَأَهُ ٱلْمَلِكُ أَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ ٱلْكِتَابُ بِٱلنَّارِ وَقَالَ: لَوْ وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ ٱلْكَهَنَةِ فِي رِيبَةٍ لَسَتَرْتُهُ بِأُرْجُوَانِيَّتِي (لابي الفرج)

موت قسطنطين وتملك بنيه

٤٥٧ وَلَمْ يَزَلْ دِينُ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ يَظْهَرُ وَيَقْوَى إِلَى أَنْ دَخَلَ فِيهِ أَكْثَرُ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُجَاوِرَةِ لِلرُّومِ مِنَ ٱلْجَلَالِقَةِ وَٱلصَّقَالِبَةِ وَٱلرُّوسِ وَٱللَّانِ وَٱلْأَرْمَنِ وَٱلْكُرْجِ وَجَمِيعُ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ ٱلْقِبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَجُمْهُورُ أَصْنَافِ ٱلسُّودَانِ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ وَٱلنُّوبَةِ وَسِوَاهُمْ. وَآمَنَ بَعْدَ هٰؤُلَاءِ أَصْنَافٌ مِنَ ٱلتُّرْكِ أَيْضًا. وَبَنَى قُسْطَنْطِينُوسُ بِيعَةً عَظِيمَةً بِٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَسَمَّاهَا أَجِيَا صُوفِيَا أَيْ حِكْمَةَ ٱلْقُدُّوسِ. وَبِيعَةً أُخْرَى عَلَى ٱسْمِ ٱلسَّلِيحَيْنِ. وَبَنَى بِيعَةً بِمَدِينَةِ بَعْلَبَكَّ. وَبَنَى بِأَنْطَاكِيَةَ هَيْكَلًا ذَا ثَمَانِي زَوَايَا عَلَى ٱسْمِ ٱلسَّيِّدَةِ. وَفِي أَيَّامِهِ غَزَا سَابُورُ بِلَادَ ٱلرُّومِ فَنَهَضَ قُسْطَنْطِينُوسُ لِمُحَارَبَتِهِ. وَعِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى نِيقُومُوذِيَا أَدْرَكَتْهُ ٱلْمَنِيَّةُ وَفِي مَرَضِهِ قَسَّمَ ٱلْمُلْكَ عَلَى أَوْلَادِهِ ٱلثَّلَاثَةِ وَمَلَّكَ ٱلْكَبِيرَ ٱلْمُسَمَّى بِٱسْمِهِ قُسْطَنْطِينُوسَ عَلَى بِلَادِ إِفْرَنْجَةَ. وَرَتَّبَ ٱلْآخَرَ ٱلْمُسَمَّى قُسْطَنْسِيُوسَ عَلَى مِصْرَ وَٱلشَّامِ وَمَا بَيْنَ ٱلنَّهْرَيْنِ وَأَرْمِينِيَةَ. وَرَتَّبَ ٱلصَّغِيرَ ٱلْمُسَمَّى

قُسْطَنْطِس عَلَى رُومَةَ وَإِسْبَانِيَا وَمَا يَلِيهَا مِنْ نَاحِيَةِ ٱلْمَغْرِبِ • ثُمَّ إِنَّ قُسْطَنْسِيُوس صَارَ إِلَى نِيقُومُوذِيَا فَأَخَذَ جَسَدَ أَبِيهِ فَحَنَّطَهُ • وَوَضَعَهُ فِي صُنْدُوقِ ذَهَبٍ وَحَمَلَهُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَوَضَعَهُ فِي هَيْكَلِ ٱلسَّلِيحِيِّينَ • وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ صَعِدَ سَابُورُ مَلِكُ ٱلْفُرْسِ فَغَزَا نَصِيبِينَ لَمَّا بَلَغَهُ وَفَاةُ قُسْطَنْطِينُوس ٱلْقَاهِرِ فَحَاصَرَهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَرَجَعَ عَنْهَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ خَائِبًا وَذٰلِكَ بِدُعَاءِ مَارِي يَعْقُوبَ أُسْقُفِهَا وَمَارِي إِفْرَامَ تِلْمِيذِهِ • فَإِنَّ ٱللّٰهَ ٱسْتَجَابَ دُعَاءَهُ وَأَرْسَلَ عَلَى جَيْشِ ٱلْفُرْسِ بَقًّا وَهَمَجًا هَزَمَ فِيلَتَهُمْ • ثُمَّ إِنَّ سَابُورَ ٱضْطَهَدَ ٱلنَّصَارَى ٱلَّذِينَ فِي سُلْطَانِهِ جِدًّا • أَمَّا قُسْطَنْطِينُوسُ وَهُوَ ٱلْأَخُ ٱلْكَبِيرُ فَقُتِلَ فِي حَرْبٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ٱلصَّغِيرِ قُسْطَنْطِس صَاحِبِ رُومَةَ وَخَلَّفَ ٱبْنَيْنِ غَالُوس وَيُولِيَانُوس • ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ قُسْطَنْطِسُ صَاحِبُ رُومَةَ • وَأَمَّا ٱلْأَخُ ٱلْأَوْسَطُ قُسْطَنْسِيُوسُ صَاحِبُ مِصْرَ وَٱلشَّامِ فَنَصَبَ غَالُوسَ مَلِكًا عَلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ مَكَانَ أَبِيهِ • فَعَصَى عَلَى عَمِّهِ فَسَيَّرَ عَمُّهُ عَلَيْهِ جَيْشًا وَقَتَلَهُ غِيلَةً • ثُمَّ مَاتَ أَيْضًا قُسْطَنْسِيُوسُ وَٱسْتَقَلَّ يُولِيَانُسُ بِٱلْمُلْكِ (لابي الفرج)

٤٥٨ ثُمَّ مَلَكَ يُولِيَانُسُ قَيْصَرُ (٣٦١) وَسُمِّيَ ٱلْمَارِقَ لِأَنَّهُ خَلَعَ رِبْقَةَ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ مِنْ عُنُقِهِ وَعَبَدَ ٱلْأَصْنَامَ • وَلِذٰلِكَ وَثَبَ ٱلْوَثَنِيُّونَ عَلَى ٱلنَّصَارَى وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ بَلَاءٌ عَظِيمٌ بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَقُتِلَ مِنَ ٱلْمَكَانِيِّينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ • ثُمَّ إِنَّ يُولِيَانُوسَ ٱلْمَلِكَ مَنَعَ ٱلنَّصَارَى مِنَ ٱلِٱشْتِغَالِ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ ٱلْفَلْسَفَةِ • وَسَلَبَ آنِيَةَ ٱلْكَنَائِسِ وَٱلدُّيُورَةِ وَٱسْتَصْفَى

مَالَ مَن لَمْ يُطِعْهُ مِنَ ٱلنَّصَارَى فِي أَكْلِ ذَبَائِحِ ٱلأَصْنَامِ وَأَهْلَكَ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ ٱلْفُرْسِ وَدَخَلَ عَلَى أَفُولُونَ ٱلْحَبْرِ ٱلْخَادِمِ لِلصَّنَمِ لِيَسْتَعْلِمَ مِنْهُ هَلْ يَنْجَحُ فِي غَزْوِهِ أَمْ لَا. فَحَكَمَ لَهُ أَنَّهُ يَقْهَرُ أَعْدَاءَهُ عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ فَٱسْتَكْبَرَ لِذٰلِكَ يُولِيَانُوسُ وَصَالَ جِدًّا. وَجَمَعَ جُيُوشَهُ وَغَزَا ٱلْفُرْسَ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ وَأَرَادَ ٱلْخُرُوجَ مِنْهَا نَكَّسَ رَأْسَهُ سَاجِدًا لِآلِهَةِ ٱلْحَرَّانِيِّينَ فَسَقَطَ تَاجُهُ عَنْ رَأْسِهِ وَصُرِعَ فَرَسُهُ ٱلَّذِي كَانَ تَحْتَهُ فَقَالَ لَهُ خَادِمُ ٱلصَّنَمِ: إِنَّ ٱلنَّصَارَى ٱلَّذِينَ مَعَكَ هُمْ جَلَبُوا عَلَيْكَ هٰذِهِ ٱلْبَلَايَا فَأَسْقَطَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ زُهَاءَ عِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ. وَسَارَ حَتَّى وَافَى ٱلْمَدَائِنَ وَلَمَّا نَشِبَ ٱلْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْفُرْسِ عَلَى ٱلدِّجْلَةِ صَارَ يَسِيرُ فِي صُفُوفِ مُقَاتِلِيهِ وَيُنَشِّطُهُمْ لِلْحَرْبِ. فَرَمَاهُ بَعْضُ ٱلْفُرْسِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ جَنْبَهُ فَسَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ. وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَعَذَّبُ أَخَذَ مِلْءَ حُفْنَتَيْهِ دَمًا مِنْ دَمِهِ فَرَشَّهُ فِي ٱلْجَوِّ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ: إِنَّكَ غَلَبْتَنِي يَا ٱبْنَ مَرْيَمَ فَرِثْ مَعَ مُلْكِ ٱلسَّمَاءِ مُلْكَ ٱلْأَرْضِ

ملك يوفيانس (٣٦٣) وولنطينيانس ووالنس (٣٦٤)

٤٥٩ لَمَّا قُتِلَ يُولِيَانُوسُ ٱلْمَارِقُ بَقِيَ عَسْكَرُ ٱلرُّومِ بِغَيْرِ مَلِكٍ وَكَانَ مُقَدَّمُ ٱلْعَسَاكِرِ يُوفِيَانُوسَ فَٱجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَبَايَعُوهُ وَٱشْتَرَطَ عَلَيْهِمِ ٱلدُّخُولَ فِي ٱلنَّصْرَانِيَّةِ وَجَرَى ٱلصُّلْحُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْفُرْسِ. وَلَمَّا وُلِّيَ نَزَلَ لِلْفُرْسِ عَلَى نَصِيبِينَ وَنَقَلَ ٱلرُّومَ ٱلَّذِينَ بِهَا إِلَى آمِدَ. وَرَجَعَ إِلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِمْ فَرَدَّ ٱلْأَسَاقِفَةَ إِلَى ٱلْكَنَائِسِ وَرَجَعَ فِيمَنْ رَجَعَ أَثْنَاسِيُوسُ

بَطْرَكُ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَمَانَةَ أَهْلِ مَجْمَعِ نِيقِيَةَ . فَجَمَعَ الْأَسَاقِفَةَ وَكَتَبُوهَا وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِلُزُومِهَا ثُمَّ إِنَّ يُوفِيَانُسَ (٤٥٩) هَلَكَ بِالْفَالِجِ لِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُلْكِهِ . وَافْتَرَقَ الْقُوطُ فِي أَيَّامِهِ فِرْقَتَيْنِ عَلَى مَذْهَبِي آرِيُوشَ وَأَمَانَةِ نِيقِيَةَ . وَفِي أَيَّامِهِ وَلِيَ دَامَاشُ بَطْرَكًا بِرُومَةَ . وَلَنْطِينْيَانُ مَلَكَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً وَوَلَّى وَالَانَسَ أَخَاهُ عَلَى الْمَشْرِقِ وَكَانَ شَرِيكَهُ فِي الْمُلْكِ . ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِأَهْلِ أَفْرِيقِيَةَ فَأَجَازَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرَ وَحَارَبَهُمْ فَظَفِرَ بِالثَّائِرِ وَقَتَلَهُ بِقَرْطَاجَنَّةَ وَرَجَعَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَحَارَبَ الْقُوطَ وَالْأُمَمَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَلَكَ فِي حُرُوبِهِمْ فَاسْتَقَلَّ وَالَانَسُ وَحْدَهُ بِالْمُلْكِ . وَكَانَ وَلَنْطِينْيَانُ يَدِينُ بِالْأَمَانَةِ وَوَالَانَسُ يَدِينُ بِمَذْهَبِ آرِيُوشَ . فَاشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ الْأَمَانَةِ وَقَتَلَهُمْ . وبعدَ وفَاتِهِ عُقِدَ الْمَجْمَعُ الثَّانِي بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ (٣٨١) (لابن العميد)

تتمة تاريخ الروم الى ظهور الملة الاسلامية

ملك اغراتيانوس (٣٧٥) وتاودasيوس (٣٧٩)

٤٦٠ ثم ملك بعدهُ أغراتيانوس قيصر سنةً واحدةً وأشرك معهُ في ملكهِ رجلاً اسمهُ تاوداسيوس واستعملهُ على المشرق فملك الكثير منها ثم همَّ خارجيٌّ على أغراتيانوس فقتلهُ . فاستقلَّ تاوداسيوس بمُلك القياصرة سبع عشرة سنةً وردَّ جميع ما نفاهُ والانس قبلهُ من الاساقفة الى كرسيهم وخلَّى كلِ واحدٍ مكانهُ . وفي السنة الخامسة لمُلكهِ خرج على مكسيموس الخارجيّ فوجه اليهِ جيوشاً فقُتل . وكان لتاوداسيوس ولدان أرقاذيوس وأُونوريوس . ولمَّا كبرا وضعهما تحت تدبير أرسانيوس . ثمَّ هرب أرسانيوس الى مصر وترهَّب . فرغَّبهُ بالمال فأبى وأقام في مغارةٍ بالجبل المُقطَّم حتى مات . فبنى أرقاذيوس على قبرهِ كنيسةً . ثم ولَّى تاوداسيوس قبل وفاتهِ أرقاذيوس على القُسطنطينيَّة وأُونوريوس على رومة (٣٩٥) (للمسبحي)

ملك ارقاذيوس (٣٩٥—٤٠٨) وانوريوس (٣٩٥—٤٢٣)

٤٦١ أرقاذيوس قيصر ملَك ثلاث عشرة سنةً وفي أيامهِ قام يوحنَّا فم الذهب بطركًا على قسطنطينيَّة . ووضع تفسير الإنجيل وهو ابن ثمان وعشرين سنةً . ومنع الكهنة من أمورٍ كثيرةٍ من الفساد فحسدوهُ وجعلوا يطلبون عليهِ عثرةً . ونمى للملكة أودكسيا امرأة أرقاذيوس عن اختلاسها كرم امرأةٍ أرملةٍ . ولاجل ذلك رشقها في بعض خطبهِ ذات يومٍ وشبَّهها بإيزبل امرأة أخآب ملك اسرائيل التي أخذت كرمًا ايضًا من أرملةٍ . فركبت يومًا من الأيَّام وأخذت معها تسعةً وعشرين اسقفًا ممَّن عادى يوحنَّا فم الذهب واجتمعوا بمدينة خلقيدونية . وحرموهُ وأسقطوهُ من مرتبتهِ بحجَّة أنهُ لم يدع النظر في كتب أوريجانس فاضطرب أهل القسطنطينيَّة لذلك وهمّوا باحراق دار الملك فخافهم الملك وبعث الى فم الذهب وردَّهُ الى مرتبتهِ . فلمَّا رجع رفع تمثالًا كان للملكة بالقرب من الكنيسة . وخطب ذات يومٍ وسمَّى الملكة هيروذيا أي الملكة التي قتلت يحيى بن زكريَّاء المعمدان . فغضبت غضبًا شديدًا ووجَّهت الى بعض الأساقفة فجمعتهم الى قسطنطينيَّة فحرموهُ ثانيًا ونفوهُ . وكان ذلك في السنة الثامنة لأرقاذيوس . فنُفي الى بلدةٍ بعيدةٍ فتُوفّي هناك لثمانٍ واربعين سنةً من عمرهِ . وثارت الفتن بين الروم والمصريين بسبب عظام يوحنَّا فم الذهب حتى اتوا بها بعد ثلاث وثلاثين سنةً لموتهِ . فدفنوها بقسطنطينيَّة وأثبتوا اسمهُ في سفر الحياة مع باقي الآباء القدّيسين . ثم ان ارقاذيوس مات وهو ابن ثلاثين سنةً وخلَّف ابنهُ تاودسيوس ابن ثماني سنين (لابي الفرج)

تاودوسيوس الاصغر (٤٠٨—٤٥٠) ومرقيان (٤٥٠—٤٥٧)

٤٦٢ وملَك من بعده تاودوسيوس الأصغر وفي زمانهِ كثر النصارى في سلطان الفرس وظهرت النصرانيَّة حدًّا على يدي مروثا أسقف ميَّا فارقين الذي أُرسِل من تاودوسيوس الصغير الى الفُرس . وفي السنة العاشرة لتاودوسيوس الصغير عُرِف شمعون صاحب العمود بأنطاكية وكان يُظهر الآيات والعجائب . وكان في هذا الزمان مار إسحاق تلميذ مار إفرام صاحب الميامر المنظومة . وفي هذا الزمان انبعث أصحاب الكهف من رقدتهم التي رقدوا على عهد ديقيانوس الملك . فخرج تاودوسيوس الملك مع أساقفةٍ وقسّيسين وبطارقةٍ فنظر اليهم وكلموهم فلمَّا انصرفوا من عندهم ماتوا في مواضعهم . وانتقض لعهدهِ قومس أفريقية وخالفهُ الى طاعة القياصرة فحدثت بافريقية فتنةٌ لذلك . ثمَّ زحف القوط الى رومة وفرَّعنها أنوريوس فحاربوها ودخلوها عَنوةً واستباحوها ثلاثًا وتجافوا عن أموال الكنائس . ثمَّ صالحوا الروم على أن يكون لهم الأندلس فانقلبوا اليها وتركوا رومة . وفي السابعة عشرة من ملك تاودوسيوس قدم نسطوريس بطركًا بالقسطنطينيَّة فاقام أربع سنين وظهرت عنهُ العقيدة التي دان بها . وكان يقول باتّحاد المشيَّة دون نفس الكلمة . فبلغت مقالتهُ الى كيرلُّوس بطرك الإسكندريَّة فخاطب

في ذلك بطرك رومة وأنطاكية وبيت المقدس ثمّ اجتمعوا بمدينة أفسس في مائتي أسقف وأجمعوا على كفر نسطوريس ونفوه (٤٣١) . وأخذ بمقالتهِ نصارى الجزيرة والموصل الى الفرات ثمّ العراق وفارس الى المشرق . ثمّ ملَك مرقيان بعده ست سنين وتزوّج أخت تاودوسيوس الصغير . وكان في أيّامهِ الجمع الرابع بخلقيدونية . وأنهُ كان بسبب ديسقرس بطرك الإسكندريّة وما أحدث من البدعة في الامّة . فقالوا بالطبيعتين والأقنوم الواحد واجمعوا على نفيهِ . وافترقت النصارى الى ملكيّة . وهم أهل الأمانة فنُسبوا الى مرقيان قيصر الملك . والى يعقوبيّة وهم أهل مذهب ديسقرُس . وانما دُعوا يعاقبة نسبةً الى بعض تلامذة ديسقرُس اسمهُ يعقوب كان يطوف البلاد داعياً الى مقالة ديسقرُس . والى نُسطوريّة وهم نصارى المشرق . ثمّ ملك بعد مرقيان لاون الكبير (٤٥٧) ثم لاونطيوس (٤٧٥) ثم زينون (٤٧٦) وكان يعقوبياً

ملك انسطاس (٤٩١) ويوسطينوس (٥١٨) ويوسطينيانس (٥٢٧)

٤٦٣ أنسطاس قيصر ملَك سبعاً وعشرين سنةً . وفي أوّل ملكهِ قتل كثيرين من صبيان المكتب لأنّهم هجوهُ . واجاز البربر من المغرب الى رومة وغلبوا عليها . وفي السنة الثالثة لهُ بُنيَت دارا التي فوق نصيبين . ثمّ إنّ أنسطاس الملك أراد أن يرفع في البيعة قول المؤمنين في صلواتهم : إنّك صُلبت من أجلنا . فاضطرب أهل القسطنطينيّة كلهم وأخذوا الحجارة ليرجموهُ بها . فهالهُ أمرهم وجبن عنهم . فوضع تاجهُ عن راسهِ قائلاً : اني انتهي الى أمركم فيما تريدون . فكفَّ الشعب عنهُ . ثم ملَك يوسطينوس قيصر تسع سنين وكان أصلهُ من رومة . هذا أصلح جميع البيَع وردَّ كل مَن نفاهُ الملوك قبلهُ . وفي السنة السابعة للكهِ اقتتل الروم والفرس على شاطىء الفرات وغرق من الروم خلق كثير . وفي هذه السنة سقط ثلج كثير وجليد وأفسد عامّة الأشجار مع الكروم . وبعد سنةٍ قلّت الأمطار وعزّت الغلاّت ونقص الماء في الينابيع ثمّ تبع ذلك حرٌّ قويٌّ ووباءٌ شديدٌ ودام ستَّ سنين . وفي السنة التاسعة من ملكهِ أشرك معهُ في المُلك يوسطينيانس الصغير وكان ابن أختهِ وبعد ثلاثة اشهرٍ مات وفي هذا الوقت غزا كسرى ملك الفرس مدينة الرُّها وقتل فيها خلقاً كثيرًا . ثمّ ملك بعدهُ يوسطينيانس قيصر ثماني وثلاثين سنةً . وفي ثالثة ملكهِ غزا الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة . وزحف كسرى في آخرها لثانيةٍ من مُلك يوسطينيانس ومعهُ المُنذِر ملك العرب فبلغ الرها وغلب الروم وغرق من الفريقين في الفرات خلق كثير . وحمل الفرس أسارى الروم وسباياهم ثمّ وقع الصلح بينهما . وفي خمس وثلاثين من ملك يوسطينيانس عهد بان يُتخذ عيد الميلاد في خامسٍ وعشرين من كانون الاوّل وعيد الدنح لستّة ايّامٍ من كانون الأخير . فامتثلوا امرهُ خلا الأرمن فإنّهم داوموا على تعييد العيدَين في يومٍ واحدٍ . وكانت كنيسة بيت لحم صغيرةً فامر بان يُوسَّع فيها فبُنيَت كما هي لهذا العهد . وفي عهدهِ كان المجمع الخامس بقسطنطينيّة (٥٥٣)

ثم ملك بعدهُ يوسطينوس قيصر (٥٦٥) ثم طيباريوس (٥٧٨)

موريقي (٥٨٢) وفوقاس (٦٠٢) وهرقل (٦١٠ — ٦٤١)

٤٦٤ موريقي قيصر ملَكَ عشرين سنةً . وكان حسَن السيرة سهل المعاملة كثير الصدقة . وكان في كل سنةٍ يهيئ طعاماً للفقراء والمساكين ستّين مرّةً ويقوم هو وزوجتهُ من ملكها فيتولَّيان خدمتهم وإطعامهم وإسقاءهم . وفي السنة الرابعة لموريقي عرض وباءٌ شديدٌ بقسطنطينيةَ ومات من أهلها زهاء أربع مائة ألف نفسٍ . ولعهدهِ انتقض على هرمز كسرى قريبهُ بهرام وخلعهُ واستولى على ملكهِ وقتلهُ . وسار ابنهُ أبَرويز الى موريقي قيصر صريخاً . فبعث معهُ العساكر وردَّ أبَرويز الى ملكهِ وقتل بهرام الخارج عليهِ . وبعث اليهِ بالهدايا والتحف كما فعل ابوهُ من قبلهِ مع القياصرة وخطب أبَرويز من موريقي قيصر ابنتهُ مريم فزوَّجهُ إيَّاها وبعث معها من الجهاز والأمتعة والأقمشة ما يضيق عنهُ الحصر . ثم وثب على موريقي بعض ماليكهِ بمداخلة قريبهِ البطريق فوقاس فدسَّهُ عليهِ فقتلهُ وملَكَ على الروم وتسمَّى قيصر . وقتل أولاد موريقي . وبلغ أبرويز كسرى ما جرى على موريقي وأولادهِ . فجمع عساكرهُ وقصد بلاد الروم ليأخذ ثأر صهرهِ وبعث عساكرهُ مع مرزبانهِ خُزرويه الى القدس وعهد اليهِ بقتل اهلها وخراب البلد . وجاء بنفسهِ في عساكر الفرس الى القسطنطينيَّة وحاصرها وضيَّق عليها . وأمَّا خزرويه المرزبان فسار الى الشام وخرَّب البلاد . واجتمع يهود طبريَّة والخليل وناصرة وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس . فنهبوا الأموال وأخذوا قطعةً من الصليب وعادوا الى كسرى بالسبي وفيهم زخرياً بطرك المقدس . ولما انتهى أبرويز في حصار القسطنطينيَّة نهايتهُ وضيَّق عليها اجتمع البطارقة بعلوقيا وبعثوا السفن مشحونةً بالأقوات مع هرقل احد بطارقة الروم ففرحوا بهِ ومالوا اليهِ وداخلهم في المُلك . وثاروا على فوقاس سبب هذه الفتنة وقتلوهُ . وملَّكوا هرقل فارتحل أبرويز عن القسطنطينيَّة راجعاً الى بلادهِ . وملَك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنةً وكان ملكهُ أوَّل سنةٍ من الهجرة . وفي سابعة الهجرة بعث عساكر الفرس ومقدَّمهم مرزبانهُ شهريار فدوَّخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينيَّة ثم تغيَّر لهُ . فكتب الى المرازبة معهُ بالقبض عليهِ واتَّفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث بهِ الى شهريار فانتقض ومن معهُ وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسهِ في ثلاث مائة ألفٍ من الروم وأربعين ألفاً من التركمان وسار الى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيما افتتح أرمينية . ثم سار الى الموصل فلقيهُ جموع الفرس وقائدهم المرزبان فانهزموا . وقُتل وأجفل أبرويز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم . وكان شيرويه بن كسرى محبوساً فأخرجهُ شهريار وأصحابهُ وملَّكوهُ وعقدوا مع هرقل الصلح واسترجع الصليب (لابن العميد)

تم بحول الله

فهرس الجزء الثاني من كتاب مجاني الادب